المجلس الأعلى للغة العربية

علوم اللغة العربية

أ. نادية مرابط

منشورات المجلس 2011

علوم اللغة العربية

يتناول هذا العمل واقع اللغة العربية في حاضرنا والتحديات التي تواجه تطورها لكي تلتحق بركب اللغات الحاملة للعلوم والتكنولوجيات.

العمل مقسم إلى تسعة فصول، تناول ت فيه صاحبة البحث قضايا اللغة العربية وعالجت فيه خصائصها بمنظور معاصر، قدمته في مجموعة من الأفكار العلمية، خرجت فيها عن المنقول.

البحث متميّز لأنه يتحدث عن مكانة اللغة العربية ومنزلتها بين اللغات في القديم والحديث، ويبّين مظاهر التطور فيها، ويزيل الكثير من الأفكار التي علقت بها عبر الأزمنة، ويقدم بعض الحلول للكثير من الأسئلة التي ظلت عالقة.

العمل من تأليف الأستاذة **نادية مرابط**، وهي من مواليد: 05 فبراير1972، **بو**لاية سكيكدة، متحصلة على شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية من جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة 1996.

لقد **شاركت المعنية** بهذا العمل في **جائزة المجلس الأعلى للغة العربية** التي ينظمها كل **سنتين**، وفازت **بالرتبة الأولى** في مجال علوم اللغة العربية لسنة 2010

المقدمة

إن مكانة اللغة العربية ومنزلتها العظيمة بين اللغات تزداد أهمية يوما بعد يوم، إنها اللغة التي شغف بحبها أسياد قريش، وتباهى بها شعراء الجاهلية والاسلام، إنها اللغة التي مكنت لنفسها مكانا في العقول والقلوب، وإلا فكيف يبعث القريشي ابنه إلى البادية ولم تفسد بعد السليقة، إنه دليل على رقي العربية وأهميتها في الحياة بصفة عامة.

- إنها اللغة التي شغلت العقول وحيرت العلماء والمهتمين قديما وحديثا، ومازال يثار حول هذه اللغة العديد من الأسئلة ويحيط بها الكثير من الغموض، لهذا فالدراسات العلمية مازالت ولا زالت تقام حولها وفي كل مرة يظهر الجديد، لأنها لغة التواصل والاستمرارية التي تصلح لكل زمان ومكان، والمتتبع لخظ سير العلوم اللغوية بصفة عامة، يجد أن اللغة العربية تحوي العديد من العلوم التي تمثل بالنسبة لها الركائز والأعمدة والأسس التي يقوم عليها صرح هذه اللغة العظيمة.

وكما سبق وأن ذكرنا فإن الغموض الذي أحاط هذه اللغة ونشأتها، وسر بقائها حية مدى العصور، رغم كل الظروف الصعبة التي أحاطت بها، فإنه بالتوازي طرحت العديد من التساؤلات حول علوم هذه اللغة إلا أننا حاولنا في هذا البحث المتواضع الإلمام بأهم علومها.

وأرجو أن يكون هذا البحث مساهمة جادة وموضوعية في علوم اللّغة العربية.

أما منهجية البحث ففي تسعة فصول:

-الفصل الأول: اللغة العربية

وتعرضنا في هذا الفصل إلى تعريف اللغة العربية، وأثر القرآن الكريم فيها، ثم خصائصها وأخيرا تعرضنا لعلوم اللغة العربية.

-أما الفصل الثاني: علم النحو

أولا: تعريف النحو، وثانيا تعرضنا لمصادر علم النحو ثم أصول علم النحو.

وأخيرا المدرسة البصرية والكوفية والخلاف.

- أما الفصل الثالث: علم الصرف

وأول نقطة تعرضنا لها: هي تعريف علم الصرف، أما ثاني نقطة فتحدثنا عن ظواهر التبدل الصوتي منه الإعلال والإبدال والادغام والحذف والقلب، وآخر نقطة في هذا الفصل هي الاشتقاق.

- أما الفصل الرابع: علم البلاغة

وأول نقطة تعرضنا لها هي مقدمات عامة في علم البلاغة العربية، أما ثاني نقطة فهي علم المعاني، ثم علم البيان، وآخر نقطة هي علم البديع.

- أما الفصل الخامس: علم الدلالة

وأول نقطة تعرضنا لها هي الدلالة وما يدور حولها من تعريفات، وثاني نقطة كانت مكونات الدلالة الأساسية، وآخر نقطة هي التطور الدلالي.

- أما الفصل السادس: علم المعاجم

حيث بدأنا بتعريف علم المعاجم أو المعجمية، ثم تطرقنا إلى المدارس اللّغوية ومعاجمها، وآخر جانب تعرضنا له هو المعجم العربي وصلته بالتطور الدلالي.

- **أما الفصل السابع: اللّغة وعلم اللّغة الحديث**

إذ أخذنا أول نقطة بالشرح نشأة اللغّة ثم تعريف اللّغة وأخيرا اللّغة بين المؤثرات والخصائص.

- **أما الفصل الثامن: اللّسانيات والعلوم الإنسانية**

بدأنا بتحديد المصطلحات، ثم علم اللّغة وموضوعاته، وآخر نقطة علم اللّغة والعلوم الإنسانية.

- **أما الفصل التاسع: الأصوات العربية**

حيث تحدثنا في أول نقطة عن الأصوات العربية وعلم الأصوات العام، ثم تعرضنا لعلم الأصوات الوظيفي، وآخر نقطة رجعنا فيها إلى اللّغة العربية والعناية بها.

الفصل الأول:

اللغة العربية

أولا : تعريف اللغة العربية.

ثانيا : أثر القرآن الكريم في العربية.

ثالثا : خصائص اللغة العربية.

رابعا: علوم اللغة العربية.

تمهيـد:

إنه لمن الصعب التحدث في موضوع اللغة العربية، ذلك أنها بحر لا شاطئ له، تتشعب فيها المعارف والعلوم والفنون وتربط ببعضها ارتباطا وثيقا، ويصعب على الدارس والباحث ذكر اللغة العربية بمعزل عن العلوم الأخرى، فالتطرق لها يجبرك على ذكر كل ما يرتبط بها كما ذكرنا من علوم وآداب وقوانين وعليه فقبل الغوص في تعريف هذه اللغة علينا أولا التطرق إلى النشأة الأولى لهذه اللغة وإن كان من العسير الإلمام بها.

ونظرا لارتباط اللغة العربية بالإسلام، يحتم علينا الموضوع أن نتطرق لأثر القرآن الكريم في هذه اللغة المعجزة.

وإلى جانب الخصائص والمميزات التي تميز هذه اللغة فإنها تضم مجموعة عديدة من العلوم التي تهم الإنسان والإنسانية.

أولا: تعريف اللغة العربية:

قبل أن نعرف اللغة العربية علينا أولا أن نذكر نشأتها.

1- نشأة اللغة العربية:

اهتم العلماء منذ القديم بمسألة اللغة بصفة عامة، ذلك أن موضوع اللغة يعني موضوع الإنسان، ويعني روح الأمة الإنسانية وشخصيتها وكيانها، لأن اللغة هي المفتاح الذي عن طريقه وبه تقرأ كل الدراسات التي تخص حضارات العالم وتاريخها منذ القديم.

«وأنه لمن الصعب تحديد بداية ظهور اللغة العربية وتعيين بالضبط نشأتها الأولى، ولكن النقوش التي عثر عليها حتى الآن تؤكد أن العربية ربما يعود تاريخها وجذورها إلى أكثر من أربعة ألاف وخمسمائة عام، ولكن "يظن بعض الباحثين أنه كانت هناك ثلاث مراحل في نشأة اللغة العربية:

هي أولى مراحلها، كانت فيها داخلة في مجموعة اللغات *Pre Arabic* مرحلة يسمونها السامية، ولم تكن بعد لغة مستقلة لها خصائصها وطابعها، والمرحلة الثانية ما يسمى بـ :

أصبحت فيها اللغة مستقلة متميزة وفي المرحلة الثالثة – قبل ظهور الاسلام- *Proto Arabic*

وتتحول إلى لغة أدبية ناضجة في إعرابها وثروتها اللغوية وقواعدها"[(1)]» [(2)] فاللغة العربية رغم استقلالها عن اللغات السامية فإنها تبقى «منتمية إلى الأسرة السامية التي تضم عددا من اللغات القديمة»[(3)].

«وفصيلة اللغات السامية – الحامية: تتضمن عددا من الأسر ومنها:

1- الأسرة السامية ومنها:

---

[1] عبد المجيد عابدين ، المدخل إلى دراسة النحو العربي ص 24. نقلا عن مبادئ علم اللسانيات الحديث

[2] سامي عياد حنا ، مبادئ علم اللسانيات الحديث (دار المعرفة الجامعية، 2002) ص 78.

[3] أحمد مؤمن،**اللسانيات النشأة والتطور**(الجزائر– بن عكنون**ديوان المطبوعات الجامعية2002**) ص34 بتصرف واختصار.

* **اللغة العربية:** ولا نكاد نعرف إلا القليل عن طفولة هذه اللغة، لقد نشأت في أقدم مواطن الساميين وما وصلنا من آثارها يعود إلى مراحل متأخرة من التاريخ، وقد قسم العلماء تاريخها إلى مرحلتين:

أ- **العربية السائدة أو (العربية النقوش):** وهي متأثرة باللغة الآرامية السامية، ويمكن تصنيف مراحلها بحسب النقوش التي عثر عليها، ومن هذه النقوش: اللحيانية، والنمودية، والصفوية وأشهرها نقش النمار.

ب- العربية الباقية: وقد بدأت أول مرحلة لها في نجد والحجاز ثم انتشرت في مختلف مناطق انتشار اللغات السامية الحامية، وأقدم آثارها المدونة "الأدب الجاهلي" ويعود تاريخه إلى مائة سنة قبل الاسلام وربما يتجاوزها، وجمع هذا الأدب في القرون الأولى من مجئ الاسلام، وهو يمثل اللغة العربية في أوج قوتها وسلطانها وهيمنتها اللغات الأخرى، إنه يمثل العربية في قمة عطائها وصعوبة مفرداتها وعمق معانيها، إنه يمثل العربية في حلاوة تعبيرها ودهشة البشر في مرونة ودقة كلماتها، إن العامل الديني والاجتماعي كان لكل منهما دوره في هيمنة العربية وتألقها وتطورها بالمقارنة مع اللّمحات واللغات التي كانت تجاورها.

وقد أدت الفتوحات الإسلامية إلى احتكاك العرب بغيرهم مما أدى إلى تأثر المفردات العربية وكذا تأثر مفردات تلك اللغات بالعربية، وأهم عامل أدى إلى انتشار العربية هو الإسلام، واعتناق الشعوب المختلفة للدين الإسلامي، وتكتب اللغة العربية بالأبجدية العربية باستثناء جزيرة مالطا التي

تكتب العربية فيها بأبجدية لاتينية واللغة العربية أخذت مكانتها بين اللغات العالمية وتعد من اللغات العالمية الهامة»[1]

«ويتفق معظم اللّسانيين على أن اللغات السامية قد ظهرت لأول مرة في أرض بابل بالعراق، ثم انتشرت في شبه الجزيرة العربية والبقاع المجاورة ومع مرور الزمن اختلف هذه اللغات عن اللغة الأولى التي تفرعت عنها، وظلت اللغة العربية محافظة على أهم خصائص ومميزات اللغة السامية الأولى لأنها كانت تعيش في عزلة عن العالم في شبه الجزيرة العربية، ولا تستخدم أو تستعمل إلا من طرف القبائل العربية في هذه المنطقة الصحراوية، وكما هو معروف فإن العالم الألماني شلوتس(1798 م)، هو الذي أطلق مصطلح اللغات السامية إذ حاول تسمية هذه اللغات التي ظهرت في الشرق الأوسط باسم الأمم إلى أبناء سام وحام ويافث، ورأى أن هذه الاسماء تنطبق على اسماء أولاد سام، فأطلق على هذه اللغات اسم اللغات الساميّة، وبالفعل لقد وردت أنساب نوح عليه السلام في التوراة كما يلي "وهذه مواليد بني نوح: سام وحام ويافث وولد لهم بنون بعد الطوفان.. وسام أبو بني عابر أخو يافث الكبير ولد له أيضا بنون بنو سام: عيلام، وآشور، وارفكشاد، ولود وآرام..... وولد لعابر ابنان، اسم احدهما فالج لأن في أيامه قسمت الأرض، واسم أخيه يقطان، ويقطان ولد له المودود وشالف، وحضر موت، ويارح وهدورام وأوزال ودقلة، وعوبال، وأبيمائيل وسبا وأوفير، وخويلة، وبوباب، وكان هؤلاء بني يقطان، وكان مسكنهم من

---

[1] نور الهدى لوشن، **مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي** (الإسكندرية: المكتبة الجامعية الأزاريطة،2000) ص79،80، بتصرف واختصار.

ميشا إلى ناحية أسفار جبل المشرق هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم و ألسنته"[1]

وعن تطور اللغة العربية يقول عمر توفيق سفر آفا "اللغة العربية التي عرفناها في الشعر الجاهلي ونثره والتي نعرفها اليوم في كتب الأدب ونصوصه مرّت بأطوار عديدة غابت مراحلها الأولى عنا، ولكن مؤرخي العربية اتفقوا على أن العرب عرفوا منذ أقدم عصورهم لغتين، الأولى:

لغة الجنوب أو اللغة القحطانية، والثانية: لغة الشمال أو اللغة العدنانية، وكان بين هاتين اللغتين فروق كبيرة، ثم تقاربتا تحت تأثير عوامل كثيرة كالحروب والتجارة والأسواق الأدبية كسوق "عكاظ "

قري الطائف، وذي المجاز ومجنة قرب مكة فمن الطبيعي أن تتغلب اللّغة العدنانية بسيادتها على القحطانية وسائر اللّغات واللّهجات العربية الأخرى، وأصبحت معروفة بأنها اللّغة العربية الفصحى التي تجدها في القرآن والمعاجم اللّغوية وشعر العرب ونثرهم" [2] وقد كان للبيئة العربية البدوية والصحراء العربية والحياة العامة في العصر الجاهلي أثر كبير في اللّغة كلغة والأدب بصفة عامة، ذلك أنهم كانوا يهتمون بالشاعر اهتماما قلما نجده في العصور التي تلت عصورهم، فقد كان يجمع بينهم الشعر فتقام المآدب والمناظرات ويقع التنافس وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على وعي العقل العربي بأهمية العلم والأدب واهتمامهم وحرصهم على السليقة الأصيلة والفصاحة والطلاقة في الكلام والحديث والتحاور والتعامل، إلا أن تعدد القبائل أو انقسام العرب إلى قبائل متعددة ومتفرقة أدى هذا إلى

---

[1] سفر التكوين الإصحاح العاشر نقلا عن **اللسانيات النشأة و التطور**.

[2] عمر توفيق سفر آفا، **الأدب العربي و نصوصه** (الدار البيضاء، 1963) ص 17،16، نقلا عن اللسانيات النشأة والتطور.

تعدد اللّهجات وفي هذا الصدد يقول سفر آفا "أدى انقسام العرب إلى قبائل متفرقة إلى تعدد اللّهجات وصارت كل قبيلة تطلق على المسمى الواحد اسما يختلف عن اسمه عند الأخرى، كما أن كل قبيلة كانت تضع اسماء كثيرة للمسمى الواحد، ذلك لأن عدم تعدد البيئة البدوية وضيقها أدى بالعربي إلى أن يعنى بكل ما حوله صغيرا كان أم كبيرا، و بكل دقائقه، ومن هنا كثرت المفردات والجموع وتعددت الأضداد"»[1].

وعلى الرغم من تعدد الآراء واختلاف وتباين الأحكام حول نشأة اللغة العربية، وكما سبق وأن ذكرنا إلا أنه من "العلماء من ذهب إلى تحديد النشأة بأول نقش عثر عليه مما يصح أن تنسب كتابته إلى العربية وأخرى أهملت ذلك ومالت إلى تحديدها بأول نص شعري جاهلي وصل إلى أيدينا – والحقيقة أن العربية– وهي كما ذكرنا من اللّغات السامية تختلف عن اللّغات الأخرى في غموض تاريخها القديم.

وهكذا فالعربية التي نعرفها اليوم قد يرجع تاريخها إلى أبعد من النصوص الجاهلية التي تضمنت الفكر العالي والحكمة السديدة ومكارم الأخلاق والفروسية، وهي اللغة التي سادت الجزيرة العربية قبل الاسلام بقرنين من الزمان تقريبا، مستخدمة في الشعر والخطابة والأمثال والحكم استخداما يمكن أن نسميه موحدا بين الشعراء والخطباء والكهان»[2].

«وتعرف اللّغة العربية التي نتحدث بها حاليا باللّغة الباقية، والتي نشأت وشبت كما سبق ذكره "ببلاد الحجاز" ثم خرجت من تلك المنطقة

---

[1] أحمد مؤمن ، مرجع سابق ، ص 34 ، 35، بتصرف .

[2] محمد حسين آل ياسين، **الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث**، الطبعة الأولى (بيروت – لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة، 1980) ص 443، بتصرف واختصار

وانتشرت في الكثير من المناطق التي كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية والحامية والذي يمكن استخلاصه وقوله أن طفولة هذه اللغة مجهولة في كثير من جوانبها وأقدم ما وصل إلينا هي بعض النقوش كما ذكرنا والآمارات التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي، وأقدم ما وصل من آثارها الراقية الشعر والنثر الجاهليين، وجمعا في القرن الأول للهجرة ويمثلان كما ذكرنا اكتمال اللغة العربية، التي تغلبت لهجة من لهجاتها واستأثرت بميادين الأدب في مختلف القبائل مع فروق دقيقة لأنه متى انتشرت اللغة في مساحة واسعة وتكلم بها النّاس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى وخصائصها الأولى فلا تلبث أن يحدث فيها تغيير ، فبعد صراع اللّهجات المحلية كانت لغة قريش مهيأة للتغلب على اللّهجات الأخرى وهذا لما تمتاز وتختص به البيئة الموجودة فيها ساعدها كذلك العامل الديني لأنه كان لقريش السلطان الديني على بقية القبائل وإلى جانب ذلك كان لدى قريش النفوذ والسلطان الاقتصادي، حيث كانت التجارة في يد القريشيين الذين كانوا ينتقلون بتجارتهم في مختلف بقاع الجزيرة العربية، في الشام شمالا إلى أقاصي اليمن جنوبا، وأشهر تلك الرحلات التجارية رحلات الشتاء والصيف، وبفضل هذين العاملين تحقق للغتها النفوذ الاستعماري، والتغلب اللّهجي على باقي اللّهجات الأخرى، ومن المقرّ أن اللهجة التي يتاح لها التغلب في الكتابة والتأليف والأدب شعره ونثره»(1).

تعريف اللّغـة:

قبل التطرق إلى تعريف اللغة العربية علينا أولا تعريف اللغة.

---

[1] بلعيد صالح ، **مصادر اللغة** ، (الجزائر – بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية) ص 32، بتصرف و اختصار.

«اللّغة: اللّسن وأصلها لغوة فحذفوا واوها وجمعوها على لغات كما جمعت على لغون واللّغو: النطق يقال: هذه لغتكم التي يلغون بها أي ينطقون وربما كانت لفظة "لغة" مأخوذة من لفظة "لوغوس" اليونانية ومعناها "كلمة"»[1]، «وكلمة "لغة" فترجع إلى أصل غير سامي وكما سبق وأن ذكرنا معناها، كلمة، كلام، لغة، وقد دخلت الكلمة العربية في وقت مبكر»[2]،«أما رأى أبو الفتح ابن جني في اللّغة في كتابه الخصائص: "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" ثم قال: وأما تصريفها فهي فعلة من لغوت أي تكلمت، وأصلها لغوة، ككرة، وقلة وثبة، كلها لاماتها وواتها [لقولهم كروت بالكرة وقلوت بالقلة[3] ولأن ثبة، كأنها من مقلوب ثاب يثوب]، وقالوا فيها لغات ولغون كثبات وثبون، وقيل منها لغى يلغى إذا هذى، قال:

ورب أسراب حجيج كظم *** عن اللغات ورفث التكلم

وكذلك اللغو، قال تعالى: ("وإذا مروا باللغو مروا كراما)، أي بالباطل، وفي الحديث: من قال في الجمعة صه فقد لغا أي تكلم ، انتهى كلام ابن جني»[4]. «ومادامت أصواتا على حد قول ابن جني، فلكل عالم من المخلوقات الحية لغته، فالطير له لغته الخاصة قال "ابن السكيت": لغوى الطير: أصواتها، وقال الراعي قوارب الماء لغوها مبينة: في لجة الليل لما راعها الفزع، وقال تعالى في قصة سليمان مع الطير: "(وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين (20) لأعذبنه عذابا شديدا أو

---

[1] محمود أحمد السيد، **الموجز في طرق تدريس اللغة العربية** الطبعة الأولى(بيروت: دار العودة1980) ص 11، باختصار.

[2] محمود فهمي حجازي، **علم اللغة العربية** مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية (مكتبة غريب) 312،باختصار.

[3] القلة : عودان بهما يلعب الصبيان .

[4] عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المجلد الأول (بيروت: دار الفكر) ص 7، باختصار.

لأذبحنه، أو ليأتيني بسلطان مبين (21) فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبإ يقين (22) إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم (23) وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون (24) ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون (25)"[1] وما جاء على لسان النملة، وهي تنذر بقية النمل مغبة التعرض لما قد يحدث من سليمان وجنوده من أذى فقال تعالى "(حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون(18) فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضه وادخلنى برحمتك في عبادك الصالحين(19))"[2]»[3].

«وبرجوعنا إلى القرآن الكريم ومأثور الشعر لنقف على استعمال كلمة (لغة) فإنا لن نجد لها ذكرا خاصة إذا توخينا المعنى الاصطلاحي لها، والسبب ذلك أن العرب كانت توظف كلمة (اللّسان) بدلا من كلمة (اللغة) ففي القرآن الكريم قول الله تعالى: "(وما ارسالنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)"[4]، وقوله تعالى: "(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)»[5].

وقال الخطيئة:

---

1 سورة النمل 27/20-25.

2 النمل 27/18-19.

3 عوض محمد القوزي، **المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري**، ديوان المطبوعات الجامعية، (الجزائر، 1983)، ص3،4.

4 سورة ابراهيم 14/4 .

5 سورة الروم 30/22 .

ندمت على لسان كان مني *** وددت بأنه في جوف عكم.

وقد حدها الشريف الجرجاني بأنها: "ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، وفي هذا الحد شيء من التعميم الذي يدخل غير اللفظ في معنى اللغة، ففي قوله (ما) إطلاق لكل ما يمكن التعبير به للدلالة على المعاني من لفظ وإشارة، أو عقد، أو خط أو حالة دالة، وعلى هذا فإن قول ابن جني هو الراجح لتخصيصه بالأصوات التي هي» [1] «آلة الألفاظ، فهي على هذا قديمة بقدم اللسان موجودة منذ خلق الإنسان وهذا الإيغال في القدم يجعل طفولتها مجهولة ويثير الجدل بين العلماء، وهذا ما سيأتي الحديث عنه في فصل لاحق، هل اللغة اصطلاح أم توقيف؟.

وعليه فاللّغة اسم الجنس للكلام المنطوق أو المكتوب، واللغة كل وسيلة لتبادل المشاعر والأفكار كالإشارات والأصوات والألفاظ أي مجموعة مفردات الكلام وقواعد تأليفها والتي تجعلها شبكة معقدة من العلاقات والتي تميز جماعة بشرية معينة، وبواسطتها تتبادل أفكارها ورغباتها»[2].

وإن الحاجة إلى التعبير والتفاهم والتواصل، والحاجة إلى إيصال ما بالفكر والعقل والوجدان، كل هذا يحتاج إلى اللّغة وعليه فهي ظاهرة اجتماعية نشأت حين التقى الأشخاص مع بعضهم البعض واحتك كل واحد منهم بالآخر للتكيف والتفاهم والتحاور والعيش، وأن اللغة وثيقة صلة الإنسان ببيئته، ومجتمعه وأمته، لأنها تجلي الحقيقة دائما، وموضوع اللغة أخذ بالبحث والدراسة والتنقيب منذ زمن بعيد، واهتم به العلماء في الحاضر كذلك، إذ تعتبر اللغة القاعدة الأولى لكل حركة ثقافية وعليه فهي تعتبر

---

[1] عوض محمد القوزي ، مرجع سابق ، ص 5 ، باختصار.

[2] صالح بلعيد ، **في قضايا فقه اللغة العربية** (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية) ص 92،91، بتصرف .

أكبر دليل وبرهان يستعمله العالم والدارس ليصل إلى الحقيقة، ويلتمس روح المجتمعات والحضارات، ففي كل مجتمع تستحوذ اللغة على المكان الأكبر والأهم، إذ هي الرابطة الضرورية والأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في تمتين روابط أفراد المجتمع الواحد، فهي أداة التواصل والترابط والاحتكاك والتفاعل والتعامل وهي أداة الحياة الجماعية المفعمة بالحيوية والإنتاج والنشاط، وهي تعتبر بذلك معلم معنوي حيوي أساسي وضروري للحياة المشتركة، ولا يوجد من يحل محلها، فاللغة تعرف المجتمعات والأمم وتقاس باللغة قوة الحضارات وتقدمها وقيمها وعاداتها وتقاليدها وثقافتها ولا تحفظ كل هذه الممتلكات إلا بعامل اللغة.

«فاللّغة كائن حي ينمو ويتطور على ضوء الظروف التي تمده بالطاقة والحياة، وإذا ما عاش هذا الكائن أجواء تحرمه التنفس أصيب بضيق وحرج وعليه فإننا لن نتوقع له الوفرة والنماء» [(1)] لأن اللّغة كما سبق وأن ذكرنا كائن حي يشبه مختلف الكائنات الحية في نموه وتجدده، فكما النبتة تحتاج إلى الماء والتنفس والغداء فكذلك اللغة هي كائن مركب من كلمات تحمل الأفكار والمعاني التي تخبئ من ورائها سر للكلام فهي الملكة الإنسانية في القدرات التي يحملها الإنسان فتجعله يتفرد عما سواه من الكائنات ويتواصل من خلالها مع بني جنسه، وعليه فإن اللغة وعاء الفكر، بحيث لا يمكننا فهم المقصود والمراد من الأفكار دون فك كلماتها بمفتاح الفهم والتنقيب والتمعن والعقل والبحث العلمي والاستبصار.

«واللّغة فعل لساني، أو ألفاظ يأتي بها المتكلم ليعرّف غيره على ما في نفسه من المقاصد والمعاني وللأمم كيفيان مخصوصة، يخالف بعضها

---

[1] شلتاغ عبود شراد ، **حركة الشعر الحر في الجزائر**(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب1985) ص 20، بتصرف واختصار.

بعضا في التعبير عمّا في ضمائرهم ومن هؤلاء "العرب الذين استنبط من مقاييس كلامهم قواعد النحو"[(1)].

«والمعنى الاشتقاقي للغة هو أنها "تلك التي تتعلق باللّسان الإنساني" وهناك تعريفات أوسع للغة بأنها "تلك التي تحمل معنى" أو"كل شيء له معنى مفيد، أو كل شيء ينقل المعنى من عقل إنسان لآخر" وفي هذه التعريفات الواسعة لا تقتصر اللغة على صورتها المتكلمة فقط، وإنما تحوي إلى جانب ذلك الإشارات والإيماءات، وتعبيرات الوجه والرموز من أي نوع، مثل إشارات المرور، والأسهم، وحتى الصور وكذلك دقات الطبول الخاصة في أدغال افريقية وإطلاق الدخان بطريقة معينة بين الجنود الأمريكيين كل هذه الأشكال للنواقل المعبرة تلقى اهتمام عالم المعنى الذي يهتم بكل رمز له معنى مفيد، بغض النظر عن أصله وطبيعته ودلالته، ولكن اللغوي لا يلقى بالا إلا بدرجة محدودة» [(2)]، «فاللغة هي أداة للتواصل بين الناطقين بها توثق الصلاة وتوطد دعائم التفاهم وهي فوق كل هذا ذات صلة وطيدة وحيوية بأفكار النّاس وعقولهم وعواطفهم وانفعالاتهم وباللغة يعبر الإنسان عن نفسه وأفكاره وعواطفه وكيانه وذاته، وبالكلمات يحقق تلك الذات التي تهيم داخل جسده وبالكلمات ننقل الأفكار ونمارس أيضا التأثير في أفكار الآخرين، لقد جعل بعضهم اللغة جزءا من أفكار أصحابها وأضاف آخرون إلى وظائفها عملية اكتشاف أفكار وحقائق مازالت غامضة، وإذا ما أخذنا بهذا الرأي، فإن استبدال لغة بأخرى يقتضي فيما يقتضيه تغيير الأفكار

---

[1] أحمد الهاشمي، **القواعد الأساسية للغة العربية** حسب منهج "متن الألفية" لابن مالك وخلاصة الشراح لابن هشام وابن عقيل والأشموني (بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية) ص 7، باختصار.

[2] ماريو ياي**أسس علم اللغة** ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، الطبعة الثامنة (القاهرة: عالم الكتب1419 هـ – 199) ص 35.

والقيم والمبادئ والحقائق الكامنة وراء هذه اللغة، وفي هذا الصدد يقول – همبلت–: "إن لسان أمة جزء من عقليتها وإن لغة شعب، ما هي إلاّ روحه، كما أن روح الشعب لغته"[1]»[2].

تعريف اللغة العربية:

«إن اللّغة العربية نشأت وترعرعت في بيئة قحطاء وسط الصحراء ولقد كان أقصى ما عاصر لغة "امرؤ القيس" و"ولبيد" و"زهير" من مظاهر الفنون الأخرى، تلك المسوخ والتهاويل الآلهة من الحجر لا يجرؤ أحدا أن ينسبها إلى الفن في قليل أو كثير ولعل هذا من مفاخر اللغة العربية أن نراها قد برزت وحدها هذا البروز بين الرمال، كأنها أقحوان و لعل الفضل في ذلك راجع إلى الشعر، فالشعر زهر قد ينبت في الخلاء»[3]، وقد قال عنها أبو حيان البيروني(362– 440 هـ): «والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية»[4].

«فاللغة العربية أشدّ اللغات السامية، احتفاظا بمقومات اللسان السامي الأول وأكثر احتفاظا بالحروف السامية الأولى وأنها أوسع الأخوات جميعا وأدقها في قواعد النحو والصرف كما سبق ذكره وأكثر تحديدا لألفاظها وعباراتها وأنها من ناحية ظهورها التاريخي تعد من أحدث اللغات السامية ظهورا فهي لغة سامية من حيث الأصل، ولا بدّ أن يصدق عليها ما يصدق على جميع اللغات من التطور والتبدل...وإن أقدم ما نعرفه عن هذه اللغة هو الأدب الجاهلي كما ذكرنا.

---

[1] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،**اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين**(تونس: مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1996) ص 172 .

[2] نفسه، ص 172 بتصرف واختصار .

[3] توفيق الحكيم ، **فن الآداب** (القاهرة – مصر: مكتبة الآداب ومطبعتها) ص 24 ، بتصرف واختصار .

[4] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع سابق، ص 171.

ولقد احتفظت اللّغة العربية بكثير من أصولها السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها كما يقول على "عبد الواحد وافي" في كتابه فقه اللغة، ولا تكاد تعدلها في ذلك لغة سامية أخرى ويرجع السبب إلى نشأتها منعزلة فقلت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى ولم تذلل لها سبل كثيرة للبعد عن أصلها القديم»[1].

ونظرا لما تشغله اللغة العربية من منزلة رفيعة ومكانة خاصة «فهي تمثل القلب النابض بالنسبة للفكر العربي المعاصر، والأساس الأول الذي قام عليها هذا التراث العظيم، والأداة الحية للأدب العربي واللسان الذي يجمع الأمة، وهي أمر أساسي وضروري لوحدة أجزاء الوطن العربي، ولها مكانة عظيمة بين اللغات الأخرى، ذلك أنها لم تكن لغة عادية كاللغات في نشأتها وتطورها وامتدادها وانتشارها، فهي لغة العرب ولغة الصحراء والبادية والخيل، وهي لغة القرآن الكريم "أعظم كتاب"، فقد ظهرت اللغة العربية شابة مكتملة دون أن تمر بمرحلة الطفولة أو تسقط في الطريق الطويل، وكان نضوجها من الأعاجيب التي شغلت بال العلماء، والأعجب من هذا أنها عاشت قرابة ألف وخمسمائة سنة، وهي تؤدي مهمتها على نحو حي متحرك تجاوبت مع متغيرات الزمن والحضارات، تفردت حتى بين اللغات السامية باطراد الأوزان وقواعد الإعراب، واستطاعت مسايرة الحضارات وتلبية مطالبها»[2]، بل استطاعت أن تؤثر بروحها وفكرها وامتيازاتها وسط المجتمعات والدول التي دخلتها بدخول الاسلام إليها فكانت لغة الإرشاد، وبها كتبت العديد من كتب الدين والفلسفة والطب والفيزياء والكيمياء وغيرها، وإن دّل هذا على شيء فإنما

---

[1] نفس المرجع السابق ، ص 174 ، باختصار .

[2] أنور الجندي، **اللغة العربية بين حماتها و خصومها** (القاهرة: مطبعة الرسالة) ص 3، 4 ، بتصرف و اختصار .

يدّل على مكانة العربية بين اللغات الأخرى «فإنها تعتبر أهم وسيلة للارتباط الروحي، وتقوية المحبة وتوحيد الكلمة بين أبناء العروبة ماضيا وحاضرا وهي الرابطة الأساسية التي جمعت بين العرب سابقا عن طريق القرآن الكريم الذي وحد القبائل وصهر مشاعرها في بوتقة المفاهيم والقيم الجديدة، إذ لولا ذلك الكلام العربي المبين الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم آية لنبوته صلى الله عليه وسلم وتأييدا لدعوته ودستورا لأمته لكان العرب بددا.

وعندما كانت لغتنا العربية قوية كانت أمتنا قوية، وعندما ضعفت أمتنا أصاب اللغة الضعف ومن هنا كانت الأمة هي اللغة واللغة هي الأمة وفي ضعف الأولى ضعف للثانية، وفي قوة الأولى قوة للثانية.

ولهذا كان الاستعمار إذا ما أراد إبعاد أمة من الأمم عن كيانها وجذورها وشخصيتها وهويتها، عمد إلى محاربة اللغة والعمل على اقتلاعها، وهذا ما فعله الأتراك بالنسبة إلى أمتنا العربية وما فعله المستعمرون الغربيون في الجزائر والمشرق العربي إذ أنهم كانوا يفرضون لغاتهم ويبعدون اللغة العربية عن أن تحتل مكانتها في المناهج التربوية متناسين أن اللغة لا يمكن أن تفرض على الشعوب فرضا، فاللغة هي جزء أساسي في كيان كل مجتمع، يلازمه منذ طفولته ويرافقه في كل مرحلة من مراحل حياته، وإذا كانت اللغة العربية قد أصيبت بالضعف في عصر الانحدار فمرد ذلك إلى ضعف أصحابها وعلى الرغم من أن اللغة العربية تعرضت إلى هجمات شرسة وعنيفة إبان مسيرتها وخلال مشوارها على أيدي المغول والصليبيين وعلى أيدي المستعمرين الغربيين فإنها بقيت صامدة، وباءت المحاولات بالإخفاق، وإن مرد ذلك الإخفاق إلى القوة الذاتية للغة العربية ومدى تحملها، وإلى القرآن الكريم الذي كان حصنا للغتنا حفظها من الضياع والزوال وهذه الحقيقة أشار

إليها بعض الأجانب، منهم الكاتب والقاص الفرنسي "جون فون" الذي كتب قصة خيالية بناها على أن سياحا اخترقوا باطن الكرة الأرضية ووصلوا إلى مكان ما في وسطها وخطر لهم أن يتركوا هناك أثرا يدل على مبلغ وصولهم في رحلتهم فتركوا هناك حجرا نقشت عليه عبارة باللغة العربية ولما سئل "جون فون" عن سبب اختياره للغة العربية من بين اللغات العالمية كافة أجاب "إنها لغة المستقبل ولا شك أنه سيموت غيرها حين تبقى هي حية حتى يرفع القرآن نفسه»[(1)]، ومما سبق ذكره نستنتج أن استمرار مسيرة اللغة العربية وتحديها لكل المتغيرات والأجواء والعقبات إنما يدل على أن «كلام العرب لا يحيط به إلا بني" وهذا ما ذهب إليه بعض الفقهاء، ولم ترد الأخبار على أن أحدا ممن مضى ادعى حفظ اللغة كلها وقد أجمع علمائنا بكلام العرب والرواة لا شعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة، وذلك أن الله – جل ثناؤه– اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار من منهم نبي الرحمة محمدا – صلى الله عيه وسلم – فجعل قريشا قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب والمتمعن والدارس والباحث في كلامهم لا يجد فيه عنعنة تميم ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة فاللغة العربية أو لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها قال الله تعالى(وإنه لتنزيل رب العالمين (192) نزل به الروح الأمين (193) على قلبك لتكون من المنذرين (194)

---

[1] محمود أحمد السيد، مرجع سابق ، ص 2، بتصرف .

بلسان عربي مبين (195)[1]. وقال – جل ثناؤه – بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان:- قال تعالى(خلق الإنسان(3) علمه البيان(4)[2] فقدم الله ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بإنشائه من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكمة، فلما خص – الله اللسان العربي بالبيان علم لأن يقع سائر اللغات قاصرة عنه وواقعه دونه، فإن قال قائل: فقد يقع البيان بغير اللسان العربي لأن كل من افهم بكلامه على شرط لغته فقد بين، قيل له: إن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط لأن لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية، أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالاسماء المترادفة فأين هذا من ذلك؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب»[3].

ثانيا: أثر القرآن الكريم في العربية:

إن اللّغة العربية ترتبط والقرآن الكريم ارتباطا وثيقا ذلك أن كتاب الله نزل بالعربية، «وكان العرب قبل الاسلام يرسلون أبناءهم الذكور إلى البادية من أجل تلقي اللغة، والتمرن والتمرس على الفصاحةوالطلاقة والخشونة»[4] وهذا لأجل الحياة وما فيها، من أجل مواجهة الواقع وما فيه، لأجل الوقوف والتعامل مع الآخرين، نعم لقد تفطن العربي منذ القديم بأهمية التمكن من اللغة، وأهمية استخدام واستعمال اللغة العربية بإتقان لأن حسن الأداء من حسن التعلم، ويدل

---

1 سورة الشعراء 26/ 192 – 195 .

2 سورة الرحمن 55/3–4 .

3 أبو الحسين أحمد بن فارس **الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها** حققه وقدم له مصطفى الشويمي (بيروت - لبنان : مؤسسة الأستاذ بدران للطباعة والنشر 1964) ص 47، 41، 40، 52، بتصرف واختصار.

4 صالح بلعيد ، **مصادر اللغة** ، ص 40، بتصرف ة اختصار .

هذا على أمر واحد وهو قيمة ومكانة وسلطان اللغة العربية في القلوب والعقول والواقع والمجتمع في تلك الحقبة، «وبمجيء الاسلام وبفضله تمتعت العربية بالتدريس الكتابي ووضع وجمع قواعدها مبكرا وكانت أداة ووسيلة لتراث غني لكنها تطورت باستمرار على امتداد الألف والخمسمائة عام تقريبا التي خلت منذ تنزيل القرآن، وأضفى الدين الإسلامي على اللغة العربية ميزة لغة دولية بل عالمية بعد أن كانت قبل ذلك محصورة على الجزيرة العربية وبفضل الاسلام خرجت وكسرت الحدود الجغرافية، وكما لاحظ باحث إذ يقول: يعتبر توسع العرب شرقا وغربا، برا بحرا، من أهم الحوادث والظاهرات في تاريخ البشر، بل إن ذلك التوسع يمثل نقطة تحول خطيرة كان لها أثرها الدائم في تاريخ الإنسانية جمعاء»[(1)]، فالإسلام هو السبب الأساسي والعامل الرئيسي لانتشار اللغة العربية وهو معبد طريق مرورها إلى جميع أنحاء العالم إنه حافظ على اللغة العربية إذ به حفظت قوانينها الإعرابية وغيرها، يقول الله تعالى (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)إن نزول القرآن الكريم باللغة العربية، وباللسان العربي الفصيح الطليق المتمكن من قواعد اللغة على سجيته وعفويته دون تصنع أو تكلف، كان للغة العربية الميزة والخاصية والصفة التي لا يمكن أن تحصل لغيرها من اللغات، إنه بحفظ القرآن حفظت العربية عبر الزمن، فالدارس والمتمعن والمتفحص في الأحقاب الماضية يجد لغات كثيرة ولهجات متعددة زالت وبادت، إلا أن اللغة العربية بقيت شامخة تتربع على سلطان اللغات محفوظة بحفظ القرآن يقول تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)،فالقرآن الكريم حفظ اللغة العربية وخدمها.

---

[1] المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، مرجع سابق ، ص 105 ، بتصرف و اختصار .

«وإن خدمة القرآن للغة العربية تتجلى في انتشار حروفها، إذ بانتشار الاسلام في جميع الأقطار كانت الحروف العربية تنتشر وتعبر الأمصار والمدن، إذ كتبت بها اللغات التركية والفارسية والأوروبية والأفغانية والكردية، والمغولية والبربرية والسودانية وغيرها، كما كتبت بها لغة أهل الملايو وغيرهم ممن يبلغون 250 مليونا ما عدا نحو 90 مليونا يكتبون اللغة العربية بالخط العربي، وقد حدث هذا منذ ألف سنة لهذه الأمم الكثيرة وبه دونت آدابها وعلومها وفنونها، وقد دخلت اللغة العربية أوربا حين فتح العرب صقلية والأندلس، وتردد صداها في الأنحاء الجنوبية ولا يزال في الاسبانية والبرتغالية كثير من الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية، قد جمعها العلامتان دوزي وانجلمان في كتاب سمياه (مفردات الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية) في لندن 1869 م ثم دخلت الكلمات العربية في لغات أوروبية أخرى كالفرنسية والألمانية والانجليزية، وقد حوت اللغة الانجليزية أكثر من ألف كلمة عربية وهناك 270 كلمة من أصل عربي تستعمل في اللغة الانجليزية يوميا منها كلمة أمير أو أمير البحر الانجليزية التي أصبحت أميرال» [(1)]، «والملاحظ والملفت للانتباه والتساؤل أنه لم تحظ لغة من لغات العالم كما ذكرنا بما حظت به اللغة العربية، فقد منحها الله تعالى حفظا كما ذكرنا بحفظ كتابه العظيم، فبالقرآن ودوام القائمين عليه حفظا وتلاوة ودرسا حفظت اللغة ودام بقائها، ولولا القرآن لا ندثرت وصارت لغة بائدة، وسادت اللهجات المختلفة عبر الزمان ولضاع ما يعرف باللغة المشتركة (الفصحى)، إلا أن هذا الارتباط بين القرآن والعربية جعلها محاطة بسياج ليس من السهل اختراقه، فهي لا تقبل كل دخيل، ولا تستجيب لكل مؤثر يطغى عليها، وإنما تقبل ذلك بحدود، هذه الحدود

---

[1] أنور الجندي ، مرجع سابق ، ص 4، 5 ، بتصرف و اختصار .

هي التي لا تخرجها عن كونها لغة القرآن، ولذلك اعتمد القدماء على أثر القرآن الكريم والاسلام في تطور اللغة وانتقال كثير من ألفاظها من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي، نحو لفظه (المؤمن) فقد عرفها العرب من الآمان والإيمان وهو التصديق ثم اتسعت تلك الدلالة فاكتسبت شروطا يختص بها (المؤمن) وكذلك (الكفر) كان يدّل على الغطاء والستر فاكتسب في الاسلام دلالة الجحود بالله وعدم الطاعة له»[1].

وبالمقابل فقد سقطت بعض الألفاظ والتراكيب من الاستعمال اللغوي بعد الاسلام ويحدد الجاحظ (350 هـ) بعض سمات هذا التغير في اللغة فيقول «"ترك النّاس مما كان مستعملا في الجاهلية أمورا كثيرة، فمن ذلك تسميتهم للخراج أتاوة وكقولهم للرشوة وما يأخذه السلطان الحلوان والمكس، كما تركوا أنعم صباحا وأنعم ظلاما وصاروا يقولون كيف أصبحتم وكيف أمسيتم كما تركوا أن يقولوا للملك والسيد المطاع أبيت اللعين وقد ترك العبد أن يقول لسيده ربي، وكذلك حاشية السيد والملك تركوا أن يقولوا ربنا ومن الكلام المتروك والتي زالت أسماؤه مع زوال معانيها المرباع والنشيطة وبقي الصفايا

فالمرباع ربع جميع الغنيمة الذي كان خالصا للرئيس وصار في الاسلام الخمس على سنة الله تعالى.

وأما النشيطة فإنه كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه إذا استحلاه وبقى الصفى

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مغنم»[2].

---

[1] نادية رمضان النجار ، **قضايا في الدرس اللغوي** (مؤسسة شباب الجامعة ، 2001-2002) ص 85، بتصرف

[2] كتاب الحيوان : 1/ 327- 330 نقلا عن **التعريف بعلم اللغة** .

«ويقول الأمير مصطفى الشهابي إن العربية أرقى اللغات السامية وأوسعها وأغناها بمختلف الكلم والمشتقات، ولئن كانت هذه اللغات متقاربة في ألفاظها وصرفها واشتقاقها، فليس من الصحيح رد بعضها إلى بعض كالقول مثلا بأن السريانية مشتقة من العربية أو القول بعكس ذلك ثم يقول: ومن المعلوم أيضا أنه عندما جمعت اللغة العربية ودونت لم يعوّل إلا على ألفاظ القرآن الكريم وألفاظ الشعر الصحيح وكلام أعرف القبائل وأبعدها عن تأثير الأعاجم فيها كقيس وتميم وهديل وأسد وغيرها.

وفي ذلك يقول بيير روسي في كتابه مدينة إزيس: إن الاسلام قد جعل من اللغة لغة التعبير العالمية التي لا مثيل لها، لغة إنسانية قومية في دوامها واستمرارها»[(1)]، «ولصعوبة الفصل بين الاسلام واللغة العربية، فإن الفصل بين العروبة والإسلام تفتيت لوحدة الأمة وإنذار بزوالها واضمحلالها وفنائها، ويعد أيضا جهل بحقائق الدين واللغة، فأي عودة للقومية والوحدة ينبغي أن ننطلق من اللغة العربية التي حملت تراثنا وتمثل الأساس القويم للوحدة اللغوية والدينية والتاريخية والروحية، فالقومية لا تستلهم وجودها إلا عن طريق هذه اللغة، ولا يتحقق دعمها إلا على أساس ذلك اللسان العربي المبين.

وعالمية اللغة العربية هو إقرار بعالمية الاسلام وعموم رسالته صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى: (قل يا أيّها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السّموات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبيء الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)[(2)]»[(1)].

---

[1] المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، مرجع سابق ، ص 174.

[2] سورة الأعراف 158/7 .

إن دخول الاسلام إلى المناطق العديدة والمختلفة من قطر الكرة الأرضية جعله يتربع في القلوب.

وبانتشاره الذي أبهر العلماء وجعلهم يتساءلون ويبحثون عن سرّ هذاالدين السّماوي العالمي، فوجدوا أنه يحكم بالعدل والمنطق، ووجدوا سر العربية يكمن بين كلمات القرآن ومفرداتها، قوانينها، إعرابها وغيرها من الأسس التي تبنى عليها العربية توجد بالقرآن الكريم، لأنه مكتوب بها، فقد شرف الله العرب وقريش أنه بعث رسولا منهم وانزل القرآن بلغتهم.

وكما ذكرنا سابقا أن دخول الاسلام أوربا ومختلف الأمصار والأقطار والمدن والأمم جعل من العربية تؤثر على لغات تلك الأمم وعلى مفرداتها وألفاظها وكلماتها.

«وقد انتقلت مصطلحات عربية في العصر القديم إلى الفارسية والتركية بل إلى عدد من اللغات الأوروبية الحديثة أيضا، وقد أخذت اللغات الأوروبية مصطلحات علمية من الكيمياء والعربية من الطب العربيوبالأخص قانون ابن سينا، إضافة إلى المصطلحات العلمية من ميادين علم الفلك والرياضيات وغيرها

ولا تزال الألفاظ العربية الإسلامية باقية في عدد من اللغات الأوروبية التي استعارتها من اللاتينية أو الاسبانية أو التركية إلى اليوم، وهذا الاقتباس والتأثير حدث بفضل الاسلام وبفضل القرآن الكريم طبعا فاللغة التركية العثمانية التي كانت لغة حضارة، وعلى الرغم من سيطرة الإمبراطورية العثمانية على أكبر جزء من الإمبراطورية على مدى خمسة قرون إلا أنها استعارت من العربية حظها وعددا كبيرا جدا من الألفاظويحتل تأثير اللغة العربية على اللغة الاسبانية مكانا متميزا، إذ هناك عددا من الألفاظ العربية دخلت بواسطة هذه

---

[1] أحمد عبده عوض، **في فضل اللغة العربية** (تعلما وتحدثا والتزاما) معالجة قرآنية ونبوية وتراثية، الطبعة الأولى (القاهرة):

اللغة، واللغة اللاتينية في المعجم الدولي، وقد قدر الباحثون نسبة الألفاظ العربية الأصل الداخلة في اللغة الإسبانية على أساس مقاييس مختلفة ما بين5 % و20 % وهذا الفارق الكبير ناتج عن اختلاف المقاييس المأخوذة بعين الاعتبار، وفي تحليل أولي يلفت النظر التشابه بين الحقول الدلالية للألفاظ العربية الدخيلة في اللغة الإسبانية والألفاظ العربية التي دخلت اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية، كما يلفت النظر كون كثير من الألفاظ العربية احتفظت بـ" الـ" التعريف في اللغة الإسبانية فيما لم يدخل الرومانية لفظ واحد بأداة التعريف العربية، ونذكر على سبيل المثال بعض الألفاظ التي لا تزال تستخدم في اللغات الثلاث في عصرنا هذا.

اللغة العربية	اللغة الاسبانية	اللغة الرومانية
قلعة	**Alcala**	**Cula**
زعفران	**Azafran**	**Sofran**
حناء	**Alhena**	**Cana/ Caneala**
كافور	**Alcanfor**	**Canfor**
حمال	**Alhamel**	**Hamel**
قاض	**Alcade**	**Cadui**
قبة	**Alcaba**	**Cubea**
جبة	**Aljuba**	**Jubea**
مخزن	**Almacen**	**Magazie**
وزير	**Alguacil**	**vizir**
بناء	**Albanileria**	**Bina**
قفص	**Alcahaz**	**Cafas**
قطيفة	**Alcatifa**	**Catifea**

القرآن	Alcoran	Coran
قطن	Algodon	Coton
منارة	Almenara/ Alminar	Minaret
مؤذن	Almuecin	Muesin
قطران	Alquitran	Catran

هذه بعض الألفاظ على سبيل المثال، وما كان للعربية أن تؤثر في اللغات الأخرى إلا بفضل القرآن الكريم ورسالة الاسلام»[1].

إن تطرقنا لأثر القرآن الكريم في اللغة العربية يستلزم منا و يحثنا ويشغفنا إلى أن نتعرض إلى نقطة أساسية ومهمة هي:

*** وصف القرآن الكريم بأنه عربيا:**

– ورد وصف القرآن الكريم بكونه (عربيا) في ست آيات، وجاء وصفه باللسان العربي في ثلاث آيات وجاء تفصيل كونه عربيا، وليس أعجميا في آية واحدة، وجاء وصفه بالحكم العربي في آية واحدة وهكذا يكون مجموع ما ورد في ألفاظ العربية في القرآن الكريم إحدى عشرة آية باشتقاقين اثنين هما" عربيا – عربي"»[2].

*** وصف القرآن بأنه عربي:**

«**الموضوع الأول**: قوله تعالى: (ألر تلك آيات الكتاب المبين(1) إنّا أنزلناه قرءانا عربيا لّعلّكم تعقلون)[3]

– **الموضوع الثاني**: قوله تعالى (وكذلك أنزلناه قرءانا عربيّا وصرّفنا فيه من الوعيد لعلّهم يتّقون أو يحدث لهم ذكرا)[1].

---

1 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مرجع سابق ،ص 109، 110، 111، بتصرف واختصار .

2 أحمد عبده عوض، مرجع سابق، ص 37، بتصرف واختصار

3 سورة يوسف 12/1-2 .

- **الموضوع الثالث:** قوله تعالى: (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون (27) قرءانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون (28))[2].

- **الموضوع الرابع**: يقول تعالى: (حم (1) تنزيل من الرّحمن الرّحيم (2) كتاب فصّلت آياته قرءانا عربيا لقوم يعلمون (3))[3].

- **الموضوع الخامس** : يقول تعالى:(وكذلك أوحينا إليك قرءانا عربيا لتنذير أم القرى وتنذير يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السّعير)[4].

- **الموضوع السادس** : يقول تعالى (حم(1) والكتاب المبين(2) إنا جعلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون(3))[5].

*** وصف القرآن باللسان العربي:**

- **الموضوع الأول**: يقول تعالى: (ولقد نعلم أنّهم يقولون إنّما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مّبين (103))[6].

- **الموضوع الثاني**: يقول تعالى: (نزل به الرّوح الأمين (193) على قلبك لتكون من المنذرين (194) بلسان عربي مّبين (195))[7].

---

1 سورة طه 113/20 .
2 سورة الزمر 39/27-28 .
3 سورة فصلت 41/1-3.
4 سورة الشورة 7/42.
5 سورة الزخرف 43/1-3.
6 سورة النحل 103/16.
7 سورة الشعراء 26/193–195.

- **الموضوع الثالث:** يقول تعالى (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مّصدّق لسانا عربيا لتّنذر الدين ظلموا وبشرى للمحسنين (12))[1].

*** أفضلية كون القرآن عربيا وليس أعجميا:**

يقول تعالى: (ولو جعلناه قرءانا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في أذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد (44))[2].

*** وصف القرآن بالحكم العربي:**

- يقول تعالى (وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق (37))[3]»[4].

ثالثا: خصائص اللغة العربية.

نظرا لأهمية اللغة العربية وتاريخها "فهي تمتاز إلى جانب المكانة الرفيعة والمنزلة العالية بالقوة الروحية التي تتجسد في أنها لغة المنطق والحق والعدل والأسس، هي برهان مرئي، وقولي وكتابي وإلى جانب كل ذلك فهي تتميز بعدة خصائص أهمها:

*** العربية لغة الاسلام:**

إن من أسباب خروج العربية من شبه الجزيرة العربية إلى ربوع الكرة الأرضية يعود إلى الاسلام وإلى القرآن، فالقرآن عامل أساسي وقاعدي إن لم

---

1 سورة الأحقاف 12/46.
2 سورة فصلت 44/41.
3 سورة الرعد 37/13.
4 أحمد عبده عوض ، مرجع سابق ، ص 37 ، باختصار.

نقل رئيسي في انتشارها في ربوع الأرض عبر القارات، كونها لغة الاسلام، الذي انتشر وبانتشاره تحررت العربية من الحدود وكسرت قواعد البشر، هذا الدين الذي بإمكاناته الذاتية اقنع الجميع، نعم استطاع إقناع الجميع بفضل صدقه ووضوحه وبساطته وما يتضمنه من قيم ومبادئ الحق والعدل والخير، وما يريح به الإنسان في حيرته الذاتية والوجدانية"[1].

*** كمال العربية:**

« إن فكرة كمال العربية زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فكرة نابعة وقائمة من ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم، وهي فكرة دينية لغوية، وعليه نجذ "ابن فارس" رغم إيمانه الشديد واقتناعه بفكرة التوقيف، وكمال اللغة إلا أنه لا يستطيع أن يتجاهل أو ينكر الأثر الاجتماعي في نمو العربية وتطورها وكمالها، ومن خلال ذلك نستطيع أن نلمح فكرة الاصطلاح ونناقشها ونطرح الآراء حولها ونعطي لها السند الاجتماعي، وإن كانت الآراء التي تدور حول فكرة اصطلاح اللغة آراء نسبية تفتقر إلى السند العلمي والدقة الموضوعية والعلمية، وعلى أساس كل هذا نستطيع أن نجزم على أن اللغة العربية، واللغة بصفة عامة ظاهرة اجتماعية لها وزنها ولها مكانها في التعامل والترابط وفي شتى الميادين الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية لأنها أساس العملية الاجتماعية»[2]

*** خاصية التواصل:**

---

[1] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع سابق، 158، بتصرف واختصار .

[2] حلمي خليل، **مقدمة في فقه اللغة** ص 98، نقلا عن **قضايا في الدرس اللغوي**، بتصرف

إن التواصل والاستمرارية والبقاء عبر الزمن ومهما حصل من خصائص العربية «التي لا تشاركها فيها لغة أخرى حيث تنفرد بالتواصل والاستمرار كما ذكرنا والترابط والتأثير النفسي والفني والوجداني عند مختلف الأجيال، هذه الخاصية مع غيرها من الخصائص هي التي مكنت العربية من التوسع والثراء في القديم، وهي ما يمكنها فعلا من ذلك في الحاضر والمستقبل»[1].

*** خاصية الاشتقاق:**

«الاشتقاق من الخصائص التي ميزت اللغة العربية، فهو من عوامل نمو اللغة العربية وتكاثر مفرداتها، وذلك لأن الكلمة الواحدة قد يتولد منها في بعض الأحيان نحو عشر كلمات»[2]

"والاشتقاق في اللغة العربية أنواع ومن خصائص وميزات اللغة العربية أن معظم ألفاظها يتكون من ثلاثة حروف أصول، ومن خصائصها أيضا امكانية التصرف في تلك الأصول الثلاثة بحيث يتولد منها عدد غير قليل من الكلمات التي تدور في محيط واحد من المعنى»[3].

«والاشتقاق في اللغة العربية خاصية وميزة هامة لتوليد الألفاظ المعبرة عن المعاني المختلفة، فهو وسيلة من وسائل النمو والتطور فقد اكسب اللغة العربية مرونة ومناعة في آن واحد، وسمح لها بخلق ألفاظ جديدة، وحافظ على ثروتها وحماها من الجمود والركود، وقد تنبه علماء اللغة

---

1 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع سابق، ص 162، بتصرف واختصار.

2 بنعزوز زيدة، **دراسة المشتقات العربية وآثارها البلاغية في المعلقات العشر الجاهلية**، دراسة افرادية تحليلية تركيبية (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989) ص 17، بتصرف واختصار.

3 محمد خليفة الأسود، **التمهيد في علم اللغة** (منشورات جامعة السابع من أبريل) ص 138، بتصرف

القدامى إلى فكرة الإشتقاق منذ بداية البحث في اللغة وتأكدت ملاحظاتهم فيما بعد، حين بحث المستشرقون في اللغات السامية، وظهر لهم أن الألفاظ السامية تعتمد على جذور أو مواد تعد الأصل في كل اشتقاق، ولا يشك أي باحث من اللغويين – قدامى ومحدثين، شرقيين وغربيين في أن اللغة العربية من أقدم اللغات، وأقواها وأوسعها تعبيرا عن المعاني المختلفة، ومن الخصائص التي امتازت بها اللغة العربية كما ذكرنا خاصية الاشتقاق، التي طورت العربية وجعلتها تبرز للوجود في جميع الفنون والعلوم، والاشتقاق وسيلة لفهم اللغة، ومعرفة أسرارها وأغوارها، لأنه يربط الألفاظ ويصل بين معانيها، ولهذا فمعرفة مادة "ر ب و" التي نأخذ منها: التربية، والمربي، والربوة، والربا وهذه المادة وما يشتق منها فيها معنى الزيادة والنماء، إن هذه الخاصية في توليد الألفاظ بعضها من بعض تجعل اللغة العربية جسما حيا تتوارد أجزاؤه، ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية نستطيع أن نستغني بفضلها عن المفردات المنعزلة، وخاصية الاشتقاق سبيل إلى كشف الصلة بين المعاني المتبادلة للألفاظ من مادة واحدة، كالجار والمجرور.

ولو تأملنا بعض اللغات، كاللغات اللاتينية لتبين لنا أن الفردية والانعزالية تغلب عليها، ولوجدنا أن الأصول المشتركة قد ضاعت، ونتيجة لذلك نجد أن هناك اختلافا بين الألفاظ الدالة على نوع واحد من المعاني العامة وذلك لاختلاف الأصول التي ترجع إليها وهذه أمثلة من اللغة الفرنسية توضح ذلك: إن الكلمات العربية: كاتب وكتاب، ومكتبة، يقابلها في اللّغة الفرنسية. Ecrivan, Livre, Bibliothèque

إن هذه الألفاظ التي تدل في العربية على معان مختلفة وتشترك في المعنى العام، وذلك في الحروف الثلاثة الأصلية التي تدور مع ما يتولد عنها، وما يشتق منها من ألفاظ.

هذه الخاصية الاشتقاقية لا نجد لها أثرا في هذه الأمثلة في اللغة الفرنسية، فهي ألفاظ منعزلة لا رابط لها، ومن هنا تبرز أهمية خاصية الاشتقاق في اللغة العربية»[(1)].

«فالاشتقاق من أهم خصائص اللغة العربية ومن أهم وسائل نمو العربية وثرائها، كما ذكرنا وقد جعل منها كائنا حيا ينمو ويتطور ويتغذى، كائنا مبدعا، يستوعب كل ألوان التطور الحضاري عبر العصور، وقد أكسبت هذه الخاصية اللغة العربية ثراء في الأوزان والصيغ وقد أثبتت الإحصائيات الحديثة أن "عدد جذور لسان العرب هو(9273) جذرا، هذا مقابل (500) جذرا تملكها مجموعة اللغات الهندية الأوروبية وفقا لما ذكره مولر في مجلة اللسان العدد 32. ص 12.

كما قام باحث آخر بحساب عدد الكلمات العربية التي يمكن اشتقاقها من (100) وزن فقط (على سبيل المثال) من الأوزان التي أحصاها سيبويه وابن القطاع وهي (1200) وزن، فبلغت مليون كلمة، وهذه المزية تفتح آفاقا كبيرة لا يجاد ألفاظ جديدة وكلمات حديثة»[(2)]، «إن خاصية الاشتقاق جعلت اللغة العربية كما ذكرنا تتمتع بتوسع ثرواتها من حيث أصول الكلمات والمفردات من كل اللغات السامية فهي تشمل على جميع أصول هذه

---

[1] فرحات عياش، **الإشتقاق ودوره في نمو اللغة** (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995) ص 113، 115، 117، 118، 119، بتصرف واختصار.

[2] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع سابق، ص 161، بتصرف واختصار.

الكلمات وتزيد عليها بأصول كثيرة احتفظت بها مما لا يوجد له نظير في أي لغة أخرى فقد جمع للأسد خمسمائة اسم وللثعبان مائتا اسم وللعسل ثمانين اسم، وللسيف ألف اسم، وهذا يتسق مع طبيعة العرب في السخاء والعطاء الطبيعي والمادي الذي كان له مردوده على سخائهم اللغوي، ولذا يقول السيوطي في المزهر نقلا عن العلماء في باب سعة اللغة، قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلا نبي»[(1)].

*** خاصية الإعراب:**

«تمتاز اللغة العربية بخاصية الإعراب بما لم يتكامل في أي لغة أخرى، على الرغم من وجود خاصية الإعراب في لغات كثيرة أخرى إلا أن الدارس والباحث لا يجد الدقة والاطراد اللذين في العربية»[(2)].

«وخاصية الإعراب هي تغيير ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة لبيان وظيفة هذه الكلمة في الجملة، فالفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمضاف إليه مجرور، وهكذا فالحركات علامات على وظيفة الكلمة في الجملة، وقد بحث العلماء في إمكانية وجود هذه الميزة في لغات أخرى وتوصلوا إلى أن العبرية القديمة والآرامية تشارك اللغة العربية في هذه الميزة، لهذا حكموا بأن هذه اللغات تنتمي إلى أسرة واحدة هي الأسرة السامية»[(3)]، «ومن المسلم به الآن لدى معظم المحدثين، من علماء الاستشراق أن اللغة العربية قد احتفظت بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها وقوانينها الإعرابية وأنه لا تكاد تعدلها في ذلك لغة

---

[1] أحمد عبده عوض، مرجع سابق ، ص 22، بتصرف و اختصار .

[2] **أشتات مجتمعات**، ص 26 ، 27 نقلا عن المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم، بتصرف واختصار.

[3] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق ، ص 67، بتصرف واختصار.

سامية أخرى، ويرجع السبب في هذا كما سبق ذكره إلى نشأتها في أقدم موطن للساميين، وبقائها في منطقة منعزلة، فقلت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى، ولو تذلل سبل كثيرة للبعد عن أصلها القديم» [1]، إن اللغة العربية تمتاز بهذه الخاصية ألا وهي خاصية الإعراب حيث تجعل من العربية تتصف بالدقة والوضوح والإقناع وتجعل منها لغة المواجهة وتحدي كل من تسول له نفسه ضرب العربية، فخاصية الإعراب هي قانون العربية ومنطقها، خاصية الإعراب هي رياضيات العربية وفلسفتها، «ويكاد يجمع العلماء على أن الإعراب ظاهرة لغوية اتسمت بها اللغة العربية من قديم الزمان منذ نشأتها.

ويقول المستشرق يوهان فك "إن العربية الفصحى قد احتفظت في ظاهرة التصرف الإعرابي بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية باستثناء البابلية القديمة قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي".

- ويقول الدكتور السامرائي: وقد احتفظت اللغة العربية الفصحى بظاهرة الإعراب، وهي من صفات العربية الموغلة في القدم، وبعض الباحثين اللغويين كانوا يخضعون البحث اللغوي - منذ زمن قصير للنظرية القائلة بأن اللغات تمر بحالات ثلاث على التتابع:

1- حالة العزل. 2- حالة الإلصاق، 3- حالة الإعراب.

وكان من المسلم به أن كل لغة من اللغات المعروفة كانت على إحدى هذه الحالات الثلاث وفقا لمرحلة التطور التي عرفناها فيها ونقل "ابن جنى" في الخصائص الجزء الثاني رأيا عن "أبي الحسن" أجاز فيه أن تكون الكلمات المبنية قد كانت قديما معربة، فلما كثرت غيرت، وأجاز مع ذلك

[1] فرحات عياش ، مرجع سابق ، ص 50 بتصرف واختصار .

أنهم ابتدأوا بناءها لأنهم علموا أنه لا بد من كثرة استعمالها على حد قول الشاعر:

رأى الأمر يفضي إلى آخر *** فصير آخره أولا.

وقد رجح "ابن جنى" أنهم ابتدأ وبناءها لأنه أدل على حكمتها، وأشهد لها بعلمها بمصاير أمرها".

– والنظرية التطورية إلى اللغة لا تقل مجال أن نعد ظاهرة الإعراب وخاصية الإعراب وجدت في العربية هكذا دفعة واحدة، فالطبيعي أن الإعراب لم يصل إلى هذه الدرجة الدقيقة المنظمة في العربية إلا على مراحل.

– ويرى بعض الباحثين المحدثين كالدكتور "ابراهيم أنيس" في كتابه "من أسرار العربية" أن الإعراب كان من خصائص العربية النموذجية، فظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة سليقة في متناول العرب جميعا – كما يقول النحاة – بل كانت صفة من صفات اللغة النموذجية الأدبية، ولم تكن من معالم الكلام العربي في أحاديث الناس وخطابهم"، ويوافقه الأستاذ "عبد المجيد عابدين" بعض الموافقة في كتابه "المدخل إلى دراسة النحو العربي" حين يقول: إن العربي كان إذا عاد إلى بيئته أو بيته عاد إلى لهجته الدارجة، هذه اللهجات الدارجة لم تكن في أغلب الظن معربة إعراب لغة قريش، وكان الإعراب في هذه اللهجات بسيطا وهي تذكرنا على كل حال باللهجات العربية الحديثة.

– ويتفق الدكتور "أنيس وعابدين" في القول بأن النحويين اخترعوا بعض قواعد الإعراب، فالدكتور "أنيس" يجعل الإعراب قصة يقول عنها: ما أروعها قصة، لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل

الجزيرة العربية، ثم حيكت وتم نسجها حياكة محكمة في أواخر القرن الأول الهجري، أو أوائل الثاني على يد قوم صنّاع كلام، ثم يقول: والنحويون ابتكروا في اللغة أصولا، وقواعد رغبة منهم في اطراد الإعراب، وانطباقه على كل أسلوب.

وقد اثبت المستشرق "يوهان فك" أن الإعراب من سمات العربية القديمة، فأشعار عرب البادية من قبل العهد الإسلامي، ومن بعده ترينا علامة الإعراب مطردة كاملة السلطان، كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين واللغويين الإسلاميين كانوا حتى القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي – على الأقل – يختلفون إلى عرب البادية لدرس لغتهم، تدل على أن التصرف الإعرابي كان بالغا أشده لذلك العهد، بل لإنزال حتى اليوم نجد في بعض البقايا الجامدة من لهجات العرب البداة ظواهر الإعراب، كما استدل –أيضا – بالقرآن الكريم، وإعرابه، إذ أنه أقدم أثر من آثار النثر الأدبي.

والحقيقة الناصعة أن الإعراب ثابت في العربية وقديم قدم العربي»(1)

*** عالمية العربية:**

«اللّغة العربية لغة حية، فقد غزت ودخلت أماكن عديدة في شتى بقاع العالم، ولم يقتصر تأثيرها على لغات تلك المناطق بل أثرت في حياتهم وفكرهم ووجدانهم، واستقبلت معظم لغات العالم مفردات كثيرة من اللغة العربية كما سبق ذكره، مما يدل على كونها لغة حية..... عرفت بسعتها وثروتها،

---

[1] عبد الغفار حامد هلال، **علم الدلالة اللغوية**، ص165، 166، 167، 168، 171، 172، 173 .

وبما تملكه من وسائل النمو والتطور من اشتقاق ونحت ومجاز وتعريب..... إلخ.

ومن اللّغات التي تأثرت وأخذت من مفردات اللغة العربية «اللّغة البربرية التي ظلت لغة محكية بين السكان البرابرة في بلدان المغرب العربي، لكنها جميعا استعارت العديد من العناصر اللّغوية العربية

وعلى الأخص الألفاظ، وكانت الفارسية أيضا – كونها أشد لغات الشعوب المحتلة ازدهارا– اللغة الوحيدة التي قاومت ضغط العربية وأصبحت قريبا بعد فتح المناطق الإيرانية لغة رسمية في إيران من جديد لكنها أخذت من العرب في نفس الوقت مع الدين الإسلامي العديد من الألفاظ، ومع انتشار الاسلام إلى المناطق النائية من قبل الجزيرة العربية انتشرت اللغة العربية ودخلت تلك الأمصار وجعلت لنفسها مكانا ولكلماتها أماكن بل أصبحت اللغة العربية لغة دولية في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، وسماها بعض الباحثين على حق بـ(لاتينية الشرق)، وأصبحت اللغة العربية لغة متداولة في غرب القارة الأوروبية كذلك وبدأت تدرس ليس في الأندلس فحسب بل وكذلك في البلدان المجاورة لها خلال القرون الوسطى.

لكن العربية لم تكن لغة أحد الأديان السماوية فحسب بل كانت خلال القرون الوسطى الأولى لغة حضارة وعلم مزدهرين، مما أدى إلى ارتفاع مكانتها بين لغات العالم وتأثيرها على لغات أخرى، والذي لا نقاش فيه أن العلم كان من بين ثمار العصر العباسي الأولى وكانت لغة هذا العلم العربية، وفي عهد الخليفة المأمون بالتحديد اجتمع المترجمون على بيت

الحكمة في بغداد ينقلون الذخائر العلمية التي تركها الإغريق والفرس والهنود والسريان والأقباط وغيرهم إلى اللغة العربية»[1].

وبفضل الإسلام أصبحت العربية لغة العالم الجديد «واستطاعت أن تستوعب الثقافات والعلوم المترجمة في عصور الإسلام الأولى، ولسبب سعة انتشارها، وصبغتها لشعوب عدة بالصبغة العربية، فقد أخذت بالطابع العربي دينا ولغة وثقافة وحضارة وأصبحت من أوسع لغات العالم انتشارا.

وكذلك وهي في أوج نهضتها وقوتها رحبت بكثير من الألفاظ التي اقترضتها من اللغات الأخرى واستغلتها في المصطلحات العلمية ولغة الكلام والتخاطب والتعامل وصمدت كذلك في كل تاريخها فلم يصبها ما أصاب اللاتينية من تفتت إلى لغات مستقلة، ورغم ما أصاب الدول العربية من مآسي

واضمحلال سياسي خلال عدة قرون إلاّ أنّها اللغة التي ظلت صامدة تقويها الروح الإسلامية وتشد أزرها القومية العربية»[2].

*** استقرار اللغة العربية:**

«رغم أن التطور سنة جارية في كل اللغات وأكثر مظاهر هذا التطور يكون في الدلالات إلا أن العربية ظلت محتفظة بكل مستوياتها اللغوية (الصوتية – الصرفية– النحوية – الدلالية)، وما تطور منها كان في إطار "المعنى"، فتواصل الفهم بين الأجيال للنصوص القديمة وتراث الأمة أمر من الأهمية بمكان ويزداد إدراكنا لأهمية الاستقرار اللغوي، إذ تتميز به العربية إذا ما تأملنا التغيير السريع الذي يلاحق بعض اللغات منها الانجليزية (لغة

---

[1] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع سابق، ص 105، 106، 107، بتصرف.

[2] أحمد عبده عوض، مرجع سابق، ص 14–17 ، بتصرف واختصار .

الحضارة المعاصرة)، فنصوص انجليزية القديمة التي مرّ عليها قرابة ثلاثة قرون أصبحت صعبة الفهم بالنسبة للإنجليزي المعاصر ولعل هذا التغير السريع هو الذي دفع هذه اللغة إلى إعادة صياغة النصوص الأدبية المهمة عندهم، مثل نصوص "شكسبير" بانجليزية حديثة يفهمها المعاصرون بدلا من الانجليزية القديمة في حين أن العربي المعاصر يقرأ آيات القرآن الكريم فلا يحس معها بغرابة ويكفي النظر في هذه الآيات يقول تعالى: (ألم(1) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(2) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(3) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون(4) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون(5))[(1)]، وقوله تعالى: "(والعصر(1) إن الإنسان لفى خسر(2) إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر(3))[(2)]، وقوله تعالى: (قل هو الله أحد(1) الله الصّمد(2) لم يلد ولم يولد(3) ولم يكن له كفؤا احد(4))"[(3)]. ورغم مرور أربعة عشر قرنا لا يكاد الإنسان يجد صعوبة في فهم النصوص القرآنية أو النصوص الحديث الشريف، ولا تصادفه غرابة في الألفاظ[(4)].

* العربية لغة الإمكانات:

«تمكنت اللغة العربية من أن تكون عالمية طيلة عصور قوتها وسيادتها لأنها خدمت من عدة نواح ودعمت بعدة وسائل، وتوفرت لها أسباب وحظيت بحركة علمية واسعة وجادة من الجمع والتقعيد والتحليل والدراسة والنقد، وفتحت نوافذها للثقافات الوافدة وشجعت الترجمة عن اليونانية والفارسية القديمة والهندية،

---

[1] سورة البقرة 2/1-5

[2] سورة العصر 103/1-3.

[3] سورة الاخلاص 112/1-4.

[4] محمد محمد داود، **العربية وعلم اللغة الحديث**(القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع) ص22، 24، 23، بتصرف واختصار

وحظيت بتشجيع العلماء وتقديرهم واعزازهم حتى بلغ الأمر بمكافأة المؤلف أو المترجم بوزن ما ألف أو ترجم، وتمتعت بحرية الرحلة العلمية والسياحية في ربوع الدولة الإسلامية دون جوازات سفر أو بوابات وكانت لغة أقوى قوة تسيطر على العالم آنذاك لغة الدبلوماسية والحرب والسلام والتجارات والأدب والثقافة بعامة، أما في عالم اليوم فالظروف مختلفة تمام الاختلاف إلا أن الأمة تفقد كل شيء وما زالت اللغة صالحة لهذا العصر ولقد قسم علماء اللغة اللغات على أساس قوانين التطور والارتقاء في قواعد الصرف والنظم والتركيب، وأشهر نظرية في هذا الاتجاه هي نظرية تقسيم اللغات إلى ثلاث فصائل: تحليلية والصاقية وعازلة، ويرى هؤلاء العلماء أن اللغة العربية من خلال هذه المعايير" هي إحدى اللغات السامية وأرقاها مبنى ومعنى واشتقاقا وتركيبا وأنها من أرقى لغات العالم»[1]

هذه النظرية دفعت باحثين كثيرين للمقارنة بين العربية واللغات من هؤلاء الأستاذ "العقاد" الذي استخلص من خلال قراءاته الموسوعية كثيرا من الحقائق التي توصلت إليها الدراسات الأجنبية والعربية المتخصصة، وقد ضمن كتابيه (أشتات مجتمعات في اللغة والأدب)، (واللغة الشاعرة) خلاصة مركزة وتطبيقات دقيقة لذلك، ويقول العقاد في كتابه أشتات مجتمعات "فإذا قيس اللسان العربي بمقاييس علم الألسنة، فليس في اللغات أوفي منه بشروط اللغة في ألفاظها وقواعدها".

*** تمييز اللغة العربية:**

حين يذهب "جالينوس" أن لغة اليونانيين أفضل اللغات لأن اللغات الأخرى تشبه إما نباح الكلب أو نقيق الضفادع، فإن "ابن حزم" يرد عليه فيقول:

---

[1] **دراسات في فقه اللغة** ص 45، نقلا عن **اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين**.

"وهذا جهل شديد لأن كل سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها فهي عنده في النصاب الذي ذكره "جالينوس" ولا فرق بل يمضى"ابن حزم" إلى أبعد من ذلك فيؤكد أنه ليست هناك لغة أفضل من أخرى بحد ذاتها لأنها متصلة بالإنسان، ويقول: وقد قال قوم العربية أفضل اللغات، لأنه بها نزل كلام الله تعالى، قال"علي": وهذا لا معنى له، لأن الله عز وجل قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه، وقال تعالى: (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)، وقال تعالى: (وإنه لفي زبر الأولين)، فبكل لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه، وقد أنزل التوراة والإنجيل والزبور وكلم موسى عليه السلام بالعبرانية، وأنزل الصحف على إبراهيم عليه السلام بالسريانية فتساوت اللغات في هذا تساويا واحدا، ويقول: وحروف الهجاء واحدة لا تفاضل بينها ولا قبح ولا حسن في بعضها دون بعض، وهي تلك بأعيانها في كل لغة فبطلت هذه الدعاوي الزائفة الهجينة مشيرا إلى دعاوي "جالينوس" ومن سار على مذهبه ولكن مع هذا تتميز اللغة العربية عن سواها بأنها لغة دين سماوي واسع الانتشار كما سبق ذكره، وبها نزل القرآن الكريم وكتبت المؤلفات الدينية والفلسفية والعلمية وعلى هذا فإن مصير اللغة العربية مرتبط بمصير الديّن وبسبب هذه الميزة اتصل حاضر الأمة العربية بماضيها، وحافظت اللغة العربية على ذاتها وكيانها وروحها ومبادئها وقيمها وركائزها، إن القارئ العربي المعاصر يستطيع وبسهولة فهم الشعر الذي كتب منذ ما يزيد على ألف سنة في حين لا يستطيع المثقف الإنجليزي أو الفرنسي أن يفهم ما كتب منذ خمسة قرون، وتمتاز اللغة العربية أيضا بأنها لغة مرنة ذات خصائص ذاتية تجعلها قابلة للنمو وقادرة على استيعاب الجديد وهذا ما سبق ذكره في خاصية الاشتقاق، وضف إليه خاصية المجاز والنحت والتعريب والقياس مع أن هناك من اللغويين من يقصر استعمال هذه الخصائص إلى السماع، فيقف في وجه

تطور اللغة ويمنعها من الاستجابة لحاجات العصر بدعوى الإشفاق على اللغة من الفساد»[1].

إن الحديث عن خصائص اللغة العربية يدفع بنا إلى ذكر نقطة مهمة هي:

*** اللغة العربية في مرآة الغرب:**

«نورد في هذه النقطة مقتبسة مما قاله العلماء وخاصة علماء الغرب المنصفين بشأن تميز اللغة العربية.

– عبد الكريم جاموس: "ساعد القرآن الكريم على روعة العربية وخلودها، فقد كان لأسلوبه أثر عميق في دخول الناس في الاسلام كما اتسمت العربية بالمرونة التي لا تبارى".

– لويس ماسينون: "أدخلت اللغة العربية في الغرب طريقة التعبير العلمي، والعربية من أنقى اللغات واتسمت بالإيجاز الذي لا شبيه له في سائر اللغات، والذي يعد معجزة لغوية كما قال البيروني".

– يوهان فك الألماني: "تمثل العربية رمزا لغويا لوحدة عالم الاسلام، وقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر".

– جاك بيرك الفرنسي: "إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية بل اللغة العربية الفصحى بالذات فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، وكانت عاملا قويا في بقاء الشعوب العربية".

[1] نفس المرجع السابق، ص 114، 175، 176، بتصرف واختصار.

فان ديك: "العربية أكثر لغات الأرض امتيازا وهذا الامتياز من وجهين: الأول من حيث ثروة معجمها والثاني من حيث استيعاب آدابها".

كارل ل. نلينو: "اللغة العربية تفوق سائر لغات العالم رونقا وغنى ويعجز اللسان عن وصف محاسنها"»[1].

رابعا: علوم اللغة العربية:

«إن مصطلح علوم اللغة العربية أو علم اللغة العربية، استخدم عند بعض اللغويين المتأخرين وكان المقصود منه دراسة الألفاظ مصنفة في موضوعات مع بحث دلالاتها، "فالرضى الأستراباذي" يفرق بين علم اللغة وعلم التصريف، موضوع الأول: دراسة الألفاظ، والثاني: معرفة القوانين الخاصة ببنية هذه الألفاظ، أما "أبو حيان" فقد ذكر مصطلح علم اللغة في عدة كتب له، وموضوع علم اللغة عنده هو دراسة مدلول مفردات الكلم، ولا يختلف استخدام مصطلح علم اللغة عند "ابن خلدون" عن هذا المعنى فعلم اللغة عنده هو "بيان الموضوعات اللغوية"، والمقصود بذلك الدلالات التي وضعت لها الألفاظ".

وذكر "ابن خلدون" في إطار كلامه عن علم اللغة "الخليل بن أحمد" وغيره من أصحاب المعاجم العربية، ويوضح كل هذا أن المصطلح علم اللغة كان يعني عند "الرضى الأستراباذي" و"أبي حيان" و"ابن خلدون" وغيرهم "دراسة المفردات وتصنيفها في معاجم وكتب وهكذا استخدم المؤلفون العرب قبل العصر الحديث وتابعهم المؤلفون السلفيون في أوائل القرن العشرين بصفة خاصة مصطلحات "اللغة" و"علوم اللغة" و"متن اللغة" و"فقه

---

[1] أحمد عبده عوض، مرجع سابق، ص 23، 24، 25، باختصار

اللغة" في عناوين مؤلفاتهم أو وصفا لجهود مؤلفي المعاجم وكتب المفردات اللغوية»[1].

وإن معظم العلماء يتفقون على أن بداية ظهور العلوم العربية كان يدور محورها حول القرآن الكريم وعلومه.

«أما بداية اهتمام الباحثين العرب بعلوم اللغة فكان مع بداية الحركة العلمية في إطار الدولة الإسلامية، فكانت لهم جهودهم في مجال الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة والمفردات، وكان المشتغلون بعلوم اللغة يصنفون إلى مجموعتين، تهتم المجموعة الأولى ببنية اللغة، و تهتم المجموعة الثانية بمفردات اللغة ودلالاتها، وقد وصف البحث عند المجموعة الأولى بأنه "النحو" أو "علم العربية".

بينما وصف مجال بحث المجموعة الثانية بأنه "اللغة" أو "علم اللغة" أو "فقه اللغة" أو "متن اللغة" كما ذكرنا سابقا، وسيأتي الحديث عنها تحت موضوع "اللسانيات" إذ لكل منها تاريخ مستقل ووجدت محاولات لبيان ترابط هذه الأفرع وإيضاح النسق الذي يتخذه كل منها في إطار البحث اللغوي العام»[2].

ومن الأمانة العلمية أن نلفت الانتباه إلى حقيقة هامة وهي أن جهود العرب في الدرس اللغوي – في الفترة من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي – تمثل فترة سخية في نشأة علوم اللغة [3] عند العرب التي نشأت تحت تأثير دافعين واضحين هما:

1 محمود فهمي حجازي ، مرجع سابق ، ص 67 ، 68 ، بتصرف

2 نفسه ، ص 69 ، بتصرف و اختصار .

3 أهمل الأوربيون عند تسجيل تاريخ علم اللغة جهود العرب في هذه الفترة في حين أنهم أشاروا إلى جهود اليهود مثلا: في وصفهم لقواعد النحو العبيري أنظر: Robins : Ashort History of Linguistics

1- خدمة الاسلام والمحافظة على القرآن الكريم من اللّحن وتيسير سبل فهمه وقراءته على غير العرب ممن دخلوا في الاسلام من الأعاجم، ويذكر "الإمام السيوطي" في كتابه "الاتفاق" أنه قد نشأ أكثر من خمسين نوعا من علوم اللغة، التي قامت لخدمة القرآن الكريم.

2- خدمة اللغة العربية، للتغلب على الثنائية الموجودة في الواقع اللغوي الحي على ألسنة العرب، المتمثل في تيارين:

أ- **الفصحى:** وهو النموذج الذي يمثل اللغة العامة أو المشتركة، التي يمكن أن تتعامل بها كل القبائل في إطار معايير محددة من القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

ب- اللهجات المختلفة: التي تختلف باختلاف البيئات والقبائل العربية فنشطت همة العلماء العرب لجمع المادة اللغوية للغة العربية، عن طريق الرواية الشفوية من أهل اللغة الأصليين ووضعوا حدودا لعملية جمع المادة فحددوا البيئة وكذلك الزمانية، وحددوا القبائل التي يصح الأخذ عنها.

«وأبحاث علوم اللغة التي تناولها اللغويين العرب عديدة ومتنوعة وتخدم كلها اللغة، ويمكن تتبع تلك الأبحاث من خلال عرض نماذج لها من مؤلفاتهم، فأول من وصف الأصوات اللغوية "الخليل بن أحمد الفراهيدي" فقد أحصى أصوات اللغة العربية ورتبها على حسب مخارجها وبنى على هذا الترتيب معجما لغويا سماه "معجم" وأثبتت هذه الأبحاث الصوتية تلميذ الخليل "سيبويه" في كتابه "الكتاب"

وقد اشتهر هذا الكتاب بأنه المرجع الأول في النحو والدراسات اللغوية، ثم ظهر في القرن الرابع الهجري عالم لغوي هو"أبو الحسن أحمد

بن فارس" (المتوفى 395 هـ)، فجمع أبحاثا لغوية مختلفة في كتابه المشهور "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها"، وهو أول من استخدم اصطلاح فقه اللغة للدلالة على الأبحاث اللغوية المختلفة، وقد حذا حذوه "أبو منصور الثعالبي" (المتوفى 479 هـ)، وأطلق اصطلاح "فقه اللغة" على كتابه الذي تناول فيه معاني المفردات، وعندما ننظر بعين فاحصة مدققه في الدراسات اللغوية عند علماء العرب، نجد أنه يمكن تصنيف علوم اللغة العربية إلى نوعين أساسيين، أولهما ما يدرس بهدف تعليم اللغة أو الاستزادة من ثروتها اللغوية ويتمثل ذلك في دراسة علم النحو ليعلم الفاعل من المفعول والحال من التمييز ليتوصل بذلك إلى نطق اللغة العربية نطقا صحيحا سليما ودراسة المفردات في المعاجم لمعرفة معانيها ودلالاتها المعجمية، وثانيها ما يتعلق بالنظرة الفلسفية لما وراء القواعد النحوية من العلل المنطقية والقوانين التي من شأنها تثبت تلك القواعد، وقد أشار علماء التراث إلى هذا الفرق في العلوم اللغوية من ذلك ما ورد عن "ابن السراج" (316 هـ) في كتابه "أصول النحو" فقد قال: "اعتلالات النحويين على ضربين: ضرب منها المؤدى إلى كلام العرب كقولنا كل فاعل مرفوع وضرب آخر يسمى علة العلة مثل أن يقولوا: لم صار الفاعل مرفوعا والمفعول منصوبا ولما إذا تحركت الياء والواو وكان ما قبلها مفتوحا قلبنا ألفا، وهذا ليس يكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب وإنما نستخرج من حكمتها في الأصول التي وضعتها وتبين بها فضل هذه اللغة" انتهى كلام ابن السراج، و"ابن فارس" (ت 395 هـ) أشار إلى فروع العلوم العربية في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب بقوله:" إن لعلم العرب أصلا وفرعا أما الفرع فمعرفة الاسماء والصفات كقولنا: رجل وفرس طويل وقصير وهذا

الذي يبدأ به عند التعلم، وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها ثم على رسوم العرب في مخاطبتها ومالها من الافتنان تحقيقا ومجازا، والناس في ذلك رجلان: رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره، وآخر جمع الأمرين معا وهذه هي الرتبة العليا، لأن بها يعلم خطاب القرآن والسنة وعليها يعول أهل النظر والفتيا "كما أشار إلى الفرق بين معرفة الفرع والأصل بقوله": والفرق بين معرفة الفروع ومعرفة الأصول: أن متوسما بالأدب لو سئل عن الجزم والتسويد في علاج النوق فتوقف أو لم يعرفه – لم ينقصه ذلك عند أهل المعرفة نقصا شائنا لأن كلام العرب أكثر من أن يحصى، و"ابن سيدة" (ت 458 هـ) أشار إلى أن "علم اللسان ضربان أحدهما حفظ الألفاظ الدالة في كل لسان وما يدل عليه لشيء شيء منها وذلك كقولنا طويل وقصير وعامل وعالم وجاهل والثاني: في علم قوانين تلك الألفاظ ومعنى القوانين أقاويل جامعة تنحصر في كل واحد منها أشياء كثيرة مما يشتمل عليه تلك الطريقة حتى يأتي على جميع الأشياء التي هي مصوغة للعلم بها أو على أكثرها وحفظ هذه الأشياء الكثيرة أعنى هذه الألفاظ المفردة إنما يدعى علما بأن يكون ما قصد بحفظه محصورا بتلك القوانين وتلك القوانين كالمقاييس التي تطرد عليها المصادر والأفعال ويبين بها المتعدي من غير المتعدي واللازم من غير اللازم وما يصل بحرف وبغير حرف وما يقضي عليه بأنه أصل أو زائد أو مبدل وكالاستدلالات التي يعرف بها المقلوب والمحول والإتباع ولذلك ذكرت هذه الأبواب كلها بعد ذلك الألفاظ المفردة الدالة ليكون ذلك مستغنيا في نفسه غريبا في جنسه، فالضرب الثاني من العلوم العربية هو دلالة اللفظ أو المركب الاسنادي على المعنى فالمفردة قد تكون دالة على معنى واحد قد وضعه الواضع له، وذلك

ما يسمى بالدلالة الافرادية وقد تطلق هذه المفردة على معنى آخر بواسطة المجاز وهذا الإطلاق قد يصبح حقيقة» [1]، وأما بخصوص ترتيب علوم اللغة العربية، وما هي هذه العلوم؟ "فترجع أول محاولة جادة لترتيبها في نسق واحد إلى "الفارابي"، وقد أطلق "الفارابي" على كل العلوم اللغوية اسما شاملا لها هو "علم اللسان" يتألف "علم اللسان" عنده من عدة مجالات، يقابل "علم الألفاظ المفردة" في تصنيف "الفارابي" "علم الدلالة" في التصنيف الحديث، و يتناول "قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة وعندما تركب"، البحث في الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة على التوالي، ولكن "الفارابي" أدخل في "علم اللسان" بعض الموضوعات التي لا تدخل في علم اللغة بالمعنى الحديث، من ذلك "علم الألفاظ المركبة التي صنعها خطباؤهم وشعرائهم" أي دراسة الشعر والنثر، ومن ذلك "قوانين تصحيح الكتابة وقوانين تصحيح القراءة وقوانين الأشعار"، وهكذا ضم "علم اللسان" عند "الفارابي" علوم اللغة إلى جانب غيرها من العلوم والمهارات.

ويدل مصطلح "علوم الأدب" عند "ابن الأنباري" على "علوم اللغة": النحو واللغة والتصريف وعلم الجدل في النحو وعلم أصول النحو بالإضافة إلى العروض والقوافي، وصنعه الشعر وأخبار العرب وأنسابهم، أي أن "علوم الأدب" تشمل عند "ابن الأنباري" مجموعة العلوم اللغوية والأدبية وما يتعلق بها من معارف.

والأديب عند "ابن الأنباري" وعند "ياقوت الحموي" هو المشتغل بهذه العلوم اللغوية والأدبية وما يرتبط بها من معارف، وبهذا المعنى ألف "ابن

---

[1] محمد خليفة الأسود ، مرجع سابق ، ص 208 ، 209، 210، 211 ، بتصرف .

الأنباري" كتابه نزهة الألباء في طبقات الأدباء "وألف ياقوت الحموي" "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، أما تصنيف "السكاكي" لعلوم اللغة العربية فيقوم على أساس "مثارات الخطأ"، فالخطأ اللغوي يمكن أن يكون في بنية الكلمة المفردة وهذا موضوع "علم الصرف" وقد يكون في تأليف المفردات داخل الجملة وهذا موضوع "علم النحو" وقد يكون في مطابقة العبارة للمعنى وهذا موضوع علمي "المعاني والبيان"، واعتبر "السكاكي" علوم متكاملة انتظمت عنده في نسق واحد"، و كان "أبو حيان" النحوي أول من أطلق مصطلح "علوم اللسان العربي" على علوم اللغة، وقد تابعه "ابن خلدون" في استخدام هذا المصطلح، تضم "علوم اللسان العربي" أو علوم اللغة العربية عند "أبي حيان" "علم اللغة" و"علم التصريف" و"علم النحو" يتناول "علم اللغة" مدلول مفردات الكلم"، ويتناول علم التصريف "أحكام مفردات الكلم قبل التركيب" أما علم النحو فيتناول أحكام مفردات الكلم "حالة التركيب" وبذلك كان مصطلح "علوم اللسان العربي" عند "أبي حيان" شاملا لعلوم اللغة عند العرب دون غيرها من العلوم، ولا يقتصر مجال علوم اللسان العربي عند "ابن خلدون" على النحو واللغة بل ضم إليهما علم البيان وعلم الأدب، وبذلك لم يفصل "ابن خلدون" بين علوم اللغة بمعناها المحدد والدراسة الأدبية، ويقوم تصنيف "طاشكبرى زاده" للعلوم اللغوية وما يتعلق بها من دراسات على أساس التمييز بين ما يتناول "المفردات" من جانب وما يتناول "المركبات" من الجانب الآخر، ذكر "طاشكبري زاده" أن دراسة المفردات تتناول مجالات خمسا، أولها: "علم مخارج الحروف"، ويعد هذا المصطلح أوّل تسمية محددة شاملة لما يطلق عليه في العصر الحديث "علم الأصوات" فإذا كانت الدراسة الصوتية قديمة في التراث العربي فإن "سيبويه

والخليل" ومن جاء بعدهما لم يضعوا لها تسمية خاصة وشاملة إلى أن جاء "طاشكبري زاده" وحاول في تصنيفه للعلوم أن يخصص هذه الدراسة، فأطلق عليها "علم مخارج الحروف"، وجعل هذا العلم أول مجالات البحث اللغوي، وبهذا اتفق "طاشكبري زاده" مع ما تعارف عليه اللغويين المحدثون بعده بقرون يتناول "علم مخارج الحروف" معرفة تصحيح مخارف الحروف – كيفية وكمية– وصفاتها العارضة لها بحسب ما يقتضيه طباع العرب.... ويستمد من العلم الطبيعي وعلم التشريح"، ويتضح من تحديد "طاشكبري زاده" لمكان "علم مخارج الحروف في أول مجالات البحث اللغوي إدراكه العميق لأهمية "علم الأصوات"، بل ويعد فهمه لعلاقة البحث الصوتي بالعلم الطبيعي وبعلم التشريح سابقا لعصره ولكثير ممن جاءوا بعده، وإلى جانب علم مخارج الحروف تضم دراسة المفردات عند "طاشكبري زاده": "علم اللغة" ويبحث "جواهر المفردات وهيئاتها من حيث الوضع للدلالة على المعاني الجزئية"، كما يضم "علم الوضع" ويبحث في "تفسير الوضع وتقسيمه إلى الشخصي والنوعي والعام والخاص"، والمقصود بذلك دراسة الدلالات التي وضعت لها الألفاظ، ويضم أيضا "علم الاشتقاق" وموضوعه "كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض"، وآخر مجالات دراسة المفردات: "علم الصرف" وعلى هذا تتناول دراسة المفردات عند "طاشكبري زاده" ما يقابل علم الأصوات وعلم بنية الكلمة وعلم الدلالة في مجالات علم اللغة الحديث، أما بنية الجملة فقد جعلها "طاشكبري زاده" الموضوع الأول للبحث في المركبات، وتضم دراسة المركبات عنده النحو والمعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي.........إلخ، وبذلك ضم "طاكشبري زاده" هذه الدراسات الأدبية مع "علم النحو" في إطار واحد، ويتفق 'التهانوي" في تصنيفه لما

أطلق عليه "العلوم العربية" مع تصنيف هذه العلوم عند "طاشكبري زاده" اتفاقا بعيدا، ولكن "التهانوي" لم يخصص لعلم الأصوات قسما مستقلا كما فعل "طاشكبري زاده" بل بدأ "التهانوي" حصره للعلوم العربية "بعلم اللغة" ثم جاء "علم الصرف" و"علم الاشتقاق" و"علم النحو" و"علم المعاني" و"علم البيان" و"علم العروض" و"علم القافية....إلخ، وقد ظل مصطلح "العلوم العربية" مستخدما في العالم العربي الحديث لما له من مكانة علمية دقيقة وحساسة في عالم العربية وفي عالم الكلمة» [1]، «وجاء في المقتضب أن علوم اللغة العربية عبارة عن أثنى عشر علما، مجموعة في قوله:

نحو وصرف عروض ثم قافيه *** وبعدها لغة قرض وإنشاء
خط بيان مع محاضرة *** والاشتقاق لها الآداب أسماء»[2].

"وأفضل العلوم ما كان زينة، وجمالا لأهلها، وعونا على حسن أدائها، وهو علم العربية الموصل إلى صواب النطق وحسن التعامل، المقيم لزيغ اللسان وعثراته الموجب للبراعة والإتقان، المنهج لطرق وسبل البيان بجودة الايلاغ، المؤدي إلى محمود الإفصاح، وما الإنسان لولا الإنسان، وقد قيل "المرء مخبوء تحت لسانه، والإنسان شطران لسان وجنان"

لسان الفتى نصف و نصف فؤاده *** فلم يبق إلا صورة اللحم والدم.

وقال "عبد الحميد بن يحي": سمعت شعبة يقول: تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل، وعن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن عباس قال: قلت: يا رسول الله ما الجمال في الرجل؟ قال: فصاحة لسانه»[1]

---

[1] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 68 ، 69، 70 ، 71، 72، بتصرف واختصار.

[2] محمد وزناجي ورشيد مزوزي، **المقتضب في علوم اللغة العربية** وصرف وبلاغة وعروض (الجزائر: الوسط للنشر والتوزيع) ص 09.

«وقد ثبت واقعيا أن المرء مهما تفقه في علوم العربية وحفظ متونها ما حفظ سيظل عاجزا عن التعبير عن نفسه نطقا وكتابة، إذا لم يندمج سنوات في بيئة عربية، ويمارس عمليا التعبير الحي المباشر»[(2)].

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على وزن اللغة العربية وعلومها، ونستشف أيضا أن المجتمع له دور كبير في تمرن اللسان، لأن عملية استخدام اللغة تستوجب عملية فكرية واحتكاك جماعي أو لزوم بيئة اجتماعية لتسجيل العملية اللغوية، وقد تعددت الأقاويل والآراء حول علوم اللغة العربية وعددها، لكن الأمر الذي لا بد منه والذي يستوجب من الدارس والباحث أخذه من هذه العلوم العربية بالدراسة.

- علم النحو، علم الصرف، علم البلاغة، علم الدلالة، علم المعجمية، اللسانيات، وعلم الأصوات،

وهذا ما سنحاول بحثه في المواضيع القادمة والفصول، «وعليه فعلم اللغة العربية مثله مثل جميع الدراسات اللغوية التي يقوم عليها علم اللغة فهو يقوم على دراسة بنية اللغة على نحو علمي، أي دراسته موضوعية، تقوم على الاستقراء والملاحظة والتجربة والإستنساخ دون النظر في أصل نشأتها أو ما قد توحي به من معنى، ويكاد يتفق اللغويون المعاصرون على دراسة اللغة من الجوانب التالية:

*** الأصوات اللغوية بنوعيها.**

أ – التجريدي ، وهو الفنوتيك.

ب – الوظيفي، وهو الفنولوجيا.

---

[1] أحمد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص 3، بتصرف واختصار.

[2] المنظمة العربية للتربية للثقافة و العلوم ، مرجع سابق ، ص 159.

* **بناء الكلمة الصرف:** وهو يعنى بأبنية مفردات اللغة
* **بناء الجملة (النحو):** وهو يعني تنظيم الجمل وتركيبها.
* **الدلالة:** وهو يعني بالمعاني السياقية والمعجمية.

وبما أن المنهج العلمي السائد في الدراسات اللغوية المعاصرة هو المنهج التركيبي، أي الانطلاق من دراسة الوحدات الصغيرة إلى الوحدات الأكبر لذا فدراسة الأصوات اللغوية تعد حجر الزاوية في علم اللغة، فاللغة تتألف من أصوات تصدر من أعضاء النطق، ثم تتألف هذه الأصوات في انساق مختلفة لتكون الكلمات، ثم تتألف الكلمات في عدة أنساق لتكون الجمل»[1]، «وقد أدرك اللغويين العرب أهمية المنهج التركيبي هذا، وهو البدء بالمفرد ثم المركب و لكن "ابن جني" اعتذر لبدئهم في تأليفهم بالمركب وهو "النحو" لدقة علم الصرف (المفرد) وصعوبته وقد أكد "السكاكي" معرفة هذا المنهج العلمي نظرية وتطبيقا، فبدأ دراسته بالأصوات فالصرف فالنحو»[2]، وأنا لا أعترض على هذه الآراء وهذا لعلميتها، لكن لي وجهة نظر أخرى وهو البدء بالنحو وذلك لأقدميته وصعوبة مسائله، وهذا ما اتبعته في دراستي.

---

1 عبد المعطي نمر موسى، **الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى**، الطبعة الأولى (الأردن – أربد :دار الكندي للنشر والتوزيع) ص 15.

2 نفسه ص 15، 16، بتصرف

الفصل الثاني

علم النحو

أولا: تعريف النحو.

ثانيا : مصادر علم النحو.

ثالثا : أصول علم النحو .

رابعا: المدرسة البصرية والكوفية والخلاف.

تمهيد:

"علم النحو" وعلم اللغة والعربية، إنه قانون العربية وأساسها الذي تبنى عليه جميع العلوم الأخرى وجميع المعارف والفنون إنه القاعدة الحقة، التي إن صح تأسيسها وضبطها وفهمها. جاء البناء سليما، تحمله ركائز صلبة.

ونظرا لما أحاط "علم النحو" من صعوبات وغموض فإنه استطاع أن يجعل لأسسه مكانا في اللغة تصدر من خلاله كلماتها، ولأن النحو هو رأس العلوم وعقلها وذهنها المفكر فضلنا أن نتطرق له من عدة نواحي وخصوصا جذوه الأولى وماذا تعنيه "لعلم النحو" وماذا قدمت له على أساس أنه مالكها ومحررها وعاتقها، إنه سلطان العلوم بدون منازع.

أولا: تعريف النحو:

قبل أن نعرف النحو علينا أولا أن نتعرض لنقاط أساسية لا بد من التطرق لها:

نشأة النحو: إن مسألة نشأة النحو أثير حولها غموض كبير «حيث يعزو البعض نشأة النحو إلى "أبي الأسود الدؤلي" يقول "ابن سلام": أول من استن العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها "أبو الأسود الدؤلي"، وإنما فعل ذلك حين اضطرب لسان العرب وغلبت السليقة وكان سراة الناس يلحنون، فوضع باب الفاعل والمفعول وحروف الرفع والنصب والجزم"[(1)]، غير أننا لا نستطيع أن نؤكد هذا الزعم لأنه لم تصل إلينا محاولات وضع قواعد اللغة العربية نقيم عليه توكيدنا، يقول "بروكلمان": "يبدو أن أوائل علم العربية ستبقى دائما محوطة بالغموض والظلام لأنه لا يكاد ينتظر أن يكشف النقاب بعد عن مصادر جديدة تعين على بحثها ومعرفتها ومن ثم لا يمكن إصدار حكم قطعي مبني على مصادر ثابتة للحسم برأي في إمكان تأثر علماء اللغة الأولين بنماذج أجنبية وقد زعم "بروينلش" أن التأثير الأجنبي في علم اللغة العربية بدأ على يد "سيبويه"

[1] **طبقات فحول الشعراء** لابن سلام، دار المعارف، ص12نقلا عن **القياس في النحو العربي** من الخليل إلى ابن جني.

الفارسي،على حين كان أستاذه "الخليل" عربيا محضا، ولكن يمكن الرد على ذلك بأنه لا يجوز لنا أيضا أن ننظر إلى الخليل على أنه مؤسس النحو العربي" [(1)]، إلا أننا نختلف مع "بروكلمان" فيما ذهب إليه بالنسبة للخليل ونتفق معه فيما زعمه من الغموض الذي يشوب ويحيط بداية نشأة اللغة، ودليلنا على هذا كتاب سيبويه الماثل بين أيدينا، وما رواه الأقدمون عن الخليل، غير أن عزو نشأة البحث في اللغة ووضع نحوها "لأبي الأسود الدؤلى"، ليس لدينا مصادر تؤكده إلا الرواية التي رواها "ابن سلام" ونقلها عنه "الزبيدي"»[(2)]، «ونظرا لأن العلوم بصفة عامة عندما تظهر في الأمم لا تظهر فجأة وبغتة بل تأخذ في الظهور رويدا رويدا، حتى تستوي على سوقها، كان ذلك مدعاة في كثير من الأمر لأن تغمض نشأة بعض العلوم وأن يختلط على الناس واضعوها المبكرون، وهذا ما حدث وحصل فعلا فيمن نسبت إليهم الخطوات الأولى في وضع علم النحو العربي كما سبق وأن ذكرنا، وفي ذلك يقول "السيرافي": "اختلف الناس في أول من رسم النحو، فقال قائلون: "أبو الأسود الدؤلى"، وقيل هو "نصر بن عاصم"، وقيل هو "عبد الرحمن بن هرمز" [(3)]، وأكثر الناس على أنه أبو "الأسود الدؤلى"، وتضطرب الروايات في وضع "أبي الأسود" النحو، فمنها ما يجعل ذلك من عمله وحده، ومنها ما يصعد به إلى على بن أبي طالب، إذ يروون عن أبي الأسود نفسه أنه دخل عليه وهو بالعراق فرآه مطرقا مفكرا، فسأله فيم يفكر؟ فقال له:

---

[1] **تاريخ آداب اللغة العربية** ، بروكلمان –1/121 ، ترجمة النجار الجامعة العربية – دار المعارف – 1961.

[2] صابر بكر أبو السعود،**القياس في النحو العربي من الخليل إلى ابن جني**(القاهرة– أسيوط : مكتبة الطليعة) ص25، بتصرف.

[3] راجع ترجمة ابن هرمز المتوفى بالإسكندرية سنة 117 هـ ، طبقات ابن سعد209/5.

سمعت ببلدكم لحنا، فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية، وأتاه بعد أيام فألقى إليه صحيفة فيها "بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال له: "اعلم أن الأشياء ثلاثة ظاهرو مضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر"، وتمضى هذه الرواية فتذكر أن "أبا الأسود" جمع لعلي أشياء وعرضها عليه كان منها حروف النصب، إنّ وأن وليت ولعل وكأن، ولم يذكر "أبو الأسود": لكن فقال له علي: لم تركتها؟ فقال: لم أحسبها منها فقال: بل هي منها فزدها فيها."[1]»[2].

«ولهذه الرواية صور أخرى تلتقى بها ويقول "القفطي" المتوفى (سنة 646 هـ): "رأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءا فيه أبواب من النحو يجمعون على أنها مقدمة على أبي طالب التي أخدها عنه "أبو الأسود الدؤلي"[3] فالمسألة لم تقف عن سطور أو بعض أبواب نحوية تذكر مجملة، بل اتسعت لتصبح مقدمة أو رسالة، صنّفها علي بن أبي طالب، وكأنه لم يكن مشغولا حين ذهب إلى العراق والكوفة بإعداد الجيوش لحرب معاوية ولا كان مشغولا بحروب الخوارج إنما كان مشغولا بالنحو ووضع رسومه وأصوله وفصوله، وطبائع الأشياء تنفي أن يكون قد وضع ذلك، ونفس الروايات الأخرى تحمل في تضاعيفها ما يقطع بانتحالها لما يجري

---

[1] القفطي 1/ 4 ، نقلا عن **المدارس النحوية** .

[2] شوقي ضيف ، **المدارس النحوية** ، الطبعة الخامسة (القاهرة :دار المعارف) ص 14، بتصرف

[3] القفطي 5/1 .

فيها من تعريفات وتقسيمات منطقية لا يعقل أن تصدر عن "علي بن أبي طالب" أو عن أحد من معاصريه، ولعل الشيعة هم الذين نحلوه هذا الوضع القديم للنحو الذي لا يتفق في شيء وأولية هذا العلم ونشأته الأولى وقد تقف الروايات في الواضع الأول للنحو عند "أبي الأسود" غير أنها تعود فتضطرب في السبب الذي جعله يرسمه وفي حاكم البصرة موطنه الذي بعثه على هذا الرسم والأبواب الأولى التي رسمها فيه، وكل ذلك من عبث الرواة الوضاعين المتزيدين، وهو عبث جاء من أن "أبا الأسود" نسب إليه حقا وضع العربية، فظن بعض الرواة أنه وضع النحو، وهو إنما وضع أول نقط يحرر حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم»[1].

«ويقول في هذا الدكتور "شوقي ضيف" في كتابه "العصر العباسي الأول" "جاء في بعض المصادر القديمة أن أول من وضع العربية "أبو الأسود الدؤلي" المتوفى (سنة 69 هـ) وشبه على بعض القدماء والمحدثين أنه وضع شيئا من قواعد النحو، والحقيقة أنه لم يضع منها شيئا، إنما الذي وضعه حقا وكان أول واضعيه نقط المصحف نقطا يعين أواخر الكلام فيه، أي بعبارة أدق يعين حركات الإعراب، فكان يصنع نقطة فوق الحرف الأخير للكلمة إشارة إلى الفتحة ونقطة بين يديه إشارة للضمة ونقطة تحته إشارة إلى الكسرة، وإذا تبع شيئا من هذه الحركات غنة أو تنوين نقط الحروف نقطتين، واختلط التعبير عن هذا الصنيع بكلمة العربية على بعض أصحاب كتب الطبقات فظنوا أنه وضع أبواب النحو أو بعض مسائله»[2]

---

[1] شوقي ضيف ، مرجع سابق، ص 13، 14 ، بتصرف.

[2] صابر بكر أبو السعود ، **مرجع سابق**، ص 25 ، بتصرف.

«وعليه فالمتفق عليه عن "أبي الأسود الدؤلى" وضع ضبط القرآن الكريم بالنقط ولكن تضيف بعض المصادر اشتراك "نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز" في وضع أصول النحو العربي والاشتراك في ضبط القرآن بالنقط" [1]، وتشير بعض المصادر أيضا إلى تلاميذ مدرسة أبي الأسود مثل "عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمى" المتوفى عام 117 هـ، الذي يقال أنه أول من بحث النحو ومدّ القياس والعلل"» [2].

«وفيه يقول ابن سلام: "كان أول من بعج (فتق) النحو ومدّ القياس وشرح العلل"، وبذلك يجعله الواضع الأول لعلم النحو، إذ يجعله أول من اشتق قواعده وأول من طرد فيها القياس، بحيث يحمّل ما لم يسمع عن العرب على ما سمع عنهم، ويقول "أبو الطيب اللغوي": "فرّع عبد الله بن أبي إسحاق النحو وقام وتكلم في الهمز، حتى عمل فيه كتاب مما أملاه "، ويروى أن "يونس بن حبيب" سأله عن كلمة (السويق) وهو الناعم من دقيق الحنطة، هل ينطقها أحد من العرب (الصويق) بالصاد؟ فأجابه: نعم قبيلة "عمرو بن تميم" تقولها، ثم قال له: وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد و ينقاس وهو لم يعن بالقياس على قواعد النحو فحسب بل عنى أيضا بالتعليل للقواعد تعليلا يمكن لها في ذهن تلاميذه» [3].

«وأما عيسى بن عمر الثقفي المتوفى (سنة 149 هـ)، الذي أخذ القراءات والنحو عن "عبد الله بن اسحاق" والحروف عن "ابن كثير وابن محيضن" وله اختيارات على قياس العربية» [4].

---

1 الزبيدي ، **طبقات النحويين اللغويين** ، ص 22،21، نقلا عن **مبادئ علم اللسانيات الحديث.**

2 شرف الدين الراجحي وسامي عياد حنا ، **مرجع سابق**، ص 73، بتصرف

3 شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، ص 23، باختصار .

4 السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، ص 27، نقلا عن **مبادئ علم اللسانيات الحديث** .

«ومن اقيسته في القراءات أنه كان يقرأ الآية الكريمة: (ياجبال أوّبى معه والطير) بنصب كلمة الطير، وكان يقول هو على النداء كما تقول: "يا زيد والحارث "لما لم يمكن القائل: "ويا الحارث" نصب الكلمة، لأن "يا" لا تدخل في النداء على المعرّف بالألف واللام، وهذه مسألة خالفت فيها الكوفة البصرة وسيأتي الحديث عنها في نقطة الخلاف، ويروى أنه كان يخالف جمهور القرّاء في قراءة الآية الكريمة (هؤلاء بناتي هنّ اطهر لكم)، إذ كان يقرؤها بنصب أطهر على الحال وجعل هن ضمير فصل، وقد ألف رسائل ومصنفات مختلفة، وعليه فإنه يعتبر أول من ألف في النحو، واشتهر منها لعصره مصنفان مهمان هما: "الجامع" و"الكمال" وكأنه جمع مسائل النحو وقواعده في أولهما ثم رأى إكمال تلك القواعد والمسائل في الكتاب الثاني، وقد أقام قواعده في "الجامع على الأكثر في كلام العرب وسمي ماشذّ عن ذلك لغات، ويقال إن سيبويه لما أحضره ليقرأه على الخليل أنشد تنويها به بالإكمال:

بطل النحو جميعا كله *** غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذلك إكمال وهذا جامع *** فيهما للناس شمس وقمر

وزعم بعض القدماء أن الجامع هو أصل كتاب "سيبويه" زاد فيه وحشاه بأقوال الخليل ولم يصل إلينا "الكتاب" لنناقش هذا الزعم ونتبين صحته أو فساده.

وواضح مما قدمنا أن "عيسى بن عمر" هو الذي مكّن للنحو وقواعده التي اعتمدها تلميذه الخليل من تلاه من البصريين سواء في محاضراته،

وإملاءاته أو في مصنفاته، وقد توفى (سنة 149 هـ)، تاركا للخليل جهوده النحوية كي يتم صرح النحو ويكمل تشييده»[1].

«أما "أبو عمر بن العلاء": اسمه كنيته، وفي بعض الروايات اسمه "زبان بن العلاء المازنى التميمي"، ولد سنة(70 هـ)، بمكة ونشأ وعاش بالبصرة حتى توفى بها سنة(154هـ)، فعنى بإقراء الناس القرآن في المسجد الجامع بالبصرة، وهو أحد قرائه السبعة المشهورين، كما عني بلغات العرب وغريبها وأشعارها وأيامها وواقعها، وفي ذلك يقول الجاحظ عنه "كان أعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن، والشعر وبأيام العرب وأيام الناس"، فهو إلى أن يكون من اللغويين والقراء أقرب منه إلى أن يكون من النحاة، غير أنه نقلت عنه بعض أنظار نحوية.

أما "يونس بن حبيب" من موالي" بني ضبة"، وقد لحق ابن أبي إسحاق، وروى عنه، إذ ولد سنة 94 هـ، وعاش طويلا، إذ توفي سنة 182، ويظهر أنه اختلف إلى حلقات "عيسى بن عمر" ورحل إلى البادية وسمع عن العرب كثيرا، و كانت حلقته في البصرة تغصّ بالطلاب، وفي مقدمتهم "أبو عبيدة" اللغوي و"سيبويه"، واسمه يتردد في كتابه، ولكن غالبا في شواهد اللغة، لا في الآراء النحوية، وغدا "يونس" في نحوه وما وضعه من "أقيسه أمة وحدة، وتنبه إلى ذلك

القدماء فقالوا "كانت ليونس مذاهب وأقيسة تفرد بها" ومن آرائه التي تخالف آراء سيبويه وأستاذه الخليل كان يرى أن الزائد في مثل قطع هو الحرف الأول، وكان "يونس" يرى أنه الحرف الثاني"[2] وكان الخليل يرى أن

---

[1] شوقي ضيف ، **المدارس النحوية** ، ص 26، 27 ، باختصار.

[2] **ابن جني، الخصائص** 61/2 .

مفعول ننزع محذوف في الآية الكريمة (لننزعن من كل شيعة أيّهم أشدّ)، والتقدير لننزعن الفريق الذين يقال فيهم أيهم أشدّ،وقال "يونس": "جملة (أيّهم أشدّ) هي المفعول"، وكان الخليل وسيبويه يريان أن تصغير قبائل: قبيئل، وكان يونس يرى أن تصغيرها قبيل"[1]»[2].

ورغم ما أثير حول مسألة نشأة النحو ورغم اختلاف اللغويين حول هذا الموضوع لكننا نرى أن النحو العربي نشأ بفعل العقل العربي والذهن العربي الخالص وإن كان قد تأثر بالمنهج اليوناني وبالفلسفة والمنطق في بعض استنتاجاته، أما "شوقي ضيف" فيقول: «الخليل هو المؤسس الحقيقي لصرح النحو العربي، بل هو المقيم لقواعده والمشيد لبنيانه وأركانه، وكانت المادتان الأساسيتان اللتان اعتمد عليهما في رفع هذا الصرح إلى عنان السماء – كما يوضح ذلك كتاب تلميذه "سيبويه" القياس والعلل، أما القياس فيتضح من ضبطه القواعد واطرادها بحيث ينفي الشواذ، أما العلل فمقدمات القياس التي تثبت صحته بما تقدمه من أدلة عقلية سديدة»[3].

* أسباب وضع النحو:

«على الرغم من أن النطق بالعربية أو بالإعراب سجية العرب من غير تكلف

ولست بنحوي يلوك لسانه *** ولكن سليقي أقول فأعرب.

والعرب لما علت كلمتهم بالإسلام، وانتشرت رايتهم في بلاد فارس والروم وفتحوا بلادهم واختلطوا بهم في المصاهرة والمعاملة والتجارة والتعليم،

---

[1] شوقي ضيف،**المدارس النحوية** ، ص 28، 29، باختصار .

[2] عبده الراجحي ، **النحو العربي و الدرس الحديث** (الفصل الثالث)، نقلا عن **مبادئ علم اللسانيات الحديث** .

[3] شوقي ضيف،**العصر العباسي الأول**ص 122 ،بتصرف واختصار. نقلا عن**القياس في النحو العربي من الخليل إلى ابن جني**.

دخل في لسانهم العربي المبين وصمة اللسان الأعجمي فخفضوا المرفوع ورفعوا المنصوب وما إلى ذلك من كثرة اللحن الشنيع حتى كان أسلوب النطق العربي يتلاشى»[(1)]، مما أدى إلى التفكير في وضع علم يضبط اللغة والكلام،

«فظهرت العلوم اللغوية العربية وعلى رأسها "علم النحو" حيث بدأ ظهورها حول القرآن الكريم وعلومه، ويتفق جميع الباحثين على أن نشأة النحو العربي كانت خوفا من اللحن الذي رآه العلماء خطرا على العربية، ويعتبر هذا الباعث من البواعث الدينية» [(2)]، "وكان اللحن قد أخذ في الظهور منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد روى بعض الرواة أنه سمع رجلا يلحن في كلامه فقال: "أرشدوا أخاكم فإنه قد ضلّ"»[(3)].

«ورووا أن أحد ولاة "عمر بن الخطاب" كتب إليه كتابا به بعض اللّحن، فكتب إليه عمر "أن قنع كاتبك سوطا"، غير أن اللحن في صدر الاسلام كان لا يزال قليلا بل نادرا، وكلما تقدمنا منحدرين مع الزمن اتسع شيوعه على الألسنة، وخاصة بعد تعرب الشعوب المغلوبة واختلاط العرب بالعجم مما فسح للتحريف في عربيتهم التي كانوا ينطقون بها، كما فسح للحن وانتشاره وشيوعه، ونفس الشيء حصل للعرب الذين دخلوا الأمصار الإسلامية أخذت سلائقهم تضعف لبعدهم عن ينابيع اللغة الفصيحة، حتى عند بلغائهم وخطبائهم المفوهين، ويكفي أن نضرب مثلا لذلك ما يروي عن الحجاج من أنه سأل يحي "بن يعمر" هل يلحن في بعض نطقه؟ وسؤاله

---

[1] أحمد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص 4 ، بتصرف واختصار.

[2] شرف الدين الراجحي و سامي عياد حنا ، مرجع سابق ، ص 72.

[3] شوقي ضيف ، **المدارس النحوية** ، ص 11.

ذاته يدّل على ما استقر في نفسه من أن اللحن أصبح بلاء عاما، وصارحه يحي بأنه يلحن في حرف من القرآن الكريم إذ كان يقرأ قوله تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم) إلى قوله تعالى(أحبّ) بضم أحب والوجه أن تقرأ بالنصب خبرا لكان لا بالرفع» (1). «ومن ذلك ما نقل عن "أبي الأسود الدؤلى" أن ابنته رفعت وجهها إلى السماء وتأملت بهجة النجوم وحسنها، ثم قالت: "ما أحسن السماء"؟ على صورة استفهام.

فقال لها: يا بنية "نجومها".

فقالت: إنّما أردت التعجب.

فقال لها: قولي "ما أحسن السماء" وافتحي فاك.

ومن ذلك ما سمعه أيضا "أبو الأسود الدؤلى" من قارئ يقرأ قوله تعالى (إن الله برئ من المشركين ورسوله)، بجرّ رسوله ففزع من ذلك "أبو الأسود" وخاف على نضرة تلك اللغة من الذّبول وشبابها من الهرم، وجمالها من التشويه، وقواعدها من الفساد، وكاد ينتشر هذا الداء المخيف ويستفحل في جسم الأمة العربية مع أن ذلك كان الأيام الأولى للدولة العربية، والقوم تزيد أواصلهم وروابطهم كل يوم بالعجم» (2)، «ولذلك فأغلب الأسباب وأعمقها وأثقلها التي دعت إلى وضع "علم النحو العربي" ونشوئه حسب الروايات المتوارثة إلى خشية المسلمين كما ذكرنا على القرآن الكريم من مخاطر اللحن والتحريف، ففي عصر "عثمان بن عفان" (رضي الله عنه) يذكر أنه سمع بأن هناك أناسا يفاضلون بين القراءات فسارع إلى جمع كل السور القرآنية في دار "حفصة بنت عم"، ثم قام بحرقها واستكتبهم مصحفا

---

[1] نفس المرجع السابق ، ص 11، 12، بتصرف واختصار .

[2] حمد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص5 ، بتصرف واختصار.

جمع به شمل المسلمين، أصبح يعرف فيما بعد "بمصحف عثمان"، إلا أن هذا المصحف كاد يعوزه الشكل والتنقيط مما أدى إلى انتشار اللحن بين أقوام من غير العرب قد دخلت الاسلام وكان على المسلمين أن يضعوا حلاّ واحدا لهذه الظاهرة فكانت هذه البداية التي لا جدال حولها لعلم النحو»[1].

«في حين يذهب البعض الآخر من العلماء والباحثين إلى أن "علم النحو العربي" نشأ لفهم القرآن الكريم واستيعاب تعاليمه وأحكامه وتشريعاته باعتباره المصدر والمنبع الأول للأحكام الشرعية التي تتناول الحياة اليومية للمسلمين وتتمثل هذه الحياة في كل الجوانب المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، وهذا رأي له وجاهته وأصالته لأن الفهم يقصد إلى البحث عن ما يؤدي إلى استنطاق النص وفي معرفة ما يؤديه التركيب القرآني من معان وتعاليم وبلاغة باعتباره أعلى ما في العربية من بيان وفصاحة وإعجاز»[2]، صحيح أن "علم النحو العربي" ساعد وساهم في فهم الأحكام الشرعية التي تحتويها آيات القرآن الكريم، إذ تطلب تفسير القرآن الكريم إلماما بقواعد اللغة وقوانينها، بل إن قوانين اللغة وقوانين النحو تستنبط تلك الأحكام التي نحتاجها في شتى مجالات الحياة، بل بدونها لا تستقيم الحياة، ولكن لا ينفي هذا أن "علم النحو" نشأ لأغراض أخرى مختلفة بل نشأ لأجل فهم اللغة العربية وفهم قوانينها، لأنها تعتبر لغز في حد ذاتها، إن اللغة العربية تحوي على سرّ عظيم يكمن في قوانينها التي تحكم حروفها وأصواتها وكلماتها، إنها سرّ الإنسانية، وليس من السهل فهم هذا السرّ عن طريق قوانين "علم النحو" وغيرها من العلوم العربية الأخرى، لذا فإلى

---

[1] حسان تمام، **الأصول** ، ص 36، نقلا عن **اللسانيات النشأة والتطور**.

[2] شرف الدين الراجحي وسامي عياد حنا ، مرجع سابق ، ص 63 ، بتصرف واختصار.

جانب البواعث الدينية هناك بواعث أخرى غير دينية، منها "الرغبة في ضبط اللسان العربي وحفظه والتفاخر في التراث» [1]، «وهذا يدل على أن العرب حرصوا على لغتهم وأولوها مزيد اهتمامهم وعنايتهم... ولذا سعوا واجتهدوا إلى التعمق في دراسة أسرارها وفهمها، إذ هي السبيل والطريق والملجأ إلى مواجهة الحياة، وبالإضافة إلى حرص العرب على لغتهم كان لعامل الحس اللغوي لدى الصحابة والعلماء والأئمة، وأهل العلم بصفة عامة، جعل كل هذا من أن علم النحو استمد أسسه وقواعده وركائزه وثوابته من إدراكهم لأهمية اللغة في تغيير المعنى المقصود وأقدارهم لقيمة الحروف والكلمة في الدلالة، كل هذا جعلهم يضعون قواعد "علم النحو" واللغة العربية والإفتاء فيها بمنزلة العلوم الشرعية، وهذا تأكيد لورعهم اللغوي، ولأن "علم النحو" يمثل بالنسبة للعربية العمود والأساس المتين والقانون الصحيح والميزان الحق، لذا فهو سبيل الإجادة اللغوية والفصاحة، وهو علم لا يستغنى عنه للمتحدث والكاتب والقارئ
والمستمع... كما أنه رأس العلوم أو العلم المستطيل الذي يدخل في العلوم (دينية أو دنيوية)، فهو واجب ومطلوب لكل العلوم وينبغي معرفته لكل ناطق بالعربية، والمتتبع والدارس والباحث في علوم اللغة العربية بصفة عامة يجد أن هناك علاقة وطيدة ومتينة بين الالتزام بقواعد اللغة وبين الوقار والهيبة لدى من يفعل» [2].

«وإلى جانب ذلك كله فهناك باعث اجتماعي أو بواعث اجتماعية مختلفة نذكر منها أن الشعوب المستعربة أحست الحاجة الشديدة لمن يرسم

---

[1] بلعيد صالح ، **مصادر اللغة** ، ص 26، بتصرف واختصار.

[2] أحمد عبده عوض ، مرجع سابق ، ص 103، 107 بتصرف واختصار.

لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها ونطقها حتى تتمثلها تمثلا مستقيما وتتقن النطق بها وبأساليبها نطقا سليما "ضف إلى ذلك وزن العربية ومكانتها مما يجعل الكل يبحث عن سرّها حتى يتمكن من إيجادها، وكل ذلك معناه أن هناك بواعث مختلفة ومتنوعة ومتشابكة ومترابطة دفعت إلى التفكير في وضع "علم النحو" ولا بد من إضافة رقي العقل العربي جعله يرصد الظواهر اللغوية ويسجل الرسوم النحوية تسجيلا تطرّد فيه القواعد وتنتظم الأقيسة انتظاما يهيئ لنشوء "علم النحو" ووضع قوانينه وأسسه ومنطقه»[1].

*** تعريف النحو:**

للنحو (لغة)، معان كثيرة أهمها القصد والجهة، كنحوت نحو المسجد والمقدار – كعندي نحو ألف دينار والمثل والشبه كسعد نحو سعيد (أي مثله أو شبهه)، «ويعنى الطريق والجهة والجانب وعلم النحو علم إعراب كلام العرب، وسمي هكذا لأن المتكلم ينحو به منهاج كلامهم إفرادا وتركيبا»[2]

«فعلم النحو فرع من علوم العربية وقد كانت هذه العلوم في أول الأمر تشمل النحو واللغة والأدب ثم اتسع نطاقها فشملت الأخبار والسير، ثم ازدادت فروعها فأصبحت اثني عشر علما هي:- اللغة – الصرف – الاشتقاق- النحو- المعاني- البيان- الخط- العروض- القافية- قرض الشعر – إنشاء الخطب- الرسائل والتاريخ» [3]، وإن وضع علم النحو كان الغرض منه التعود على السليقة العربية والكلام العربي الفصيح الصحيح،

---

1 شوقي ضيف ، **المدارس النحوية** ، ص 12،13، بتصرف و اختصار.

2 **منجد الطلاب** لـ: لويس معلوف اليسوعي(بيروت :دار المشرق 1974) نقلا عن **اللسانيات النشأة و التطور**

3 عبد العزيز عتيق، **المدخل إلى علم النحو والصرف**، الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة)،(بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1974) ص 135، 136.

«وقد أكد هذا "ابن السراج" بقوله " النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقرار كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة» [(1)]، وكان العرب يعظمون النحو والنحاة حتى ذهب بهم الأمر إلى تسمية كتاب "سيبويه" "الكتاب" أو وصفه بأنه "قرآن النحو»" [(2)]، «ولعل خير تعريف ما أورده ابن جني في كتابه الخصائص إذ يقول: «النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره: كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة والنسب، والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وأن لم يكن منهم، وأن شذّ بعضهم عنها ردّ بها إليها، وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوا، كقولك قصدت قصدا ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم»[(3)]

فالنحو عند "ابن جني" على هذا المفهوم هو محاكاة في طريقة كلامهم تجنبا للحن، وتمكينا للمستعرب في أن يكون كالعربي في فصاحته وسلامة لغته عند الكلام، فالعلم الذي يضع القواعد التي تحقق هذين الغرضين هو "علم النحو" وإن كان الغرض الثاني لا يكفي تحقيقه عن طريق "علم النحو" فقط بل يجب على الشخص أن يتواجد في بيئة عربية حتى يتمكن بمرور الزمن وبالاحتكاك والتواصل اليومي مع أصحاب اللغة العربية من أن ينطق النطق الصحيح السليم لأن مخارج الحروف العربية لها قوانينها وأسسها التي تنبني عليها، ولا يكفي النحو فقط في نطقها واستعمالها

---

[1] ابن السراج، **أصول النحو**: تحقيق محمد علي النجار(دار الكتب المصرية 1952 -1957) ج 1، ص32، نقلا عن **اللسانيات النشأة والتطور**.

[2] أحمد مؤمن ، مرجع سابق ، ص 37.

[3] **الخصائص** ،لابن جني ،ج1 ، ص 34.

ولم يتفق النحاة وعلماء اللغة على تعريف واحد للنحو، فلكل هؤلاء تعريف خاص للنحو، واختلاف هذه التعاريف يرجع إلى تحديد دائرة القواعد النحوية، فمن الباحثين من يرى أن تشتمل هذه القواعد على أساليب اللغة من جميع نواحيها ومنهم من يقصرها على ضبط أواخر الكلمات ومعرفة بنيتها واشتقاقها وتصرفها، ولعل منشأ هذا الخلاف في تحديد دائرة النحو راجع إلى صلة هذا العلم ببقية علوم اللغة العربية الأخرى»[(1)].

«وإن لدراسة بنية اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية في التراث العربي اسمين اثنين هو النحو وعلم اللغة، ويرجع مصطلح النحو إلى القرن الثاني الهجري، وظل مستخدما لوصف هذا المجال من مجالات البحث والدراسة إلى يومنا هذا، وصنف كتاب "سيبويه" كما ذكرنا سابقا بأنه كتاب في النحو كما وصف "سيبويه" بأنه أعلم الناس بالنحو بعد الخليل»[(2)]، «فظهور سيبويه البصري بكتابه المشهور "الكتاب" بلغت الدراسات النحوية ذروتها في القرن الثامن، وجدير بالذكر أن "سيبويه" لم يكن عربيا بل فارسيا وبذلك يدعم الإفادة الدائمة للبحث اللغوي في عملية الاتصال بلغة فرضت حضاريا على غيرها، وقد كان "سيبويه" تلميذا "للخليل بن أحمد الفراهيدي" الذي ركّز على النظرية المترية في المفردات أما "سيبويه" كما ذكرنا فهو الذي وضع أسس وقواعد اللغة العربية الفصحى واعتمد على من سبقوه وحدد أقسام الكلام الثلاثة الاسم والفعل والحرف، واعتمد في وصفه لتصريف الأفعال على الأصل الثلاثي، واستعمال اللغويين فيما بعد هذه الأصول والقواعد والجذور والأساسيات في بناء

---

[1] نفس المرجع السابق ، ص 135، بتصرف .

[2] **مراتب النحويين** لأبي الطيب اللغوي ، ص 65 ، نقلا عن **علم اللغة العربية**.

المعاجم العربية.» [1]، «ولم يقسم "سيبويه" كتابه إلى موضوعات كبرى متميزة، وإنما اكتفى بحشد الأبواب الكبيرة متتابعة لقد بدأ كتابه بقضية الإعراب وانتقل منها إلى عدد من القضايا الخاصة ببناء الجملة، وعندما تحول بعد ذلك إلى الأبواب الخاصة بالأبنية الصرفية وجد لزاما عليه أن يفسر بعض الأبنية في ضوء البحث الصوتي فجاءت الأبواب الخاصة بالأصوات في آخر كتابه، لم يضع "سيبويه" مصطلحات تميز في وضوح قطاعات الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة، فكل هذا يدخل عنده في مجال واحد هو مجال النحو، وظل الباحثون في القرون الأولى للهجرة يستخدمون مصطلح النحو في أكثر الأحوال بهذا المعنى العام حيث يضم النحو عند "ابن جني" (ت 391هـ)المجالات التالية: "الإعراب، التثنية، الجمع، التحقير التكسير، الإضافة، النسب، التركيب وغير ذلك"، فالنحو يضم عند "ابن جني" هذه الدراسات التي تصنف الآن في إطار بناء الكلمة إلى جانب ما يتعلق ببناء الجملة ويتناول علم النحو عند "ابن حيان الأندلسي" "معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة لإفرادها ومن جهة أخرى تركيبها"، أي أنه يبحث بنية الكلمة المفردة وعلاقات الكلمات في الجملة، وظل كثير من النحويين يعدّون النحو شاملا لكل هذه الدراسات، فالنحو عندهم يتناول كل ما يتعلق بالكلمة والجملة، لقد ألف "ابن الحاجب" (ت 646 هـ) كتاب "الكافية" في النحو ويتناول فيه القضايا الخاصة بالإعراب وبناء الجملة بينما خصص لبناء الكلمة كتابا آخر هو "الشافية"، ولكنه على الرغم من هذا التقسيم ظل ابن الحاجب يعد "التصريف" قسما من النحو لا قسما له"، أما تعريف النحو عند "الأشموني": "العلم المستخرج

---

[1] شرف الدين الراجحي وسامي عياد حنا ، مرجع سابق ، ص 34، بتصرف واختصار .

بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها" ولكن مضمون البحث النحوي كما يتضح من الألفية عبارة عن أحكام الجملة والكلمة، وقد ذكر "التهانوى" التعريف التالي للنحو: "علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقاما وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه"، وهناك مؤلفون آخرون استخدموا كلمة "النحو" بمدلول أضيق فقصروا استخدام هذه الكلمة على البحث في بناء الجملة، وبهذا المعنى استقر المصطلح في القرون المتأخرة للحضارة الإسلامية، وهناك مصطلح آخر وصف به البحث في بنية اللغة، وهو مصطلح "العربية" أو "علم العربية" لقد وصل إلينا المصطلحان في مؤلفات القرن الرابع الهجري "فابن النديم وابن فارس" يستخدمان مصطلح العربية بمعنى النحو، فعندما نوقشت قضية أولية التأليف في النحو نجد عندهما العبارة التالية "أول من وضع العربية"، وظل استخدام هذين المصطلحين في كتب المشارقة في القرون التالية: يمثل ظاهرة فردية محددة، على نحو ما نجد في مؤلفات ابن الأنبارى (ت 577 هـ) ولكن المغاربة والأندلسيين كانوا يفضلون وصف ذلك التخصص بأنه "علم العربية"»(1).

«أما "أبو هلال العسكري" فيقول: علم العربية على ما اتسع من خاص ما يحتاج إليه وكلها باحثه عن اللفظ العربي من حيث ضبطه وتفسيره وتصويره وصياغته – إفرادا وتركيبا والذي له حق التقدم من هذه العلوم المذكورة "النحو" إذ به يعرف صواب الكلام من خطائه ويستعان بواسطته على فهم سائر العلوم.

النحو يصلح من لسان الألكن *** والمرء تكرمه إذا لم يلحن.

---

[1] محمود فهمي حجازي ، مرجع سابق ، ص 60، 61.

وإذا طلبت من العلوم أجلّها *** فأجلّها نفعا مقيم الألسن»[1]

« والنحو كما يقول "القلقشندي "قانون اللغة العربية وميزان تقويمها وهو علم لا يستغنى عنه، ولا يوجد منه بد، والجهل بالنحو لا يقدح في صفاته ولا بلاغة، ولكنه يقدح في الجهل به نفسه، لأنه رسوم قوم تواضعوا عليه، وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم، والنحو هو العلم باللغة التي نزل بها القرآن، وهي لغة النبي – صلى الله عليه وسلم– وكلام أهل الجنة ولسان أهل السماء، انتهى كلام "القلقشندي"، «والفائدة في النحو الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقبة صوابا غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله عز وجل، الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار [2] النبي صلى الله عليه وسلم، وإقامة معانيها على الحقيقة، لأنه لا تفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب، وأخبرنا "أبو إسحاق الزّجاج" [3] قال: سمعت "أبا العباس المبرد" [4] يقول: كان بعض السلف يقول عليكم بالعربية، فإنها المروءة الظاهرة، وهي كلام الله عز وجل وأنبيائه وملائكته، وبعد فأدب العرب وديوانها هو الشعر، ولن يمكن أحدا [5] من المولدين إقامته إلا بمعرفة النحو ولا يطيق أحد من المتكلفين قول الشعر أن يتعاطى قوله إلا بعد إتقانه وجوه العربية".»[6].

---

1 أحمد الهاشمي، مرجع سابق، ص 3،4.

2 يعني أحاديثه .

3 أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج أستاذ الزجاجي الذي نسب إليه،أخذ النحو عن ثعلب ثم مال عنه إلى المبرد ولزمه ، مات سنة 311 وتجد ترجمته في بغية الوعاة 179 .

4 أبو العباس محمد بن يزيد المبرد كبير نحاة البصرة في عصره و صاحب كتاب "الكامل" أخذ عن الجرمي و المازني ، مات سنة 280 ترجمته في طبقات الزبيدي 108.

5 في الأصل "أحد".

6 أبي القاسم الزجاجي، **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق مازن المبارك (القاهرة:مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني 1378هـ–1959) ص 95،96، باختصار.

«ولقد جمع "الإمام الداودي" معاني كلمة نحو في اللغة فقال:

للنحو سبع معان قد أتت لغة *** جمعها ضمن بنيت مفرد كمل.
قصدوا مثل ومقدار وناحية *** ونوع وبعض وحرف فأحفظ المثل.

«فهو العلم الذي يقيد اللغة بقوانين وأحكام خاصة وذلك بانتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وما يتعلق بكيفية التركيب العربي.»[1].

ثانيا مصادر علم النحو:

– «والمصدر لغة: من فعل صدر، صدرا وصدورا وقع وتقرر وصدر الشيء عن غيره، نشأ ويقال: فلان يصدر عن كذا: أي يستمد منه، ويصدر عن المكان والوارد صدرا وصدورا رجع وانصرف وصدر إلى المكان: انتهى إليه، أصدر الأمر: أنفذه وأذاعه، وصدر الرعاء دوابهم سقوها وصرفوها عن الماء، وفي القرآن: (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من النّاس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير)[2]، ويقال فلان يورد ولا يصدر يأخذ في الأمر ولا يتمه، صادرت الدولة الأموال: استولت عليها عقوبة لمالكها.

الأصدر: العظيم الصدر، طريق وارد صادر: يكثر فيه مرور النّاس ذهابا و إيابا.

الصّدر: ثوب يغطى الصدر، الصدارة: التقدم"، والمصدر في الإصلاح النحوي، ما يصدر عنه الشيء، و يعرفه علماء اللغة بأنه: صغة اسمية تدل على الحدث فقط، أو على اللفظ الدال على الحدث مجردا عن الزمان متضمنا أحرف فعله لفظا وهذا ما استندت إليه مدرسة البصرة في

---

[1] عن محاضرة، قسم الأدب العربي، السنة الثالثة جامعي، يوم 26/ 10 /2004 .

[2] سورة القصص28/23 .

القول في أصل الاشتقاق الفعل هو أم المصدر يؤخذ من الفعل "والمصدر في الإصلاح العام: هو الأساس (المتبع) الذي أخذت منه الفروع، وهو الأصل الأول للمادة» (1)، «والمصدر في التأليف هو الكتاب العمدة الذي يستقي منه الباحث المعلومات التي يستخدمها شاهدا، وبرهانا في بحثه، وهو الكتاب الذي ألفه مؤلفه، أو الذي شرحه له تلميذه، أو شيخ من أهل الأدب فكتاب "الحماسة" "لأبي تمام" مصدر، وشرح الحماسة "للمرزوقي" مصدر أيضا وقد يطلق المصدر على أي كتاب اتّصف بالقدم مع دقة في تأليفه مثل ديوان البحتري، وغيره »(2).

* **الإحتجاج: «لغويا:** احتج يحتج إذا ادّعى وأتى بالحجة، واحتج بالشيء إذا جعله حجة وعذرا له ومنه الاحتجاج – على وزن افتعال – الذي يراد به اصطلاحا إثبات قاعدة، أو لفظة أو تركيب بدليل نقلي مسند استعماله و صحته إلى عربي فصيح اللسان .

– أما أسباب الاحتجاج ودوافع جمع اللغة العربية هي: تجدر الإشارة إلى أن الكتابة العربية كانت خالية من النقط والشكل مما جعلها عرضة للتحريف وقراءة الكلمة الواحدة على أكثر من وجه، لذا دفع هذا السبب وغيره من الأسباب المتعددة إلى الاحتجاج ودفع إلى جمع مادة اللغة العربية ولكن على شروط، وعليه فأسباب الاحتجاج هي:

1- الحرص على سلامة العربية من التأثيرات الأجنبية التي صاحبت الفتوحات الإسلامية وما وقع أثناءها من اختلاط جنسي واحتكاك لغوي بين

---

[1] بلعيد صالح ، **مصادر اللغة**، ص 5.

[2] محمد بوزواوي ، **قاموس مصطلحات الأدب** ، سلسلة قواميس المنار (دار مدني مؤسسة الإخوة مدني) ص 247،248.

العرب والأعاجم نجم عنهما اخذ وعطاء في اللغة والأفكار والآراء، والأخلاق والأعراف والتقاليد والعادات.

2- الخوف على القرآن من اللّحن، الذي كان السبب الحقيقي والرئيسي والمباشر لتدوين اللغة ووضع قواعدها وأسسها وركائزها تحت اسم "علم النحو".

3- الحرص على سلامة الأحكام الدينية المرتبطة بحسن فهم وتفسير القرآن الحديث النبوي الشريف»[1]

*** من يحتج به؟.**

- نظرا لما فعله اللّحن بالأمة الاسلامية، «إذ يقال أنه أصاب العلماء كذلك ومن بينهم "أبي حنيفة" كل هذا وذاك دفع العلماء إلى السير على نهج وطريق الأولين في أخذ اللغة السليمة من مصادرها ومنابعها الأصلية، حيث لم يكن العلماء يأخذون عن الأعراب عموما بل عمّن عرف منهم بعلمه وفصاحته، وسلامة سليقته، وكثرة روايته مثل "أبو زياد الكلبي"، و"أبو سوار الغنوي"... وعليه فقد حدّدوا شروطا خاصة بالناقل اللغوي وسموها آداب اللغوي، وهي: الإخلاص والتحري في الأخذ عن الثقات، ثم الدءوب والملازمة، ثم الكتابة والقيد ثم الرحلة، ثم حفظ الشعر، فالرفق بمن يؤخذ عنهم، واشترطوا في حامل اللغة أن يكون عدلا وأمينا وثقة، وفي الأخذ السليم يشترطون السند، فإذا قال ناقل "حدثني رجل عن فلان" كان هذا غير معقول، لأن الجهل بالناقل يوجب الجهل بالعدالة، وقد يستعيض الراوي عن ذكر السند بذكر الشيخ الذي قرأ عليه، ومع ذلك وضعوا شروطا للشيخ

[1] زبير دراقي ، **محاضرات في فقه اللغة**، سلسلة الدروس في اللغات و الآداب،الطبعة الثانية(الجزائر– بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية،1994) ص 40 ،41، بتصرف.

المحدث، وكيف يتم النقل، وتكون بالملازمة، والقيد (الكتابة) والرحلة في طلب الفوائد والغرائب، وحفظ الشعر والتثبيت في الرواية والتثبت في تفسير غريب القرآن والحديث»[1] «ونحن عارضون الأصناف من هؤلاء يحتج بهم، زمانا ومكانا وأحوالا: فأما ا **لزمان** فقد قبلوا الاحتجاج بأقوال العرب الجاهلية وفصحاء الاسلام حتى منتصف القرن الثاني سواء اسكنوا الحضر أم البادية، أما الشعراء فقد صنفوا أصنافا أربعة: جاهليين لم يدركوا الاسلام ومخضرمين أدركوا الجاهلية والاسلام، وإسلاميين لم يدركوا الجاهلية شيئا ومحدثين أولهم "بشار بن برد"، وشبه الإجماع انعقد على صحة الاستشهاد بالطبقتين الأوليين، واختلفوا في الطبقة الثالثة وذهب "عبد القادر البغدادي" صاحب "خزانة الأدب" إلى جواز الاستشهاد بها، أما الطبقة الرابعة فلا يستشهد بكلامها في علوم اللغة والنحو والصرف خاصة، وأما أهل البادية فقد استمر العلماء يدونون لغاتهم حتى فسدت سلائقهم في القرن الرابع الهجري وعلى هذا أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة العربية.

وأما المكان : أو بعبارة أخرى القبائل، فقد اختلفت درجاتها في الاحتجاج على اختلاف قربها أو بعدها من الاختلاط بالأمم المجاورة فاعتمدوا كلام القبائل في قلب جزيرة العرب، وردوا كلام القبائل التي على السواحل أو في جوار الأعاجم وإليك تصنيف "أبي نصر الفارابي" لهم في الاحتجاج.

أ – كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها عما في النفس، والذين

[1] صالح بلعيد ، **مصادر اللغة** ، ص 40 ،41، 42 ، 43، بتصرف واختصار.

عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: "قيس" و"تميم" و"أسد" وهؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذوا ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب و في الإعراب والتصريف.

ب- و بالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم، وأما أحوال هؤلاء العرب المحتج بهم فخيرها ما كان أعمق في التبدي وألصق بعيشة البادية ولذا كان مما يفخر به البصريون على الكوفيين أخذهم عن الأعراب أهل الشيح والقيصوم وحرشة الضباب وأكلة اليرابيع»[(1)].

ويقولون للكوفيين "أخذتم عن أكلة الشواريز وباعة الكواميخ" وقد نص "الفارابي" بعد قوله المتقدم آنفا على صناعة هؤلاء الأعراب وصفاتهم، فقال: " كانت صنائع هؤلاء التي بها يعشون الرعاية والصيد واللصوصية وكانوا أقواهم نفوسا وأقساهم قلوبا وأشدهم توحشا وأمنعهم جانبا وأشدهم حمية و أحبهم لأن يغلبوا ولا يغلبوا وأعسرهم انقيادا للملوك و أجفاهم أخلاقا وأقلهم احتمالا للضيم والذلة"»[(2)].

«وبناءا على ما سبق تتكون المادة اللغوية التي بني عليها "علم النحو" من مصادر نقلية وأخرى عقلية، أما **النقلية** فتشمل القرآن الكريم بقراءاته المتواترة والشاذة والحديث الشريف و كلام العرب منظومه ومنثوره، وهذا ما سيأتي بيانه، وأما **العقلية** فتشمل القياس وحدوده» [(3)] والعلة واستنباط الحال وغيرها من الأدلة العقلية التي قامت عليها المدارس النحوية

[1] سعيد الأفغاني **في أصول النحو** طبعة ثالثة (دار الفكر: مطبعة جامعة دمشق 1383هـ -1964) ص 19، 20، 21، 22، 24، باختصار.

[2] نفسه ص 24، 25 .

[3] نادية رمضان النجار ، مرجع سابق، ص 47 ، بتصرف واختصار.

الأولى، وعليه فالكلام المحتج به يعتبر المصدر الأساسي والأول للأدلة أو لأصول "علم النحو" وهو ما سنبدأ به في هذه النقطة.

– **ما يحتج به** "إن الكلام المحتج به ثلاثة أنواع القرآن الكريم والحديث وكلام العرب المنقول عن الجاهلية ومسلمي صدر الاسلام المحتج بهم لفظا بدون المولدين المحتج بهم معنى فقط.

1– القرآن الكريم: يأتي القرآن الكريم في المرتبة الأولى لأنه كلام الله تعالى المنزل "بلسان عربي مبين"، وهو النص النثري العربي الأول الذي ظهر كاملا صحيحا في ألفاظه وتراكيبه، متواترا في تلاوته وجلابا لعناية الكثير ممن اهتمّوا بجمعه وتدوينه، ثم شرحه وتفسيره للنّاس أجمعين، وهو أحسن ما يحتج به في النحو، والصرف، واللغة والبلاغة، بمختلف فنونها وألوانها، كما يقبل الاحتجاج بالقراءات القرآنية حتى الشاذة منها بشروط ثلاثة: صحة سندها إلى محمد عليه الصلاة والسلام، وموافقتها رسم أحد المصاحف العثمانية ومطابقتها لوجه من أوجه العربية»[1].

«والذي لا يدعوا إلى الشك أن القراءات القرآنية كانت مصدرا من مصادر اللغة، وذلك لأن اهتمام المسلمين بكتابهم في قراءاته وحفظه وتفسيره كان مدعاة للرجوع إلى كتاب العربية وديوانهم وهو الشعر الجاهلي، وإذا تعدد قراءات القرآن الكريم بسببه تعدد لهجات القبائل، وقد قرأ الرسول صلى الله عليه وسلم بجميعها يروى عن "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه قال: سمعت "هشام ابن حكيم بن حزام" قرأ سورة "الفرقان" على غير ما أقرأنيها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها، فكت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لببته بردائه، فجئت رسول الله – صلى

[1] زبير دراقي ، مرجع سابق، ص 44 .

الله عليه و سلم – فقلت: يا رسول الله: إني سمعت هذا يقرأ "الفرقان" على غير ما أقرأتينها، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: أرسله أقرأ، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هكذا أنزلت، ثم قال لي: اقرأ، فقرأت، فقال: هكذا نزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه »[1]، والحق أن تنوع لهجات القبائل جعل الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يلحن قراءة أحد» [2]، ورغم كثرة المعارضين للقرآن فإنه لم يتعرض واحد من العرب له بالنقد والطعن في إعجازه وفصاحته بل أنهم تعجبوا لما فيه من حق ومنطق وإعجاز لغوي باهر، وقوة معانيه لهذا فقد أعده النحاة وعلماء اللغة من مصادر الاحتجاج إن لم نقل مصدرها الأول مهما اختلفت قراءاته وتنوعت، والقرآن والقراءات حقيقتان متغيرتان كما يقول "بدر الدين الزركشي" في كتابه "البرهان في علوم القرآن" فالقرآن هو الوحي المنزل على سيدنا صلى الله عليه و سلم – لفظا ومعنى المعجز بيانه أما القراءات فهي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور كتابة أو نطقا وضبطا، فكان ذلك إيذانا بتعدد الأوجه الإعرابية وإقرار قواعد فرعية تنحرف عن القاعدة الأصلية، «ولم يكتف علماء اللغة في جميع مفردات القرآن واستعمالاته، وقراءاته المختلفة وإنما اجتهدوا أيضا في تحديد معاني المفردات والاستعمالات، وقد دفعهم هذا وحفزهم على الرحلة والرواية لتبين مدلول ألفاظ القرآن»[3].

---

[1] أحمد بن حنبل ،**المسند** ، ط المعارف ، سنة 1948 ، 117/4، نقلا عن **قضايا في الدرس اللغوي**.

[2] نفسه ، ص 48 ، 49 ، بتصرف.

[3] عبد العزيز عتيق ، مرجع سابق ، ص 123 ، بتصرف واختصار.

ويعد القرآن الكريم المصدر الأم لقياس "سيبويه"، ونقل عن "الفراء" كما نقل عن علماء اللغة الثقات واستعان بآى الذكر الحكيم بوصفه مثلا أعلى في الفصاحة والاستشهاد بآي الذكر الحكيم يضيء في الكتاب هنا وهناك كأنه كوكب دري يوقد من شجرة مباركة والأمثلة زاخرة في قياسه لغة العرب على القرآن، باعتبار القرآن هو الأصل المقيس عليه وموضع استشهاده هو الفرع المقيس.

ومن ثم نستطيع أن نقول بتوثيق مصادر اللغة في الكتاب لأنها رويت عن ثقات كما نستطيع أن نزعم أن شواهد "سيبويه" لم تقتصر على الألف والخمسين بيتا التي جاءت في الكتاب، وإنما شواهده التي تزيد أهمية هي الشواهد القرآنية التي تنتشر في ثنايا الكتاب والتي تزيد عن الثلاثمائة آية جاء بها استدلالا لقواعده وتوكيدا لتفسيراته للظواهر النحوية والقياسية»[1]

2- الحديث الشريف:

«يراد بالحديث الشريف أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة التي تروى أفعاله وأحواله أو ما وقع في زمنه، وقد كان من المنهج الحق بالبداهة أن يتقدم الحديث سائر كلام العرب من نثر وشعر في باب الاحتجاج في اللغة وقواعد الإعراب، إذ لا تعهد العربية في تاريخها بعد القرآن الكريم بيانا أبلغ من الكلام النبوي ولا أروع تأثيرا ولا أفعل في النفس ولا أصح لفظا ولا أقوم معنى، و لكن ذلك لم يقع كما ينبغي لانصراف اللغويين النحويين المتقدمين إلى ثقافة ما يزودهم به رواة الأشعار خاصة انصرافا استغرق جهودهم، فلم يبق فيهم لرواية الحديث ودرايته بقية، فتعللوا

---

[1] صابر بكر أبو السعود ، مرجع سابق ، ص 82.

لعدم احتجاجهم بالحديث بعلل كلها وارد بصورة أقوى على ما احتجوا به هم أنفسهم من شعر ونثر.

ومع إجماع اللغويين والنحاة عامة على أن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة، وأن الحديث لا يتقدمه شيء في باب الاحتجاج إذ أثبت لهم أنه لفظ النبي نفسه، انقسموا فيما يروى من الأحاديث فريقين: فريقا غلب عليه ظنه أنها لفظة عليه السلام فأجاز الاحتجاج بها وفريقا غلب على ظنه أنها مروية بالمعنى لا باللفظ، وإذا لا يجيز الاحتجاج بها»[1]، «وعليه فنظرا لتحرج بعض اللغويين الأوائل من الاحتجاج بالحديث الشريف ترتب عن ذلك أنه لم يحتج به إلى غاية القرن الخامس الهجري حيث استشهد "الزمخشري" بها وواصل "ابن مالك" الاحتجاج به في ألفيته في القرن السابع»[2]، وأما المانعون فكان على رأسهم "أبو حيان الأندلسي" و"أبو الحسن الضائع"

و"جلال الدين السيوطي"، وأكثر علماء البصرة ووجوه منعهم للاحتجاج بالحديث هي:

1- أن الحديث روي بالمعنى.

2- لورود اللحن لأن ثمة رواة للحديث كانوا من الأعاجم لكن هذا الرأي ضعيف من وجوه إذ روى الحديث بالمعنى، فاللفظ البديل حجة لأن الذي أطلقه "الصحابي" وهو ينتمي إلى عصور الاحتجاج.

---

[1] سعيد الأفغاني، مرجع سابق، ص 46 ، 47 ، بتصرف واختصار.

[2] صالح بلعيد ، **مصادر اللغة** ، ص 38، باختصار وتصرف.

- كما أن اللحن قليل محصور في كتب الحديث، كما أن هذه الأحاديث احتج بها العلماء في باب فقه العبادات وهو أقوى، وعليه في اللغة فهو أيسر أي أخف ضرر.

وأما كل تلك الآراء والاختلافات إلا أن نصل إلى نتيجة يتفق عندها الجميع، وهي ما خلص"الشيخ محمد الخضر حسين" في مجلة مجمع اللغة العربية على "خير ما يعالجه عالم ثبت مترو وقاض منصف وانتهى من بحثه إلى النتيجة المرضية الآتية:

- من الأحاديث مالا ينبغي الاختلاف بالاحتجاج به في اللغة (والقواعد) وهو ستة أنواع:

أولها: ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته عليه الصلاة والسلام كقوله: (حمي الوطيس)

وقوله (مات حتف أنفه) وقوله (الظلم ظلمات يوم القيامة) إلى نحو هذا من الأحاديث القصار المشتملة على شيء من محاسن البيان كقوله (ارجعن مأزورات غير مأجورات) وقوله (إن الله لا يمل حتى تملوا).

ثانيها: ما يروى من الأقوال التي كان يتعبد بها، أو أمر بالتعبد بها كألفاظ القنوت والتحيات وكثير من الأذكار والأدعية التي كان يدعو بها أوقات خاصة.

ثالثها: ما يروى على أنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم ومما هو ظاهر أن الرواة يقصدون في هذه الأنواع الثلاثة إلى رواية الحديث بلفظه.

رابعها: الأحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها فإن اتحاد الألفاظ مع تعدد الطرق دليل على أن الرواة لم يتصرفوا في ألفاظها،

والمراد أن تعدد طرقها إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة أو إلى التابعين الذين ينطقون الكلام العربي فصيحا.

خامسها: الأحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة "كمالك بن أنس" و"عبد الملك بن جريح" و"الإمام الشافعي".

سادسها: ما عرف من حال رواته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل "ابن سيرين"

و"القاسم بن محمد" و"رجاء بن حيوة" و"على بن المدني"»[1].

3- كلام العرب:

«هو المصدر الثالث من مصادر "علم النحو العربي" والمقصود ما أثر عنهم من شعر ونثر قبل الاسلام وبعده إلى أن فسدت الألسنة لكثرة المولودين وشيوع اللحن، لقد كان المأثور عنهم من جيد الشعر أكثر من ما أثر عنهم من جيد النثر وذلك لأن الشعر كان "ديوان العرب"، وبه عرفت مآثرهم وحفظت أنسابهم والقلب إليه أنشط والذهن له أحفظ واللسان له أضبط، ومن ثم وجدنا من يقول "ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون"، فلم يحفظ من المنثور عشرة ولا ضاع من الموزون عشرة، وكما قال "ابن رشيق" في "العمدة" فلمّا أراد العلماء أن يجمعوا المادة اللغوية من المرويات النثرية لكي يستنبطوا منها القواعد وألحكام اختطوا لذلك خطة لا يحيدون عنها» [2]، ولقد ذكرنا جلها في نقطة من يحتج به؟ ولقد تعرضنا لأصناف هؤلاء زمانا ومكانا وأحوالا، وبقي أن نضيف بعض النقاط المهمة:

---

[1] سعيد الأفغاني، مرجع سابق، ص 55، 56.

[2] عن محاضرة ، قسم الأدب العربي ، سنة ثالثة جامعي ،يوم 2005/03/22 ، بتصرف.

«أنه لم يؤخذ من لخم ولا من جدام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط ولا من قضاعة ولا غسان ولا من إياد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بصلاتهم بغير العربية، ولا من تغلب ولا النمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولا من "عبد القيس" لأنهم كانوا من سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلا لمخالطتهم الهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب، قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم، وكأن هذا التصنيف حاز القبول وجرى عليه العمل وكان الخروج عليه مدعاة إلى النقد، ولما اعتمد "ابن مالك" على لغات لخم و جذام وفسان تعقبه باللوم "أبو حيان" فقال في "شرح التسهيل": "ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن".

وكان "أبو عمر" و"بن العلاء" يقول: "لا أقول: (قالت العرب) إلا ما سمعت من عالية السافلة وسافلة العالية يريد ما بين نجد وجبال الحجاز حيث قبائل أسد وتميم وبعض قبائل قيس، بل كان "عثمان" يقول: «لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش و ثقيف"»**(1)**.

«وتجدر الإشارة إلى أن الأدب الجاهلي لم يدون إلا بعد الاسلام بأكثر من مائة عام وظل مدة طويلة يروى شفويا، وتذكر بعض المصادر أن كثيرا من الأعراب كانوا يخلقون القصائد وينسبونها لشعراء من الجاهلية،

---

[1] سعيد الأفغاني ، مرجع سابق ، ص 22.

إرضاء لرغبة اللغويين (الموردون) الذين كانوا يلحون عليهم ويطلبون المزيد ومهما يكن الأمر فإن المنحول من ذلك الشعر لا يقل أهمية عن الصحيح لأن قائليه كانوا قريبي عهد بالعصر الجاهلي، فجاء ذلك الشعر يحاكي أنماط الشعر الجاهلي في كل أحواله، وهكذا عدّ الشعر القديم النواة الأولى أو المصدر الثالث لعلم النحو»[1].

«والذي يلفت الانتباه ويدعوا للغرابة هو أن الشواهد الشعرية أخذت مكانها من كتب النحو وأصبحت منارات يهتدي بها رغم أن الشعر لغة ضرورة ولم تحظ الشواهد النثرية بعناية النحاة الأمر الذي عكس تأثيره على اللغة المستعملة، ذلك أن الأولى في القياس على لغة النثر باعتبارها اللغة غير المقيدة بقيود الوزن والقافية، لكن النحاة اتخذوا من الشواهد الشعرية متونا يتناقلونها فحظيت بما حظيت به»[2].

*** السماع (الاستدلال النقلي):**

«لقد بنيت قواعد النحو العربي على استقراء شبه تام للمدونة اللغوية في البوادي العربية ، حيث أن علماء اللغة لم يتسنى لهم وضع أي قاعدة من قواعد النحو إلا بعدما رحلوا إلى البوادي كما ذكرنا وتلك البوادي تكون مختارة وتتوفر فيها شروط، حيث جمعوا صحيح اللغة العربية نطقا وتركيبا واستطاعوا من خلال الملاحظة الدقيقة للمشافهة أن يتوصلوا إلى أحكام وقواعد وقوانين، أكثر دقة تنم عن تطبيق لمنهج صارم هو المنهج الوصفي، الذي يناسب جمع اللغة العربية في بداية تدوينها وهذا ما يؤكده الدرس اللساني الحديث، فالمنطق أسبق من المكتوب واللغة سبقت الكتابة ووجدت

---

[1] صالح بلعيد ، **مصادر اللغة** ، ص 36، بتصرف واختصار

[2] صابر بكر أبو السعود ، مرجع سابق ، ص 83، بتصرف واختصار.

قبل الكتابة، لهذا فدراسة اللغة لابد أن نعتمد فيها المشافهة ولا يتأتي ذلك إلا بالسماع والحفظ والنقل والرواية وهذا ما عرفه علماء العرب قديما حيث كانت لهم ملكة سمع ودقة ملاحظة وحافظة قوية.

– **مفهوم السماع:** قال "أبو البركات الأنباري" في كتابه "لمع الأدلة" "إن السماع هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حدّ القلة إلى حد الكثرة"، فقد اخرج من دائرة السماع ما كان أعجميا أو عربي دخله اللّحن أو شاذا وهو الذي قالت به بعض القبائل دون الأخرى، كما أنه أشار إلى كون المسموع لابد أن ينقل صحيحا بوساطه عدول، كما ذكر في موضع آخر من كتابه.

أما "السيوطي" فيري أن السماع "هو ما ثبت من كلام العرب ممن يوثق في فصاحته فشمل ذلك كلام الله تعالى وكلام نبيه وكلام العرب قبل بعثته وفي زمانه وبعده إلى أن فسدت ألسنتهم لكثرة المولدين ونقل السماع يكون عن مسلم أو كافر بشرط الثبوت"، ولهذا قال الأصوليون النحو معقول عن منقول، فكان السماع هو الأصل في وضع القواعد النحوية أما ما أشار إليه "السيوطي" في نصه من شروط السماع التي لخصها في النقل عن العربي الفصيح بما في ذلك ما نطق به القرآن والحديث والشعر والنثر، وقيده بالزمان الذي بعد النبي صلى الله عليه وسلم قبل وجود المولدين وضبط كل ذلك بالثبوت، أي بصحة النقل، لكنه جوز في شرط الناقل أن يكون كافرا وهذا ما يستقيم مع شرط العدالة.

* **شروط الاحتجاج بالمسموع:** لا تلزم اللغة بالحجة إلا إذ توافرت خمسة شرائط.

1– ثبوت المسموع عن العرب بسند صحيح يوجب الحجة والعمل.

2- عدالة الناقل وذلك في المسموع من القرآن الكريم والحديث وبدرجة أقل في اللغة.

3- أن يكون النقل عمن قوله حجة في أصل اللغة كالعرب العاربة مثل "عدنان" ومن انحدر من أصولها مثل قبائل "قيس" و"تميم" و"أسد" وبعض كنانة، و"هديل" وبعض الطائيين ويحتج بقول هذه القبائل في اللفظ والتركيب في حين أن المولدين يحتج بشعرهم ونثرهم في المعنى لا اللفظ.

4- أن يكون الناقل قد سمع من العرب حسا، أي مباشرة وبدون وساطة.

5- أن يسمع من الناقل في حالة تحوله إلى منقول عنه، بالحس أيضا»[1].

***أنواع المنقول والمسموع:**

قال "أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري" في كتابه "لمع الأدلة في أصول النحو" "اعلم أن النقل ينقسم إلى قسمين تواتر وآحاد"، ثم زاد "السيوطي" في المزهر المرسل والأفراد ليصل بذلك عدد أنواع المنقول إلى أربعة:

التواتر: يقصد به لغة القرآن الكريم وما تواتر عن السنة النبوية وكلام العرب شعره ونثره وعليه فإن هذا القسم دليل قطعي من أدلة النحو.

الآحاد: يقصد به ما تفرد بنقله بعض أهل اللغة وانعدم فيه شرط التواتر والآحاد دليل لغوي مأخوذ به، مع اختلاف العلماء في إفادته على الظن، وهو رأي الأكثرين وعلى العلم عند الآخرين.

---

[1] عن محاضرة ، قسم الأدب العربي ، السنة الثالثة جامعي ، يوم 2005/02/80، بتصرف واختصار.

المرسل: وهو ما انقطع سنده وجهلت عدالته التي هي شرط أساسي في قبول النقل.

الإفراد: وهو ما انفرد بروايته واحد من أهل اللغة دون سواه، وشرط الإفراد أن يخالفه فيه غيره وحكمه القبول، إذا كان المتفرد به علما من أعلام العربية "كالخليل" و"سيبويه" و"الكسائي"، و"الفراء" و"الأصمعي" وأضرابهم، وعليه فلا تحسبن السماع عملا سهلا بل هو صعب شاق لأن السامع يجب أن يكون خبيرا باللغة عالما بدقائقها"[1].

ثالثا: أصول علم النحو:

*** مصطلح أصول النحو:**

الأصول لغة: جمع أصل وهو ما يبتني عليه غيره سواء كان حسيا أو معنويا عن طريق العقل أو هو ما يبتني عليه غيره بأن يكون مادة له كالحقيقة، يقال لها أصل من المجاز (أسبق): قال "الرّماني": "الأصل الأساس والأصل أول يبتني عليه ثان والفرع ثان يبنى على الأول"، لهذا كان الأصل أسفل الشيء وجذره، «فكان إذن الأصل هو الدعامة التي يرتكز عليها الشيء، والقاعدة التي توجد بين جميع عناصره المتعددة، وأجزائه المتفرقة، فهو منطلق كل شيء.

ومصطلح " الأصول " قديم في تراثنا الثقافي ظهر في بيئة الفقهاء قبل بيئة النحاة التي عرفته خلال القرن الرابع الهجري.

إن الأصول علم من العلوم التي نشأت في أوج الحضارة العربية الإسلامية وكانت تهدف إلى وضع القوانين التي تكون أساسا لاستنباط الأحكام التي تتجدد بتجدد الأحداث والوقائع بحسب تطور الزمان ولهذا كان

---

[1] زبير دراقي ، مرجع سابق، ص 48 ، 49 ، بتصرف واختصار.

من الضروري على كل مقرّر لحكم من الأحكام أن يكون على دراية كافية بطرق الاستنباط والاحتجاج والأدلة لما يراد الحكم فيه»[1].

«مرادفات كلمة أصل: درج علماء النحو على إطلاق مصطلحات الدليل والقاعدة والرجحان والمقيس عليه، الصورة والمستصحب على مصطلح الأصل.

– مفهوم أصول **النحو اصطلاحا** : قال "السيوطي" "هو العلم الذي يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلته وكيفية الاستدلال بها وحال المستدّل"، وهو العلم الذي يعني بمجموع المسائل المراد دراستها بوساطة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط أحكام النحو الفرعية عن طريق أدلتها التفصيلية»[2]، وبما أن الباعث الأول لنشأة العلوم العربية كما ذكرنا سابقا هو الدين الجديد الذي أتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم – إذ اهتمامهم بأحكامه حفز على تدوين الفقه والحديث وعنايتهم بالقرآن صرفتهم إلى الاهتمام بقراءاته وتفاسيره وتاريخه واستنباط أحكامه وتشريعاته وقوانينه وذلك حملهم على ضبط اللغة العربية وأحكام قواعدها وقوانينها، وعليه فكانت للفقه كما ذكرنا مذاهبه وأصوله وقوانينه، فترتب من ذلك أن يكون للغة و"لعلم النحو" أصول تنبني عليها اللغة وينبني عليها علم النحو، إذ تقدم علم النحو رويدا رويدا، وبدأ يدون وتنسق أبوابه وفصوله، ثم جاءت طبقات وطبقات تميزت فيها المذاهب واختلفت فيها الآراء، ولكن كان الهدف الأسمى والأعلى هو خدمة اللغة العربية»[3].

---

1 محمد خان، **مدخل إلى أصول النحو** ، ص 4.

2 عن محاضرة ، قسم الأدب العربي، السنة الثالثة جامعي، يوم 2004/10/26.

3 سعيد الأفغاني ، مرجع سابق، ص 100، بتصرف واختصار.

وهذا" ابن الأنباري" (577 هـ) يعرف أصول النحو بقوله «أصول النحو أدلة النحو التي تفرعّت منها فروعه وفصوله، كما أن أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوعت عنها جملته وتفصيله، وفائدته التعويل في إثبات الحكم على الحجة والتعليل والارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع على الدليل، فإن المخلد إلى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصواب، لا ينفك في أكثر الأمر عن عوارض من الشك والارتياب" [1]»[2]، «و"ابن الأنباري" من أهل المئة السادسة يضع كتابه "لمع الأدلة" ليكون للنحو بمثابة "علم الأصول" للفقه، عقد فيه فصولا عدة للقياس وأنواعه كما كان فعل علماء الفقه وأصوله ، ثم جاء "السيوطي" في المئة العاشرة يؤلف كتاب "الاقتراح"، ويذكر أنه: "بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه... ورتبته على نحو أصول الفقه في الأبواب والفصول والتراجم، وقد ذكر "ابن الأنباري" أنه ألحق بعلوم الأدب "علمين وضعناهما: علم الجدل في النحو وعلم أصول النحو، فيعرف به القياس وتركيبه وأقسامه من قياس العلة وقياس الشبه وقياس الطرد إلى غير ذلك على حد أصول الفقه فإن بينهما من المناسبة ما لا خفاء به لأن النحو معقول من منقول كما أن الفقه معقول من منقول...

إذن فإنه يقر النحاة بأنهم احتذوا في أصولهم أصول الفقه عند الحنفية خاصة، "فابن جني" (392 هـ) فيقول: «ينتزع أصحابنا العلّل من كتب "محمد بن الحسن الشيباني" صاحب "أبي حنيفة"، لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه، فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق".

---

[1] **الأغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة**، ص 80، نقلا عن **مدخل إلى أصول النحو**.

[2] نفسه ، ص 4.

هو نفسه يعقد بابا في "الخصائص "يثبت فيه" أن علّل جل النحويين وأعنى بذلك حذاقهم المتقين لا ألفافهم المستضعفين، أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين، وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس...إلخ"» [1]، «وكما أن لعلم النحو مصادره فإن له أصوله التي ينبني عليها، وفي هذا يقول "ابن جني" "أدّلة النحو ثلاثة: السماع والإجماع والقياس"، واسقط منها "ابن الأنباري" الإجماع وأضاف إليها الاستصحاب، فقال "أقسام أدلته ثلاثة نقل وقياس واستصحاب حال، ومراتبها وكذلك استدلالاتها"»[2].

ونصل إلى أن أصول النحو هي طريقة اللغويين في ضبط مدونة عملهم، أي ما هي النصوص التي اعتبروها أصول، وماذا اشترطوا فيها وما المنهج الذي توخوه في الاستدلال، والاحتجاج به؟.

*** القياس (الاستدلال الذهني):**

«القياس عنصر من عناصر تنمية اللغة العربية، وهو خاصية تزيد من مفردات اللغة العربية، ومدها بالقوة والنماء، والنهوض والتطور، وحرصا على تنمية لغتنا، وتطويرها اتفق علماء اللغة العربية على العمل بالقياس، لأن الكلام لا يكون عربيا فصيحا إلا إذا سلمت مفرداته، وذلك ونظرا لأن اللغة وضعت ليعبر بها الإنسان عما يدور في ذهنه وما يختلج وجدانه، وليعبر بها أيضا عن الواقع بأفراحه وهمومه أيضا ومآسيه فبطريق اللفظ والكلام، وبطريق الكتابة والرسم يعبر الإنسان عن الحياة بما فيها من

---

1 نفس المصدر السابق ، ص 101 ، 102 ، 100 .

2 نفسه ، ص 05.

خواطر وأفكار، لذا فحاجتنا إلى القياس تمليه علينا الحياة بما فيها لأنه بدون هذا القياس تضيق اللغة على الناطقين بما»[1].

تعريفه:

«جاء في لسان العرب: قاس الشيء يقيسه قيسا وقياسا واقتاسه إذا قدره على مثاله، ويقال قايست بين شيئين إذا قادرت بينهما، وقيس شبرا أي قد شبر، والقيس والقدر سواء، ويقال هو يخطو قيسا أي يجعل هذه الخطوة بميزان هذه، ويقال قصر مقياسك عن مقاسي أي مثالك عن مثالي، وروى عن "أبي الدرداء" أنه قال: خير نسائكم التي تدخل قيسا وتخرج ميسا، قال"ابن الأثير" يريد أنها إذا مشت قاست بعض خطاها فلم تجعل فعل الخرقاء ولم تبطئ ولكنها تمشي مشيا وسطا معتدلا فكأن خطاها متساوية»[2]، وقال "ابن الأنباري": "القياس في وضع اللسان بمعنى التقدير، وهو مصدر قايست الشيء بالشيء مقايسة وقياسا قدرته، ومنه المقياس أي المقدار "[3]»[4].

«**وفي اصطلاح النحاة**: يطلق "القياس" على العملية التي يحمل فيها المجهول على المعلوم وغير المنقول على المنقول لعلة جامعة بينهما والحمل معناه المقايسة أو محاكاة المسموع والمعروف لاستنباط أحكام العلوم التي لم تأت سماعا كعلم الصرف المعتمد فيه كليا على القياس، وكذلك

---

1 فرحات عياش، مرجع سابق ، ص 121 ، 122، بتصرف واختصار.

2 **لسان العرب** ، مادة قيس المجلد الثامن ، ص70 ،71 ، 72 ، طبعة بولاق.

3 **الأغراب في جدل الأعراب و لمع الأدلة في أصول النحو**، ص 93، تحقيق سعيد الأفغاني مط الجامعة السورية، سنة 1957 م

4 صابر بكر أبو السعود ، مرجع سابق، ص 10 .

النحو الذي عرّفه "أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي" (ت 805 هـ) بقوله "إنما النحو قياس يتبع[1]»[2].

«والقياس لدى القدماء هو الأساس الذي نبني عليه كل ما نستنتجه ونستنبطه من قواعد في اللغة،أو صيغ في كلماتها أو دلالات في بعض ألفاظها فهو بمثابة الميزان الذي يبين لنا الصحيح من الزائف: والشيء الذي يقبل أو يرفض.

إن علماء القرن الثاني الهجري بعد أن وردت إليهم تلك الذخيرة اللّغوية وبعد أن ورثوا من الأساليب الأدبية القدر الكبير، جعل كل هذا الذي جاءهم من العرب الفصحاء أساسا وقاعدة يبنون عليها ما قد يظهر لهم، فالقياس إذن ما هو إلا استنباط مجهول من معلوم» [3] «وهو أيضا اقتدار العربي في أن يشتق جملا عربية، تشبه في نظامها جمل العرب، في موقع مفرداتها، وأبنية كلماتها، ودلالة ألفاظها، وإن لم تكن تلك الجمل بعينها مما قاله العرب، وقد أحسن "ابن جني" حين عقد في كتابه "الخصائص" فصلا، ذهب فيه إلى أن «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب» [4]، وهو في مجمله "قياس الشيء على نظيره"، وقد عرف أولا عند الأصوليين وتأثر به اللّغويون، ومن ذلك قياسهم (رضى) على (سحظ) في قول" قحيف العجلي":

إذا رضيت على بنوقشير *** لعمرا لله أعجبني رضاها»[5].

---

1 **الاقتراح**، ص 94، نقلا عن **محاضرات في فقه اللغة**.

2 نفسه ، ص 50.

3 فرحات عياش، مرجع سابق، ص 123، بتصرف واختصار.

4 ابن جني، **الخصائص**، 357/1: 369 .

5 السيوطي، **شرح شواهد المغني**، تحقيق محمود الشنقيطي، عناية د. أحمد ظافر كوجان، ط، دار الحياة، بيروت 46/1

فالشاعر هنا عدّى الفعل (رضى) بالحرف (على) وهو إنما يعدي في الكلام الفصيح بالحرف (عن) فيقال (رضيت عنه)، ويقال في الدعاء (رضي الله عنه)، فعلله "الكسائي" بأن الشيء قد يقاس على ضده، وضد (رضي) (سخط)، وسخط يعدي بالحرف (على)، فلما قيس عليه أخذ حكمه عند الشاعر وهذا ما يعرف بالقياس الاستعمالي، والجدير بالذكر أن نلفت الانتباه إلى أن مصطلح "القياس" قد استعمل كما ذكرنا آنفا في بيئات متعددة، أولها الأصوليين ثم النحويين ثم اللّغويين، وما نعني به في هذا المقام هو القياس اللّغوي، الذي يقوم على استقرار لغة العرب»[1].

«فالقياس اللّغوي هو مقارنة كلمات بكلمات، أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال، رغبة في التوسع اللّغوي، وحرصا على اطراد الظواهر اللّغوية"»[2].

«فإذا لاح للنحاة اطراد ظاهرة ما، حكموا عليها بأنها قياسية، أي يمكن أن يلحق بها ويصاغ على مثلها، وظهر ذلك في منهج "ابن أبي إسحاق" (117 هـ)، فعندما لاحظ أطراد ظواهر معينة، فوضع لها قواعد وقوانين يندرج تحتها كل ما يشبه هذه الظواهر ويماثلها، ويظهر ذلك من قوله ردا على سائله عندما سأله عن (السويق) هل يقول أحد من العرب فيه (الصويق)؟، فأحال سائله إلى أبواب تطرّد فيها الظاهرة وتنقاد، فالقياس عنده أخذ معنى الاطراد وما يخرج عن المطرد يسمى شاذا»[3].

---

[1] نادية رمضان النجار، مرجع سابق ، ص 92 ، بتصرف.

[2] ابراهيم أنيس ، **من أصرار اللغة** ، ص 09 ، 10، نقلا عن **الإشتقاق ودوره في نمو اللغة**.

[3] نادية رمضان النجار ، مرجع سابق، ص 93.

وبناءا على ما سبق يتبين لدى الدارس والباحث واللّغوي أن القياس يملك القسط الأكبر من النحو، بل يملك القطعة الأكبر من قلب علم النحو العربي، فهو فيزياء علم النحو إذا صح التعبير بهذا المصطلح «ويرى "ابن الأنباري" أنه إذا بطل أن يكون النحو رواية ونقلا وجب أن يكون قياسا وعقلا، والسبب في ذلك عنده (أن عوامل الألفاظ يسيرة محصورة، والألفاظ كثيرة غير محصورة، فلو لم يجز القياس واقتصر على ما ورد في النقل من الاستعمال لأدى ذلك ألا يفي ما نخص بما لا نخص وبقى كثير من المعاني لا يمكن التعبير عنها لعدم النقل، وذلك مناف لحكمة الوضع ولذلك وجب أن يوضع وضعا قياسيا عقليا لا نقليا، وحين وضعت اللغة وضعا نقليا لا عقليا لم يجز إجراء القياس فيها واقتصر فيها على ما ورد به النقل"، ومن ثم كان القياس "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه"»[1]، «وكذلك جاء مصطلح القياس عند "سيبويه دلا على الشيوع والكثرة، فهو يعني عنده إلحاق صيغة بنظيرها أو تركيب لغوي بنظيره في حكم ثبت للنظير بسبب وروده في اللغة على وجه الشيوع والكثرة، ومن ثم فالقياس عنده يعني الحكم أو القاعدة أو الأصل، وقد أورد في كتابه أمثلة كثيرة تطبيقا لتلك القاعدة، ومن ذلك ما ورد في باب الجموع وكان على ثلاثة أحرف على وزن (فعل) إذا كسر لأدنى العدد جاء على صيغة (أفعال) مثل: (جمل: أجمال)، وإذا جاوزوا به أدنى العدد جاء على (فعال) و(فعول) مثل(جبال: وجمال وأسود، ثم يقول بعد ذلك: "وقد يلحقون في الفعال الهاء، كما ألحقوا الفعال التي في(الفعل)، وذلك قولهم في جمل – جمالة، وحجر – حجارة، وذلك قليل والقياس على ما ذكرنا"، ومن النص

---

[1] صابر بكر أبو السعود، مرجع سابق ، ص 10 ، 11 ، باختصار.

السابق يتضح أن القياس عند الأوائل من النحاة واللّغويين كان يعني القانون أو القاعدة التي وضعت على كل ظاهرة اطردت وشاعت في اللغة، وبذلك تتغير اللغة وتنمو وتتجدد» [1]، «ونصل بناءا على ما سبق أن القياس في أبسط معانيه هو عملية فكرية يقوم بها الإنسان الذي ينتمي إلى جماعة لغوية وإلى مجتمع يحمل لغة ما، وهذه حقيقة من حقائق الاجتماع اللّغوي التي تبنى عليها الاستعمالات اللّغوية ولا شك أن هذا الاعتبار هو الذي أوحى باتخاذ القياس باعتباره عملية فكرية على هذا النحو، معيارا لم يلبث أن سطر على النحاة الأوائل وأفضى بهم إلى الطريق الذي سلكوه بعد ذلك، ومن ثم يمكن أن تقول إن هنا نوعين من القياس: قياس يتعاطاه المتكلم، إذ يحذوا حذو غيره من أبناء الجماعة اللّغوية، وقياس آخر: هو الذي عرف في بيئة النحويين واستمت وتميزت به مدرسة البصرة، حتى أنه دخل في تعريفهم للنحو عندما قال قائلهم: "النحو هو علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب»[2]، «وقال "الزجاجي" "النحو علم قياسي ومسار لأكثر العلوم لا يقبل إلا ببراهين وحجج ماخلا ما لزم قبوله من علوم الشريعة بعد وضوح الدلائل وإقامة البراهين والدلائل العقلية الحقيقية على لزوم الحجة»[3]، «وأدق من ذلك في رأيي قول "الكسائي": "إنما النحو قياس يتبع" إذ لست اعقل النحو إلا استقراء ثم قياسا، أما القياس نفسه هنا فحمل غير المنقول على المنقول في حكم لعلة جامعة، وهم يعمدون إليه إذا كان المنقول عن العرب مستفيضا بحيث يطمأن إلى أنه كثير في كلامهم كثرة

---

[1] نادية رمضان النجار، مرجع سابق ، ص 93 ، 94 ، باختصار.
[2] منى إلياس، **القياس في النحو**(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية) ص 09.
[3] أبى القاسم الزجاجي ، مرجع سابق ، ص 41.

أرادوا معها القياس عليه» [1]، «ويكاد ظهور القياس في النحو يقترن باسم "عبد الله بن أبي إسحاق الخضرمي" وذلك في الكلمة المشهورة التي قالها فيه "ابن سلام" ورددها من بعده آخرون وذلك وصفه بأنه "أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل"» [2]، «ويعد" "الخليل" الرجل الثاني الذي أكمل صرح النحو بعد "ابن أبي إسحاق الخضرمي": فكتاب "سيبويه" يدخل بنا طفرة إلى عقل الخليل وعلمه بالنحو وقواعده" [3]. ويصور لنا منهجه في القياس بما يدعمه من نماذج وأمثلة وشواهد تعكس القاعدة النحوية في شكل علم يعنى بالكليات أصلا للقواعد كما يعنى بالجزئيات تفسيرا لها وإيضاحا.
يقول"السيرافي": أما "الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدي" فقد كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه وهو أول من استخرج العروض وحصر أشعار العرب بها ومل أول كتاب "العين"
المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة، وكان بناء صرح النحو قائما على دعامتين رئيسيتين هما استنباط العلة وهو المعنى به استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس بتعميمه في الكثرة المطردة أو على الأقل النص على ما يخالفها» [4]، ويقول الدكتور"شوقي ضيف": «وكان يبني القياس على الكثرة المطرّدة من كلام العرب مع نصه دائما على ما يخالفه،
ومحاولته في أكثر الأحيان أن يجد له تأويلا» [5] ويقول «وعلى نحو ما

---

1 سعيد الأفغاني ، مرجع سابق ، ص 78 ، 79 .
2 منى إلياس ، مرجع سابق ، ص 10.
3 ولد الخليل سنة مائة وتوفى سنة مائة وخمس وسبعين، نشأ بالبصرة وتتلمذ على عيسى بن عمرو وأبي عمرو بن العلاء وهو نعكاس للبيئة الثقافية التي ازدهرت في العصر العباسي الأول، حيث صادف جداول ثقافية مختلفة اغترف منها وعاونت في خصوبة عقله، بالإضافة إلى سليقة عربية وحس وذوق عربيين كلها شكلت من عقله نموذجا لمدى التمثل العربي للعلوم والمعارف، الأمر الذي أدى به إلى إنشاء علم أو علوم.
4 صابر بكر أبو السعود ، مرجع سابق، ص 49.
5 شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، ص 53.

تسيل علل الخليل وتعليلاته في كتاب سيبويه تسيل أقيسته ولا نغلو إذا قلنا إنها كانت أهم مادة شاد بها بناء النحو الوطيد»[1].

«وإذا كان "الكتاب" قد صور لنا عقل "الخليل" وعلمه بالنحو فعلينا التعرف على أسلوبه في التفكير حتى نتبين منهجه في القياس، وفي تصوري أن عدة عوامل مشتركة حددت سمات هذا العقل وساعدت على استنباط مقاييسه في النحو العربي منها، ما نشأ عليه من السليقة العربية، وهي التي مكنته من معرفة كيف يقيس لغة العرب، فقد كان عربيا من الأزد، ويقال أن والده كان أول من سمى "بأحمد" بعد النبي – صلى الله عليه و سلم –" [2]، ومن خلال هذه النشأة نما عقله عربيا يعرف أسلوب العرب في الكلام وطريقتهم في الاستعمالات اللّغوية، وكانت له رحلات في شبه الجزيرة العربية في بوادي نجد وتهامة والحجاز ويروي "القفطي" أن "الكسائي" سأله وقد بهره كثرة ما يحفظ، من أين أخذت علمك هذا فأجابه بوادي الحجاز ونجد وتهامة"، وعرف "الخليل" بصداقته لمعاصره "ابن المقفع"، ويبدوا أن تلك الصداقة كانت تمثل تكاملا بين عقلين، يقول "الزبيدي": وذكر عن شيوخ البصريين أن "ابن المقفع" اجتمع مع "الخليل بن أحمد"، فتذاكرا ليلة تامة، فلما افترقا سئل "ابن المقفع" عن "الخليل" فقال: رأيت رجلا عقله أكثر من علمه، وقيل للخليل: كيف رأيت "ابن المقفع"؟ فقال: رأيت رجلا علمه أكثر من عقله»، واستطاع الخليل من خلال عنايته بالقياس أن يوجد النحو علما له أصوله وقواعده، ولولا القياس لما كان للقاعدة أسباب تقوم عليها ومن ثم كان القياس ايجابيا في اطراد القاعدة

---

1 نفسه ، ص 51.

2 الفهرست لابن النديم، ص 42 ، فلوحل بيروت (بيروت 1964).

وتوسيع دائرة استعمالها، ولقد حذا حذو الفقهاء يقول الأستاذ "أحمد أمين" في كتابه "ضحى الاسلام": "وأيا ما كان فإن القياس الذي عرفت شأنه في الفقه والذي قام به شيوخ "أبي حنيفة" في العراق وأكمله أبو حنيفة ووسعه لعب دورا كبيرا في اللغة والنحو في العراق أيضا"، ويرى الأستاذ "أحمد أمين" أن هذا القياس الذي مهر فيه "الخليل" هو الذي أوجد النحو، ووسع اللغة)» [1]، وعليه فالقياس يعتبر ركيزة النحو الأساسية وعنوان حجته فلا معنى لعلم النحو بدون القياس، لهذا وجدنا أن علماء اللغة قد وضعوه في مكانه الصحيح.

***أسباب القياس:**

«من المعلوم والمعروف أن هناك أسبابا وعوامل كثيرة دعت إلى وجوب القياس واستعماله في اللغة ومن أنكر القياس، فقد أنكر كل العلوم اللّغوية أو كل علوم اللّغة العربية، ولاسيما النحو المبني أساسا على القياس،أما السبب الأول فهو سبب فني ومرده إلى أن النحو كله قياس، ألا ترى أن المتكلم عندما يسند فاعلا إلى فعل معين غير وارد في الاستعمال، فإنه يعتمد بالضرورة على القياس الذي يتيح له تركيب ما شاء من الجمل والتعابير، فلو أسندنا الكتابة مثلا إلى مسمى بعينه وقلنا: "كتب أحمد"، فهل هذا يعني أن الكتابة مرتبطة به وحده ولا تصّح مع غيره؟ كلا لأننا نستطيع بالمقايسة أن نقول: "كتب محمد"، و"كتب علي"، وكتب كل من لا يدخل تحت الحصر من العقلاء مهما كانت مسمياتهم، وكذلك القول في سائر العوامل الداخلة على الأسماء والأفعال" من رفع ونصب وجر وجزم"، فالقياس إذا شيء لا يستغنى عنه وضرورة مؤكدة لتوسيع اللّغة، فهو آلة

---

[1] صابر بكر أبو السعود ، ص50 ، 51 ، 55 ،بتصرف واختصار.

اللّغة وأما السبب الثاني، والدافع الثاني، فهو سبب عملي لأن اللّغة العربية لم تعد بفضل الاسلام والقرآن لغة العرب وحدهم، وإنما صارت لغة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأما السبب الثالث فهو سبب جوهري دعت إليه الحاجة إلى إيجاد قوانين جامعة لتنظيم العربية، وترتيب مفرداتها وتبيان خصائصها، وللقياس دور مهم في ذلك لأنه يسنّي في كل وقت – فضلا عن مساهمته في ضبط اللّغة العربية – قياس ما لم يقل على كلام العرب ليصير من كلامهم»[(1)].

***أركان القياس :**

«نظرا لأن النحو العربي جلّه مبنى على القياس كما ذكرنا سابقا وعليه فالقياس بالضرورة يقوم على أركان وهي أربعة: الأصل (المقيس عليه)، الفرع (المقيس)، العلة (وجه المشاركة) الحكم (وهو نتيجة القياس).

– **الأصل:** ويكون إما من مسموعات العرب أو القواعد الشكلية للنحو وشروط القياس في الحالة الأولى أن يتوافر في المقيس عليه ما يلي:

أ– أن يكون الأصل مبنيا على الكثرة النسبية لغيره في الموضع نفسه.

ب– لا يصح القياس على الشاذ، لأنه ليس كل ما يحكى عن العرب يقاس عليه.

ج – يجوز القياس على المختلف فيه اعتبارا للقول بدليل، فهو عند قائله كالمتفق عليه.

– **الفرع** (المقيس) له صورتان:

---

[1] زبير دراقي ، مرجع سابق ، ص 51 ، 52 ، 53، بتصرف واختصار.

أ- أن يكون معلوم الحكم فيؤكد النحاة هذا الحكم بإلحاقه بأصل مشابه له في الحكم فيجعلون وجه المشابهة علة، وهو قياس استقرائي.

ب- أن يكون مجهول الحكم غير منقول عن العرب، فيقاس عن المنقول عنهم لأن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم، وهذا ما أفضى إلى القياس الشكلي.

- **العلّة:** وتقوم على الأثر فإذا انعدم الأثر فلا حاجة للعلّة أصلا لأن الأصل لا يعلل، فالذي جاء على أصله لا يسأل عن سبب وضعه أما الفرع فيعلل لافتقاره إلى الأصل.

- **الحكم:** وهو عمدة القياس وأقسامه ثلاثة: حكم واجب وحكم جائز وحكم ممنوع، وهذا التقسيم مستوحي من تقسيمات الحكم عند الفقهاء»[(1)].

*** أنواع القياس:**

أورد "السيوطي" في كتابه "الاقتراح" في علم أصول النحو أنواع من القياس في العربية، «الأول هو حمل فرع على أصل ويسمّى قياس المساوي، ومن أمثلته إعلال الجمع وتصحيحه حملا على المفرد في قولهم: قيم، وديم، وزوجة وثورة في قيمة، وديمة، وزوج وثور والثاني هو حمل أصل على فرع ويسمى قياس الأولى، ومن أمثلته إعلال المصدر لإعلال فعله وتصحيحه لصحته كقمت قياما وقاومت قواما، والثالث هو حمل نظير على نظير ويسمّى قياس المساوي كذلك، ومن أمثلته إجازة تصغير أفعل في التعجب لشبهه بأفعل التفضيل كأميلح وأحيسن من أملح وأحسن، والرابع هو حمل ضد ويسمّى قياس الأدون، ومن أمثلته النصب "بلم" لنفي الماضي حملا على الجزم "بلن" لنفي المستقبل، هذا وقد تأتي الأصول المقيس عليها

---

[1] عن محاضرة، قسم الأدب العربي ، السنة الثالثة جامعي ، يوم 2005/04/19.

للفرع الواحد متعددة "كأيّ"، في الاستفهام والشرط المعربة حملا على نظيرتها "بعض" وعلى نقيضتها "كل"»[1]، «وذهب "ابن الأنباري" إلى انقسام القياس إلى ثلاثة أقسام: فيقول "اعلم أن القياس ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قياس علة، وقياس شبه، قياس طرد، فأما قياس العلة فهو معلول به بالإجماع عند العلماء كافة وأما قياس الشبه فهو معمول به عند أكثر العلماء، وأما قياس الطرد فهو معمول به عند كثير من العلماء"»[2]

*** العلة:**

«تساءل الإنسان منذ زمن بعيد عن علل الظواهر التي تحيط به وحاول اكتشافها ومعرفة كنهها وتفسيرها، وذلك ما كان النحاة بدعا في تعليل أعمالهم العلمية منذ كتاب "سيبويه".

لقد نالت العلل النحوية حظها وافرا لدى علماء العربية، لأنها المحور الأساسي والقلب النابض في الدرس النحوى، فخصها بعض النحاة بالتأليف مثل العلل في النحو لقطرب (206هـ)، وعلل النحو "لابن كيسان" (320 هـ) والإيضاح في علل النحو للزجاجي (377 هـ) والنحو المجموع على العلل "لمبرمان" (345 هـ) وعلل النحو" لابن الوارق"(381 هـ) واللباب في علل البناء والإعراب "للعكبري" (616 هـ)، والعلة تعتبر الركن الرابع من أركان القياس، وهي التي تبرر ذلك الحكم وتوجبه، والنحاة يعللون لإعرابهم بالعلة الظاهرة مثل ذلك: ما حكم نائب الفاعل، فالفاعل أصل ونائب الفاعل فرع، والعلة الموجبة لقياس الثاني على الأول هي الإسناد وحكم الفاعل الرفع،

---

[1] **الاقتراح**، ص 101، 107، نقلا عن **محاضرات في فقه اللغة**.

[2] صابر بكر أبو السعود، مرجع سابق، ص 16.

فيكون حكم نائب الفاعل الرفع كذلك» [1]، ومن هذا المثال يظهر لنا أن العلة من الأسس والقواعد التي يقوم عليها النحو العربي، كما استنبط النحويون قواعده ورسخوا أصوله، وفكرة العلة في أساسها خارجة عن النهج الوصفي الذي نرى أن عمل النحوي يجب ألا يتعداه، ورغم أن فكرة العلة تطورت وتشعبت بعد القرن الثالث: فإن منشأها هو منشأ النحو نفسه، أو في أدنى تقدير، العهد الذي بدأ فيه التدوين النحوي والناظر في كتاب "سيبويه" يجد إحكاما شديدا في البحث عن العلل وفي ترتيبها وتصنيفها، فكأنها صرح متكامل المعالم والأرجاء وقريب من هذا ما يروى عن "الخليل" من أنه شبه نفسه في استنباطه واستنتاجه واستخراجه للعلل «"برجل حكيم دخل دارا، محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحّت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة [2]، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا كذا ولسبب كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون "الحكيم الباني" للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الرجل الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله بغير تلك [3] العلة إلا أن ذلك [4] مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها"» [5]، «فالخليل شبه اللغة بالدار والإنسان الذي بناها هم العرب الذين نطقوا اللغة، أما الرجل الذي

---

1 محمد خان ، مرجع سابق ، ص 39 ، 55، بتصرف واختصار.

2 الظاهرة .

3 في الأصل ذلك .

4 في الأصل تلك .

5 أبى القاسم الزجاجي ، مرجع سابق ، ص66.

دخل الدار فهو الذي أراد أن يستقرأ هذه اللغة وهو النحوي، هو الذي أخرج من اللغة قوانينها وقواعدها، والتشبيه فيه ثلاث عناصر: فنص "الخليل" هذا دليل على أن العلة مصطلح متجدر في النحو العربي، لأنه أتي قبل عصور الترجمة بمعنى اتهام النحو العربي كما سبق وأن ذكرنا بتأثره بالمنطق اليوناني، والذي يمكن قوله أن "ابن إسحاق" و"ابن أبي العلاء" و"الخليل" توفوا قبل عصور الترجمة وهذا دليل على عدم اتصالهم بالفكر اليوناني، ولنعد إلى نص "الخليل" الذي يدّل على أن العلة ما هي إلا نوع من التخمين العقلي الذي يقوم على اجتهاد النحاة كل حسب ذكائه وقدراته الفكرية، لهذا فالعلة هي إحالة على مظنون، فكانت علة كل نحوي أيسر من أن تقاوم أي علة أخرى وهذا ما عبر عنه "ابن فارس" بقوله:

مرت بنا هيفاء مقدورة *** تركية ثم لتركـي.

ترنو بطرف فاتن فاتن *** أضعف من حجة نحوي.

كما أن نص"الخليل" يفتح بابا واسعا للاجتهاد وإعادة قراءة البيئة اللّغوية الذي مما لا شك أن النحاة لم يسمعوا جميع ما قالته العرب، فلجأو للقياس والجمع بين الأصل والفرع بعلة لأن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامها» [1]، «وكتاب "سيبويه" في مجمله يمثل الأبحاث النحوية في بدايتها، وهي ذكر القاعدة النحوية، وما يؤيدها من شواهد بدون الإيغال في التعليل، وفي القرن الرابع الهجري تطور البحث في النحو على يد "أبي بكر محمد بن السري" المعروف "بابن السراج" المتوفى(سنة 316 هـ) فبالرغم من أن أبحاثه النحوية كانت في أغلبها شرحا لكتاب "سيبويه" إلا أن "ابن السراج" يعتبر أول من أدخل العلل في النحو بتأليف كتابه "أصول النحو"

---

[1] عن محاضرة، قسم الأدب العربي، السنة الثالثة الجامعي، يوم 2005/05/03.

ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب في البحث اللّغوي عند العرب فهو يمثل طريقا جديدا بعد كتاب "سيبويه" في دراسة النحو لأنه يتناول البحث عن أصل القواعد النحوية والعلل النحوية فهو يقول في هذا الكتاب "اعتلالات النحويين على ضربين: ضرب منها هو المؤدي إلى كلام العرب كقولنا كل فاعل مرفوع وضرب آخر يسمّى علة العلة مثل أن يقولوا لم صار الفاعل مرفوعا والمفعول منصوبا، ولماذا إذا تحركت الياء والواو وكان ما قبلها مفتوحا قلبت ألفا وهذا ليس يكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب وإنما تستخرج منه حكمتها في الأصول التي وضعتها ويتبين بها فضل هذه اللغة على غيرها من اللّغات، وغرضي من هذا الكتاب ذكر العلة التي إذا اطردت وصل بها إلى كلامهم فقط وذكر الأصول والشائع لأنه كتاب إيجاز"

ودراسة النحو بهذه الطريقة وهي إدخال أسلوب المناطقة في المسائل النحوية تطورت على يد "أبي الفتح عثمان بن جني" المتوفى (سنة 392 هـ) فقد بحث في كتابه "الخصائص" المواضيع الآتية "علل العربية أكلامية هي أم فقهية؟"، "مقاييس العربية" جواز القياس فيما يقل رفضه فيما هو أكثر "تقارض السماع والقياس"، "الاستحسان"، "تخصيص العلل"، "العلل إذا لم تتعدد لم تصح"، "في العلة وعلة العلة"، "اجتماع أهل العربية متى يكون حجة"»[1]، «ولقد اتسع نطاق التعليل في المؤلفات النحوية بحيث أضحى سمة مميزة للنحو العربي، وشاع إتباع النحويين في تعليلاتهم فغدا تعليم النحو مرتكزا على هذه التعليلات ارتكازا قويا، والآن سنعرض لعدد قليل من التعليلات النحوية، في تعليم بناء الأسماء أن منها ما يبنى لشبهه بالحرف في المعنى، ولو اقتصر الأمر على الشبه بين حرف موجود كهمزة

---

[1] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 218، 219.

الاستفهام واسم موجود كـ "متى" الاستفهامية لكان ذلك هينا، غير أن النحويين لم يقتصروا على ذلك بل ذكروا الشبه بين الأسماء وبين حروف غير موجودة من ذلك الاسم هنا فقد قيل إنه مبنى لشبهه حرفا كان ينبغي أن يوضع فلم يوضع، وذلك لأن الإشارة معنى من المعاني، فحقها أن يوضع لها حرف يدل عليها كما وضعوا للنفي "ما" وللنهي "لا " وللتمني "ليت" للترجي "لعلّ" ونحو ذلك ومثل ذلك "هؤلاء" و"ما " التعجبية لأن الأصل في التعجب أن يكون بالحرف كغيره من المعاني.

– في تعليل الرفع في الفاعل: يذكر"ابن الأنباري" أن الفاعل أقل من المفعول، والرفع أثقل، والفتح أخف، فأعطوا الأقل الأثقل، والأكثر الأخف ليكون ثقل الرفع موازيا لقلة الفاعل، وخفة الفتح موازية لكثرة المفعول" [(1)]، ثم لا يلبث "ابن الأنباري" أن يذكر احتجاجا آخر لرفع الفاعل ونصب المفعول وهو "أن الفاعل أقوى من المفعول، فأعطى الفاعل، الذي هو الأقوى الأقوى وهو الرفع، وأعطى المفعول الذي هو الأضعف الأضعف وهو النصب والتناقض واضح في العلتين، فإن كان التوازن بين الثقل والعلة وبين الخفة والكثرة علة من علل هذه الظاهرة النحوية في الفرق بين الفاعل والمفعول فكيف يجوز أن يقرن الأقوى بالأقوى، والأضعف بالأضعف في العلة الأخرى؟»[(2)].

---

[1] ابن الأنباري ، **أسرار العربية** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة :1959) ص 78.

[2] المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، مرجع سابق ، ص 84، باختصار.

*** أقسام العلة:**

بدأ التعليل عند النحاة بسيطا يحيل مباشرة على المسموع من كلام العرب، ثم تفرعت علل أخرى تبعا لمطالب العقل البشري وتشكلت بذلك أقسام:

– **العلة التعليمية:** «فهي التي يتوصل بها إلى تعلّم كلام العرب، لأنا لم نسمع نحن ولا غيرنا كل كلامها منها لفظا، وإنما سمعنا بعضا فقسمنا عليه نظيره، مثال ذلك أنا لما سمعنا قام زيد فهو قائم وركب فهو راكب، عرفنا اسم الفاعل فقلنا ذهب فهو ذاهب، وأكل فهو آكل، وما أشبه ذلك، فمن هذا النوع من العلل قولنا إن زيدا قائم، إن قيل: بم نصبتم زيدا؟ قلنا: بإنّ: لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر لأنا كذلك علمناه ونعلمه، ولأنها تواترت عند العرب أنها إذا دخلت على المبتدأ والخبر، نصبت الأول و رفعت الثاني، وكذلك قام زيد فيما رفع زيد قيل بالفعل لأنه استغل به وأن الثاني (زيد) اسند إليه وهكذا نطقت العرب، وهذا القسم من العلل يسمى العلل الأوائل أو العلة الأولى أو العلة البسيطة.

– **العلة القياسية:** وهي التي يبحث فيها السائل عن من الذي نصب زيد؟ عن سبب نصب إن لزيد ولما لا ترفعه؟ فالجواب في ذلك أن يقول: لأنها وأخواتها ضارعت وشابهت الفعل المتعدّي إلى مفعول، فحملت عليه فأعملت أعماله لمّا ضارعته، فالمنصوب بها مشبّه بالمفعول لفظا، والمرفوع بها مشبّه بالفاعل لفظا، فهي تشبه من الأفعال ما قدم مفعوله على فاعله، نحو ضرب أخاك محمد وما أشبه ذلك"[1].

---

[1] هذه العلة جديدة عند الزجاجي لأن النحاة جروا على حمل "إن " على " كان " .

– **العلة الجدلية والنظرية :** وهي ما يهتم به في باب "إنّ" وأخواتها بعد هذا الحكم، مثل أن يقال: فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال فيجاب على ذلك شابهتها في العمل باللفظ الظاهر، ثم يسأل عن أي الأفعال شابهت هذه الحروف الأفعال؟ أي الأفعال الماضية أو المستقبلة أو الحادثة في الحال فيجاب أنها ضارعت الحاضر في الأفعال لأنك تقول: إن زيدا قائم، فهو من جهة الدلالة على الزمن لا يمكن أن يحيل عن الماضي أو المستقبل إذا أخذنا هذا النموذج بعينه، ثم يقال: لماذا شبهتموها بما قدم مفعوله عن فاعله وهو فرع والأصل أن تشبه ما قدم فاعله عن مفعوله لأنه الأصل، فيجاب عن ذلك بأن الثاني لا يستقيم فكأنه قياس على أصل فاسد، فأما المشابهة على التركيب الأولى فهو ما تقدم فيه المفعول عن الفاعل يستقيم معه القياس لأنه من باب قياس الفرع، كما قيست ليس على كان»**(1)**.

«فهذا التقسيم للعلل دفع بالنحاة إلى البحث عن أنواع العلل، فإن كانت الأولى (القسم الأول) علتها علة سماع، فليست الثانية والثالثة دائما تكون علتها علة متشابهة أو علة نظير فمن أهم هذه الأنواع التي اكتسبها النحاة عبر تاريخ الدرس اللّغوي الطويل سجل ما ذكره "السيوطي" في كتابه "الاقتراح" في علم أصول النحو وهي الأنواع التي حصرها في أربعة وعشرين نوع هي: علة سماع،التشبيه الاستغناء، الاستثقال، الفرق، التوكيد، التعويض، النظير، النقيض، الحمل على المعنى، الاختصار التخفيف، الإعلال، الأولى، دلالة الحال، الأشعار، التضاد، التحليل، وحتى يتسنى لهم معرفة هذه الأنواع وجعلها عرفا لغويا أصّلوا ما سموه بمسالك العلة وهي:

---

[1] أبى القاسم الزجاجي ، مرجع سابق ، ص 64 ، 65 ، بتصرف واختصار.

الإجماع النصي، والإيماء، والسبر والتقسيم، والمناسبة والمشابهة، والطرد والغاء الفارق ولما حاولوا تطبيق هذه الأنواع وبحثوا عن مسالكها التي تقود إلى إقرارها وجدوا لهذه العلل قوابح تعود في أصلها إلى تفاوت العقل البشري»[1].

رابعا المدرسة البصرية والكوفية والخلاف:

*** الرواية الشفوية ودور البصرة والكوفة فيها:**

«ظهرت الرواية الشفوية بعدما بدأ اللّغويون يرتادون البادية لمشافهة الأعراب، حيث يأخذون اللغة عن أفواه الذين استوطنوا البادية»[2]

*** الرواية في البصرة:**

«إن أول نحوي بصري حقيقي كما سبق وأن ذكرنا هو "ابن أبي إسحاق" الخضرمي المتوفى (سنة 117 هـ) وليس من تلاميذ "أبي الأسود"، ولكنه من القرّاء، ومن الملاحظ أن جميع نحاة البصرة الذين خلفوه يسلكون في القراء، فتلميذاه "عيسى بن عمر وأبو عمر بن العلاء" وتلميذا" عيسى": "الخليل بن أحمد" و"يونس بن حبيب" كل هؤلاء من القراء، ويكثر "سيبويه" في كتابه من التعرض للقراءات وكأن ما كان بينها من خلافات في الإعراب هو الذي أضرم الرغبة في نفوس قراء البصرة كي يصغوا النحو وقواعده وأصوله، حتى يتبين القارئ مواقع الكلم في آي الذكر الحكيم من الإعراب المضبوط، ومعروف أنه لكي يصاغ علم صياغة دقيقة لا بد له من اطراد قواعده وأن تقوم على الاستقراء الدقيق، وأن يضمن لها التعليل، وأن تصبح

---

[1] عن محاضرة ، قسم الأدب العربي ، السنة الثالثة جامعي ، يوم 2005/05/03.

[2] صالح بلعيد ، **مصادر اللغة** ، ص 49.

كل قاعدة أصلا مضبوطا تقاس عليه الجزئيات قياسا دقيقا، وكل ذلك نهض به "ابن أبي إسحاق" وتلاميذه البصريون»[1].

«ولقد شافه أهل البصرة أعراب البادية للأخذ عنهم، وتعد لغة البادية أوثق نص لغوي وصل العرب وذلك لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ونقلوا عنهم كثيرا من الشاذ والدخيل والمتروك، وهذا يعنى أنهم يأخذون من المجموعة اللّغوية الناطقة بالعربية، وفي محيطها الطبيعي، وهذا يستلزم بالضرورة أن المدونة كانت أمينة وصادقة في تحديدها للحيز المكاني، وتحديد البيئة أمر جدير بالتقدير، وكان الرواة يجمعون ما يسمعون من القبائل المختلفة اللّهجات، فكان من الضروري والبديهي أن يوجد في اللغة الترادف والمشترك والأضداد، وخروج أهل البصرة إلى البادية وجمعهم للمصادر التي يبنون عليها سرح "علم النحو" كان عاملا أساسي في نمو اللغة العربية، وإثراء ألفاظها نظرا لما كان في لهجات القبائل من اختلاف الألفاظ ومدلولاتها، أما علماء البصرة فكانوا عند ما يأخذون عن الأعراب يضعون لهم أسئلة بطريقة خاصة ليمتحنوا سليقتهم، وقد كان جلهم وأغلبيتهم يتشدّد في اختيار ما يصدر عن الشعراء» [2]. "فهم لا يثبتون في كتبهم النحوية إلا ما سمعوه من العرب الفصحاء الذين سلمت فصاحتهم من شوائب التحضر وآفاته"[3]، «وبذلك رسم البصريون خطتهم في النحو بعد أن جعلوا نصب أعينهم الهدف الذي إليه يرمون، وهو عصمة اللسان من الخطأ وتيسير العربية على من يتعلمها من الأعاجم وهم الذين أمعنوا في أحوال

---

[1] شوقي ضيف ، **المدارس النحوية**، ص 18 ، باختصار.

[2] صالح بلعيد ، **مصادر اللغة** ، ص 26، بتصرف واختصار.

[3] شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، ص 159، باختصار.

الكلام العربي، واستنبطوا علله وحكموا فيها المنطق والعقل حتى جاءت قواعدهم في القياس والنحو الذي بني عليها متماسكة متناسقة في الجملة، ولا بد في كل تنسيق من تشذيب يخرج بعض النتوء من الهيكل المشذب، ولم يكن إلى الصواب من عاب عليهم من المحدثين أنهم بتعميم هذه القواعد قد أهدروا شيئا من اللغة، فهم حين يختارون بين اللغتين أشيعهما وأقربهما إلى القياس قد قاموا بخير ما يمكن أن يقوم به من يريد حفظ اللغة، بل نحن أحرى أن نجد عند البصريين المنظمين المنسقين مالا نجده عند غيرهم، فالنظام يحفظ في نسق ما لا يستطيع غيره أن يحفظه» [1]، «وبالإضافة إلى الرحلة إلى البادية، فقد أضاف البصريون إلى ذلك ينبوعا بدويا زحف إلى بلدتهم من بوادي نجد، وهو نفر من الأعراب الكاتبين قدم إلى البصرة واحترف تعليم شبابها الفصحى السليمة وأشعارها وأخبار أهلها، وفي "الفهرست" "لابن النديم" ثبت طويل بأسماء هؤلاء المعلمين من الأعراب الذين وثقهم علماء البصرة وأخذوا عنهم كثيرا من المادة اللغوية والنحوية سجلوها في مصنفاتهم، وهكذا شادت البصرة سرح النحو ورفعت ركائزه وقواعده، بينما كانت الكوفة مشغولة عن ذلك حتى منتصف القرن الثاني للهجرة، وكان القدماء يعرفون ذلك معرفة دقيقة فنصوا عليه بعبارات مختلفة، من ذلك قول "ابن سلام" "وكان لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية"، ويصرح "ابن النديم" في هذا المجال تصريحا أكثر وضوحا إذ يقول في حديثه عن النحاة الكوفة والبصرة: "إنما قدمنا البصريين أولا لأن علم العربية عنهم أخذ» [2].

---

[1] صابر بكر أبو السعود، مرجع سابق، ص 205 ، 206 ، بتصرف واختصار

[2] شوقي ضيف، **المدارس النحوية** ، ص 19 ، 20، بتصرف واختصار.

* **الرواية في الكوفة :** «إن نشوء الكوفة بعيدا عن جزيرة العرب في أصقاع امتد إليها النفوذ الأجنبي وقربها من الحيرة مقر المناذرة» [(1)]، كان له أثره الفعّال في طباعهم وخطة بحثهم ومنهجهم، ضف إلى ذلك "أن الكوفة كانت أدخل في العراق وأقرب إلى الاختلاط بالأعاجم، ولغة إعرابها ليست لها سلامة لغة أعراب البصرة، فأكثرهم يمن وبها قليل من قبائل أخرى، واليمن لا يحتج بلغتها لتغيرها بالاختلاط بالفرس والأحباش، ثم بين الكوفة وجزيرة العرب صحراء السمارة الشاسعة» [(2)]، «وليس معنى ذلك أن أئمة الكوفة لم يكونوا يرحلون إلى هذه القبائل الفصيحة فقد كانوا يكثرون من الرحلة إليها على نحو ما يحدثنا الرواة عن "الكسائي"، فقد قالوا إنه خرج إلى نجد وتهامة والحجاز ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ» [(3)]، ولكن معناه أن الكوفيين وفي مقدمتهم إمامهم "الكسائي" كانوا لا يكتفون بما يأخذون عن فصحاء الأعراب، إذ كانوا يأخذون عمن سكن من العرب في حواضر العراق، وقد حمل البصريون على الكوفيين حملات شعواء حين وجدوهم يتسعون في الرواية على هذه الشاكلة و خصوا "الكسائي" بكثير من هذه الحملات قائلين "إنه كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز، من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات فيجعل ذلك أصلا ويقيس عليه حتى أفسد النحو"، وكان ذلك بدءا لخلاف واسع بين المدرستين فالبصرة تتشدد في فصاحة العربي الذي تأخذ عنه اللغة والشعر، والكوفة تتساهل مما جعل بعض البصريين يفخر

---

[1] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص 138، بتصرف واختصار.
[2] صابر بكر أبو السعود، مرجع سابق ، ص 198 .
[3] إنباه الرواة 258/2 .

على الكوفيين بقوله "نحن نأخذ اللغة عن حرشة (أكلة) الضباب وأكلة اليرابيع (أي البدو الخلص) وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز [1]، وباعة الكواميخ[2] (أي عرب المدن)»[3].

أما فيما يخص القياس، «فلم تكن لهم أصول يبنون عليها غير ما أخذوه عن أساتذتهم البصريين ولم يحسنوه» [4]، إذن فقد «أخذ الكوفيون من البصريين كثيرا من أصول النحو، لكنهم انفردوا بمبادئ تختلف عن البصرة، فعلى حين كان علماء البصرة يهتمون بالقياس ويجعلونه أصلا لدراستهم واستهانوا بالسماع وجعلوه شاذا لا يقاس عليه وكانوا يكثرون من التقدير والتأويل في الصيغ والعبارات، وأدخلوا نظرية العامل في النحو العربي وملخصها: أن كل شيء له مؤثر، فالفاعل لا بد له من فعل، المبتدأ لا بد له من خبر، ولقد التزم الكوفيون بنظرية العامل لكن لم يجعلوها أساسا واختلفوا مع البصريين كثيرا في مسائل العامل، مثل العامل في المبتدأ هل هو الخبر أو الابتداء وكذا العامل في النصب وفي المفعول به، هل هو الفعل أو الفاعل أو هما جميعا» [5]، «ونحن نخلص من ذلك كله إلى أن المدرسة الكوفية توسعت في الرواية وفي القياس توسعا جعل البصرة أصح قياسا منها لأنها لم تقس على الشواذ النادرة في العربية وطلبت في قواعدها الاطراد والعموم والشمول والحق أن المدرسة البصرية كانت أدق حسا من المدرسة الكوفية في الفقه بدقائق العربية وأسرارها فقد تعمقت ظواهرها

---

1 الشواريز :جمع شيراز : وهو اللبن الرائب المصفى.

2 الكواميخ: جمع كامخ، و هو مخلل يشهي الطعام .

3 شوقي ضيف، **المدارس النحوية** ، 159 ، 160 ، باختصار.

4 صابر بكر أبو السعود، مرجع سابق، ص 206.

5 شرف الدين الراجحي، وسامي عياد حنا، مرجع سابق ، ص 79.

وقواعدها النحوية والصرفية تعمقا أتاح لها أن تضع نحوها وضعا سديدا قويما بل لقد بلغ من تعمقها أن أخذت تصحح ما ندّ عن بعض الشعراء عن طريق التأويل والتخريج والتحليل الدقيق البصير، لا على أسس عقلية فحسب، بل أيضا على أسس سليقية، مما سال في فطر عباقرتها من أمثال الخليل واضع العروض و"سيبويه" مشرّع النحو وصائغ قواعده وقوانينه»[(1)].

– أما فيما يخص اللغة فقد «درسها الكوفيون على أساس وصفي أي كما هي بدون تعقيد أو تعليل أو كما وردت عن العرب الفصحاء، وبذلك اهتموا بالرواية والسماع، ورغم أنهم اعترفوا بضرورة القياس لكنهم لم يبالغوا فيه، وكانت حجة الكوفيين نقلية وحجة البصريين عقلية، ونلاحظ أن البصريين بسطوا نفوذهم على النحو العربي منذ نشأته إلى وقتنا الحاضر، إلا أن كثيرا من الباحثين يرون أن الكوفيين أقرب إلى واقع اللغة والمنهج العلمي الصحيح»[(2)]، ومقابل ما قلناه كله فقد «حاول بعض المستشرقين أن يصلوا بين نشوء النحو في البصرة والكوفة والنحو السرياني واليوناني والهندي غير أنه لا يمكن إثبات شيء من ذلك إثباتا علميا وخاصة أن النحو العربي يدور على نظرية العامل وهي لا توجد في أي نحو أجنبي، وكل ما يمكن أن يقال إنه ربما عرف نحاة البصرة الأولون أن لبعض اللّغات الأجنبية نحوا، فحاولوا أن يضعوا نحو للعربية راجعين في ذلك إلى ملكاتهم العقلية التي كانت قد رقيت رقيا كبيرا بتأثير ما وقفوا عليه من الثقافات الأجنبية، وخاصة المنطق اليوناني وذلك نفهم السّر في أن عقل البصرة كان أدق وأعمق من عقل الكوفة، وكان أكثر استعداد لوضع

---

[1] شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، ص 163.

[2] عبده الراجحي، **دروس في المذاهب النحوية**، ص 90، نقلا عن **مبادئ علم اللسانيات الحديث** .

العلوم»[1]، وبالمقابل فقد «أجمع القدماء على أن نحو الكوفيين يشكل مذهبا مستقلا أو كما نقول بلغة العصر مدرسة، والمدرسة الكوفية في النحو لم يتم تشكيلها إلا بآراء الفراء ومقاييسه، وما اعتمده من تفسير لبعض الظواهر اللّغوية، وما وضعه من مصطلحات نحوية خالف بها مصطلحات البصريين مما جعله الإمام الحقيقي لهذه المدرسة وهو ليس بصريا ولا بغداديا إنما هو كوفي، وحقا فقد سبقه في هذه المدرسة أستاذه "الكسائي" ولكن لم يكن له دقة عقله وغور ذهنه، وينبغي أن يستقر في الأذهان أن المدرسة الكوفية لا تباين المدرسة البصرية في الأركان العامة للنحو، فقد بنت نحوها على ما أحكمته البصرة من تلك الأركان التي ظلت إلى اليوم راسخة في النحو العربي، غير أنها مع اعتمادها لتلك الأركان استطاعت أن تشق لنفسها مذهبا نحويا جديدا، له طوابعه وله أسسه ومبادؤه.

وإذا فمن الخطأ أن يرى معاصر "الكسائي" أو "الفراء" يتأثر بالنحو البصري فيظن أنهما ليسا كوفيين وأنهما مقدمة المذهب البغدادي أو المدرسة البغدادية فإن هذا التأثير عندهما وعند جميع أئمة الكوفة شيء طبيعي، ومعنى ذلك أن الصلة بين المدرسة الكوفية والمدرسة البصرية في النحو ظلت قائمة على مدار الزمن، ومن الطبيعي أن نجد دائما عند نحاة الكوفة تأثرات مختلفة بالمذهب البصري ولكنهم استطاعوا أن يتبينوا شخصياتهم إزاءه»[2].

*** أسباب الخلاف بين البصريين والكوفيين:**

---

[1] شوقي ضيف ، **المدارس النحوية** ، ص 21 ، 22.

[2] نفسه، ص 155، 158، 159، بتصرف واختصار.

يذهب "صالح بلعيد" في كتابه "مصادر اللغة" إلى أن بذرة الخلاف بين هاتين المدرستين يعود إلى النزعة السياسية التي نشأت منذ هبط "الإمام علي" (كرم الله وجهه) الكوفة، واتخذها مقرا لخلافته إذ عرف أهلها بأنهم أميل إلى الطاعة، وأن أهل العراق عرفوا بالعصيان والشقاق والعصبية، ومنذ موقعة الجمل التي قدمت إليها عائشة (رضي الله عنها) طلبا لثأر "عثمان" (رضي الله عنه) فأصبحت البصرة عثمانية والكوفة علوية، وازداد تعاقب الاختلاف بتعاقب الأيام، حتى أصبح التفاخر بالموقع، والماء، والهواء والعلماء، وجاءت دولة بني أمية فناصرتها البصرة، بينما كظمت الكوفة تبرمها تحت قسوة الأمويين وقامت الدولة العباسية، إلا أن هذا الرأي في اعتبار السياسة هي سبب الخلاف يعتبر «رأي سطحي لا يثبت عند التدقيق: فأهل النظر والتمعن والحكمة في كل تفن تتباين أنظارهم كثيرا دون أن يكون لفعل السياسة أو غيرها في ذلك دخل، وإنما هو الاجتهاد المحض، وهؤلاء أئمة البصريين يختلفون – فيما بينهم – اتجاها واجتهادا في مسائل عديدة من مسائلهم، نعم ربما كان للسياسة اثر ما في ميل الأمراء العباسيين إلى الكوفيين، لكن هذا شيء وتوجيه الفن إلى اتجاه شيء آخر»[1]، وتجدر الإشارة إلى أن هناك «عوامل طبيعية تدخل في طبيعة الناس، فكما يختلفون في الشكل واللون واللغة فإنهم يختلفون في طريقة التفكير والقدرة على الاستيعاب والفهم والاستنباط والحفظ وعليه فبديهي جدا أن يختلفوا فيما يصدر عنهم من علوم، ضف إلى ذلك أن الإنسان جبل على حب الغلبة خاصة أمام الناس، فلو تناقش اثنان في مسألة بعيدا عن الناس فقد يتفقان وقد يخضع أحدهما لوجهة نظر الآخر، أما لو كانت هذه المناقشة أمام الآخرين فلا يتفقان إلا من رحم ربك، وهناك عامل آخر تسبب في الخلاف هو تدخل

---

[1] سعيد الأفغاني ، مرجع سابق ، ص 215 ، بتصرف واختصار.

الحكام العباسيين بين الفريقين، ومناصرة فريق على الفريق الآخر، وأوضح شاهد على ذلك ما فعله "يحي بن خالد" فقد جمع بين "سيبويه" إمام البصريين وبين "الكسائي" غمام الكوفيين ودارت بينهما المناظرة البغيضة حول المسألة الزنبورية التي سيأتي الكلام عنها إن شاء الله، وإلى جانب العصبية للبلد، فإن اختلاف المنهج الذي نهجه كل من الفريقين في الأخذ عن العرب كان من بين الأسباب الأساسية لاختلاف هؤلاء» (1)، وهناك عامل وسبب رئيسي تجدر الإشارة إليه وهو تفوق تلاميذ كل من المدرستين «فقد كان الأخفش الأوسط أكبر أئمة النحو البصريين بعد "سيبويه"، فإنه كان عالما بلغات العرب وكان ثاقب الذهن حاد الذكاء، فخالف أستاذه "سيبويه" في كثير من المسائل،وحمل ذلك عنه الكوفيون ومضو يتسعون فيه فتكونت مدرستهم»(2).

* **بعض مسائل الخلاف :** تعددت مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، وكلها تجتمع تحت راية العلم والاستفادة منه.

– **القول في تقديم الخبر على المبتدأ:** «ذهب الكوفيين إلى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه، مفردا كان أو جملة، (فالمفرد) نحو "قائم زيد"، و"ذاهب عمرو" والجملة نحو "أبوه قائم زيد"، و"أخوه ذاهب عمرو"، وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه المفرد والجملة، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا إنما قلنا إنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه مفردا كان أو جملة لأنه يؤدي إلى أن تقدم ضمير الاسم على ظاهره، ألا ترى أنك إذا قلت "قائم زيد" كان في قائم ضمير زيد؟ وكذلك إذا قلت "أبوه

---

[1] محمد حسنين صبرة ، **ثمرة الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين** (القاهرة : دار غريب للطباعة و النشر) ص 05 ، 06 ، 07 ، 09 ، بتصرف واختصار.

[2] شوقي ضيف ، **المدارس النحوية** ، ص 95 .

قائم زيد" كانت الهاء في أبوه ضمير زيد فقد تقدم ضمير الاسم على ظاهره، ولا خلاف أن رتبة ضمير الاسم بعد ظاهره فوجب أن يجوز تقديمه عليه، أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما جوّزنا ذلك لأنه قد جاء كثيرا في كلام العرب وأشعارهم، فأما ما جاء من ذلك في كلامهم فقولهم في المثل: "في بيته يؤتى الحكم" وقولهم "في أكفانه لفّ الميت" و"مشنوء من يشنوّك" وحكى "سيبويه" "تميميّ أنا" فقد تقدم الضمير في هذه المواضع كلها على الظاهر، لأنه التقدير فيها: الحكم يؤتى في بيته، والميت لف في أكفانه، ومن يشنؤك مشنوء، وأنا تميميّ وأما ما جاء من ذلك في أشعارهم فنحو ما قال الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا *** بنوهن أبناء الرجال الأباعد.

ويروى "الأكارم" وتقديره *** بنو أبنائنا بنونا»[1].

- القول في معاني الحروف:

«يروى البصريون أن معاني الحروف لا تتعدد، ولا يقولون بنيابة بعض الحروف عن بعض قياسا كما لا تنوب حروف الجزم عن حروف النصب، فليس للحرف عندهم وضعا إلا معنى واحد، فإذا جاء ما يخرج عن ذلك من تعدد معاني الحرف فينقل الحرف من معناه الأصلي إلى المعنى الجديد عن طريق الاستعارة التبعية، أو يضمن الفعل الواقع في الجملة – أو ما يقوم مقامه – معنى فعل آخر يتعدى بالحرف بمعناه الأصلي إذا كان لا يستساغ بلاغة إجراء الاستعارة فيه، مع وجود علاقة مقبولة، ووجود قرينة يؤمن معها اللبس، وتتحقق العلاقة بوجود مناسبة بين المعنى الأصلي

---

[1] كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، ومعه كتاب **الانتصاف من الإنصاف** تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، الجزء الأول (مصر: المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي)، ص 65 ، 66 ، المسألة التاسعة ،باختصار.

والمعنى المجازي، ولا يجوز في ذلك أن تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد: معه مثلا ولا: رويت الحديث بزيد وأنت تريد عنه، ولا بد من وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس كحرف الجر الذي يتعدى به الفعل ولم يكن في حقه أن يتعدى به، أما إذا لم يؤمن اللبس بل أمكن أن يراد المعنى الحقيقي للفعل، فليس من التضمين، بل من سوق المعنى الحقيقي.

فإذا لم يكن أحد هذين الأمرين (الاستعارة في الحرف أو تضمين الفعل) عدى استعمال الحرف في غير معناه شذوذا، ويرى الكوفيين أن الحروف ينوب بعضها عن بعض قياسا، فلا حاجة لهم بما يسمى التضمين- عند البصريين- فالحرف عند الكوفيين موضوع لأكثر من معنى واحد وضعا لغويا، وعلى ذلك نجد بعض الحروف تستخدم في غير معانيها الأصلية وبمعنى بعض الحروف الأخرى من أخواتها»(1).

***القول في أصل الاشتقاق (الفعل أم المصدر):**

«إن الخلاف واقعا في اشتقاق الفعل من المصدر، أو المصدر من الفعل وحدّ الاشتقاق لما عرفه "العكبري" اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريف الأصل"، والأصل يراد به الحروف الموضوعة على المعنى وضعا أوليا، والفرع لفظ يوجد فيه تلك الحروف مع تغيير ينظم إليه معنى زائد على الأصل، وأما مسألة الخلاف في هذا الموضوع، فإن الكوفيين قد ذهبوا إلى أن المصدر مشتق من الفعل، وفرع عليه نحو ضرب ضربا، وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه، وقد نصّ "سيبويه" على اشتقاق الفعل من المصدر، وهو قوله في الباب الأول" أما الأفعال

---

[1] عبد الغفار حامد هلال، **علم الدلالة اللغوية** ، ص 141 ، 142.

فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الاسماء، وبنيت لما مضى ولما هو كائن ولما سيكون، وهذه حجج الطرفين، رأى الكوفيون أن الفعل هو أصل المصدر وفقا لما يلي:

- المصدر مشتق من الفعل لأنه يصح لصحته، كقوله (قاوم قواما) ويعتل لاعتلاله، كقولنا قام قياما وهذا يدل على أنه فرع عليه.

- الفعل يعمل في المصدر، ورتبة العامل قبل المعمول كأن تقول (ضرب ضربا)، فوجب أن يكون المصدر فرعا للفعل.

ويذكر المصدر تأكيدا للفعل، ورتبة المؤكّد قبل رتبة المؤكد، مما يدل على أنّ الفعل أصل والمصدر فرع عليه، ويؤّيد هذا وجود أفعال لا مصادر لها وهي نعم وبئس وعسى وليس، وفعل التعجب فلو كان المصدر هو الأصل لما خلا عن هذه الأفعال لاستحالة وجود الفرع من غير أصل.

- المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل، والفاعل وضع له فعل، ويفعل، فينبغي أن يكون الفعل الذي يعرف به المصدر أصلا للمصدر.

لا يجوز أن يقال (إنّ المصدر إنّما سمي مصدرا لصدور الفعل عنه، كما قالوا للموضع الذي تصدر عنه الإبل مصدرا لصدورها عنه)، بل سمي مصدرا لأنه مصدور عن الفعل، كما قالوا (مركب فاره ومشرب عذب) أي مركوب فاره، ومشروب عذب، والمراد به المفعول لا الموضع»[(1)].

وأما حجج البصريون فهي:

---

[1] صالح بلعيد ، **مصادر اللغة** ، ص 55 ، 56.

«الدليل على أن المصدر أصل للفعل أن المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيد، فكذلك المصدر أصل للفعل.

وبيان ذلك أنهم لما أرادوا استعمال المصدر وجدوه يشترك في الأزمنة كلها، لا اختصاص له بزمان دون زمان، فلما لم يتعين لهم زمان حدوثه لعدم اختصاصه اشتقوا له من لفظه أمثلة تدل على تعين الأزمنة ولهذا كانت الأفعال ثلاثة: ماض، وحاضر، ومستقبل،لأن الأزمنة ثلاثة ليختص كل فعل منها بزمان من الأزمنة الثلاثة، فدل على أن المصدر أصل للفعل.

ف الدليل على أن المصدر هو الأصل أن المصدر اسم، والاسم يقوم بنفسه يستغنى عن الفعل، أما الفعل فإنه لا يقوم بنفسه ويفتقر إلى الاسم، وما يستغنى بنفسه ولا يفتقر إلى غيره أولى بأن يكون أصلا مما لا يقوم بنفسه ويفتقر إلى غيره .

– الدليل على أن المصدر هو الأصل أن الفعل بصيغته يدل على شيئين: الحدث، الزمان المحصل والمصدر يدل بصيغته على شيء واحد وهو الحدث، وكما أن الواحد أصل الاثنين فكذلك المصدر أصل الفعل.

– الدليل على أن المصدر هو الأصل أن المصدر له مثال واحد نحو الضرب والقتل، والفعل له أمثلة مختلفة، كما أن الذهب نوع واحد، وما يوجد منه أنواع وصور مختلفة.

– الدليل على أن المصدر هو الأصل أن الفعل بصيغته يدل على ما يدل عليه المصدر، والمصدر لا يدل على ما يدل عليه الفعل، ألا ترى أن "ضرب" يدل على ما يدل عليه الضّرب، والضرب لا يدل عليه " ضرب"، وإذا كان كذلك دلّ على أن المصدر أصل، والفعل فرع، لأن الفرع لا بد أن

يكون فيه الأصل، وصار هذا كما تقول في الآنية المصوغة من الفضة فإنها تدلّ على الفضة والفضة لا تدل على الآنية، وكما أن الآنية المصوغة من الفضة فرع عليها ومأخوذة منها فكذلك هاهنا، الفعل فرع على المصدر ومأخوذ منه»[1].

*** مسألة سوف:**

«ذهب الكوفيون إلى أن السين التي تدخل على الفعل المستقبل نحو "سأفعل"، أصلها "سوف".

وذهب البصريون إلى أنها أصل بنفسها، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأن سوف كثر استعمالها في كلامهم وجريها على ألسنتهم، وهم أبدا يحذفون لكثرة الاستعمال كقولهم (لا أدر، ولم أبل ولم يك، وخذ، وكل) وأشباه ذلك، والأصل: "لا أدري، ولم أبال، ولم يكن، وأخذ، وأكل " فحذفوا في هذه المواضع وما أشبهها لكثرة الاستعمال فكذلك هاهنا:

لما كثر استعمال (سوف) في كلامهم حذفوا منها الواو، والفاء تخفيفا، والذي يدل على ذلك أنه قد صح عن العرب أنهم قالوا في (سوف أفعل)، (سوافعل) فحذفوا الفاء، ومنهم من قال (سف افعل) فحذف الواو، وإذا جاز أن يحذف الواو تارة والفاء أخرى لكثرة الاستعمال جاز أن يجمع بينهما في الحذف مع تطرق الحذف إليهما في اللّغتين لكثرة الاستعمال، والذي يدل على ذلك أن السين تدل على ما تدل عليه سوف من الاستقبال فلما شابهتها في اللفظ والمعنى دل على أنها مأخوذة منها وفرع عليها، وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأن الأصل في كل حرف يدل على معنى

---

[1] كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، مرجع سابق،ص237، 238، (المسألة الثامنة والعشرون).

ألا يدخله الحذف وأن يكون أصلا في نفسه، والسين حرف يدل على معنى، فينبغي أن يكون أصلا في نفسه، لا مأخوذا من غيره.

وأن الجواب عن كلمات الكوفيين:

أما قولهم «إن (سوف) لما كثر استعمالها في كلامهم حذفوا الواو والفاء لكثرة الاستعمال "قلنا هذا فاسد، فإن الحذف لكثرة الاستعمال ليس بقياس ليجعل أصلا لمحل الخلاف، على أن الحذف لو وجد كثيرا في غير الحرف من الاسم والفعل فقلما يوجد في الحرف، وإن وجد الحذف في حرف في بعض المواضع فهو على خلاف القياس، فلا يجعل أصلا "يقاس عليه»[1].

*** نتائج الخلاف و ثماره:**

نتج عن الخلاف بين البصريين والكوفيين العديد من الثمار منها السيئة ومنها الثمار الطيبة وسنبدأ أولا بـ:

«*الثمار السيئة لهذا الخلاف:

تغيير الرايات وكثرتها: كان لتغيير الروايات وكثرتها أسباب كثيرة، منها الرواة غير الموثوق بروايتهم كخلف الأحمر وحماد الرواية، ومنها ميل العرب إلى المعنى يجعلونه أساسا، ولهذا نجدهم في نقل الآثار قد يضعون لفظا مكان لفظ آخر، وقد يروون الأثر بالمعنى، وبناء على ذلك لا يبعد أن تند كلمة أو عبارة في قصيدة فيضع الراوي مكانها ما يناسب السياق ويتمم المعنى.

---

[1] صابر بكر أبو السعود ، مرجع سابق ، ص 214.

كثرة الآراء: كانت كثرة الآراء النحوية نتيجة للخلاف بين المدرستين البصرة والكوفة، فقد كان صاحب الإنصاف حريصا على تسجيل جميع آراء البصريين والكوفيين، بل كان يسجل آراء مختلفة في المدرسة الواحدة، فقد سجل آراء مختلفة "للخليل" و"عيسى بن عمر" و"يونس" و"سيبويه" و"الأخفش" من البصريين، وسجل آراء مختلفة "للكسائي" و"الفراء" من الكوفيين، وليس صاحب الإنصاف هو الذي حرص وحده على تسجيل الآراء، بل نجدها عند "ابن مالك" وآخرون، حتى تناقضت هذه الآراء وتعارضت.

كثرة التقدير والتخريج: كثرة التقدير والتخريج في كتب النحو، وكتب الخلاف، وذلك نتيجة التمسك بالرأي، ومحاولة إبطال حجة الطرف الآخر، والذي ساعد على ذلك مرونة اللّغة العربية.

التوسع في الايجازة: إن المطلع على مسائل الخلاف في كتاب الإنصاف أو في كتاب "سيبويه" أوفي كتب النحو يجد في أكثر المسائل أن البصريين يمنعون وأن الكوفيين يجيزون من ذلك أن الكوفيين أجازوا جمع الاسم الذي في آخره تاء التأنيث بالواو والنون إذا سميت به رجلا ومنع ذلك البصريون"[1].

المبالغة في الصناعة: بالغ النحويون البصريون والكوفيون في صناعة النحو، وبعدوا في خلافاتهم عن الواقع اللّغوي للمتكلمين، وذلك لمعرفة بعضهم بالمنطق "الأرسطي"، ولأن بعضهم كان يعرف الفلسفة وعلم الكلام[2]، ويظهر بعدهم عن الواقع اللغوي والإغراق في الصنعة من

[1] **الإنصاف** ، المسألة 4.
[2] انظر **القياس في النحو العربي** للدكتور صابر بكر أبو السعود ، ص 159 ، 199.

احتكامهم كثيرا للقياس، وإن المتصفح لكتاب الإنصاف يرى صدق ما نقول: ومن ذلك اختلاف في أولى العاملين بالعمل في التنازع، فقال الكوفيون الفعل الأول أولى، واحتجوا بالقياس قائلين: إن الفعل الأول أولى لسبقه وقوة الابتداء به، ولأنه لا يجوز إلغاء "ظننت" إذا تقدمت، وكذلك "كان"، وقال البصريون الفعل الثاني أولى لقربه والذي يدل على أن للقرب أثر أنهم قالوا "جحر ضب خرب" فأجروا خرب على ضب، وهو في الحقيقة صفة للجحر، لأن الضب لا يوصف بالخراب، فهاهنا أولى[1].

وبالإضافة إلى ما ذكرنا من نتائج وثمار سيئة، فقد أدى الخلاف إلى تضخم كتب النحو، وصعوبة النحو نفسه، ضف إلى ذلك عدم الأخذ بالقراءات، والبلبلة التي تحدث في عقول المتعلمين وعلى ألسنتهم نتيجة كثرة الآراء و تعارضها، فإن متوسطي الثقافة لا يستطيعون أن ينقلوا رأيا من الآراء

ومن هنا يقعون في التشويش والحيرة، وهناك نتيجة سيئة أخرى تجدر الإشارة إليها وهي التحامل على فريق لصالح الفريق الآخر، فقد تحامل بعض القدماء وبعض المحدثين على الكوفيين لصالح البصريين، أما القدماء منهم "ابن الأنباري" رغم أنه قال في مقدمة كتابه "واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف لا التعصب والإسراف مستجيرا بالله، مستخيرا له فيما قصدت إليه"، ومن مظاهر تحامله أنه لم يؤيد الكوفيين إلا في سبع مسائل من مجموع المسائل التي اختلفوا فيها، وهذه المسائل هي:

المسألة 10: (اختلافهم في العامل في الاسم المرفوع بعد "لولا").

---

[1] **الإنصاف** ، المسألة 13.

المسألة 18: (في تقديم خبر ليس عليها).

المسألة 26: (في لام لعل الأولى، زائدة أو أصلية).

المسألة 70: (في منع صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر).

المسألة 97: (في هل يقال: لولاي ولولاك، وموضع الضمائر).

المسألة 101: (في مراتب المعارف).

المسألة 106: (هل يوقف بنقل الحركة على المنصوب المحلي "بأل" الساكن ما قبل آخره)

– ومن الذين تحاملوا على الكوفيين "العكبري"، ففي كتابه "التبيين" لم يؤيد الكوفيين إلا في مسألة واحدة هي:

المسألة 55: (زيادة اللام الأولى في "لعل").

ومن الذين تحاملوا على الكوفيين الدكتور "شوقي ضيف" في كتابه "المدارس النحوية" وإن الصواب أن لا نتحامل على فريق ضد – الفريق الآخر وإنما نكون موضوعيين»[1].

«وقد فعل ذلك من المحدثين الشيخ "علي طنطاوي" فقد وازن بين المذهبين وفضل مذهب البصريين ولكنه أنصف الكوفيين قائلا: لكنا بعد ذا لا نقصد رمي هذا المذهب بالضعف في كل قواعده وإلا كان تجنيا عليه، فقد ظهر عند الموازنة بين المذهبين فيما اختلفا فيه تفضيله في مسائل ذات بال والحق أحق أن يتبع"، إضافة إلى النتائج التي ذكرنا فقد نتج عن الخلاف بين المدرستين تغيير بعض المصطلحات، وضف إلى ذلك غبن العلماء"[2]، «وتجسد غبن العلماء في أول خلاف بين "سيبويه" و"الكسائي"

---

[1] صابر بكر أبو السعود، ص13، 19، 20، 30، 32، 36، 41، 44، 47، بتصرف واختصار.

[2] نفسه، ص 49، بتصرف واختصار.

في المسألة الزنبورية، وهو خير مثال على المساس بالعلماء، فكان "الكسائي" لا يتحرج من الأخذ والسماع من العرب غير الفصحاء، ويقيس على كلامهم بعكس "سيبويه" ومنهجيه المتشدّد في القياس والسّماع» [(1)]،

«قال "الفراء": "قدم "سيبويه" على البرامكة فعزم "يحي بن خالد" أن يجمع بينه وبين الكسائي، وجعل لذلك يوما فلما حضر تقدمت و"ابن الأحمر" [(2)]، فدخل فإذا بمثال في صدر المجلس فقعد عليه يحي، وقعد إلى جانب المثال "جعفر" و"الفضل" ومن حضر بحضورهم، وحضر "سيبويه" فأقبل عليه "الأحمر" فسأله عن مسألة فأجابه فيها "سيبويه" فقال له "أخطأت" ثم سأله عن ثانية وثالثة كل دلك يقول له "أخطأت".

فقال "سيبويه": "هذا سوء أدب"، فأقبلت عليه فقلت: "إن في هذا الرجل حدة وعجلة، ولكن ما تقوم فيمن قال: "هؤلاء أبون، ومررت بأبين"، كيف تقول على مثال ذلك من (رأيت) أو (أويت)، فأجاب فأخطأ فقلت له "أعد النظر... ثلاث مرات تجيب ولا تصيب... فلما كثر عليه ذلك قال: (لست أكلمكما أو يحصر صاحبكما حتى أناظره).

فحضر "الكسائي" فأقبل على "سيبويه" فقال: "أتسألني أم أسألك؟"

فقال: "بل سلني أنت"، فقال له "الكسائي": "كيف تقول: قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزمبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟ فقال "سيبويه": (فإذا هو هي) ، ولا يجوز النصب، فقال له "الكسائي": "لحنت"، ثم سأله عن مسائل في هذا النوع (خرجت فإذا "عبد الله" القائم، أو(القائم)؟ فقال "سيبويه" في ذلك كله بالرفع دون النصب، فقال "الكسائي": "ليس هذا

---

[1] صالح بلعيد ، **مصادر اللغة** ، ص 52 ، بتصرف واختصار.

[2] هو علي بن الحسن الأحمر، تلميذ الكسائي و خليفته في تعليم أولاد الرشيد.

من كلام العرب، العرب ترفع في ذلك كله وتنصب"، فدفع "سيبويه" قوله، فقال "يحي بن خالد": "قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فماذا يحكم بينكما؟ فقال له "الكسائي": "هذه العرب في بابك قد جمعتهم من كل أوب ووفدت عليك من كل صقع وهم فصحاء الناس، وقد تقنع بهم أهل المصرين وسمع أهل الكوفة

وأهل البصرة منهم، فيحضرون ويسألون، فقال "يحي وجعفر": "قد أنصفت، فأمر بإحضارهم فدخلوا فهم: "أبو فقعس" و"أبو دثار" و"أبو الجراح" و"أبو ثروان" فسئلوا عن المسائل التي جرت بين "الكسائي" و"سيبويه" فتابعوا "الكسائي" وقالوا بقوله، فأقبل يحي على "سيبويه" ه فقال: "قد تسمع أيها الرجل" فاستكان "سيبويه"، ولم يختلف البصريون حتى اليوم في أن القول ما قال "سيبويه" وأن الموضع ليس بموضع نصب، وأن هؤلاء الأعراب أعراب الحطمية الذين كان "الكسائي" يقوم بهم ويأخذ عنهم، ثم جاء "ثعلب" فاحتال وجها للنصب فقال: "وإنما أدخل الفاء في قوله (فإذا هر إياها)، لأن (فإذا) مفاجأة أي (فوجدته ورأيته)، و(وجدت ورأيت)، ينصب شيئين ويكون معه خبر فلذلك نصبت العرب"، قلت: وهو وجه غير صحيح ولو صح أن (فاذا = وجدت) لوجب أن يقال (فإذا إياه إياها) ولم يدّع ذلك حتى الكوفيون» [(1)]، «والذي يدل على غبن "سيبويه" في هذه المسألة، أنه يقال أنهم أرشو على موافقة الكسائي، أو أنهم علموا منزلة الكسائي عند "الرشيد" فوافقوا "الكسائي" وأن رأي "سيبويه" فإذا هو هي، هو الصواب كما ذكرنا، ويقول الله تعالى: (فإذا هي بيضاء)، ويقول (فإذا هي حية)» [(2)].

---

[1] صابر بكر أبو السعود ، مرجع سابق ، ص 180 ، 181 ، 182 .

[2] محمد حسنين صبرة ، مرجع سابق ، ص 56 ، بتصرف واختصار

*** الثمار الطيبة لهذا الخلاف:**

لم يكن الخلاف بين البصريين والكوفيين شرا كله، وإنما كانت هناك بعض النتائج الطيبة وهي باختصار فيما يلي:

– اكتمال صرح النحو والصرف، وكان هذا على يد "سيبويه" و"الكسائي"، ثم من جاء بعدهم من علماء البصرة والكوفة.

– تخريج نحاة آخرين وتيسير النحو.

– توسيع القواعد وزيادة بعض التراكيب.

– زيادة بعض الأدوات وزيادة وجوه اعرابية»[(1)].

*** أثر المدرستين في علم النحو العربي:**

«إن النخبة من علماء البصرة والكوفة الذين ظهروا، في أوائل القرن الثاني للهجرة كانوا مؤسسي القواعد النحوية للغة العربية دفعتهم الحاجة العلمية، والغيرة على تفشي اللحن في القرآن الكريم من جهة، ومن جهة أخرى ظهور النضج والوعي العقلي العربي الذي توفر لديهم لوضع قوانين وأسس للغة تتبع، كانت البصرة هي التي وضعت هذه القوانين، ثم لحقتها الكوفة، ويجمع كثير من النقاد والعلماء والدارسين للنحو أن الخلاف لم يكن يدور حول المسائل أو الأركان الأساسية للنحو التي أجمع عليها الطرفان وإنما حول بعض العوامل والمعمولات يدفعهم التنافس والحماس، وتشجيع الأمراء والخلفاء والمتعصبين لكل فريق منهما، وفي نفس الوقت يدل على ما كان يتمتّع به أولئك العلماء من نضج عقلي ووعي، وكان نتيجة هذا ظهور مؤلفات في علوم اللّغة العربية»[(2)].

---

[1] نفس المرجع السابق ، ص 59، 63 ، 56 ، 68 ، 73 ، 75 ، 79 ، بتصرف واختصار.

[2] صالح بلعيد ، مرجع سابق ، ص 60 ، بتصرف واختصار.

ويستلزم مما سبق ذكره أن الخلاف بين المدرستين لم يكن في الأصول وإنما كان في الفروع، وكان الدافع إلى هذا الخلاف هو التنافس العلمي كما ذكرنا ولو لم يكن كذلك لما كانت النتائج عظيمة حيث اكتمل صرح النحو وأصبح علما قائما بذاته، فقد كان علماء البصرة والكوفة ينظرون في آراء بعضهم البعض ويتمعنون فيها النظر والدرس ويقدرونها حق قدرها، «وحسبك أن تعلم أن "الفراء" مات وتحت رأسه كتاب "سيبويه"، عليه وأن "الكسائي" وهب "للأخفش" خمسين دينارا لقراءته كتاب سيبويه عليه وأنه "سلخ كتابه في معاني القرآن من كتاب الأخفش"، وأن "الجاحظ" لما عدد مفاخر البصرة على الكوفة قال: "وهؤلاء يأتونكم بفلان وفلان وبسيبويه الذي اعتمدتم على كتبه وحجدتم فضله" ولما اشترى "الجاحظ" كتاب "سيبويه" من ميراث "الفراء" رآه أثمن ما يهدى إلى "محمد بن عبد الملك الزيات"، فلما دخل عليه وقد افتصد سأله: "ما أهديت لي يا أبا عثمان؟

"قال:" أطرف شيء كتاب "سيبويه" بخط "الكسائي" و"عرض الفراء!!"... إلى غير ذلك»[1].

---

[1] سعيد الأفغاني، مرجع سابق ، ص 216 ، بتصرف واختصار.

الفصل الثالث

علم الصّرف

أولا : الصّرف .

ثانيا: ظواهر التبدل الصوتي (الإعلال والإبدال والإدغام والحذف والقلب)

ثالثا : الاشتقاق .

تمهيد:

إن علم الصّرف علم من علوم اللّغة العربية الرئيسية والمهمة، ذلك أنه يهتم ببنية الكلمة وعليه فكل العلوم الأخرى تترتب عليه، ومدى دقته وتشخيصه للكلمة على اعتبارها لبّ العملية الكلامية ومحور الدرس الصوتي.

وعلى هذا الأساس كان الصّرف جدير بالاهتمام والدرس والتمعن حتى تكون دراستنا النحوية والمعجمية والبلاغية والدلالية والصوتية دراسة منهجية أكاديمية دقيقة جديرة بالنظر والفحص.

أولا: الصرف

– ما هو علم الصرف ؟

– حد الصّرف:

«الصّرف لغة معناه التغيير، ومنه (تصريف الرياح)، أي تغييرها

والصرف اصطلاحا: هو: تغيير في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي ويراد ببنية الكلمة هيئتها أو صورتها الملحوظة من حيث حركتها وسكونها وعدد حروفها، وترتيب هذه الحروف، فالتغيير الذي يطرأ على بنية الكلمة لغرض معنوي هو كتغيير المفرد إلى التثنية والجمع، وتغيير المصدر إلى الفعل والوصف المشتق منه كاسم الفاعل واسم المفعول، وكتغيير الاسم بتصغيره أو النسب إليه، أما التغيير في بنية الكلمة لغرض لفظي، فيكون بزيادة حرف أو أكثر عليها أو بحذف حرف أو أكثر منها، أو بإبدال حرف من حرف آخر، أو بقلب حرف علة إلى حرف علة آخر، أو بنقل حرف أصلي من مكانه في الكلمة إلى مكان آخر، أو بإدغام حرف في حرف آخر، ولهذين الغرضين، المعنوي واللفظي، أحكام كالصحة والإعلال،

فالصرف أو التصريف إذن: هو العلم بأحكام بنية الكلمة بما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك، وإذا كان علم النحو هو العلم الذي يبحث في التغييرات التي تطرأ على أواخر الكلمات وأحوالها المتنقلة» [(1)]، فإن الصرف بمفهومه الاصطلاحي «هو ذلك الفرع من علم اللّغة الذي يدرس تركيب المفردات اللّغوية وكيفية بنائها وأنواعها المختلفة، ولذلك فهو يختلف عن علم النحو الذي يبحث في بناء الجملة وأنواعها ووظائف المفردات فيها، وهو العلم الذي يبين لنا أن كلمة حصان اسم وكلمة يركض فعل وكلمة "في" حرف.

ودراستنا لعلم الصرف هي التي تدلنا على أن المفردات: كتاب، كاتب، مكتب، مكتبة، مكتوب، استكتاب ومكاتبة....، مشتقة من جذر واحد وتشترك في المعنى الأساسي لهذا الجذر وهو كتب، أي أن علم الصرف يوضح لنا العلاقة البنيوية بين المفردات، ومن الأسئلة التي نحاول الإجابة عنها من خلال دراستنا لعلم الصّرف ما يلي:

- ما هي الكلمة؟.
- ماذا تعني معرفتنا بالكلمة؟.
- كيف تبنى الكلمة؟.
- كيف تبنى الكلمات المعقدة من أجزاء اصغر منها؟.
- ما هي وحدات البناء الأساسية في الكلمة؟.
- ما هي أقسام الكلام؟» [(2)].

---

[1] عبد العزيز عتيق ، مرجع سابق، ص 07 ، 08 ، باختصار.

[2] شحدة فارع ((وآخرون))، **مقدمة في اللغويات المعاصرة** (دار وائل للنشر) ص 107، 108، باختصار.

إن هذه التساؤلات مجرد أمثلة على القضايا التي يحاول علماء اللّغة الإجابة عنها، وسنحاول الإجابة عن بعضها.

- ما هي الكلمة؟ الكلمة هي اللفظة المفردة، وأنواعها: اسم وفعل وحرف.

الاسم: هو ما دلّ على معنى في نفسه غير مقترن بزمان، مثل: زيد، رجل، باب، غفران...إلخ، ومن علاماته أن يقبل الإسناد إليه، فالتاء من (كتبت) اسم كسائر الاسماء، وكذا الألف من (كتبا)، والواو من (كتبوا)، ومن علاماته أن يقبل (الـ) مثل: الباب، الماء، أو أن يقبل التنوين مثل: (رجل، صه) أو حرف النداء، مثل: (يا أيها) أو حرف الجر، مثل: إلام تهاونك؟.

الفعل: هو ما دل على معنى في نفسه مقترن بزمان، مثل: جاء، يقوم، عد، وعلامته أن يقبل (قد)، أو السين، أو (سوف)، أو تاء التأنيث الساكنة أو ضمير الرفع، أو نون التوكيد، مثل: (قد قام – سيقوم– سوف يقوم – قامت – قومي– لتقومنّ).

الحرف: هو ما دل على معنى في غيره، مثل (هل – في– بل – من – إلى–... إلخ، وعلامته أن لا يقبل شيئا من علامات الاسم والفعل، وينقسم الحرف إلى:

- مختص بالفعل، كحروف الشرط والنصب والجزم.
- مختص بالاسم: كحروف الجر.
- ومشترك بين الاسم والفعل، كحرف العطف والاستفهام»[1]

---

[1] محمد الأنطاكي، **المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها**، الجزء الأول، الطبعة الثالثة(بيروت: دار الشرق العربي) ص 141، 142.

علاقة النحو بالصرف:

«يرى بعض العلماء أن الصرف جزء من النحو لا علم مستقل بذاته وعلى هذا يقال: النحو قواعد يعرف بها صيغ الكلمات العربية وأحوالها حين افراد، وحين تركيبها، فمعرفة صيغ الكلمات كما يقال: اسم الفاعل من الثلاثي بزنه فاعل واسم المفعول بزنه مفعول إلى غير ذلك، ومعرفة أحوالها حين الإفراد كطريق التثنية والجمع والتصغير والنسب ومعرفة أحوالها حين التركيب كرفع الاسم إذا كان فاعلا ونصبه إذا كان مفعولا، وجره إذا كان مضافا إليه إلى غير ذلك، ويرى قوم أن النحو والصرف علمان مستقلان – فيخصّون النحو بالقواعد التي يعرف بها أحوال الكلمات العربية من إعراب وبناء ويخصون الصرف بالقواعد التي يعرف بها صيغ الكلمات المفردة وأحوالها مما ليس بإعراب ولا بناء، ومن هذا يتضح أن النحو يبحث عن الكلمات وهي مركبة جملا فيبين ما يجب أن تكون عليه أواخرها من رفع أو نصب أو جر أو جزم، أو بقاء على حالة واحدة.

وأما الصرف فيبحث عن الكلمات وهي مفردة، فيبين ما لأحرفها من أصالة وزيادة، وصحة وإعلال وحذف، وما يطرأ عليها من تغيرات»[(1)].

ما بين التصريف والاشتقاق والنحو واللغة:

«ولعل "ابن جني" هو خير من أوضح الصلة التي تجمع بين التصريف والاشتقاق والنحو واللغة، فقد عقد لذلك فصلا في كتابه "المنصف" ننقله هنا، قال: "وينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسبا قريبا واتصالا شديدا، لأن التصريف إنما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى،

---

[1] أحمد الهاشمي، مرجع سابق، ص 06.

مثال ذلك أن تأتي إلى "ضرب" فتبنى منه مثل "جعفر"، فتقول: "ضربت" ومثل " قِمَطر"، "ضِربَّ" وفمثل درهم" وضرببْ" ومثل "علمَ"، "صَربَ" ومثل "ظَرُفَ" "ضرُبَ"، أفلا ترى إلى تصريفك الكلمة على وجوه كثيرة؟، "وكذلك الاشتقاق أيضا، ألا ترى أنك تجيء إلى "الضَرْب" الذي هو المصدر فتشتق منه الماضي فتقول: "ضرب"، ثم تشتق منه المضارع فتقول "يضربُ"، ثم تقول في اسم الفاعل: "ضارب"؟، وعلى هذا ما أشبه هذه الكلمة... فمن هاهنا تقاربا واشتبكا"، "إلا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه، والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق، يدلك على ذلك أنك لا تكاد تجد كتابا في النحو إلا والتصريف في آخره، والاشتقاق إنما يمرّ في كتب النحو منه ألفاظ مشرّدة لا يكاد يعقد لها باب"، "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت: "قام بكر" و"رأيت بكرًا و"مررت ببكرٍ"، فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة؟وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصا صعبا، بُدئ قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بعد، ليكون الارتياض في النحو موطئا للدخول فيه ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه وعلى تصرف الحال...»[1]، ونظرا للعلاقة التي تجمع بين الصرف والاشتقاق فسيأتي الكلام عن الاشتقاق بنوع من التفصيل، «أما علم الصرف فيتناول البحث اللّغوي والدراسة اللّغوية الكلمة من حيث بنيتها

---

[1] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص 09، 10.

ثباتا وزيادة ونقصانا، خارج التركيب، إذ يهتم كما ذكرنا بدراسة بنية الكلمة من الجوانب التالية:

- اشتقاق صور مختلفة من جذر واحد مثل: (ك ت ب) كتب، كاتب، مكتوب، مكتب، كتابة، مكتبة....إلخ

- ما يطرأ على الكلمة من تغيرات (نقص أو زيادة)»[1].

*** الميزان الصرفي:**

تعريف الميزان الصرفي:

«لما كان أكثر كلمات اللغة العربية ثلاثيا، اعتبر علماء الصرف أن أصول الكلمات العربية ثلاثة أحرف وعلى هذا الأساس إذا أردت أن تزن كلمة لتعلم الأصل منها والزائد فقابل أصولها بأحرف فَعَلَ: الأول منها يقابل بالفاء والثاني بالعين، والثالث باللام مسوّيا بين الميزان والموزون في الحركة والسكون، فتقول في وزن كلمة وقت مثلا "فَعْل" بفتح الفاء وسكون العين، وفي حصن" فِعْل" بكسر الفاء وسكون العين وفي كتب "فَعَل" بفتح الفاء والعين، وفي وزن قام وشدّ "فَعَل" بفتح الفاء والعين كذلك، لأن أصولهما قوم وشدد، وتقول في وزن فرح وعَلِم "فَعِل" بفتح الفاء وكسر العين، وكذلك في هاب و مَلّ، لأن أصلهما هيب ومَلِلَ، وتقول في وزن شرف وكرُم "فعُل" بفتح الفاء وضم العين وكذلك في طال وحبّ، لأن أصلهما طَوُل وحَبُبَ»[2]

طريقة الوزن:

«1- إذا كانت الكلمة ثلاثية الأصول، مثل الأصل الأول بالفاء، والثاني بالعين، والثالث باللام، فتزن (ضرب) بقولك (فعل)، وتعطي للميزان

---

[1] محمد محمد داود، مرجع سابق، ص 161، بتصرف.

[2] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص 10، 11.

الحركات والسكنات أنفسها التي للموزون، ما عدا الحرف الأخير إذا لا أهمية لحركته، سواء اكانت حركة بناء أم كانت حركة إعراب، فوزن كل من (ضرب وجَمَل) هو "فعل".

2- إذا كانت الكلمة رباعية الأصول مثل الأصل الرابع بلام ثانية، فتزن (دَحْرَج) بقولك "فَعْلَلَ" وإذا كانت خماسية الأصول مثل الأصل الخامس بلام ثالثة، فتزن كلمة (فَرَزْدَق) بقولك "فَعللل".

3- إذا زيد شيء في الموزون زدته بلفظه في الميزان، فتزن كلمة (اجتمع) بقولك "افتعل"، إلا إذا كانت الزيادة تكريرا لأصل من الأصول فتكرر الأصل في الميزان كما تكرّر في الموزون، فتزن "كسّر" بقولك (فعّل)، وتزن "إعشوشت" بقولك "افعوعل"، وتزن "جلبب" بقولك فَعْلَل" لأن العين هي التي تكررت في المثالين الأولين، واللام هي التي تكررت في المثال الثالث.

4- إذا طرأ على أحرف الزيادة في الموزون شيء من إعلال أو إبدال أو إدغام فعلت ذلك بها في الميزان فالألف الزائدة في "ضاربة" تمثلها بألف في الميزان، فتقول "فاعلة" فإذا انقلبت في الجمع واوا: "ضوارب"، مثلتها بواو أيضا في الميزان، فقلت "فواعل" إلا تاء الافتعال، فتبقى ممثلة بالتاء مهما يصبها من أنواع الإبدال والإدغام، فتزن كلا من "اصطدم – إصَّدم- إزدهر – إزّدهر – إتحد- إتّحد- إتسر – اتسّر- " بقولك" افتعل»[(1)].

5- إذا أصاب الأصول إعلال بالقلب أو إبدال أو إدغام لم يؤبه له في الميزان، فتزن "قال ورمى وغزا وباع" بقولك "فَعَل"، غير ناظر إلى

---

[1] ومنهم من أجاز أن تزن "اصطدم" بقولك: "افطعل".

الإعلال الذي أصاب الواوات والياءات، وتزن "شدَ واشتدّ واستمر" بقولك "فعل وافتعل واستفعل"، غير ناظر إلى الادغام الذي حدث بين العين واللام، وتزن "إتّحد" بقولك "إفتعل"، غير ناظر إلى انقلاب واو "وحد" إلى تاء وإدغامها في تاء الافتعال.

6- إذا أصاب أحد الأصول إعلال بالحذف حذفت ما يقابله في الميزان، فتزن "بع" بقولك "فل"، وإذا عوض عن المحذوف بشيء ذكرت هذا العوض في الميزان، فتزن "صلة" بقولك "علة"، أما الإعلال بالنقل فلا يؤبه له، فتزن "تقول" بقولك "تَفْعُل" محافظا على حركات الهيئة الأصلية للكلمة غير عابئ بما جرى فيها من نقل للحركات.

7- إذا اتصل بالكلمة شيء من الضمائر أو لام التعريف أثبتّ ذلك في ميزانها، فتزن "ضربت" بقولك "فعلتُ"، وتزن "القارعة" بقولك "الفاعلة" ويدخل في هذا تاء التأنيث الساكنة ونونا التوكيد وما اشبه...

8- إذا حدث قلب في ترتيب الأصول في الموزون حدث مثله في الميزان، فتزن "أيس" بقولك "عَفِلَ" لأن "أيس" مقلوب عن "يئس".

والخلاصة أن الميزان الصرفي يجب أن يكون تخطيطا لتصميم الكلمة يظهر ما فيها من أصول وزوائد وحذف وتعويض وحركات وسكنات وترتيب كل ذلك بعضه مع بعض، لا أن يكون معادلا موسيقيا للكلمة الموزونة إذ كثيرا ما تتعادل كلمتان موسيقيا، وتختلفان تصميما فيختلف لذلك وزناهما»[(1)].

الزيادة وطرق الكشف عنها:

---

[1] محمد الأنطاكي، مرجع سابق، ص 143 ، 144 ، 145.

«الزيادة هي إضافة حرف أو أكثر إلى حروف الكلمة الأصلية لغرض من الأغراض، والكشف عن الزوائد في الأسر الاشتقاقية الضخمة أمر في غاية السهولة، إذ يكفي أن نعثر على الحروف المشتركة بين أفراد الأسرة حتى نحكم عليها بالأصالة، ثم نحكم على ما ليس مشتركا بأنه زائد، مثل "كاتب، كتاب، مكتوب كتابة، استكتب، كتّاب كتبي، مكاتبة... إلخ"، فواضح، من هذا المثال أن الأحرف المشتركة بين جميع أفراد هذه الأسرة هي ثلاثة: الكاف والتاء والباء، وعلى ذلك تكون هي وحدها الأصول، أما ما عداها فهو زائد، غير أن الأمر لا يبدو على مثل هذه السهولة في الكلمات التي تنتمي إلى أسر اشتقاقية قليلة الإفراد أو في الكلمات التي تمثل هي وحدها أسرتها الاشتقاقية، مثل كلمات: "النئدل المنجنيق القنعاس[1]..." وما أشبه، ولهذا النوع من الكلمات النادرة وضع النحاة القواعد للكشف عما قد يكون فيها من الزوائد، ومن المفيد جدا، وقبل كل شيء، أن نعلم أيُ الحروف تستعملها العربية في زيادة كلماتها؟ وهذه الحروف عشرة، جمعوها، لتسهيل حفظها، في كلمة "سألتمونها"، ولكن لا يكفي أن يكون حرف من كلمة ما واحدًا من هذه الأحرف حتى نحكم بزيادته، إذ كثيرا ما تقع هذه الحروف أصولا في كلماتها، كالسين في "سأل" غير أنه إذا اشتبه في أصالة حرف أو زيادته في كلمة ما، فكونه واحدا من هذه الحروف العشرة يرجح أن يكون زائدا، أما إن لم يكن واحدا منها فأصالته لا شك فيها، وطرق الكشف عن الزيادة على **نوعين**: نوع يقوم على الاسترشاد بالاشتقاق والقياس والأوزان وغيرها، ونوع يعتمد على معرفة سابقة بالمجال التي يزاد فيها كل حرف من أحرف الزيادة، وسنبدأ بالنوع الأول:

---

[1] النئدل: الكابوس، والقنعاس: البعير العظيم.

أ – أدلة الزيادة:

الاشتقاق المحقق: إذا ثبت لدينا أن كلمة ما مشتقة من كلمة أخرى، فالحروف غير المشتركة بينهما زائدة، مثل: كاتب – كتب"، فالألف في "كاتب" زائدة، لأنها غير موجودة في "كتب" والهمزة في "الشمأل" زائدة، لأن الكلمة من شملت الريح "إذا هبت شمالا، ليس في "شملت" همزة، وإذا تحقق الاشتقاق فهو أولى الأدلة بالإتباع، ولكن بشرط أن يكون ظاهرا قريبا لا تكلف فيه ولا قسر، فإن أمكن إرجاع الكلمة إلى اشتقاقين واضحين، جاز لك أن تنسبها إلى هذه الأسرة اللّغوية أو إلى تلك، وذلك ككلمة "حسّان" إذ يمكن ردها إلى "الحِسِّ"، فتكون الألف والنون فيها زائدتين، ويكون وزنها "فعلان" ويمكن ردها إلى "الحسن"، فتكون زيادتها بالألف والتضعيف، وتكون زنتها "فعّال"، وأن كان للكلمة اشتقاقان، احدهما واضح قريب، والآخر بعيد، فالأكثر ترجيح القريب على البعيد، وجوز بعضهم الأمرين مثال ذلك كلمة "ملأك": قال بعضهم هي من "مَلَكَ"، فالهمزة إذن زائدة والميزان هو"فعأل"، وقال آخرون: هي من "لأَكَ" بمعنى "أرسل"، فالزائد فيها إذن هو الميم والميزان هو "مفعل".

عدم النظير: إذ وزنت كلمة ما معتبرا جميع حروفها أصلية فخرجت من هذا الاعتبار بوزن لا نظير له في الكلام العربي، أو بوزن نادر جدا، فاحكم بأن بعض حروفها زائد، مثال ذلك كلمة "معدّ"، فلو اعتبرت الميم أصلية فيها، لكان وزنها "فعلّ"، وهو وزن غريب في العربية، فعليك في هذه

الحالة أن تعد الميم زائدة، ويكون ميزانها عندئذ "مفعل" وهو وزن شائع وكثير»[1].

ب – مواضيع غلبة الزيادة:

«**الهمزة:** إذا وقعت الهمزة صدرا، وبعدها ثلاثة أصول فقط، فالغالب أن تكون زائدة، مثل "أحمد – أحمر – أعرج"، وعلى هذا نحكم بزيادة الهمزة في كلمة "أرنب" ونقول أن زنتها هي"أفعل" وعلى هذا يكون وزنها "فِعْلَلْ" وإذا كانت الهمزة في صدر فعل أو اسم ذي علاقة بالفعل كالمصدر مثلا لم يعبأ بعدد ما بعدها من الأصول، فهي زائدة ولو بلغت الأصول بعدها أربعة، مثل"إقشعرّ" و"اقشعرا".

الميم: إذا وقعت الميم صدرا، وبعدها ثلاثة أصول فقط، فالغاب أن تكون زائدة، مثل: "مقتل– ملعب– مصباح.... إلخ"، فعلى هذا تكون الميم في كلمة "منبج" زائدة، وزنتها "مفعل" فإن جاء بعد الهمزة أربعة أصول، حكم بأصالتها مثل "مرزنجوش"[2]، ووزنه:" فَعْلَنْلَول" إلا إذا كانت في صدر اسم ذي علاقة بالفعل، كاسم الفاعل واسم المفعول واسمي الزمان والمكان والمصدر الميمي، فهي زائدة أبدا، مثل "مدحرج – مدحرج"، وإذا وقعت الهمزة والميم حشوا أو طرفا حكم بأصالتها، مثل: "مسألة= مفعلة مسمع = مفعل، قراءة = فعالة، مسامّ = مفاعل"، إلا إذا دل على خلاف ذلك دليل قوي من اشتقاق ظاهر فهمزة "حمراء" زائدة بدليل اشتقاقها الظاهر من "حمر"، وهمزة "شمأل" زائدة بدليل اشتقاقها الظاهر من "شمل".

---

[1] محمد الأنطاكي، مرجع سابق، ص 150 ، 151 ، 152.
[2] المرزنجوش: نبت.

الياء: إذا وجدت الياء مع ثلاثة أصول فقط، فهي زائدة، سواء كانت في الأول، مثل: "يَضْرِبْ= يفعل" أو في الوسط مثل: "رحيم = فعيل"، أو في الآخر، مثل: "اللّيالي = الفعالي"، وإذا وجدت الياء مع أربعة أصول، فهي زائدة إذا وقعت صدر فعل أو حشو اسم، مثل: "يدحرج= يفعلل، خيتعور[1]= فيعلول" فأما إن كانت صدر اسم فهي أصلية، مثل "يستعور [2] = فعللول".

الواو والألف: إذا جاءت الواو أو الألف مع ثلاثة أصول فصاعدا فهما زائدتان، بشرط وجودهما في الحشو أو الطرف، مثل: "عَروض = فعول، عصفور= فعُول، قرطبوس [3] = فَعْلُول، حنطأو [4] = فعللو مار= فعال، سردا ح[5] = فعلال، ارْطي[6] = فعلى.

وأما في الأول، فالألف لا يمكن وقوعها فيه، والواو لا تزاد فيه مطلقا، فان وقعت فيه فهي أصلية، مثل: "ورَنْتل [7] = فعنلل".

النون: كثرت زيادة النون إذا كانت أخيرة بعد ألف زائدة نقبلها ثلاثة أصول أو أكثر، مثل "سكران = فعلان"، واطردت زيادتها في أول المضارع: مثل: "نضرب = نفعل".

التاء: اطردت زيادتها في أبواب التفعيل والتفعال والتَفعُل والتفاعل والتفعلل والافتعال والاستفعال وفروعهن مثل: "تكسير – ترداد – تجمّع –

---

1 الخيتعور: السراب.
2 اليستعور: الباطل.
3 القرطبوس:الداهية، والناقة العظيمة الشديدة.
4 الحنطأو: الرجل القصير، والعظيم البطن.
5 السرداح: الناقة الطويلة ، و الضخم من كل شيء، و الأسد القوي الشديد.
6 الأرطي: شجر ينبت في الرمل ، واحدته ارطاة.
7 الورنتل: الشر، والأمر العظيم .

تجاهل – تدحرج – اجتماع – استخراج" وإذا تطرفت التاء بعد واو زائدة قبلها ثلاثة أصول فصاعدا، فالغالب أن تكون زائدة، مثل: "رغبوت = فعلت" وسيبويه لم يجعل هذا الموضع من غوالب الزيادة، وحين حكم على تاء "رغبوت" بالزيادة، لم يفعل ذلك لأنها في موضع تغلب زيادتها فيه، بل فعل ذلك بديل آخر هو دليل الاشتقاق، لا دليل غلبة الزيادة.

السين: اطردت زيادتها في باب "استفعل" وفروعه، مثل "استخرج – مستخرج – استخراج... إلخ"

اللام: زيادة اللام قليلة جدا لم تسمع إلا في كلمات قليلة معدودة، مثل "زيْدَل= فعلل، طيسل[1]= فعلل، عبدل= فعلل"، ولذا فليس لها مواضع تغلب زيادتها فيها، بل إن "الجرمي" أنكر كون اللام من حروف الزيادة، ونفس الشيء ينطبق على حرف الهاء»[2].

ثانيا: ظواهر التبدل الصوتي (الإعلال والإبدال والإدغام والحذف والقلب....):

إن كل من الإعلال والإبدال والادغام والقلب من عناصر علم الصرف المهمة ذلك أن كل منها تلعب دورا مهما في التبدل الداخلي الذي يقع على بناء الكلمات وعليه سنبدأ بـ: الإعلال.

1- الإعلال:

«يعرف علماء الصرف في الإعلال بأنه تغيير حرف العلة طلبا للتخفيف، وذلك إما بقلبه، أي تحويله إلى حرف علة آخر، أو بنقل حركته

---

1 الطيسل : الكثير ، وكذا الطيس.

2 محمد الأنطاكي، مرجع سابق، ص 153 ، 154 ، 155 ، 156 ، باختصار.

إلى الحرف الصحيح الساكن قبله، أو إسكانه، أو حذفه، ومن ذلك يتضح أن الإعلال ثلاثة أنواع: إعلال بالحذف وإعلال بالقلب، وإعلال بالإسكان.

أ- **الإعلال بالحذف**: الحذف قسمان:

قياسيّ: وهو ما كان لعلة تصريفية غير التخفيف، كالاستثقال، والتقاء الساكنين، وغير قياسي أي شاذ، وهو ما ليس لعلة تصريفية، يقال لهذا النوع الحذف اعتباطا.

والإعلال بالحذف القياسي ثلاثة أنواع:

الأول: يتعلق بهمزة افعل من مضارعه، واسمي فاعله، ومفعوله.

الثاني: يتعلق بفاء مضارع الفعل المثال وأمره ومصدره.

الثالث: يتعلق بعين الفعل الماضي الثلاثي المضعف عند إسناده لضمير الرفع المتحرك.

وفيما يلي تفصيل هذه الأنواع الثلاثة:

النوع الأول: إذا كان الماضي على وزن "افْعَلَ" حذفت الهمزة وجوبا من مضارعه، وكذلك من اسمي فاعله، ومفعوله: فتقول في مضارع "أَكْرَمَ" "أُكْرِم" وفي اسم فاعله "مُكْرِمِ" وفي اسم مفعوله "مُكْرَم" والأصل "أُأَكْرِمُ" و"مُؤَكْرَم" و"مُؤَكَرَمٌ"، إلا أنه لما كان من حروف المضارعة همزة المتكلم حذفت همزة "أفعل" معها، لئلا يجتمع همزتان في كلمة واحدة، واجتماعهما في كلمة يؤدي إلى ثقل النطق بهما، وقد حمل على المضارع المبدوء بهمزة المضارعة، الفعل المضارع المبدوء بالياء أو النون أو التاء، فتقول في المضارع المبدوء بالياء "يُكرِمِ" وفي المبدوء بالنون "نَكْرم" وفي المبدوء بالتاء

"تُكرِم" كذلك حذفت الهمزة من اسم فاعله واسم مفعوله حملا لهما على حذفها في المضارع المبدوء بهمزة المتكلم.

النوع الثاني: إذا كان الفعل المثال ثلاثيا واويّ الفاء مفتوح العين في الماضي مكسور العين في المضارع، فإن فاءه تحذف في المضارع ذي الياء نحو: وعد، يعد، ووزن، يزن، ووصف، يصف أصلها: وعد، يَوْعِدُ، وزن، يَوْزَن، ووصف، يَوصف، فحذفت الواو من مضارع كل هذه الأفعال استثقالا، لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة، وقد حُمِلَ على المضارع ذي الياء المضارع دون الهمزة أو دون التاء أو النون نحو: أعِدُ، و تَعِدُ، و نَعِدُ، وأزِنُ، وتَزِنُ، ونَزِنُ، وأصِفُ، وتَصِفُ.

كذلك حمل على المضارع ذي الياء أمره ومصدره، فالأمر نحو: عِدْ من وعد، وزن من وزن، وصف من وصف، والمصدر نحو: عِدَة، وزنة، وصفة، فالمصدر هنا حذفت فاؤه حملا على حذفها في مضارعه ذي الياء، وعُوّض منها تاء التأنيث.

وحذف "الغاء" من مضارع وأمر ومصدر هذه الأفعال مشروط بشروط:

أولها: أن تكون ياء المضارع منها مفتوحة، ولهذا لا تحذف فاؤه من "يُوعِد" مضارع "أوْعَد" ولا من "يُوعد" مبنيا للمجهول، لأن الياء مضمومة لا مفتوحة.

ثانيها: أن تكون عين المضارع مكسورة، فإن كانت مفتوحة نحو "يَوْجَل" مضارع وَجِلَ أو مضمومة نحو "يَوْ َ ُضؤ" مضارع وضوء لم تحذف الواو التي هي هنا فاء الفعل.

أما حذف الواو من "يقَع" و"يضع" و"يهَب" المفتوحة العين فللكسر المقدّر، لأن الأصل فيها كسْر العين، إذ ماضيها فعل بالفتح، الذي قياس مضارعه "يفعِل" بكسر العين، ولكنه لأجل حرف الحلق تخفيفا، فكان الكسر فيه مقدرًا»[1].

«وإذا كان الفعل المثال يائي الفاء فإن هذه الياء لا تحذف في المضارع نحو: يَنع ، وببِس، ويَتِمَ، فإن المضارع منها وييْنِع وييْبَسِ ويَيْتَم بالإبقاء على الياء، إلا ما شذّ من قول بعضهم في مضارع يَسَر، يَسِرَ والأصل يَيْسِرُ، وفي مضارع يَئِسَ، يَئِسُ، والأصل يَيْئِسُ.

النوع الثالث: إذا كان الفعل المضعف ثلاثيا مكسور العين في الماضي، فإنه يستعمل في إسناده إلى ضمير الرفع المتحرك على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الإتمام مع فك الإدغام، نحو ظلِلْتُ.

الوجه الثاني: حذف العين، وهي هنا اللام الأولى، مع نقل حركة العين إلى الفاء بعد سلب فتحتها نحو: ظِلْتُ.

الوجه الثالث: حذف العين وهي هنا اللام الأولى أيضا، مع عدم نقل حركتها إلى الفاء، نحو: ظَلْتُ.

حكم الفعل المضعف إذا زاد على ثلاثة أحرف:

وإذا زاد الفعل المضعف على ثلاثة أحف وأسند إلى ضمير رفع متحرك، تعيّن فيه الإتمام مع فك الإدغام نحو: أقرّ: وأعدّ، وأمدّ، فإنك

---

[1] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص 18، 44، 45، 46.

تقول فيها عند إسنادها إلى ضمير الرفع المتحرك: أقررتُ، وأعددتُ وأمددتُ.

حكم المضعف الثلاثي المفتوح العين:

كذلك بتعيين الإتمام مع فك الإدغام، إذا أسند ماضي المضعف الثلاثي المفتوح العين إلى ضمير الرفع المتحرك، نحو: حلّ، وهزّ، وقصّ، فتقول فيها عند الإسنادَ: حلَلْتُ، وهززتُ، وقصصتُ، وذلك بالإتمام – أي عدم الحذف – مع فك الإدغام.

حكم مضارع المضعف المكسور العين أو أمره عند الإسناد إلى النون النسوة:

وإذا أسند مضارع المضعف المكسور العين أو أمره نون النسوة فإنه يجوز فيه أمران: الإتمام مع فك الإدغام، أو حذف العين مع نقل حركتها إلى الفاء، نحو: قرّ بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع، فلك أن تقول في مضارعه وأمره عند الإسناد إلى النون النسوة: يقرِرْن واقَررْن"، بالإتمام مع فك الادغام، أو تقول: يقرن وقرْنَ، بحذف العين (الراء الأولى) مع نقل حركاتها (الكسرة) إلى الفاء وذلك لأنه لما اجتمع مثلان وأولهما مكسور حسن الحذف فإن كان أول المثلين مفتوحا في المضارع، كما في لغة من قال: "قررتُ" بالمكان بالكسر "أقَرُّ" بالفتح، فإنه يتعين عند اسناد مضارعه وأمره إلى نون النسوة وجه واحد، وهو حذف العين– الراء الأولى – مع نقل حركتها إلى الفاء، فتقول: "يقرن وقرنَ" وذلك كقراءة نافع وعاصم "وقَرْن في بيوتكن" بفتح الفاء.

الحذف غير القياسي:

أما الإعلال بالحذف غير القياسي، فهو حذف شاذ أو اعتباطيّ، بمعنى أنه لا يسير على قاعدة صرفية وذلك نحو:

حذف الياء من "يد" و"دم" أصلها يدْيٌ ودَميٌ على وزن **(فَعَل)** فحذفت الياء من كليهما على غير قياس للتخفيف، ونقلت حركتها إلى ما قبلها، أي إلى الدال في "يد" والميم في "دم".

أو حذف الواو من "غد" و"اسم" و"ابن" فأصل "غد" "غدُوٌ" فحذفت اللام اعتباطا.

وأصل اسم وابن "سِموُ وبَنُوا وبنو" فحذفت اللام فيهما وهي "الواو" وجلبت لكل منهما ألف الوصل.

أو حذف الواو أو الهاء ، في نحو: شفة، أصلها "شفو" أو "شفة" فحذفت الواو أو الهاء وعوض منها تاء التأنيث.

أو حذف التاء ، في نحو: اسطاع، أصلها استطاع في أحد وجهين، والوجه الثاني هو حذف الطاء والإبقاء على التاء فيقال "استاع"[1].

« **ب- الإعلال بالتسكين:**

والمراد به شيئان: الأول حذف حركة حرف العلة، والثاني نقل هذه الحركة إلى الساكن قبله، وتتخلص قوانين الإعلال بالتسكين فيما يلي:

إذا تطرفت الواو والياء بعد حرف متحرك، حذفت حركتهما إذا كانت ضمة أو كسرة، مثل "يدعو يرمي، إلى الوادي" وأصل كل ذلك: "يدعُو، يرميُ، إلى الواديِ".

إذا ترتب على تسكين حرف العلة التقاء ساكنين حذف حرف العلة المسكن منعا لالتقاء الساكنين مثل: يرميْ – يرميْون – يرمون"، وبناء على

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 46، 47، 48.

ما مر فإن الحركة إذا كانت فتحة لم تحذف، مثل: "لن يرميَ، لن يدعوَ" وكذا إذا كانت الواو والياء بعد ساكن، مثل "ظبيٌ، دَلْوٌ، من ظبيٍ، من دلْوٍ" فلا حذف للضمة ولا للكسرة.

إذا كانت الواو والياء عينا في كلمة، وكانتا متحركتين، وكان ما قبلهما صحيحا ساكنا، وجب نقل حركة الواو أوالياء إلى الساكن قبلهما، مثل: "يقوُمُ– يقُوْم، يَبْيِعُ – يَبِيْعُ"، فإن كانت الحركة المنقولة عن حرف العلة مجانسة له، وقف الأمر عند حد النقل فقط، كما ظهر ذلك من المثالين السابقين، أما إن كانت الحركة المنقولة من غير جنس حرف العلة، فقد وجب إلحاق عملية النقل بعملية إعلالية أخرى، هي عملية القلب لحرف العلة إلى حرف آخر يجانس الحركة المنقولة، مثل: "أقْوَمَ – أقوْمَ–أقامَ"، وكذا: "يُقْوِمُ – يُقوِْمُ – يُقيْمُ"، ولا يسري عمل هذا القانون على الكلمات التي هي من الأنواع الآتية: أفعل التعجب: "ما أقْوَمه، اقْوِم به" – ماكان على زنة (أفعل) من أسماء التفضيل والصفات المشبهة: "هو أقْوَمُ منه، هو أبْيَنُ منه هو أسْوَد هو أبْيَض" – ماكان على أوزان (مِفْعَل، مِفْعلة، مِفْعَال) من أسماء الآلات ومبالغة أسماء الفاعلين: "مِرْوَحة، مِقْول، مِكْيَال، مِغْوّار" – ما كان بعد واوه أو يائه ألف: "تجْوال، تَهْيَام" – ما كان مضعفًا: "إبْيَضَّ، إسْوَدَّ، ما أعَلّت لامه: "أ هْوَى، أحْيا" – ما صَحّت عين ماضيه المجرد "يَعْوَرُ، يَصْيَدُ"، إذ الماضي المجرد منهما "عَوِرَ، صيِدَ"

ج – الإعلال بالقلب:

إذا تحركت الياء أو الواو وانفتح ما قبلهما، قلبتا ألفا، مثل: "دَعَوَ – دعا، رَمَيَ– رمى".

يتوقف عمل هذا القانون في كثير من الحالات.

إذا سبقت الواو بكسرة أو ياء ساكنة قلبت ياء، مثل: "مِوْعاد – ميعاد، رَضِوَ – رَضيَ، دُلَيْوٌ– دُلَيّ صِوام– صيام، سِواط – سياط" والدليل على واوية هذه الياءات أنها من "الوعد والرضوان والدلو والصوم والسوط"، وشأن هذا القانون في التوقف عن العمل وضابط هذا التوقف كشأن سابقه، وكشأن كل القوانين التي سنذكرها.

إذا اجتمعت الواو والياء، والسابقة منهما ساكنة، قلبت الواو ياء وأدغمت بالياء التي معها مثل:

"مَرْمُوْيٌ – مرميٌّ، و"أَيْوامَ – أيَّام، ولهذا القانون، كما لغيره، شواذه، مثل: "ضيْوَن، ويوم أيْوم، وعوى الكلب عَوْية وعوّة، والرجاء ابن حَيْوَة".

إذا اجتمعت واوان في الطرف قلبتا ياء مشددة، مثل "دَلْوٌ – دُلُووُ– دُليّ، عصا – عُصُوٌ –عِصِيٌّ".

وشرط ذلك أن تكون الكلمة جمعا فإن كانت مفردا فلا قلب، مثل: "عتا عتوًّا، نما نموًّا، سما سموًّا".

إذا وقعت الواو عين كلمة في جمع على وزن "فُعّل" صحيح اللام قلبت الواو المشددة ياء مشددة مثل "صائم – صُوَّم – صُيَّم، نائم– نُوَّم – نُيَّم"، ويجوز عدم القلب، وهو أكثر استعمالا من القلب.

إذا سكنت الياء بعد ضمه قلبت واوا، مثل: "مُيْسر – موسر"، إلا فيما كان جمعا على وزن "فُعْل" مثل: "بيض وهيْم" لأنهما جمعا "أبيض وأيهم"، والقياس أن يكونا "بُيْض وهُيْم" لأن جمع "أفعل وفعلاء" هو "فُعْل" بالضم، لكن كسرت الفاء لتصح العين.

إذا تطرفت الياء متحركة بعد ضمة قلبت واوا، مثل "قَضُيَ – قضُوَ"، ومعنى قضو الرجل: ما أقضاه.

إذا وقعت الألف بعد الكسرة، أو بعد ياء التصغير قلبت ياء، مثل: "كتاب – كتيّب، مصباح – مصابيح".

إذا وقعت الألف بعد ضمة قلبت واوا، مثل: "شاهد ـ شُوهِدَ".

إذا تطرفت الواو والياء بعد ألف زائدة قلبتا همزة، مثل: "بنيَ – بناي – بناء، كسَوَ – كساو – كساء" فإن اتصل بالكلمة ما أزال شرط التطرف جاز القلب وعدمه، تقول: "بناءة وبناية، وكساءان وكساوان" فأما تاء التأنيث المفرقة بين المذكر والمؤنث فلا تلغي حالة التطرف لأنها في حكم الزائلة، تقول: "بنّاء وبنّاءة" لا غير»[1].

«فإذا وقعت الواو والياء عينا في فعل اعتلتا فيه، قلبتا همزة في اسم فاعله، مثل "قَوَل – قال – قائل بيع – باع – بائع".

– إذا وقعت الواو والياء فاءا في صيغة الافتعال قلبتا تاء وأدغمتا في تاء الافتعال، سواء اكان ذلك في الفعل أم كان في المصدر، مثل: "اوْتحد – إتّحد"، اتحاد – إيتسر – إتسّر – إتسّار".

– إذا وقع حرف المد الزائد ثالثا في اسم صحيح الآخر، قلب همزة في صيغة "مفاعل"، مثل "عجوز –عجاو –عجائ، قلادة– قلاد– قلائد، صحيفة – صحايف – صحائف، فإن كان حرف المد غير زائد فلا قلب مثل: "عاش –يعيش– معيشة– معايش"، وشذ عن ذلك "مصائب ومنائر"، وكذا لا قلب وإذا كان الحرف حرف لين لا حرف مد، مثل: "جدْول – جداول"، وإذا اعتلت اللام في هذه الطائفة من الاسماء كان الجمع منها على مثال "فعالى"، مثل: قضية – قضايا، مطية– مطايا"، فإن همزت اللام قلب حرف المد مع الهمزة إلى "ياء" مثل: "بريئة– برايا، خطيئة – خطايا".

---

[1] محمد الأنطاكي ، مرجع سابق، ص 106، 109، 110، 111.

- إذا توسطت ألف "مفاعل" بين حرفي علة في اسم صحيح الآخر، قلب ثانيهما همزة، مثل: "أوّل - اواول - أوائل"، فإن اعتلت لامه جمعته على مثال "فعالى"، مثل: "زاوية - زوايي - زوايا".

- إذا اجتمعت واوان في صدر كلمة وجب قلب الأولى همزة، مثل "واصلة- وواصل-أواصل"، فإن كانت الواو الثانية منقلبة عن ألف المفاعلة عند بناء الفعل للمفعول جاز القلب وعدمه، مثل "وارى- وُوريَ- أوأوري".

- إذا كانت الواو مضمومة ضمة لازمة جاز قلبها همزة، مثل "دار- أدوُر- أدؤر"»[1]

2- الإبدال:

«يعرّف علماء الصرف الإبدال بأنه جعل مطلق حرف مكان حرف آخر، فخرج بالإطلاق الإعلال بالقلب لاختصاصه بأحرف العلة، ومعنى ذلك أن الإبدال أعم من الإعلال، والإعلال أخصّ من الإبدال، فكل إعلال بالقلب يقال له إبدال ولا عكس، أي ليس كل إبدال يقال له إعلال، فالإعلال والإبدال يجتمعان في نحو: صام، وغاب، ودعا، ومضى على حين ينفرد الإبدال في نحو:اصطنع، وازدهر، ولمزيد من الإيضاح فيما يتصل بالإبدال والقلب، نذكر أن الإبدال هو إقامة حرف مقام حرف، إما ضرورة وإما صنعة واستحسانا، وربما فرّق علماء الصرف بين الإبدال والعِوَض فقالوا: الإبدال أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض، ولذلك يقع البدل موقع المبدل منه نحو: تُخمه وتُكَأة وهاء هرقت، فهذا ونحوه يقال له بدل ولا يقال له عِوَض، لأن العِوَضَ أن تقيم حرفا مقام حرف في غير موضعه نحو: تاء

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 111 ، 112.

عدة وزنة وهمزة ابن واسم، ولا يقال في ذلك بدل إلا تجوّزا مع قلته، من ذلك يتضح أن البدل على ضربين:

وبدُلُ هو إقامة حرف مقام حرف غيره نحو: تاء نخمة وتكَأة، فالحرف الذي أقيمت التاء مقامه في كلتا الكلمتين هو الواو فهما في الأصل: وُخمة ووُكأة، ثم أبدلت الواو في كلتيهما تاء، فصارتا تُخمة وتُكَأة.

وبدلٌ هو قلب الحرف نفسه إلى حرف غيره، على معنى إحالته إليه، وهذا إنما يكون في أحرف العلة التي هي الواو والياء والألف: كما يكون في الهمزة لمشابهتها لأحرف العلة في كثرة تغيرها، وذلك نحو: قام: وموسر، وآدم، فأصل كلمة قام قوَمَ، فألفها منقلبة عن واو في الأصل، وأصل كلمة موسر ميسر فواوها منقلبة عن ياء في الأصل، وأصل كلمة آدم أأْدم، فلينت همزتها الثانية، أي جعلت حرف لين بإسقاطها وبذلك قلبت ألفا»[1].

3- الإدغام:

«**الإدغام لغة:** إدخال شيء في شيء آخر.

و**اصطلاحا:** هو التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشدّدا من جنس الثاني»[2] «والغرض من ذلك طلب التخفيف، لأنه ثقل عليهم التكرير والعَود إلى الحرف بعد النطق به، فلما كان التكرير هكذا ثقيلا حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما في الآخر، فيرضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة، ويرفعونها بالحرف رفعة واحدة، لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه، وهذا هو المراد من ثقل التقاء المثلين اللذين من جنس واحد، فإذا أسكنوا الأول منهما أدغموا، فيتصل بالثاني،

---

[1] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص 18، 19، باختصار.

[2] برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، **مذكرة في أحكام الترتيل**، السلسلة العلمية، ص 07.

وإذا حركوا الأول لم يتصل بالثاني، لأن الحركة تحول بينهما، لأن محل الحركة من الحرف بعده، ولذلك يمتنع إدغام المتحرك، والمدغم أبدا حرفان، الأول منهما ساكن والثاني متحرك، وجميع الحروف تدغم ويُدغَم فيها، إلا الألف لأنها ساكنة أبدا فلا يمكن إدغام ما قبلها فيها، ولا يمكن إدغامها فيما بعدها لأن الحرف إنما يدغم في مثله، وليس الألف مثلا متحركا فيصبح الإدغام فيها، والتقاء المتجانسين أو المثلين من حيث الحركة والسكون على ثلاثة أضرب:

أحدها: أن يسكن الأول ويتحرك الثاني، وفي هذه الحالة يكون الإدغام واجبا بالضرورة للخفة، سواء أريد أو لم يرد، إذ لا حاجز بينهما من حركة ولا غيرتها نحو: مدّ وشَدَّ.

ثانيها: أن يكون المثل الأول متحركا والثاني ساكنا، نحو ظللت، وفي هذه الحالة يمتنع الإدغام لأمرين هما: تحرك الحرف الأول وسكون الحرف الثاني، فالحرف الأول متى تحرّك امتنع الإدغام لأن حركة الحرف الأول قد فصلت بين المتجانسين أو المثلين فتعذّر الاتصال، وسكون الحرف الثاني يحول دون حصول الادغام فيه، لأن الأول عند الادغام لا يكون إلا ساكنا، فلو أسكن الثاني لاجتمع ساكنان على غير شرطه، وهذا لا يجوز.

ثالثا: أن يتحرك المتجانسان أو المثلان معا، وهذه الضرب على ثلاثة أوجه كالآتي:

الوجه الأول: أن يكون الادغام فيه واجبا، وذلك إذا التقى المثلان في كلمة واحدة لم تجاوز الثلاثة ولم يكن البناء مخالفا لبناء الفعل نحو: ردّ يردّ، وشدّ يشدّ، ففي هذه الحالة يسكّن المتحرك الأول لتزول الحركة

الحاجزة، فيرتفع اللسان بها ارتفاعه واحدة، فيخفّ اللّفظ، وليس فيه نقص معنى ولا لَبس ويكون **الادغام واجبا**.

الوجه الثاني: أن يكون **الادغام فيه جائزا**، وذلك إذا كان المثلان من كلمتين منفصلتين نحو: جعل لك وأدب بكر، والمال لزيد، فإذا أردت الادغام في مثل جعل لَكَ، أسكنت الأول منهما لأنهما مثلان وقلت: جعلّ لك، وإذا شئت قلت: وجَعَلَ لك من غير إدغام، أي بإبقاء اللام الأولى متحركة على الأصل، وقد جاز ترك الادغام في المنفصلين ولم يجز في المتصلين لأن الكلمة الثانية لا تلزم الأولى، على حين وجب الادغام في المتصلين للزوم الحرفين.

الوجه الثالث: أن يكون **الادغام فيه ممتنعا** ، وقد ذكرنا من قبل أن الادغام يجاء به لضرب من التخفيف فإذا أدى الادغام إلى فساد عُدِل عنه إلى الأصل، وكان احتمال التثقيل مع عدم الفساد أسل من الادغام مع الفساد، وهذا النوع الذي يمتنع فيه الادغام على ثلاثة أنواع كالآتي:»[1].

«**النوع الأول:** أن يكون الحرف الثاني من المثلين مزيدا للإلحاق نحو: جَلْبَبَ وشمْلَلَ، فالحرف الثاني من المثلين كررّ ليلحق ببناء دحرج، فلو أدغمت للزم أن تقول: "جلبَّ وشملَّ"، بتسكين المثل الأول ونقل حركته إلى الساكن قبله، وبذلك يخرج عن كونه موازيا للفعل دحرج، فيبطل غرض الإلحاق والأحكام الموضوعة للتخفيف إذا أدت إلى نقص أغراض مقصودة تركت، ومثاله في الاسم "مَهدَد" ملحق "بجعفر" و" قُعدد" "مُلحق" و"ببُرُثن" و"رِمْدِد" ملحق "بزبرج"، وكذلك "عَفَنْجَج" "أَلَنْدَد" "ملحقان" "بسفرجل" في الخماسي.

[1] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص 20، 21، 22.

النوع الثاني: أن يؤدي الادغام إلى لبس نحو: سُرُرُ، وطَلَلَ، وجُددُ، فهنا يمتنع الادغام – وإن كان المثلان في كل كلمة أصلين كما في شدَدَ ومدَدَ – من قِبل أن الادغام فيها يحدث لبسا وخفاء في المعنى بـ "سُرّ وطَلَّ، وجُدّ".

النوع الثالث والأخير : أن يلتقي المثلان من كلمتين وما قبل الأول حرف صحيح ساكن نحو: "عند داره" فأنك لو أدغمت هنا الدال في الدال لاجتمع ساكنان لا على شرطه، وذلك لا يجوز»[1].

4- الحذف:

«الحذف هو إحدى ظواهر التبدل الصوتي التي تعتري أصوات الكلمة بقصد التخفيف، والتي لا يترتب عليها تغير في المعنى الصرفي أو النحوى للكلمة، وقد يقتصر الحذف على إسقاط حركة فقط كإسقاط الحركة النهائية عند الوقف، مثل: "جاء خالدْ" وقد يتناول الحذف حرفا، مثل "لم يرمِ" أو حرفين، مثل "فِ بالوعد".

والحذف على أقسام:

واجب مطرد: ومنه حذف حروف العلة والهمزة، ويسمى هذا القسم بالحذف الاعلالي.

واجب غير مطرد : وذلك كحذف اللام من الكلمات: "يد، دم، أب، أخ.... إلخ" ويسمى هذا القسم بالحذف الترخيمي.

جائز مطرد: وهذه أحكامه وصوره:

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 22.

1- يجوز حذف تاء "تفعّل وتفاعل" إذا اجتمعت مع تاء المضارعة، نحو: "تتمايل- تمايلُ" بشرط أن يكون الفعل مبنيا للمعلوم فإن بني للمجهول فلا حذف مثل "تُتَحملُ".

2- إذا اجتمعت نون الرفع في الأفعال الخمسة مع نون الوقاية جاز حذف إحداهما، مثل " انتم تأمرونني- انتم تأمروني".

3- إذا اجتمع مثلان لا يجوز إدغامها لإسكان ثانيهما إسكانا لازما، مثل: "أَحْسَسْتُ" جاز حذف أولهما ونقل حركته إلى ما قبله أن كان ساكنا، مثل: "احْسَسْتُ – أَحَسْتُ"، فإن لم يكن ما قبل أول المثلين ساكنا لم يجز نقل الحركة إلا أن تكون كسرة أو ضمة، مثل: "ظَلِلْتُ- ظِلْتُ" يجوز عدم النقل، فتقول: "ظِلْتُ" وهذا الحذف لغة سليم، وهو عندهم في الماضي أكثر منه في المضارع و لأمر، ربما استعمل هذا الحذف غيرهم، ولكنه قليل، كقوله تعالى: (وَقَرْن في بيوتكن).

4- يجوز حذف لام "على" مع ألفها، وكذا نون "من" إذا التقتا بلام التعريف، مثل: "على الماء – ع الماء من الماء – م الماء".

5- يجوز حذف نون "بني و بنو" إذا التقت مع لام التعريف القمرية، مثل: "بنوالحارث- بلحارث، بنو العنبر- بلعنبر"، فإن كانت لام التعريف شمسية لم يجز الحذف، مثل: "بنو النجار".

6- يجوز حذف أحد المثلين المدغمين عند الوقف، مثل: "يفرُّ – يفرْ".

جائز غير مطرد: وقد جاء في كلمات محدودة، هي:

1- **استطاع:** حذف بعضهم التاء فقال: "إسطاع يسطيع"، وحذف آخرون الطاء فقالوا: "إستاع يستيع".

2- **يتسَّع، يتقي، يتخذ** : حذفوا من هذه الأفعال المضارعة إحدى التاءين فقالوا: يتسعُ، يتقي، يتخذ"، أما مواضيعها فتركوها بغير حذف، إلا "اتّقى" فقالوا فيه "تقى"، ولما كان الأمر من المضارع، وكان اسم الفاعل يجري على نسق المضارع جاز لك أن تقول في الأمر واسم الفاعل من هذه الأفعال: "تسِعْ، مُتَسِعٌ تقِ – متقٍ، تخِذْ- متخِذٌ".

3- **استخذ**: هذا الفعل لم يسمع بتمامه أبدا ،بل سمع هكذا" استخذ"، ومعناه "اتخذ"، وعلى هذا الاحتمال تكون إحدى التاءين محذوفة، وقال النحاة: قد يكون أصل "استخذ" هو "اتّخَذ"، فأبدلت إحدى التاءين سينا وعلى هذا الاحتمال لا يكون في الكلمة حذف، بل إبدال»[1].

5- القلب:

«القلب هنا يعنى تقديم بعض حروف الكلمة على بعض، ويسمى عادة بالقلب المكاني [2]، وأكثر ما يقع في المعتل والمهموز، وقد جاء في غيرهما قليلا، مثل "امضحلّ" مقلوب "إضمحلّ" و"أكرهف" مقلوب "إكفهرّ"، وأكثر ما يكون بتقديم آخر حرف على سابقه، مثل" نأى – ناء -، رأى- راء"، وقد يتقدم ما قبل الآخر على سابقه، مثل: "طمأن- طأمن"، وقد تقدم العين على الفاء، مثل: "يئس- أيس، أو اللام على الفاء مثل: "شيئاء – أشياء"، وقد تؤخر الفاء عن اللام، مثل: "الواحد – الحادي"، ويكشف عن القلب عادة بما يأتي:

1- **بالأصل**: فإذا اختلف الأصل عن فرعه في الترتيب اعتبر ترتيب الأصل أصلا، وترتيب الفرع المخالف مقلوبا، مثل: "النأي – ناء" فالأول

[1] محمد الأنطاكي، مرجع سابق، ص 136، 137، 138.

[2] وللقلب معنى آخر في باب الإعلال، إذ يعنى هناك قلب أحد حروف العلة إلى حرف آخر.

هو المصدر، وهو الأصل، فوزنه "فعْل"، والثاني فعل مشتق منه مخالف له في الترتيب، فوزنه إذن "فَلَعَ".

2- بالشقيقات في الاشتقاق: ويحدث ذلك عند عدم وجود الأصل الاشتقاقي للكلمة، فينظر إلى شقيقاتها اللائي هن من نفس المادة الاشتقاقية فإن خالفنها في الترتيب، اعتبر ترتيبهن أصلا، وترتيب المخالفة لهن مقلوبا. مثل: "توجه – واجه- وجاهة – وجه- جاه" فكلمة "جاه"، وأصل ألفها واو "جوه"، قد خالفت شقيقاتها في موضع الواو، فاعتبر ترتيبها مقلوبا، وكان وزنها "عفل".

3- **بعدم الإعلال مع وجود سببه:** وذلك كما في كلمة "أيس"، إذ يقضي القانون الاعلالي بتحويل الياء إلى ألف لتحركها وانفتاح ما قبلها، فلما لم يعمل هذا القانون الاعلالي عمله في الكلمة، دل ذلك على أنها مقلوبة عن "يئس"، وكان وزنها إذن "عَفِلَ".

4- **بقلة الاستعمال:** إذا كانت كلمتان بمعنى واحد، وحروف واحدة، ولا فرق بينهما إلا في ترتيب الحروف، فكثيرة الاستعمال منهما هي ذات الترتيب الأصلي، وقليلة الاستعمال هي صاحبة الترتيب المقلوب، مثل: "أرآم – آرام "، فميزان الأولى "أفعال"، وميزان الثانية "أعفال".

5- **يمنع الصرف لغير علة:** وهذا الكاشف خاص بكلمة "أشياء"، فهذه الكلمة، كما نعرف، ممنوعة من الصرف، ولو اعتبرنا ترتيبها طبيعيا لكان ميزانها "أفعال"، لكن وزن "أفعال" لا يمنع الكلمة من الصرف، لهذا اضطررنا إلى اعتبار ترتيبها مقلوبا، وأنها على زنة "لفعاء" فبهذه الزنة تكون همزتها المتطرفة محولة عن ألف التأنيث التي تمنع الأسماء من الصرف.

6- **بعدم اجتماع الهمزتين** : وهذا الكاشف يشبه الكاشف الثالث ويتضح لك ذلك بالمثال الآتي: هناك قانون إعلالي يقضي بتحويل الواو والياء همزة إذا وقعتا عينا في اسم الفاعل، مثل: "قول – قاول– قائل بيع – بايع – بائع"، فلو طبقنا هذا القانون على فعل مهموز اللام مثل "جاء" لكانت السلسلة كالآتي: "جيأ – جايئ – جائئ"، لكننا لا نرى اسم الفاعل من "جاء" على شكل "جائئ"، بل نراه على شكل: "الجائي". فنستدل من ذلك على أنهم أخروا الياء التي هي عين الكلمة إلى ما بعد الهمزة التي هي لامها، لكي يمنعوا القانون الاعلالي من عمله، لأن عمله سيؤدي لو تم إلى اجتماع همزتين، وهو شيء مستكره في الكلام العربي، وعلى هذا تكون زنة "الجائي" هي "الفالع" لا "الفاعل"، والواقع أن كل هذه الطرق في الكشف يمكن الاستغناء عنها بطريقة واحدة لا تخطئ، ألا وهي طريقة معرفة الأصل الاشتقاقي أو التصريفي للكلمة المراد وزنها، فالقلب الذي في "الجاه" يكشفه أصله الاشتقاقي الذي هو "الوجه" والقلب الذي في "أيس" يكشفه أصله الاشتقاقي هو "اليأس"، والقلب الذي في "آرام" يكشفه أصله التصريفي الذي هو المفرد "رئم"..... وهكذا»[1]

ثالثا: الإشتقاق:

الاشتقاق في اللغة والاصطلاح:

«معنى الاشتقاق في اللغة: الاشتقاق مأخوذ من (ش ق ق) [2] ونقول بيد فلان شقوق، والشقاق داء يكون في الدواب، وهو تشقق يصيب أرساغها، الشقاق تشقق الجلد من برد وغيره في اليدين والوجه.

---

[1] محمد الأنطاكي، مرجع سابق،147، 148، 149.

[2] مادة (ش ق ق) في كل من المعاجم التالية: مختار الصحاح للرازي،أساس البلاغة للزمخشري، لسان العرب لابن منظور.

وقال "الأصمعي": الشقاق في اليد والرجل من بدن الإنس والحيوان، والشقق نصف الشيء، والشق أيضا الناحية من لجيل، والشق أيضا المشقة ومنه قوله تعالى (إلا بشق الأنفس)، والشقة السفر البعيد يقال شقة شاقة، والشقيق الأخ، و"شقائق النعمان" معروف واحده وجمعه سواء وإنما أضيف إلى النعمان لأنه حمى أرضا فكثر فيها ذلك.

وقيل النعمان هو الدم وهي مثل الدم في لونها وهذا هو الأرجح و(شق) فلان العصا أي: فارق الجماعة و(المشاقة) و(الشقاق) الخلاف والعداوة و(اشتقاق) الحرف من الحرف أخذه منه، واشتقاق الكلام الأخذ فيه يمينا وشمالا، ويقال: شقق الكلام وإذا أخرجه أحسن مخرج، وفي حديث البيعة تشقيق الكلام عليكم شديد أي التطلب فيه يخرجه أحسن مخرج، واشتق الخصمان وتشاقا: تلاحا وأخذا في الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القصد وهو الاشتقاق، و(شقق) الحطب وغيره (فتشقق)، والعصفور يشقشق في صوته وفي القدح (شق) و(شقوق) ووقع في (شق) من هذا الأمر ومشقة ومشاق وقعدوا في شق من الدار في ناحية منها، وشقه فانشق، وشققه فتشقق وأعطنى شقة من الثوب وشققا وعنده شقاق الكتان، وبعدت عليه (الشقة) الطريق، معنى الاشتقاق في الاصطلاح: قال "أحمد بن فارس": "أجمع أهل اللغة – إلا من شذ منهم – أن للغة العرب قياسا، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الإجتنان وأن الجحيم والنون تدلان أبدا على الستر، تقول العرب للدرع جنة، وأجنة اللّيل، وهذا جنين أي: هو في بطن أمه أو مقبور، وأن الإنس من الظهور، يقولون: آنست الشيء: أبصرته، وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم، وجهله من جهل، قلنا: فإن الذي وقفنا على أن الاجتنان الستر هو

الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه"، وعرفه علماء اللغة المحدثون بأنه "توليد الألفاظ بعضها من بعض ولا يتسنى ذلك إلا من الألفاظ التي بينها أصل واحد ترجع وتتولد منه، فهو في الألفاظ أشبهه ما يكون بالرابطة النسبية"، والاشتقاق أيضا عملية استخراج لفظ من لفظ»[1]، «مع تشابه بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ بين الأصل المأخوذ، ويختص الاشتقاق بالبحث في أصول الكلمات وفروعها

والعلاقات بينها، وطرق توليد بعضها من بعض، وقد بدأ الاشتقاق كمبحث من مباحث علم الصرف، ثم تطور حتى صار لأهميته علما من علوم العربية مستقلا بذاته، وممن اشتغلوا به من علماء العربية "المفضل الضبي" صاحب المفضليات"، و"الأصمعي" و"الأخفش الأوسط"، و"المبرّد"، و"الزجاّج" و"ابن السرّاج"، و"ابن دريد" صاحب "الجمهرة"، و"أبو جعفر النحاس"، "ابن خالويه"، "الرّماني"»[2].

ولكننا لا نستطيع القول باستقلالية الاشتقاق ذلك أنه «علم مشترك بين الصرفيين واللّغويين الذين احتاجوا إليه لما قاموا بوضع المعاجم الأولى، وكان لابدّ من اختيار طريقة عملية لتصنيف مواد اللغة، إما بالاعتماد على مخارج الحروف ككتاب "العين" "للخليل"، وأما على أصول الكلمات كمقاييس اللغة "لابن فارس"»[3].

وبناءا على ما سبق «فالاشتقاق بمعناه الواسع مظهر من مظاهر نمو اللغة، وتطورها عبر الأزمنة فهو يعني عند الغرب تاريخ الكلمة، وتتبع

---

[1] فرحات عياش، مرجع سابق، ص 08، 09 ، 10، باختصار.
[2] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص 54.
[3] زبير دراقي، مرجع سابق، ص 79.

حياتها عبر العصور، أما عند العرب فيعني توليد بعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد، يجدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناه الخاص الجديد» [1]، «إذا فالاشتقاق يحدد الكلمة أو (مادتها) الأساسية و(معناها) الأصلي، وبحث الأبنية أو الصرف يحدد شكلها أو بناءها الذي يكسبها معنى زائدا، ولذلك كان الاشتقاق كاشفا عن الأصل القديم دالا على الصلة والنسب، وكان الاشتراك في المادة دليلا على وحدة الأصل، ولو تفرقت المعاني واختلفت الأشكال، وهذه الألفاظ التي تشترك في الحروف أو الأصوات الثلاثة يسميها "ابن فارس" في مقاييسه الأصل فيقول مثلا: "خص، الخاء، والصاد أصل مطرد منقاس، وهو يدل على الفرجة والثلمة فالخصاص الفرج بين الأثافي، ويقول لنغمر بدا من خصاصة السحاب... ومن الباب خصصت فلانا بشيء خصوصية – بفتح الخاء– وهو القياس إذا أفرد واحد فقد أوقع فرجة بينه وبين غيره، والعموم بخلاف ذلك» [2]، «فالاشتقاق كما سبق وأن ذكرنا هو توليد الألفاظ بعضها من بعض، ولا يكون ذلك إلا من بين الألفاظ التي يفترض أن بينها أصلا وأحدا ترجع إليه وتتولد منه، فهو في الألفاظ أشبه بالرابطة النسبية بين الناس، ويرى "ابن جني" في كتاب "المنصف" "لأبي عثمان المازني" أن الاشتقاق والتصريف والنحو أقسام ثلاثة كل منها يكمل الآخر، إلا أن الاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف، حيث يقول في كتابه "المنصف": "وينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسبا قريبا واتصالا شديدا لأن التصريف إنما هو أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فلتصرفها على وجوه شتى

---

[1] صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، ص 174، نقلا عن **قضايا في الدرس اللغوي**.

[2] محمد المبارك، **فقه اللغة وخصائص العربية**، الطبعة الرابعة(بيروت: دار الفكر، 1970) ص 75.

مثال ذلك أن تأتي إلى (ضَرِبَ) فتبنى منه (جَعْفَرَ) فنقول (ضَرْبَب) ومثل(عَلِمَ) (ضَرِبَ)، ومثل (ظَرُفَ) (ظَرُبَ)، أفلا ترى إلى تصريفك الكلمة على وجوه كثيرة، وكذلك الاشتقاق أيضا، ألا ترى أنك تجيء إلى الضرب الذي هو المصدر فتشتق منه الماضي فتقول: ضَرَبَ، ثم تشتق منه المضارع فتقول: يضرب، ثم تقول في اسم الفاعل: ضارب، وعلى هذا ما أشبه هذه الكلمة، ألا ترى إلى قول "رؤبة" في وصفه امرأة بكثرة الصخب والخصومة "تشتق في الباطل منها الممتذق"، وهذا كقولك تتصرف في الباطل أي تأخذ في ضروبه وأفانينه، فمن هاهنا تقاربا واشتبكا، إلا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبانه والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق يدلك على ذلك أنك لاتكاد تجد كتابا في النحو، إلا والتصريف في آخره، والاشتقاق إنما يمر بك في كتب النحو منه ألفاظ مشردة لا يكاد يعقد لها باب"[1]»[2]، وبناءا على ما سبق نتطرق إلى الرابطة بين التصريف والاشتقاق.

*** علاقة التصريف بالاشتقاق:**

«إذا كان الاشتقاق هو أخذ كلمة من كلمة، أو توليد لفظ من لفظ، فإن التصريف هو ميزان لهذه الكلمات المشتقة، ودليل الباحث في موضوع الاشتقاق، ذلك أن صيغة الكلمة أو وزنها عنصر من عناصرها الأساسية، التي تحدد معناها، ومدلولها، وبفضل صيغة الكلمة نستطيع أن نزيل الالتباس والغموض بين معاني الألفاظ المشتقة من مادة واحدة، فالصيغة إذن هي التي تقيم الفروق بين "كاتب، ومكتوب،ومكاتبة" وبين "شريك،

---

[1] ابن جني، **الخصائص**، ج 1 ط1 (مطبعة دار الثقافة العامة 1954) ص 3، 4.

[2] بعزوز زبدة، مرجع سابق، ص 18 ، 19 ، بتصرف.

واشتراك، واشتراكية، وشركة"، فهي التي تخصص المعنى وتحدده، كتحديد معنى الفاعلية، في ما كان على وزن فاعل من الثلاثي، مثل: فاهم، عالم، قائم، لابس، طائر، كاتب، نازل ، ماكث، سارق، فاشل، نازح، عامر، عارف، أو مفعل من أفعل، نحو: معلم، منذر، مخرج، أو مفتعل مثل: مقتبس، مقتدر، كما تختص بمعنى المفعولية في أوزان اسم المفعول أو معنى الطلب في استفعل مثل: استغفر، استرحم، استعطف"، قال "ابن جني": "وهذا القبيل من العلم، أعني التصريف يحتاج إليه جميع أهل اللغة العربية لأنه ميزان العربية، وبه تعرف الأصول من كلام العرب من الزوائد الداخلة عليه، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به"، وقال أيضا: "وينبغي أن نعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسبا قريبا واتصالا شديدا، ويعني هذا أن معرفة أحدهما طريقة إلى معرفة الآخر، فقد تكون معرفة وزن الكلمة طريقا إلى أصل مادتها الاشتقاقية إذا كان الوزن فيها أظهر من مادة الاشتقاق وأقرب منالا مثل: الاضطراب، الاصطفاء، الاستعداد من الاستفعال، وعلى هذا فأصول هذه الكلمات هي: (ضرب، صفو، عدد)، وقد تكون معرفة الأصل الاشتقاقي طريقا إلى معرفة الوزن والبناء، وسبيلا للتفريق بين الأوزان المتشابهة، مع أنها في الحقيقة مختلفة، مثل (المناعة، المجاعة) فهما من (منع، وجاع) فوزنهما إذن (فعالة، ومفعلة) والمدائح والمصائب، من مدح وصوب، فوزنهما: فعائل، ومفاعل "ومما ذكرنا يتبين لنا أن لكل كلمة أصلا أو مادة اشتقاقية ووزنا أو بناء، وتوليد الكلمة من أصلها، وأخذها من مادتها يسمى ويدعى اشتقاقا، وتقليبها في أوزان مختلفة يسمى تصريفا، وبين الاشتقاق والتصريف علاقة وثيقة، وتشابك، وتلاحم،

ولا يستطيع الدارس أن يفهم الاشتقاق بعيدا عن التصريف، التصريف بعيدا عن الاشتقاق»[1].

*** الصيغة العربية في ضوء النظرة التاريخية والنظرة الوصفية:**

«لقد تنبه بعض العلماء الغربيين أمثال "دوركيم وماركس وكونت" وغيرهم إلى أهمية مفهوم الكل وأنه شيء زائد ومتجاوز لكل واحد من أجزائه، وبهذا التصور أهملوا الجانب الأخطر وهو (اللبنات المكونة لهذا الكل) والذي يسمى عند العلماء المعاصرين (النظم) أو البنية لقول الدكتور "الحاج صالح":

"ويجب ههنا أن نلاحظ أن كونت وماركس ودوركيم وغيرهم وإن كانوا قد تنبهوا إلى أهمية مفهوم الكل وأنه شيء زائد ومتجاوز لكل واحد من أجزائه فإنهم لم يشيروا إلى الجانب الأخطر لهذا المفهوم وهو (النظم) نفسه أي التأليف الذي يستلزم أن تكون لكل جزء في داخل المجموعة صفات خاصة تشاركه فيها بعض الأجزاء وتغايره بها أجزاء أخرى، فباتصافه بتلك الصفات تكون له مع كل واحدة من الأجزاء الأخرى علاقات ونسب ومجموع هذه النسب تسمى(في اصطلاح علماء هذا العصر) الصورة أو الصيغة أو النظم وأطلق عليها فيما بعد لفظ البنية لأنهم اعتبروا في التأليف البناء"، غير أن مفهوم الصورة (بحسب هذا التحديد) ليس هو المفهوم الوحيد الذي انتقلت به اللسانيات من النظرة التاريخية إلى النظرة الوصفية البنيوية لأن الالتفات إلى بنية اللغة يقتضي من الباحث الإمساك عن كل اعتبار تاريخي بل التمييز الصريح بين هذا الاعتبار وبين النظر في هيكل اللغة في وقت معين أي بصرف النظر عن

---

[1] فرحات عياش، مرجع سابق، ص 133 ، 134، بتصرف.

العامل الزماني وأحداث هذا التطور"[1]، ومما تقدم نرى أن سعة اللغة العربية كانت ناتجة عن الاشتقاق ولولاه لبقيت هذه اللغة آلية جامدة لا توليدية منجبة، ومن خلال هذه الصيغ التي نستعملها لأصل واحد نشاهد أن اللغة العربية جسم حي تتوالد أجزاؤه وتتجدد صيغه كلما تجددت الأغراض والمعاني ولولا هذه الأصوات الثلاثة التي هي أصل الاشتقاق لعدمت جودة اللغة العربية، ولحصرت في نطاق ضيق، ومن هنا نحكم عليها بالعقم المبين، ولكنها تحسس متعلمها بما بين ألفاظها وكلماتها من روابط حية وارتباط عضوي بين كل مجموعة من هذه الألفاظ تعود إلى مادة لغوية واحدة أشبه شيء بأفراد الأسرة الواحدة الذين ينحدرون من جد واحد، مما يسمح لنا بالقول، أن ارتباطها حيوي، وأن طريقة اللغة العربية في نمو ثروتها اللفظية(حيوية توليدية) وليست جامدة، وهذه الخاصية لا نجدها في اللغات الأخرى، وإن كانت هي أيضا لا تخلوا من الاشتقاق إلا أنها ليست بدرجة اللغة العربية في الاشتقاق، فمثلا«كلمة (حدق) وما تفرع عنها من كلمات نحو (أحدق، حديقة، حدقة العين) نجدها تتضمن كلها معنى الإحاطة، والألفاظ المشتقة من مادة: (ج ن ن) تتضمن معنى الاستتار ومنها: المحن، والجنّة، والجنون والجنْ والجنّة والألفاظ المشتقة من مادة: (شرك) كالشرك والشركة، والاشتراك تتضمن معنى التعدد والمشاركة»[2].

ونرى "محمد المبارك" لم يوفق في كتابه "فقه اللغة وخصائص العربية" في تمييزه بين الاشتقاق وتحول (الكلمات، فهو عند قوله: "ولو نظر الفرنسي إلى كلمتي: *canine* كلبي، *Chien* كلب).ما وجد ما يدل على أنهما من أصل واحد، وكذلك (*Capitaine* و *Chef*) مع أنهما يرجعان إلى

---

[1] الحاج صالح، **اللسانيات**، م 2ع1 (الجزائر: جامعة الجزائر 1972) ص 15، 38، 44.

[2] محمد المبارك، مرجع سابق، ص 71.

كلمة *Capit* اللاتينية ومعناها الرأس، ومثل هذه الأمثلة كثيرة جدا في لغتهم انتهى كلام "محمد المبارك"، وإننا نراه يخلط بين الاشتقاق وتحول الألفاظ عبر الزمان، ويلاحظ أن اللغة العربية لها أسر تحدد مجموعاتها بروابط تجمعها، وهي الحروف أو الأصوات الثلاثة التي تدور مع ما يتولد عنها ويشتق منها من ألفاظ، وتختلف مفردات هذه المجموعات أو أسر الألفاظ كثرة وقلة، فهي كالأفراد منها المنجب والعقيم والمكثر والمقل، وبهذه الطريقة تؤدي وظيفتها في الحياة إذ تقابل كل مولود جديد حسيا كان أم معنويا بلفظ يناسبه ويطابقه ويلائمه مع الملاحظة على الأصول الثلاثة وقد يدرك السامع بجرسها هذه الأصول الواضحة كل الوضوح من خلال سماعه لتغيير الصيغ المستعملة لمعان جديدة قد تتولد من هذه الأصوات التي غالبها ثلاثة، وقد يشتبه هذا الأصل لتغير صوتي طارئ يخفي ويدق على من ليس يعرف هذا العلم والتراكيب المتولدة عن أصل من أصول يعتبره القدامى أساسا لأسرة الكلمة»[1].

***أقسام الإشتقاق:**

«على اعتبار الاشتقاق أخذ كلمة من أخرى، مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى، فقد اختلف كثير من العلماء المتقدمين، والمحدثين في تعريفه، وبيان أقسامه بعض الاختلاف، فميز علماء اللغة المحدثون بين الاشتقاق الكبير والأكبر، ثم قسموا الاشتقاق إلى أربعة أقسام عام (صغير)، وكبير، وأكبر وكبار(النحت).

– الإشتقاق الصغير:

[1] بنعزوز زبدة، مرجع سابق،ص 27 ، 28، 29، بتصرف.

اجتمعت كل آراء علماء اللغة قديما وحديثا على أن الاشتقاق الصغير هو انتزاع كلمة من أخرى، وذلك بتغيير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الأحرف الأصلية، وفي ترتيبها "فابن جني" في الخصائص يجعل الاشتقاق ضربين: صغيرا وكبيرا، ويعني **بالاشتقاق الصغير**: ذلك الاشتقاق الذي ينحصر في مادة واحدة، تحتفظ بترتيب حروفها، فيقول: "وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقراه، فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه، وذلك كترتيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى في تصريفه، نحو: سلم ويسلم سالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم: اللذيغ أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة، و **الاشتقاق الصغير**: هو إنشاء مركب من مادة يدل عليها وعلى معناها وهذا الاشتقاق أيضا فيه خلاف، حيث ذهب "الخليل" و"سيبويه" و"أبو عمر"، و"الأصمعي"، و"أبو عبيدة"، و"المازني" و"المبرد"، و"الزجاج" و"الكسائي"، و"الشيباني"، وغيرهم إلى أن الكلم بعضه مشتق، وبعضه غير مشتق» [(1)]، كما ذهبت طائفة من متأخري أهل اللغة إلى أن الكلم كله مشتق، وقد نسب هذا المذهب إلى "الزجاج"، كما زعم بعضهم أن "سيبويه" يرى ذلك [(2)]، والاشتقاق الصغير هو أكثر أنواع الاشتقاق شيوعا في اللغة العربية وهو محتج به لدى أكثر علماء اللغة: "وطريقة معرفته تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة واطراد أو حروفا غالبا كضرب، فإنه دال على مطلق الضرب فقط.

[1] السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج1 ، ص 202.
[2] نفسه، ص 201، 202 .

أما ضارب ومضروب، ويضرب، وإضرب فكلها أكثر دلالة، وأكثر حروفا وضرب الماضي مساو حروفا، وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في (ض رب) وفي هيئة تركيبها» [1]، والرأي الصائب والسديد الذي نستطيع أن نعمل به، وننتصر إليه ونؤيده، بل هو رأي منطقي ومقنع هو ما ذهب إليه المؤلفون في الاشتقاق – الذين ذكرنا أسماءهم آنفا – من أن الكلم بعضه مشتق وبعضه الآخر غير مشتق، والاشتقاق الصغير أو العام – كما يسميه "علي عبد الواحد وافي" "هو ارتباط كل أصل ثلاثي في اللغة العربية، بمعنى عام وضع له، وهذا المعنى يخرج إلى خير الوجود في كل كلمة توجد فيها الأصوات الثلاثة مرتبة حسب ترتيبها في الأصل الذي أخذت منه"[2]، وأهم ما في الاشتقاق الأصغر أن ترد التصاريف المختلفة المتشعبة عن المادة الأصلية إلى معنى جامع مشترك بينهما، يغلب أن يكون معنى واحد لا أكثر، فالمعنى العام لكلمة (العلم)، هو إدراك الشيء وظهوره، ووضوحه يرتبط بالأصوات التي تتكون منها هذه الكلمة (ع ل م)، فنجد المعنى قد تحقق في كل كلمة توجد فيها هذه الأصوات الثلاثة مرتبة على هذه الصورة مهما تخللها، أو سبقها، أو لحقها من أصوات أخرى لينة أو ساكنة، فيتحقق المعنى في كلمات: علم، علمن، أعلم، نعلم، اعلم، اعلمي، علم، علموا، يعلم، نعلم، تعلم، تعلموا، تعالم، تعالموا، علم، يعلم، علم، علامة، معالم، أعلام، علامات، عليم، عالم، معلوم، علامة، علماء، عالمون، علوم، متعلم، معلم، معلم، معلم، معلوم، عالم، عالمون،

---

[1] نفسه، ص 201.

[2] علي عبد الواحد الوافي، **فقه اللغة**، ص 178 ، نقلا عن **الاشتقاق و دوره في نمو اللغة**.

عالمات، معلومات»[1]، «وهناك نوعان من الاشتقاق ينتميان إلى هذا القسم أقرهما مجمع اللغة العربية هما:

1- **الاشتقاق من أسماء الأعيان** : وقد ورد منه في لغة العرب، كالاشتقاق من أسماء الذهب والفضة والجص، فنقول مُذهب ومفضض ومجصص واشتقاقهم من اسماء الناقة والحجر والنسر والأسد وبغداد كلمات نحو: استحجر الطين (إذا يبس وصار كالحجر)، واستنوق الجمل (إذا حاكى الناقة)، استنسر (إذا حاكى النسور)، واستأسد الرجل (أي حاكى الأسد)، وتبغدد (انتسب إلى بغداد أو تشبّه بأهلها)،" ولشدة حاجة المتكلمين إلى هذا النوع من الاشتقاق أقر مجمع اللغة العربية القياس عليه عند الضرورة"[2].

2- **المصدر الصناعي**: وهو ما يتكون بزيادة ياء النسب والتاء إلى اللّفظ للتعبير عن المعنى الحاصل بالمصدر، ولم يرد إلا في قدر ضئيل من لغة العرب نحو: (الجاهلية، العبودية، الربوبية، الأعرابية والفروسية)، إلا أن علماء اللغة لاحظوا شدة الحاجة إلى هذا النوع من الاشتقاق، ولا سيما في العلوم الفنون والآداب والفلسفة، ومن ثم أجازه مجمع اللغة العربية»[3].

- **الإشتقاق الكبير:**

«يعد من ابتكار "ابن جني" الذي مهما حاول إرجاعه إلى شيخه "أبي على الفارسي" يبقى دائما مرتبطا باسمه فقد صرّح في "باب الاشتقاق الأكبر" ما نصه: "هذا موضع لم يسمِّه أحد من أصحابنا، غير أن "أبا على"

---

[1] فرحات عياش، مرجع سابق، ص 69 ، 70 ، 71 ، 72 ، 73 ، بتصرف.
[2] مجلة المجمع ، 36/1، 232 ، 268 ، نقلا عن **قضايا في الدرس اللغوي**.
[3] نادية رمضان النجار، مرجع سابق، ص 99 ، 100.

– رحمه الله – كان يستعين به و يخلد إليه مع اعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمه وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه ويتعلل به، وإنما هذا التقليب لنا نحن وستراه وتعلم أنه لقب مستحسن» [1]، ثم استطرد قائلا في تعريف ما ابتكره: "وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرّف كل واحد منها عليه، وأن تباعد شيء من ذلك عنه ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الإشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد"[2]، وبخلاف الاشتقاق الأصغر الذي لا تبديل قط في ترتيب حروفه الثلاثة الأصلية بين المادة الأصلية والكلمات المشتقة منها، فإن الاشتقاق الأكبر يتم بتغيير مواقع الحروف الثلاثة ست مرات وهو أقصى عدد ممكن، وتقليبها للحصول على ستة تراكيب تختلف في الهيئة وتتوافق في المعنى، وكل تركيب يصير بدوره مادة أصلية قابلة لاحتضان الاشتقاق الأصغر، وقد أعطى "ابن جني" أمثلة في الاشتقاق الأكبر منها: (ك ل م)، (ك م ل) (م ك ل) (م ل ك) (ل م ك) (ل ك م)، في معنى القوة والشدة، و(ق و ل) (ق ل و) (و ق ل) (و ل ق) (ل ق و) (ل و ق) في معنى الإسراع والخفة، (ق س و) (ق و س) (و س ق) (س و ق) (س ق ومهل)، في معنى القوة والاجتماع و(س م ل) (س ل م) (م س ل) (م ل س) (ل م س) (ل س م مهمل) في معنى الأصحاب والملاينة، غير أن الاشتقاق الأكبر أقل استعمالا في العربية وأعوص مذهبا وملتمسا من الاشتقاق الأصغر، كما أن المعنى الجامع بين التقاليب الستة ليس دائما

---

[1] **الخصائص**، ج2، ص 133 ، 134.

[2] **الخصائص**، ج2، ص 133 ، 134.

واضحا ولا مقنعا على الرغم من تكلف ابن جني الشديد في إيجاده وإبرازه لتستقيم نظريته وتطرد أمثلته»[1].

- الاشتقاق الأكبر:

«هو ارتباط بعض المجموعات الثلاثية الصوتية ببعض المعاني ارتباطا عاما، غير مقيد بالأصوات نفسها بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته، ومتى وردت إحدى تلك المجموعات الصوتية على ترتيبها الأصلي، فلا بد أن تفيد الرابطة المعنوية المشتركة سواء احتفظت بأصواتها نفسها، أم استعاضت عن هذه الأصوات أو بعضها بحروف أخرى تقارب مخرجها الصوتي أو تتحّد معها في جميع الصفات.

و"ابن جني" ابدى ملاحظات كثيرة في موضوع الاشتقاق الأكبر وأورد أمثلة كثيرة متعلقة بهذا الضرب من الاشتقاق، وذلك في كتابه (الخصائص)، تحت عنوان "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعان" وفي هذا الصدد يقول: "وهذا باب واسع من ذلك قوله سبحانه وتعالى: (إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا)، أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى: تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنّهم خصوا هذا المعنى بالهمزة، لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز مالا بال له، كالجدع وساق الشجرة، ونحو ذلك، ومنه العسف، والأسف[2]، والعين أخت الهمزة، كما أن الأسف يعسف النفس، وينال منها، والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف، فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين، ومن خلال ما

---

[1] **محاضرات في فقه اللغة**،(سلسلة الدروس في اللغات والآداب) ص 81، 82، باختصار.

[2] العسف: العسيف، والأسيف: العسيف: الأجير، والأشيف: الشيخ الكبير، ومن اشتد به الأسف.

تقدم يتبين لنا أن الاشتقاق الكبير يقوم على قلب الحروف بينما يقوم الاشتقاق الأكبر على استبدالها، ولقد أدرك علماء اللغة العرب إمكان وقوع الإبدال مثلما تصوروا مكان وقوع القلب، فأخذوا يلتمسون الشواهد والأمثلة على تماثل المعنى بين الصورتين المبدلة والمبدلة والمبدل منها، مثل: (س ح ل) (ص هـ ل) (ج ل ف) (ج ر م) (س ل ب) (ص ر ف)... التهتان والتهتال: كلاهما يعني سقوط المطر... »[1].

*** فوائد الاشتقاق:**

«إن الألفاظ اللّغوية تشبه في نموها وتكاثرها ونشوئها سائر الكائنات الحيّة، فهي تتغذى من البيئة الاجتماعية وتضطر للمرور بمخبر علماء اللغة لتزودها بالقوانين، وعليه فهذه الألفاظ منها ما هو منجب كثير الإخصاب كمادة (أ ث ر)، ومنها ما هو عقيم لا يلد ولا يتكاثر أبدا كمادة(أ ب أ)، وكلها تؤدي وظائفها اللغوية التي وضعت من أجلها، والألفاظ تحيا باستعمالها المستمر وتموت عندما يصيبها الإهمال والكساد، ولكل كلمة حياة وتاريخ يشهدان على المراحل التي مرّت بها مذ مجيئها إلى الوجود ويكشفان عما اعتراها من تطور وتغير في بعض أصواتها أو حتى في معناها، ونعما القواميس المستحدثة في اللغات الهندية – الأوروبية والقائمة على تأثيل الكلمات لمعرفة تطورها الصوتي والمعنوي من تاريخها الاشتقاقي!، وما أحوج اللغة العربية إلى مثل هذا النوع من المعاجم ذات الفوائد الكثيرة!

وللاشتقاق في اللغة العربية أهمية عظمى وفوائد كثيرة نذكر منها، فهو يجلي صلة القرابة والنسب بين كل مجموعة من الكلمات التي تشترك

---

[1] فرحات عياش ، مرجع سابق، ص 81

في ثلاثة أحرف مميزة يقال لها المادة الأصلية نحو مادة (ع ل م) وما ينشأ منها من ألفاظ كعلم، وعلامة، وأعلومة، معلم، وعالم، وعلم، ومتعلم، ومعلم، وعلامة، وإعلام ومعلوم، وعلماني، إلخ، وهو يتيح معرفة المشتبهات من المفردات بردها إلى أصولها الأثافية على شاكلة التقوى من وقى، والتراث من ورث، وتجاه من وجه، وسيّان من سوى»... إلخ، كما أن الاشتقاق يساعد كثيرا على ترتيب المعاجم بحسب موادها التي يقلّ عددها على عدد الألفاظ المشتقة منها، وفي ذلك تيسير لعمل المعجمي واختصار لجهد المستعمل الذي لا يجد أي مشقة ولا عناء في الرجوع إلى مادة معينة تجمع في ذاتها بذور المشتقات المتاحة، أو المحتملة، وأكثر من ذلك، فإن الاشتقاق يعني توليد من كلمة

واحدة عشرات الكلمات والمعاني المقابلة لها، فهو أحسن وسيلة لإنماء اللغة بخلق مفردات جديدة طورا وبتحيين المشتقات عند استعمالها فيما يقتضيه الحال والتعبير اللساني طورا آخر، والاشتقاق هو النسغ الضروري لحياة اللغة العربية ومحركها نحو المزيد من التطور والرقي والتقدم والازدهار، ولولاه لجمدت اللغة وفقدت حركيتها التي بدونها لن تكون الكلمات سوى جثث هامدة» [(1)]، «والاشتقاق وسيلة من الوسائل المتعددة، والمختلفة التي تحاول الأمة العربية عن طريق مجامعها ومؤتمراتها تطور ونمو لهذه اللغة، فهو عبارة عن جسر وطريق يصل بين اللغة والحياة الفكرية والاجتماعية، وسبيل إلى البحث عن التعبير والتفكير والعمل أو العادة عند الأمم، وإذا سلمنا بهذا القول: إن تطوير ورقي لغتنا بالوسائل المتوفرة لدينا سواء كانت الوسيلة اشتقاقا أو قياسا أو غيرهما، فإنه لا يمكن

---

[1] زبير دراقي ، مرجع سابق، ص 87، 88 ، بتصرف.

أن يكون هذا التطور بعيدا عن واقع الحياة، لأن اللغة النامية والمتطورة هي اللغة التي تعبر عن كل ما يجري في حياة أفرادها وجماعاتها في كل الميادين، إنها اللغة التي تقرأ الواقع، وتعيش الواقع، وتترجم جميع النواحي خاصة الفكرية،" ومما يدل على أهمية وقيمة الاشتقاق في اللغة العربية، هو لجوء بعض المجامع اللغوية إلى وضع أوليات في استخدام أدوات ووسائل نمو اللغة مثل الاشتقاق والنحت مدفوعة بحرصها على سلامة اللغة، فوضع المجمع اللغوي العراقي عند تأسيسه خطة وضع الكلمات والمصطلحات العلمية جاء فيها:

"إن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجيء إما عن طريق الاشتقاق، وإما عن طريق التعريب، ولا مانع من الجمع بينهما، ويرجع إلى النحت عند الحاجة وكذلك لا يذهب إلى الاشتقاق في وضع كلمة جديدة إلا إذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها"، إن لجوء المجامع اللّغوية في العصر الحديث إلى اشتقاق دليل قاطع على دروه في نمو اللغة، وجعلها تساير وتواكب وتخطى خطوات التطور العلمي والحضاري، إن اللغة العربية تشتمل في طبيعة تكوينها على عناصر نموها، وحيويتها كالاشتقاق والقياس القلب الإبدال والنحت والتعريب"، وبواسطة كل هذه الأدوات والعناصر تستطيع التعبير عن كل ما هو جديد وعن كل ما يختلج النفس من أفكار ومشاعر، وابتكارات ومستجدات في سبيل التنمية اللغوية وغيرها، فهو الذي يحدد الكلمة، أومادتها الأساسية ومعناها الأصلي، وصلتها بأصولها الاشتقاقية، وهذه الصلة بين معاني الكلمات وأصولها التي اشتقت منها، هي الصيفة الغالبة في لغتنا، والسبب الأساسي هو ثبات الحروف الأصلية وبقاؤها مهما تبدلت أشكال الألفاظ التي تتكون منها أبنيتها، وتصاريفها، أو

تبدلت معانيها»[1]، ولقد وضع علماء اللغة العرب ملاحظة يجدر بنا ذكرها «أن الاشتقاقيين الأصوليين لا يقبلون البتة الاشتقاق من غير لغة العرب حتى لا يختلط الدخيل بالأصيل ودليل ذلك قول "ابن السراج" في رسالته في الاشتقاق مما ينبغي أن يحذر كل الحذر أن يشتق من لغة العرب شيء من لغة العجم... فيكون بمنزلة من ادّعى أن الطير ولد الحوتْ [2]»[3].

* **النحت:**

«نحت ينحت العود: براه، ونحت الخشبة نجرها والحّجر سوّاه وأصلحه.

قال تعالى في كتابه العزيز (وتنحتون من الجبال بيوتا آمنينّ[4]»[5].

«ومن العلماء من يعد النحت قسما آخر من أقسام الاشتقاق، وذلك لما له من أثر في تيسير التعبير باختصاره، وفي الاستكثار من الكلمات، باشتقاق كلمات جديدة للدلالة على معان مستحدثة ليس لها ألفاظ في اللغة ولا تفي كلمة من الكلمات المنحوت منها بمعناها، والنحت في اصطلاح علماء الاشتقاق: أخذ كلمتين أو أكثر مع المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه اللفظ والمعنى معا، وطريقة ذلك أن تعمد إلى كلمتين أو أكثر فتسقط من كل منها، أو من بعضها حرفا أو أكثر، وتضمّ ما بقي من أحرف كل كلمة إلى الأخرى، وتؤلف منها جميعا كلمة واحدة فيها بعض أحرف الكلمتين أو الأكثر، وما تدلان عليه من معان والكلمة الجديدة المتولدة

---

[1] فرحات عياش ، مرجع سابق، ص 113 ، 114 ، 115، بتصرف.

[2] السيوطي ، **المزهر**، ج1، ص 351.

[3] **محاضرات في فقه**، سلسلة الدروس في اللغات والآداب، ص 88 ، بتصرف واختصار.

[4] صورة الشعراء 149/26.

[5] زبير دراقي، مرجع سابق، ص 88 ، 89 .، باختصار.

بالنحت فعلا كانت أو اسما تخضع كأي كلمة عربية لقواعد اللغة وقوانينها، فإذا كانت فعلا أجريت عليها أحكام الأفعال كالتعدي واللزوم، والبناء للمعلوم وللمجهول، والرفع والنصب والجزم، وإن كانت اسما جرت عليها أحكام الاسماء، كالتنكير والتعريف، والتذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، والرفع، والنصب والجر، ويجب عند النحت مراعاة أمرين مهمين هما: أن تأتي الكلمة المنحوتة على وزن من أوزان الكلمات العربية، وأن تكون الحروف المؤلفة منها منسجمة غير متنافرة ويتحقق ذلك بالبعد عن الحروف التي تحاشي العرب جمعها في كلمة واحدة، حتى تكون الكلمة سهلة النطق خفيفة الجرس على الاذن»[1]، «وقد أجاز النحت أكثر العلماء القدماء، من أولهم "الخليل بن أحمد" (ت 175 هـ) في معجمه "العين"، حيث نحت "حيّعل" من جملة (حي على الفلاح) وأجاز ذلك لما سمع عن العرب من قولهم: (تعبشم الرجل وتعبقس ورجل عبشمى)، إذا كان من "عبد شمس" أو من "عبد قيس" فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة، واشتقوا فعلا"، وهذه المشتقات المنحوتة عند "الخليل" تأخذ حكم ما تم انتمائها إليه، فهي تعامل معاملة الأسماء إذا صارت اسما، كما تعامل معاملة الأفعال إذا صارت فعلا كما سبق وأن ذكرنا، وكذلك تحدث عنه "سيبويه" في مواضع متفرقة من كتابه، فنذكر في باب مالا ينصرف من المركبات قال: "وأما حيَّهل" بفتح الحاء وتضعيف الياء المفتوحة وفتح الهاء "التي للأمر فمن شيئين يدلل على ذلك: حي على الصلاة"، وقد تحدث عن النحت أكثر العلماء القدماء كما سبق وأن ذكرنا ومنهم "ابن فارس" المتوفى (سنة 395 هـ)، و"الثعالبي" (ت 429 هـ) في كتابه "فقه اللغة وسر العربية"، وكذلك

---

[1] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، 56.

"السيوطي" (ت 911 هـ) في كتابه "المزهر في علوم اللغة" أما علماء اللغة المحدثون فقد اهتموا بالنحت اهتماما بالغا سواء أكانوا مؤيدين أم معارضين، فمن الفريق الأول ظهر كل من "جورجي زيدان" في كتابه "الفلسفة اللغوية"، و"عبد القادر المغربي" في كتابه "الاشتقاق والتعريب"، و"مصطفى صادق الرافعي" صاحب كتاب "تاريخ الأدب العربي"، و"ساطع الحصري" صاحب كتاب "آراء وأحاديث"، و"إسماعيل مظهر" صاحب كتاب "تجديد العربية"، وأما الفريق المعارض فمنهم الشيخ "أحمد الاسكندري" الذي أقره قديما على الأمثلة المسموعة ولم يجز صوغ أمثلة جديدة، لأن بابه قد قفل وزمانه قد انتهى»[(1)].

*** رائده:**

«اجمع العلماء على أن "ابن فارس" هو صاحب النحت وأمام القائلين به بلا منازع وقد صدّر العلامة "السيوطي" باب "معرفة النحت" به ولم يجد ممن ألّفوا فيه بعده، سوى "أبي علي الظهير بن الخطير الفارسي النعماني" الذي ذكره، نقلا عن معجم الأدباء "لياقوت الحموي"، في النص الآتي:

سأل الشيخ "أبو الفتح عثمان بن عيسى البلطي النحوي" الظهير الفارسي عما وقع في ألفاظ العرب على مثال "شقحْطَبَ" فقال: هذا يسمى في كلام العرب المنحوت، ومعناه أن الكلمة منحوتة من كلمتين كما ينحت النجار خشبتين ويجعلهما واحدة، فشقحطب منحوت من شِقَّ حَطَبَ، فسأله البلطي أن يثبت له ما وقع من هذا المثال إليه ليعوّل في معرفتها عليه، فأملاها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه وسمّاها كتاب "تنبيه البارعين

---

[1] نادية رمضان النجار، مرجع سابق، ص 103، 105 ، بتصرف واختصار.

على المنحوت من كلام العرب" [1]، والنحت "مذهب" ابن فارس كما صرّح بذلك حرفيا في الصاحبي، مضيفا أن كل ما زاد على ثلاثة أحرف فأكثره منحوت أي منتزع من غيره، وقد تناوله بنوع من التفصيل في مقاييس اللغة حيث وضع الألفاظ الرباعية والخماسية المجردة والمزيدة في آخر كل مادة ليبين عمل النحت فيها، ومنهجه النحتي مرسوم في قوله: "اعلم أن الرباعي والخماسي مذهبا في القياس يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما بحظ"، ثم زاده توضيحا لما قال: "فمنه من نحت من كلمتين صحيحتي المعنى مطردتي القياس، ومنه ما أصله كلمة واحدة وقد ألحق بالرباعي والخماسي بزيادة تدخله ومنه ما يوضع كذا وضعا"»[2].

* **أقسام النحت:**

«**النحت الفعلي**: وذلك بأن، تنحت من الجملة فعلا يدل على النطق بها، أو على حدوث مضمونها مثل قولهم: (سجل) و(حوقل)، من سبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، و(دمعز) و(سمعل)، من أدام الله عزك، والسلام عليكم، ومنها جعفل، أي جعلني فداءك، و(بسمل)، إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم»[3].

«**النحت الوصفي**: أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدل على صفة معناها، وذلك مثل(صهصاق) وهو الشديد من الأصوات من (صهيل، وصلق) وكلاهما بمعنى صوت.

---

[1] السيوطي ، **المزهر**، ج1 ، ص 482، 483 .

[2] **محاضرات في فقه اللغة** ، سلسلة الدروس في اللغات و الآداب ، ص 89 ، 90.

[3] نادية رمضان النجار، مرجع سابق، ص 105.

النحت الاسمي: أن تنحت من كلمتين اسما مثل (جلمود) من (جلد وجمد).

النحت النسبي: أن تنسب شيئا أو شخصا إلى بلد، فتنحت من اسميهما اسما واحدا على صيغة اسم المنسوب، فتقول مثلا في طبرستان وخوارزم (طبرخزى) أي منسوب إلى المدينتين ويقولون في النسبة إلى (إفريقيا وآسيا) (آفروأسيوي)، ويقولون في الحيوان الذي يعيش في البر والماء (برمائي)، ويمكن إرجاع بعض الكلمات الرباعية والخماسية إلى كلمتين، فمثلا كلمة (دحرج) منحوتة من (دحره فجرى) وكلمة (هرول) من (هرب وولى)»[1].

*** فوائد النحت:**

«لم يكن "السيوطي" مبالغا حين جعل معرفة النحت من لوازم كل مقبل على تعلم العربية أو التضلع منها أليس النحت أولا وأخيرا لونا من ألوان الاشتقاق؟ فهو في جوهره، وفي مبناه اشتقاق ينضاف إلى نظيرية الأصغر والأكبر ما دام توليد شيء من شيء وفرع من أصل عمل الثلاثة سواء، والنحت أساسا طريقة من طرائق توليد الألفاظ وإكثارها مهما قلّل بعض اللغويين من شأنه واستهانوا بشواهده الزهيدة وكم معجمي معاصر التجأ إليه وعوّل عليه في ترجمة بعض الألفاظ الأجنبية المركبة مثل برمائي وكهرمائي، وكهرومنزلي، وفقلغوي، وقبتاريخي! وبدخول الزوائد عليه من سوابق، وأواسط ولواحق يلحق النحت توا بالاشتقاق، وتصير منحوتاته قابلة لضروب من التصريف وتفريع الألفاظ المتنوعة، أما النحت اللفظي، فآيته توليد من كلمتين كلمة جديدة تكون آخذة بنصيب من حروف الاثنتين ودالة

---

[1] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 216.

على معنى ما انتزعت أو اختزلت منه، وكلا النوعين من النحت ضروري لتوليد المفردات وتجديد رصيد العربية اللغوي باستمرار » [1]،" ولأهمية النحت في الاشتقاق، اهتم به علماء مجمع اللغة العربية القاهري، وقدمت فيه أبحاث ضافية عرضت فيه على لجنة الأصول، وبعد دراسات وبحوث متعددة، أقره المجمع في الدورة الرابعة عشرة، وإليك أهم ما جاء فيه: النحت ضرب من الاختصار، وهو أخذ كلمة من كلمتين فأكثر وقد نحت العرب على مثال الأفعال الرباعية في الأفعال، والخماسية في الاسماء نحو سبحل وبسمل ودمعزة.

ويؤخذ من النحت المتقدم:

أ- أنه لا يجب في النحت الأخذ من كل كلمة من المنحوت، فإن (دمعز) لم يؤخذ فيها حرف من حروف الجلالة.

ب- لا يجب أن تؤخذ الكلمة الأولى بتمامها.

ج- لا يجب المحافظة على حركات الحروف وسكناتها، فإن الشين في (مشكمنه) ساكنة، وهي في المنحوت متحركة.

ترتيب الحروف في النحت محل خلاف، فبعضهم يرى أنه لا بد منه، ولهذا خطئ من قال (الجعفلة)

وقيل الصواب (جعفدة) لأنها من جعلت فداءاك، وبعضهم يرى لا ضرورة لذلك، ويكون عدم الترتيب تفنّنا وقد نحت العرب من المركب الإضافي، فقالوا (دربخي) من دار الطبيخ (وسقزني) من سوق مازن و(رسعنى) من رأس عين و(بهشمى) من بني هاشم.

[1] زبير دراقي ، مرجع سابق، ص 92، 93.

المتقدمون يرون أن النحت سماعي، فيوقف على ما سمع، وليس لنا أن ننحت، ولعل هذا لأن النحت اختراع ألفاظ لم تعرفها العرب فلا تدخل في لغتهم.

يجوز النحت في العلوم والفنون للحاجة الملحة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة.

ومن المصطلحات التي استحدثت طبقا لقرار المجمع قولهم في العلوم (حلما) أي حلل الماء، ومن ثم وافق المجمع على إباحة النحت عند الضرورة، وهذه المصطلحات قد لاقت ترحيبا من أكثر أصحاب العلوم، وكذلك علماء المجمع، وذلك لدقتها وسهولتها وإيجازها، وهذه أمور لازمة في المصطلح العلمي بعيدا عن الآداب والفنون، وبعد عدة دورات أقرّ قياسية النحت في المصطلحات العلمية، وبذلك تخلصنا من قيد الضرورة ومن تخصيص النحت بالمصطلحات العلمية، وأجاز القياس على المسموع منه وحدد قواعد صوغه وفي ذلك كله تيسير كبير»[1].

[1] (1) نادية رمضان النجار ، مرجع سابق، 108، 109.

الفصل الرابع

علم البلاغة

أولا: مقدمات عامة في علم البلاغة العربية.

ثانيا: علم المعاني .

ثالثا: علم البيان.

رابعا: علم البديع.

تمــهيـد:

يعتبر علم البلاغة من أهم علوم اللّغة العربية، فبالإضافة إلى اعتماده على القوانين والأسس والقواعد التركيبية والصرفية وغيرها من القوانين الأخرى ، فإنه يعمد إلى إظهار اللغة العربية في حلّة مزركشة بأنواع من العلوم التي يتضمنها علم البلاغة ، فترى كل كلمة و تقرأ كل لفظة و جملة في مكان جديد دون أن يخل ذلك المكان بالمعنى أو المراد، إنها قمة العقل العربي، وقمة النظرة العلمية عندما تلتقي بالفكر الأدبي الذواق، إنها دليل ملموس لليد و للعقل العربي .

أولا: مقدمات عامة في علم البلاغة العربية:

*** البـلاغـة:**

«البلاغة لغة من البلوغ والوصول والكفاية والمراد.

وفنا: تأدية المعنى واضحا فصيحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها وقع في النفس مع مراعاة مقتضى الحال...، وعلم البلاغة من أهم علوم اللغة

العربية التي عن طريقها يكون للألفاظ والعبارات نوع من الذوق الفني والمعنى الروحي، وهي ثلاثة أقسام: المعاني، البيان، البديع»[(1)].

«ونستطيع القول: إن العوامل الأولى في نشأة البلاغة هي:

إن العرب نشأوا وترعرعوا على تذوق الأسلوب ونقده، والفطنة بجيده ورديئه، ونشأ عن ذلك ظهور آراء نقدية كانت هي الأساس الأول للنقد الأدبي عند العرب، وكان هذا النقد هو عماد علم البلاغة العربية،.... وتذكر الأخبار أن النابغة الذبياني كانت تضرب له قبه أدم في سوق عكاظ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فيصدر عليها أحكامه وأراءه التي تصور الدرجة التي بلغها تجويد الشعر.

صدور الأحكام الجمالية على روائع الشعر العربي، عن طريق المجالس الأدبية التي كانت تقام في منطقة الحجاز، وهذا منذ مطلع النصف الثاني من القرن الهجري الأول تقريبا.

إن العرب أمة مفطورة على البلاغة، وقد رفع القرآن الكريم منزلة البلاغة فوق منزلتها، وعلى أساس ذلك فقد تنبه العلماء في بحثهم ودراستهم لخصائص البلاغة العربية إلى القرآن الكريم.

إن ظهور اللحن وانتشاره، واختلاط العرب بالشعوب الأخرى، كان من الأسباب المباشرة إلى تدوين أصول علم البلاغة العربية.

كان للمعتزلة الدور الكبير في ظهور ونشأة علوم البلاغة العربية، ذلك أن هذه العلوم لها اتصال وثيق بما كانوا ينهضون به من المخاطبة والمناظرة.

---

[1] محمد وزناجي و رشيد مزوزي ، مرجع سابق، ص 49، بتصرف.

* من العلماء الذين ظهروا في علم البلاغة:

لقد برز في ساحة البحث والدرس البلاغي في القرنين الثاني والثالث الهجريين ثلاثة علماء كان لمؤلفاتهم أهمية خاصة وهؤلاء هم:

أ – أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209 هـ)، وهو تلميذ الخليل بن أحمد، وقد وضع كتابا في علم البيان سماه "مجاز القرآن"، لكنه لم يرد بالمجاز الوصف الذي ينطبق على ما وضع من القواعد بعد، بل هو أشبه بكتاب في اللغة توخى فيه جمع الألفاظ التي أريد بها غير معانيها الوضعية.

ب– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت 225 هـ)، وهو أحد زعماء المعتزلة، له كتب كثيرة، منها "البيان والتبيين" الذي ينطوي على أصول مهمة لعلم البلاغة، فقد تحدث فيه عن الفصاحة والبلاغة ودافع على بلاغة العرب» [1]، ونذكر على سبيل المثال مما ذكر في كتاب البيان والتبيين في تعريف البلاغة: «خبرني أبو الزبير كاتب محمد بن حسان، وحدثني محمد بن ابان – و لا أدري كاتب من كان – قالا:

قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الفصل من الوصل.

وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام.

وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة.

وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة.

---

[1] يوسف أبو العدوس: **البلاغة والأسلوبيّة** مقدمات عامة الطبعة الأولى (عمان– الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع 1999) ص 13، 14، بتصرف

وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر والحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم قال: ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة: أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدّرك وأحق بالظّفر.

قال: وقال مرّه: جماع البلاغة التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلة الخرف، بما التبس من المعاني أو غمض، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذّر.

ثم قال: وزين ذلك كله، وبهاؤه وحلاوته وسناؤه، أن تكون الشمائل موزونة، والألفاظ معدّلة، واللهجة نقية، فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصّمت، فقد تم كل التمام، وكمل كل الكمال» (1) هذا عن الجاحظ الذي يعتبر من أعلام علم البلاغة.

ج – "أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل (ت 296 هـ)، ألف كتاب "البديع" وجمع فيه سبعة عشرة نوعا بديعا، ومن الإعلام الذين اهتموا بالدرس البلاغي في القرن الرابع الهجري:

– قدامة بن جعفر(ت 377 هـ) الذي ألف كتاب "نقد الشعر"، حيث أضاف إلى ما ذكر ابن المعتز من أنواع البديع ثلاثة عشر نوعا فتممها ثلاثين نوعا.

– وألف أبو الحسن على بن عبد العزيز المعروف بالقاضي الجرجاني (ت 392 هـ) كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، وقد كان هدفه الحد من الهجوم على المتنبي من جانب ناقديه، واهتم في كتابه

---

[1] **البيان والتبيين**، ج1 ، ص88.

بالاستعارة الحسنة والقبيحة، وعرض لأنواع من الجناس والتقسيم لبعض أنواع التشبيه، ثم تحدث عن السرقات الشعرية.

- وضمّن أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) "كتاب الصناعتين"، حديثا عن البلاغة حيث أضاف بعض أنواع البديع إلى ما ذكره سابقون.

*** ومن العلماء الذين برزوا في أواخر القرن الرابع والقرن الخامس الهجريين:**

- القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت 403 هـ) مؤلف كتاب "إعجاز القرآن".

- وألف أبو الحسن محمد بن الطاهر المعروف بالشريف الرضى (ت 406 هـ)، كتابين مهمين هما "تلخيص البيان عن مجازات القرآن"، و"المجازات النبوية" حيث تحدث في الثاني عن الدلالة الوضعية للفظ ثم الدلالة المجازية.

- وضمن أبو الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456 هـ)، كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه" أبوابا عن البلاغة، والبيان والإيجاز والبديع والمجاز والتشبيه والمطابقة والتمثيل...

- وجمع عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) متفرقات البلاغة في كتابيه المشهورين "أسرار البلاغة"

و"دلائل الإعجاز"، وأقام هذا العلم على أسس متينة، وإليه يعود الفضل في تفصيل مباحث علمي المعاني والبيان، ومن هنا يمكن القول: إن الجرجاني هو الذي أسس هذين العلمين.

*** ومن العلماء الذين ظهروا في القرن السابع الهجري:**

- أبو يعقوب يوسف السكاكي (ت 626 هـ) الذي ألف كتاب بعنوان "مفتاح العلوم"، حيث جمع في القسم الثالث منه خلاصة ما كتبه العلماء قبله في هذه الفنون وتحدث في الكتاب أيضا عن علم الصرف، وعلم النحو، وعلوم البلاغة الثلاثة، وعلم الاستدلال (المنطق)، وعلم العروض والقافية، وعلى الرغم من تأثره بالدرس الفلسفي إلا أنه استطاع أن يحدد الأنواع البلاغية وضبطها على نحو دقيق.

- أما ضياء الدين ابن الأثير الجزري (ت 637 هـ) فقد ألف كتاب "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" الذي تحدث فيه عن أصول البيان وفروعه...

- أما في القرن الثامن الهجري وما بعده أخذ المؤلفون يميلون نحو الشرح والتعليق والإيضاح ووضع الحواشي على المفتاح وتلخيصه....، فقد قام الخطيب القزرني (ت 739 هـ) بتلخيص القسم الثالث من "مفتاح العلوم" للسكّاكي، وضمنه أمثلة وشواهد، ورتبه بطريقة تسهل على الدارس تناوله، وسمى ملخصه (تلخيص المفتاح) إلا أنه لاحظ بعد ذلك أنه بالغ في التلخيص فوضع كتابا آخر يوضح فيه بعض ما غمض، وسمى هذا الكتاب "الإيضاح" حيث ضمنه ما جاء به "السكاكي" و"عبد القاهر الجرجاني" وغيرهما على نحو يمكن أن يكون إيضاحا للمسائل البلاغية المختلفة، وبعد القزويني توالت الشروح والحواشي على "المفتاح" و"تلخيص المفتاح"»**(1)**

*** مدارس علم البلاغة:**

«هناك مدرستان بلاغيتان كان لهما أثر كبير في تاريخ البلاغة العربية، وهما المدرسة الأدبية والمدرسة الفلسفية إذ نبه أبو هلال العسكري

---

[1] يوسف أبو العدوس، مرجع سابق ، ص 15 ، 16 ، بتصرف.

إلى اتجاهين مختلفين في دراسة علم البلاغة... إذ كان للفلسفة والمنطق وعلم الكلام الأثر الأكبر في علم البلاغة، أما الاتجاه الآخر يلاحظ أن أسباب وعوامل أخرى غير الفلسفة والمنطق قد أثرت في نشأة علم البلاغة العربية وصبغت أبحاثها ودراساتها بصبغة أدبية، ومن هذه العوامل: القرآن الكريم والكتّاب، والشعرّاء....

أ – المدرسة الأدبية وخصائصها:

كان الميل إلى الجانب الأدبي له الأثر الأكبر في تكوين هذه المدرسة ومن أبرز خصائصها:

- مجافاة الأحكام النظرية والشعور بجورها على العمل الفني....
- الابتعاد عن اقتباسات المنطقيات والفلسفيات والكلاميات التي اعتمدها علماء الكلام من أهل البلاغة.
- الإكثار من الشواهد الأدبية سواء كانت من الشعر أو النثر.
- الإقلال من البحث والتقصي في القواعد والأسس والأقسام.
- الاعتماد على الذوق والحس الفني وحاسة الجمال أكثر من الاعتماد على النظرة المنطقية العقلية العلمية وتصحيح الأقسام.
- الميل إلى التعبير الجمالي، وإبراز القيمة الجمالية.

ومن أهم كتب هذه المدرسة: كتاب البديع لابن المعتز وكتاب الصناعتين "لأبي هلال العسكري.

ب– المدرسة الكلامية وخصائصها:

إن استعمال المنطق والعقل والقوانين له القسط الأوفر في هذه المدرسة، ومن أهم خصائصها:

- إصدار أحكام عقلية منطقية في المسائل البلاغية.

- الاعتماد على المناقشة والتحاور والجدل كطريق في دراستهم.
- العناية والاهتمام بالتعريفات والقواعد والأسس.
- الإقلال من الشواهد الأدبية.
- عدم التركيز والعناية بالناحية الفنية والجمالية في خصائص التركيب وتقدير المعاني الأدبية.
- استعمال المعيار الحكمي الفلسفي المنطقي العقلي المعتمد والمؤسس والمرتكز على قواعد وركائز منطقية، دون الالتفات إلى معاني الجمال وقضايا الذوق.

ومن أهم كتب هذه المدرسة "نقد الشعر لقدامة بن جعفر"، و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني و"الكشاف" للزمخشري و"نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"لفخر الدين الرازي (ت 606 هـ) "مفتاح العلوم "للسكاكي، ولا بد من القول إن المدرستين قد اتصلتا اتصالا وثيقا، ومن الصعوبة الفصل بينهما»[1].

*** الفصاحة:**

الفصيح:

«ورد في مادة (ف ص ح): أفصح الصبح يُفصح افْصاحا وفَصحَ يفْصح، فصْحا إذا بان وغلب ضوءه قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: "الفصح خلو الشيء مما يشوبه، وأصله في اللبن، يقال: فصّح اللبن وأفصح فهو فصّيح ومفصح إذا تعرّى من الرغوة» [2]، ومنه استعير فصح الصبي في منطقه إذا بان وظهر كلامه، وأفصح المتكلم إذا تكلم بالفصاحة وبيّن

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 23، 24 ، بتصرف.

[2] المزهر، ج1 ، ص 184 ، 187.

مراده، فمن حيث اللغة تطلق الفصاحة على الإبانة في النطق وحسن التلفظ كقوله تعالى: (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا) [1]، أي أبين منطقا وأظهر قولا كقولهم: أفصح الأعجمي إذا نطق بالعربية نطقا سليما وفهم منه كلامه، من حيث الاصطلاح تطلّق الفصاحة على البيان، وجودة اللغة وخلوص الكلام من التعقيد، ويوصف بالفصيح المتكلم، والكلمة والكلام المبين عن المعنى والمظهر له، والفصيح جمعه فصح وفِصاح وفُصَحاء للذكور، وفصاح وفصائح وفصيحات (مؤنثها فصيحة) للإناث.

*** شروط الفصاحة في الكلام:**

المقصود بفصاحة الكلام أن تسلم تراكيبه من التعقيد ومعانيه من الإبهام والغموض بعد سلامة مفرداته مما يخّل بفصاحتها، ولا تتحقق فصاحة الكلام إلا بخلوه من العيوب الستة الآتية:

خلوه من تنافر الكلمات مجتمعة، لأن الألفاظ قد تكون فصيحة على انفراد وعسرة النطق ثقيلة على السمع عند تركيبها مع بعضها في جملة كاملة، والتنافر يحصل إما بتجاوز كلمات متقاربة الحروف والمخارج، وإما بتكرير كلمة واحدة عدة مرات كقول الشاعر:

"وليس قرب قبر حرب قبر".

خلوه من ضعف التأليف بنبوه عن الجريان على خلاف قواعد اللغة العربية كوصل الضميرين، وذكر الاضمار قبل مرجعه، وتقديم غير الأعراف على الأعرف، وما شابه ذلك من التعابير الفاسدة الركيكة

[1] سورة القصص 28 / 34 .

لمخالفتها قواعد النحو، وعدولها عن المشهور، وكذا إخلالها بالمعنى والمراد والمفهوم.

خلوه من التعقيد اللفظي الناشئ من سوء ترتيب الألفاظ، ووضعها في غير المواضع اللائقة بها، فكل استعمال أخرج الكلمة من التركيب المألوف (كتقديمها أو تأخرها من غير علة، وفصلها عن المتصلة بها بأجنبي،....إلخ)، اخلّ بفصاحة الكلام وساهم في تعقيد وغموض معناه واضطراب مبناه.

خلوه من التعقيد المعنوي الذي يجعل الدلالة خفية على المعنى المراد والفهم من دون عناء عسيرا والغموض والتعقيد يأتي من وضع واستعمال الكلمة في غير معناها الحقيقي، كتغيير غرض الكناية المعهود في قول عباس بن الأحنف: "وتسكب عيناي الدموع لتجمدا"، فجمود العين كناية سيئة تحتاج إلى وساطة للانتقال بها من حالة الحزن والبكاء على فراق الأحبة إلى حالة الفرح والسرور عند لقائهم ووجه العيب فيها خفاء المعنى الثاني وبعده عن الأول حتى ليمكن فهمها بجفاف العين من الدموع.

خلوه من كثرة التكرار لأن التكرار بلا كثرة مفرطة لا يخلّ بالفصاحة (كالتوليد اللفظي)، أما ترديد اللفظ الواحد اسما كان، أو ضمير أو فعلا، أو حرفا مرة بعد أخرى بغير فائدة كقول الشاعر: "اني وأسطار سُطرن سطرا" وكقول المتنبي: "زدهشّ بشّ تفضّل أدِنِ سُرّ صِل" فهو تكرار قبيح مذموم يخل بالمراد.

خلوه من تتابع الإضافات المتداخلة كقول ابن بابك: "حمامة جرعا حَوْمةِالجنْدَل اسجعي"، فالشطر محشو بثلاث إضافات متلاحقة: حمامة (وهي الطائر المعروف، وجرعا) مؤنث الأجرع أي المكان ذو الحجارة

السود) وحومة (معظم الشيء) لمضاف إليه هو الجندل المراد به مكان الحجارة.

وملخص القول: إن الفصاحة في الكلام هي الإفصاح عن المعنى والمراد بدون لف أو دوران، وحسن تأليف الألفاظ، واستقامة التراكيب واحترام قواعد العربية، وسننها في التعبير، وكذلك البلاغة فهي تشترك في معظم هذه الشروط، إذ المراد من الفصاحة أو البلاغة هو وصول المعنى المقصود، إلا أن البلاغة ترتكز على فنيات وتقنيات تجمل الألفاظ وتخفف من وزن الجمل والتراكيب، إنها شهد اللغة، إنها ثوب الأبيض الذي يعطي للغة العربية اللّمسة الفنية والمسحة الأدبية»[1].

ثانيا: علم المعاني:

«قال "الكندي" الفيلسوف "لأبي العباس" اللغوي، إني وجدت في كلام العرب حشوا، وجدتهم يقولون: (عبد الله قائم) ثم يقولون: (إن عبد الله قائم) ثم يقولون (إن عبد الله قائم) فالألفاظ مكررة والمعنى واحد فقال "أبو عباس"، بل المعاني مختلفة، فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال، والثالث رد على منكر، وقديما قالت العرب: (لكل مقام مقال)، من هنا فعلم المعاني هو البحث الذي يعنى بوجوب مطابقة الكلام لحال السامعين، فهو يريك أن الكلام لا يكون بليغا إلا إذا لاءم المقام وناسب حال المخاطب، ويريك أن الكلام يفيد أغراضا مستفادة من السياق»[2]،

«وأول من دوّن قواعد هذا العلم عبد القاهر الجرجاني، حيث أوضح قواعده،

---

[1] **محاضرات في فقه اللغة**، سلسلة الدروس في اللغات والآداب، ص 120، 121، 124، 125، 126، بتصرف.

[2] محمد وزناجي و رشيد مزوزي، مرجع سابق، ص 49

وفائدته الوقوف على معرفة أسرار الإعجاز القرآني من براعة التركيب وحسن السبك والإيجاز.

*** مباحث علم المعاني:**

- الخبر	- الإنشاء
- القصر	- الفصل والوصل

- الإيجاز والإطناب والمساواة»[1].

*** تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء:**

«**ف الخبر:** هو كل كلام تسمعه فيحتمل الصدق أو عدمه حسب مطابقته للحقيقة.

- أضرب الخبر:

أ - **الخبر الابتدائي:** هو الجملة الخبرية الخالية من أدوات التوكيد.

ب- **الخبر الطلبي:** وهو الجملة الخبرية المؤكدة بأداة توكيد لمن يشك في الحكم أو يتردد، مثل: إن الجو صحو.

ج - الخبر الإنكاري: و هو الجملة الخبرية المؤكدة بمؤكدين فأكثر لمن كان منكرا للحكم، مثل: إن الجو لصحو.

أما حروف التوكيد التي يراعى فيها المتكلم حال المخاطب هي: (إن، أن، لام الابتداء، القسم، أما، قد حروف التنبيه، الحروف الزائدة، نونا التوكيد الثقيلة والخفيفة).

- أغراض الخبر:

---

[1] يوسف أبو العدوس، مرجع سابق، ص 51، بتلخيص.

أ - **إبلاغ الحكم لمن لا يعرفه** : مثال: استقللت الجزائر عام ألف وتسعمئة واثنين وستين.

ب - **إفادة المخاطب بأن المتكلم مطلع على الحكم:** مثل: لقد أدبت أبناءك تأديبا حسنا.

ج- **إثارة الحمية:** مثل: لغة قرآنكم تهان كل يوم.

د- **الاستنهاض:**

ومانيل المطالب بالتمني *** ولكن تؤخذ الدنيا غلابا .

هـ- **الفخر:**

إذا غضبت عليك بنو تميم *** حسبت النّاس كلهم غضابا .

و- **الاسترحام:**

ماذا تقول لأفراح بذي مرخ *** زغب الحوا صل لا ماء ولا شجر.

ألقيت كاسهم في قعر مظلمة *** فاغفر عليك سلام الله ياعمر .

ز- **إظهار الضعف:** إن اباك قد فني وهو حي.

ح- **إظهار التحسر:** (يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله)»[1].

- **الإنشاء:**

«الإنشاء لغة واصطلاحا:

الإنشاء في اللغة: الإيجاد والإحداث.

وفي الاصطلاح: ذلك الكلام الذي لا يحتمل صدقا ولا كذبا، وهو ما لا يحصل مضمونه، ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به.

- **قسما الإنشاء:** الإنشاء قسمان: طلبي، وغير طلبي.

---

[1] محمد وزناجي و رشيد مزوزي، مرجع سابق، ص 51،50، 52

- الإنشاء الطلبي:

هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وأنواعه: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء وسيكون الحديث عنها بعد قليل.

- الإنشاء غير الطلبي:

هو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويضم مجموعة من الصيغ منها: أفعال المدح والذم ويكونان بـ:" نعم" و"بئس"، وما جرى مجراهما نحو: "حبّذا"، "ولا حبّذا"، والأفعال المحولة إلى معنى المدح والذم، وأفعال العقود، وحروف القسم وصيغتا التعجب، وأفعال الرجاء، وكم الخبرية وربّ.

وللتفريق بين الإنشاءين الطلبي وغير الطلبي، يلاحظ أن وجود معنى الجملة في الإنشاء الطلبي يتأخر عن وجود لفظه، على عكس الإنشاء غير الطلبي، إذ يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه، ويميل العلماء إلى إخراج الإنشاء غير الطلبي من حيز البلاغة لقلة الفوائد البلاغية في صيغه وأساليبه، ويرون أن ألوان الإنشاء غير الطلبي يمكن أن تدرج في سلك الأخبار، اللهم إلا أسلوب الرجاء فهو أقرب إلى الإنشاء الطلبي، ويلحق ببحث التمني، ومن ثم فإن الإنشاء غير الطلبي أقرب إلى مباحث النحو من مباحث البلاغة»[(1)].

* **أقسام الإنشاء الطلبي:** يضم **الإنشاء الطلبي** الأنواع الآتية:

« **الأمر:** هو طلب القيام بفعل على وجه الاستعلاء....

- صيغته: - فعل الأمر نحو (قم من مكانك) أو (أعبد ربك حتى يأتيك اليقين).

---

[1] يوسف أبو العدوس، مرجع سابق، ص 57.

- لام الأمر المتصلة بالمضارع نحو: (لتنهض صاحبة الحاجة إلى حاجتها).
- المصدر المنصوب المحذوف العامل نحو(صعدا نحو العلا والسؤدد).
- اسم فعل الأمر نحو (عليك نفسك).
- **معاني الأمر**: قد يخرج الأمر عن أصل حقيقته ليفيد معاني كثيرة تستفاد من السياق كالدعاء، مثل: رب احفظني.
- الالتماس، نحو: (قم بنا نصل).
- التمني: (تمهل أيها العمر).
- التعجيز: (ادفع بكفك الجبل).
- التهديد: (بالغ في الإسراف وسترى)
- النهي: هو طلب الامتناع عن فعل شيء، على وجه الاستعلاء... ويكون نهيا حقيقيا مثل: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم).
- صيغته: لا الناهية المتصلة بالمضارع، مثل: (لا تسرع إلى المنكر).

ويكون غير حقيقي، والنهي كالأمر في الخروج عن معناه الأصلي.

- التمني: هو طلب غير الممكن أو المستصعب وأداته(ليت)، مثاله: (ياليتني أصير سيدا في قومي) مستصعب.
- النداء: هو دعوة المخاطب بأداة من أدوات النداء، ليقبل عليك أو يلتفت إليك.

أدواته: للتقريب (الهمزة و أي).

مثاله: (أبني) أي بني أحفظ لسانك.

للبعيد: (يا ، أيا، هيا ، وا)

-الاستفهام: هو طلب معرفة شيء بجهله السائل، وهذا هو الاستفهام الحقيقي، مثال: (من شاعرك المفضل؟).

وقد يخرج الاستفهام إلى أغراض أخرى غير طلب معرفة الشيء المجهول تستفاد من السياق، منها:

- التوبيخ : مثاله (أفمن يخلق كمن لا يخلق).
- الإنكار: مثاله (أتلعب والدهر لا يلعب)
- التشويق: (هل أدلك على دواء ناجع ؟ تقلل من الأكل).
- النفي: (وهل أحد أشد لها مراسا وأطول تجربة مني).

الإنشاء غير الطلبي ومنه:

- القسم:

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها *** إذا لم يكن للمبصرين بصائر.

- المدح والذم: (نعم خلقا الحلم)، (بئس صفة الوقاحة).
- التعجب: (ما ألطف الجو)، (أجمل بالربيع).
- الترجي:

لعل عتبك محمود عواقبه *** فربما صحت الأجسام بالعلل.

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب.

- **القصر:**

وهو تخصيص أمر بآخر بإحدى الطرق فإذا قلنا: (إنما الحياة عمل)، أردنا أن الحياة خاصة بالعمل لا تجاوزه ولا تتعداه إلى غيره، وإن قلنا (الحرية تؤخذ و لا تعطي) عنينا أن الحرية موقوفة على الأخذ دون العطاء، إذن فلكل قصر طرفان مقصور وهو الحرية ومقصور عليه وهو الأخذ،

والقصر باعتبار طرفيه قصر صفة على موصوف وقصر موصوف على صفة، فهو باعتبار مطابقته للحقيقة حقيقي ويكون فيه المقصور مختصا بالمقصور عليه في الحقيقة، فإذا قلنا: (لا يعيش السمك إلا في الماء) فهو حقيقي.

وإذا قلنا: (لا ذكي إلا أخي) فهنا قصرت الذكاء على أخي، وهذا مخالفة للواقع، إذا أضفت الذكاء إلى أخي دون سواه، فهذا قصر إضافي.

***طرق القصر:**

– إنما: (إنما الحياة تعب) قصرنا الحياة الدنيا وهي الموصوف على التعب وهو الصفة فالمقصور مؤخر وجوبا بعد إنما.

– لا العاطفة: (الحرية تؤخذ ولا تعطي).
– بل العاطفة: (ما الحرية تعطي بل تؤخذ).
– لكن العاطفة:(ما الحرية تعطي لكن تؤخذ)

} ***قصرنا الحرية وهي الموصوف على الأخذ وهو الصفة***

فإذا عطفنا بـ: "لا" فالمقصور عليه مقابل لما بعدها، وإذا عطفنا بـ"بل" أوبـ: لكن" فالمقصور ما بعدهما.

– النفي والاستثناء: (لا إله إلا الله) قصرنا الألوهية وهي الصفة على الموصوف وهو الله، فالمقصور عليه ما بعد "إلا".

– تقديم ما حقه التأخير: (إياك نعبد)، قصرنا العبادة وهي الصفة على الله وهو الموصوف، المقصور عليه يتقدم وجوبا»**(1)**.

– الوصل والفصل:

[1] محمد وزناجي و رشيد مزوزي، مرجع سابق، ص 52، 53، 54 ،57، 58.

« **الوصل**: هو عطف جملة فأكثر على جملة أخرى بالواو خاصة، لصلة بينهما في المبنى والمعنى أو دفعا للبس يمكن أن يحصل، ومثال ذلك قوله تعالى: (يا أيّها الدين آمنوا اتقوا الله، وكونوا مع الصادقين).

أما ا**لفصل**: فهو ترك العطف، إما لأن الجملتين متحدتان مبنى ومعنى أو بمنزلة المتحدين، لأنه لا صلة بينهما في المبنى أو في المعنى.

وللوصل والفصل منزلة عالية في البلاغة، فقد وقف علماء البلاغة القدماء عند هذا الموضوع، وبحثوا أهميته، ومحسناته في كثير من الآيات القرآنية الكريمة، والكلام المنظوم والمنثور، ومن هؤلاء: الجاحظ ، أبو هلال العسكري، وعبد القاهر الجرجاني، والسكاكي، والقزويني، والزمخشري، وغيرهم... ومن حسن المقطع عندهم جودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكنها في موضعها، وذلك على ثلاثة أضرب.

– أن يضيق على الشاعر موضع القافية فيأتي بلفظ قليل الحروف فيتمم به البيت، كقول زهير.

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله***ولكنّني على علم ما في غد عمي.

– أن يضيق به المكان أيضا، ويعجز عن إيراد كلمة سالمة تحتاج إلى إعراب ليتم بها البيت، فيأتي بكلمة معتلة لا تحتاج إلى الاعراب فيتممه به مثل قول زهير.

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلوا***واقفر من سلمى التعانيق فالثقل.

– أن تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها من ألفاظ الجزء من الرسالة أو البيت الشعري، وتكون مستقرة في قرارها، ومتمكنة في موضعها حتى لا يسد

مسدها غيرها، وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف، كقوله تعالى (وأنه هو أضحك وأبكَى، وأنه هو أمات وأحيا، وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى).

الوصل:

مواضع الوصل:

يقع الوصل في ثلاثة مواضيع هي:

1- إذا قصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي، ومن ذلك قول البحتري في مدح المتوكل.

الله مكّن للخليفة جعفر *** ملكا يحسنه الخليفة جعفر.

نعمى من الله اصطفاه بفضلها *** والله يرزق من يشاء ويقدر.

فقد وصل في السطر الأخير ما بين جملتي: يرزق من يشاء ويقدر. لاشتراكهما في إعراب واحد، إذ كل منهما خبر لمبتدأ واحد وهو الله تعالى.

2- إذا اتفقت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظا ومعنى، أو معنى فقط، ولم يكن هناك سبب يقتضي ليفصل بينهما وكانت هناك مناسبة تامة في المعنى، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل)، وقوله تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا).

3- اختلاف الجملتين في الخبر والإنشاء، ووقوع التّباس في المعنى، بحيث يتوهم غير المراد، فدفعا لهذا التوهم، يتحتم الوصل بين الجملتين، فمثلا لو سألت صديقك عن صحة أخيه، فتقول له هل شفي أخوك؟

فإذا قيل لك: "لا" عافاه الله"، فهو مخطئ في التعبير، لأنه قد يفهم من جوابه الدعاء على أخيه بعدم المعافاة، وهو على كل حال لا يقصد

هذا، لذلك وجب الوصل في هذا الموضع، والقول: "لا وعفاه لله" والتقدير"لا، لم يشف من المرض" هذه هي الجملة الأولى، والجملة الثانية، "وعافاه الله"»[1].

الفصل:

« مواضع الفصل:

يتم الفصل بين الجملتين المتجاورتين في مواضع أشهرها:

1- كمال الاتصال بينهما، وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي حتى كأنهما افرغا في قالب واحد، وذلك أن تكون الجملة الثانية:

أ – توكيدا للأولى، كقوله تعالى: (فمهّل الكافرين امهلهم رويدا).

ب – بدلا للأولى، كقوله تعالى: (اتّبعوا المرسّلين، اتبعوا من لا يسألكم أجرا)

ج- بيانا للأولى، كوله تعالى: (فوسوس إليه الشيطان، قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فصل جملة (قال) عن جملة (فوسوس...) إذ جملة (قال يا آدم) بيان لما وسوس به الشيطان إليه.

2- كمال الانقطاع: وهو اختلاف الجملتين اختلافا تاما.

أ – بأن يختلفا خبرا وإنشاء في اللفظ والمعنى، كقول الشاعر:

لست مستمطرا لقبرك غيثا *** كيف يظمأ تضمّن بحرا ؟

وجب الفصل بين الجملتين (لست...) و(كيف...) لاختلافهما خبرا وانشاء، لفظا ومعنى.

---

[1] يوسف أبو العدوس، مرجع سابق، ص 85 ، 86.

ب – بألاّ تكون الجملتين المناسبتين في المعنى ولا ارتباط، بل كل منهما مستل بنفسه، كقول الشاعر:

وإنما المرء باصغريه *** كلّ امرئ رهن بما لديه.

3- أن يكون بين الجملتين شبه كمال الاتصال، ويكون ذلك حين تكون الجملة الثانية جوابا لسؤال نشأ عن الجملة الأولى، فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال كقوله تعالى(وما أبرئُ نفسي، إن النفس لأمارة بالسوء)، فالجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى لأنها جواب عن السؤال نشأ من الأولى "لم لا تبرئ نفسك؟، فقال: "إن النفس لأمارة بالسوء"، فهذه الرابطة القوية بين الجملتين مانعة من العطف.

– الإيجاز والاطناب والمساواة:

الإيجاز: التقصير، يقال: أوجز في كلامه، إذا قصره، وكلام وجيز أي: قصير.

وفي الاصطلاح: اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، أو هو التعبير عن المقصود بلفظ أقل من المتعارف واف بالمراد لفائدة نوعا الإيجاز:

الإيجاز نوعان: إيجاز حذف، وإيجاز قصر.

أ – **إيجاز حذف:** ويكون بحذف شيء من الجملة دون أن يختل المعنى لوجود قرينة تدل على المحذوف ويكون المحذوف إما حرفا، أو اسما مضافا أو اسما مضافا إليه، أو اسم صفة، أو اسما موصوفا، أو شرطا أو جواب شرط، أو مسندا، أو مسندا إليه، أو جملة، ومن أمثلة ذلك قوله

تعالى: (واسأل القرية) أي أهل القرية، وقوله تعالى: (تاالله تفتأ تذكر يوسف)، أصله (لا تفتأ).....

ب – إيجاز القصر : وهو ما يسمى "إيجاز البلاغة"، ويتحقق بأداء المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة دون حذف، ومثال ذلك قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة)، فإن معناه كثير، ولفظه يسير، والمراد أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَلَ، قُتِلَ امتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره، وبذلك تطول الأعمار وتكثر الذرية ويقبل كل واحد على ما يعود عليه بالنفع ويتم النظام، ويسود الأمن، ودواعي الإيجاز كثيرة، أهمها الاختصار وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على السامع، وتحصيل المعنى الكثير باللفظ القليل.

الإطناب:

تعريفه: هو زيادة اللفظ بعبارات إضافية إلى اللفظ الأصلي لغاية الفائدة، وقد تكون الزيادة في اللفظ لغير فائدة، فلا تسمى إطنابا بل هي تطويل وحشو»[1].

أنواع الإطناب:

«ويأتي الإطناب في الكلام على أنواع مختلفة لأغراض بلاغية أهمها:

[1] نفس المرجع السابق، ص 88، 90 .

أ – **الإيضاح بعد الإبهام**: ومثال ذلك قوله تعالى: (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين)، فـ(الأمر)، جاء مبهما، ثم وضح في قوله تعالى: (أن دابر هؤلاء).

ب – **التوشيع**: هو أن يؤتي في آخر الكلام بمعنى مفسّر بمفردين أحدهما معطوف على الآخر، ومثال ذلك قول ابن الرومي في مدح عبد الله بن وهب.

إذا أبو قاسم جادت لنا يده *** لم يمد الأجودان: البحر والمطر

فالشاهد في المثال قوله "الأجودان: البحر والمطر".

ج – **ذكر الخاص بعد العام** : الغرض من هذا النوع هو التنبيه على فضل الخاص، حتى كأنه ليس من جنس العام، ومثال ذلك قوله تعالى: (وحافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى).

د– **ذكر العام بعد الخاص** : لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص بذكره مرتين، ومرة ضمن العام، ومثال ذلك قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام (رب اغفر لي ولوالديَّ ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات)، فـ(المؤمنين والمؤمنات) لفظان عامان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك.

و– **التكرير**: وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لدوافع بلاغية كتأكيد وتقرير المعنى في النفس، والمبالغة في التوجع والتحسر، والتلذذ بذكر المكرر، وفي موطن الفخر، والمدح والإرشاد، وطول الفصل لئلا يجيء الكلام مبتورا ليس له طلاوة، ومثال ذلك قوله تعالى: (كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون).

هـ- الاحتراس: هما ما يذكر لدفع ما يوهمه الكلام مما هو ليس مقصودا، ومثال ذلك قول ابن المعتز يصف فرسا:

صببنا عليها ظالمين –بسياطنا *** فطارت بها أيد سراعٌ وأرجلُ.

فكلمة "ظالمين "نفت عن فرس ابن المعتز صفة البلادة، فلو حذفت هذه الكلمة من البيت لظن المرء أن الفرس كانت بليدة تستحق الضرب.

ز- الاعتراض: وهو أن يؤتى في تضاعيف الكلام بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لغرض من الأغراض، كالتنزيه والدعاء والتعظيم والتأدب.....، ومثال ذلك قوله تعالى: (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون)، قوله (سبحانه) اعتراض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عما يقولون.

ر- التذييل: وهو إتباع بجملة تحمل معناه تأكيدا وتوضيحا له، وهو قسمان:

القسم الأول: التذييل الجاري مجرى الأمثال، وهو ما استقل معناه، واستغنى عما قبله، ومثال ذلك قوله تعالى: (وقل جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطِلُ كان زهوقا)، فقوله تعالى: (إن الباطل كان زهوقا) تذييل جار مجرى المثل، فهو مستقل بمعناه، وجيء به لتأكيد ما قبله.

القسم الثاني: التذييل غير الجاري مجرى الأمثال، حيث لا يستقل بمعناه، بل تتوقف دلالته على ما قبله كقوله تعالى: (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نُجازي إلا الكفور).

فالقسم الثاني من الآية الكريمة (وهل نجازي إلا الكافر) غير مستقل بمعناه ما قبله، كون لفظة (نُجازي) تحمل معنيين هما: (الثواب والعقاب)، ولولا عبارة (بما كفروا) لما فهم من اللفظ معنى العقاب.

س – **الإيغال** : وهو ختم البيت بما يفيد النكتة، يتم المعنى بدون التصريح بها، لزيادة المبالغة والتأكيد أو لتحقيق التشبيه ومثال ذلك قول الحسناء:

وإن صخرا لتأتّم الهداة به *** كأنه علم في رأسه نار.

فقولها (في راسه نار) من الإيغال الحسن، إذا لم تكتف بأن تشبهه بالعلم الذي هو الجبل المرتفع المشهور بالهداية حتى جعلت في رأسه نارا، لما في ذلك من زيادة الظهور والانكشاف.

المساواة:

المساواة هي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها عن بعض والمساواة هي المقدار الوسط، فما نقص عن مقدار المساواة دون إخلال بالمراد سمي إيجازا، وما زاد عنه لفائدة سمي اطنابا، ومساواة اللفظ للمعنى معلم من معالم البلاغة، والأمثلة على هذا اللون لا يمكن إحصاؤها ومنها قوله تعالى: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره).

وقوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله)، وقول "أبي ذؤيب الهذلي":

والنفس راغبة إذا رغبتها *** وإذا تردّ إلى قليل تقنع.

ففي هذه الأمثلة صور من المساواة، وكل منها أدى المعنى بعبارة مساوية له، كأنها الثوب المفضل على جسم لابسه، لأنه لا يمكن أن يؤتي بصورة لفظية أعدل من الصورة المعطاة، فإسقاط كلمة من كلمات الصورة

يخل بالمعنى، وكذلك زيادة كلمة يخل به» [1]، هذا عن معلم المعاني ومباحثه عديدة وتجدر الاشارة إلى أنواع أخرى غير مستعملة كثيرا ولم نأخذها بالدراسة والتفصيل نذكر منها، أحوال المسند وأحوال المسند إليه، وأحوال متعلقات الفعل، وهذا لا يعني أنه ليس لها وزنا في علم المعاني ولكن تعرضنا إلى المباحث التي تستعمل بكثرة.

ثالثا: علم البيان:

«بما أن البلاغة العربية قد مرت بتاريخ طويل من التطور حتى انتهت إلى ما انتهت إليه، وكانت مباحث علومها مختلطة بعضها ببعض منذ نشأة الكلام عنها في كتب السابقين الأولين من علماء العربية، وكانوا يطلقون عليها "البيان"، وقد أخذت الملاحظات والبيانات والاستنتاجات تنشأ عند العرب منذ العصر الجاهلي، وعند استقرارهم في المدن قام الجدل بين الفرق الدينية المختلفة، وفي العصر العباسي نجد محاولات أولية لتدوين تلك الملاحظات، وتسجيلها كما في الشأن في كتب الجاحظ، وبخاصة كتاب "البيان والتبيين"، حيث نجد "الجاحظ المعتزلي" يورد في كتابه "البيان والتبيين" تعاريف اليونان والفرس والهند للبلاغة وعلومها، وهذا يعني أن المعتزلة أخذوا يضيفون إلى ملاحظات العرب الخاصة في البلاغة وعلومها ملاحظات الأمم الأجنبية، وخاصة اليونان، وأول معتزلي خطا خطوة ملحوظة في هذا الطريق هو رئيس المعتزلة ببغداد "بشر بن المعتمر" المتوفى سنة (210 ه) فعنه نقل الجاحظ صفحات نثر فيها بشر ملاحظات دقيقة في علوم البلاغة، ولعل أكبر معتزلي جاء بعد "بشر بن المعتمر" كما

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 91، 92 ، 93.

سبق وأن ذكرنا هو "أبو عثمان بن بحر الجاحظ" (ت 255 هـ)، صاحب "البيان والتبيين" في أربعة مجلدات ضخام جمع فيها معظم ما انتهى إلى عصره من ملاحظات عن علوم البلاغة، سواء ما أخذه من علماء العربية، أو ما أخذه من آداب الفرس والهند واليونان وغيرهم، أو عن طريق ما قاله "بشر بن المعتمر"، هذا بالإضافة إلى آراء الجاحظ وملاحظاته الخاصة، وقد خطا الجاحظ خطوة غير مسبوقة في ملاحظاته البلاغية، وذلك بالكلام عن التشبيه والاستعارة عن طريق النماذج، مع التفريق بينهما، كما استعمل "المثل" مرادفا للمجاز، وجعله مقابلا للحقيقة، وذلك إذا يقول عند حديثه عن (نار الحرب)[1]: "ويذكرون نارا أخرى وهي على طريق المثل لا على طريق الحقيقة"، فالمثل المرادف عنده للمجاز قد استعمله مقابلا للحقيقة وبهذا كان أول من فطن إلى تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز، ومجمل القول في الجاحظ من جهة البلاغة أنه ألّم في كتبه بالأساليب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وحقيقة ومجاز، ولكنه لم يوردها في تعريفات البلاغية ولنا عودة إلى الجاحظ، ثم جاء "ابن قتيبة الدينوري" (ت 276 هـ) ففي كتابه (تأويل مشكل القرآن) يتحدث أولا عن إعجاز القرآن كرد على الطاعنين في أسلوبه، ثم ينتقل من ذلك إلى حديث المبوب عن موضوعات "علم البيان" ما حقيقة ومجاز وتشبيه واستعارة وكناية، وبعد "ابن قتيبة" يأتي معاصره "أبو العباس المبرد" (285 هـ) بكتابه "الكامل"، الذي يجمع بين الشعر والنثر، ويعدّ من كتب اللغة الممهدة للمعاجم بما تضمنه من تفسير كل ما يقع في نصوصه من كلام غريب أو معنى مغلق، ومع أن "الكامل" كتاب لغة في الأصل فإن

---

[1] أي غير النار الحقيقية، وهي التي كان يوقدها العرب ليلا على جبل إذا توقعوا جيشا عظيما في حرب و أرادوا الاجتماع لإبلاغ الخبر إلى أصحابهم.

"المبرد "تعرض فيه عند شرح النصوص الأدبية لبعض موضوعات البيان مثل المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه الذي توسع في بحثه وقسمه إلى أربع أقسام: تشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد، واستوحى هذا التقسيم مما كتبه الجاحظ عن التشبيه دون أن يضيف هو إليه جديدا من عنده، وأول كتاب يلقانا من كتب علماء الكلام الذين اهتموا بالمباحث البلاغية من أجل تفسير الإعجاز البلاغي للقرآن هو "النكت في إعجاز القرآن" "للرماني المعتزلي" (386هـ)، وقد تحدث فيه عن البلاغة وجعلها في عشرة أبواب يعنينا منها هنا اثنان من أبواب علم البيان هما التشبيه والاستعارة، أما التشبيه فقد قسمه إلى حسي وعقلي، ثم فصّل في العقلي منه تفصيلا أفاد منه فيما بعد "عبد القاهر الجرجاني" في كتاب "أسرار البلاغة» [1]، «وعليه فكتاب "النكت في إعجاز القرآن" ميز أقسام البلاغة ثم توالت بعد ذلك الشروح والكتب في علوم البلاغة» [2]، وبناءا على ما سبق فإن: علم البيان «هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ودلالة اللفظ إما على ما وضع له أو على غيره والثاني إما داخل في الأول دخول السقف في مفهوم البيت أو الحيوان في مفهوم الإنسان أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف أو الضاحك عن مفهوم الإنسان» [3]، وعلم البيان «عند "الجاحظ" اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يضفي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي

---

[1] عبد العزيز عتيق، **علم البيان**، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (1985) ص 07، 09، 10، 11، 12، 13، بتصرف واختصار.

[2] نفسه، ص 13، بتصرف واختصار.

[3] محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين الخطيب، **الإيضاح في علوم البلاغة**، المعاني والبيان والبديع، مختصر تلخيص المفتاح، اعتنى به وراجعه عماد بسيوني زغلول، الطبعة الثالثة، (بيروت– لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية)، ص 121، 122، باختصار.

جنس كان ذلك الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل إليها والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"(1)، وقد فارق هذا المصطلح معناه العام المتصل بعلم الدلالة وتحدّدت معالمه مع "السكاكي" في مفتاح العلوم (ص 162) فعلم البيان عنده "هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة اصطلاحية، وإنما جاء تعريفه لها والدلالة عليها عن طريق الأمثلة والنماذج لا عن طريق القواعد الكلام لتمام المراد منه"، والبيان كما ترى ينصب على الدلالة، وهي عند المناطقة أنواع:

- **دلالة المطابقة:** وهي أن يدل اللفظ على المفهوم الذي وضع له في اللغة من غير زيادة أو نقصان، فهي دلالة وضعية كدلالة لفظ "البيت" على البيت.
- **دلالة التضمين:** وهي أن يدل اللفظ على مفهوم يتضمنه مدلوله الأصلي كأن يدل لفظ " البيت" على السقف.
- **دلالة الالتزام:** وهي أن يدل اللفظ على مفهوم يقتضيه مدلوله الأصلي عقلا كأن يدل لفظ " الحائط" على السقف.
- ودلالة التضمين والالتزام دلالتان عقليتان إذ يعتمد فيهما الذّهن على جملة من الوسائط في المرور من مدلول إلى آخر، وهذا المرور أو التجوز كثير في الكلام ولذلك انفرد علم البيان داخل علم البلاغة بدراسة

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، 76/1 .

وجوهه، فهو يشتغل بـ"الملازمات بين المعاني» [1]، وعليه فالبيان «هو أداء المعنى بأسلوب رائع في إحدى صوره التي سنبينها، ويقول عليه الصلاة والسلام في تبيين الإيضاح وقوة الحجة والإقناع (إن من البيان لسحرا).

مباحثه:

- التشبيه. - المجاز. - الكناية.

- **التشبيه:** بيان أنّ شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة.

- **أركان التشبيه أربعة:** هي المشبَه، والمشبَهُ به، ويسميان طرفي التشبيه، وأداة التشبيه، ووجه الشّبه ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبّه به منه في المشبه.

قال المعري:

ربُّ ليل كأنه الصُّبح في الحسْـ *** ن وإن كان أسود الطَّيْلسان[2].

وسهيْلٌ[3]كوجنةِ الحبّ في اللّوْ *** نِ و ن وقَلْبِ المُحِبِّ في الخفقان.

المشبه	المشبه به	الأداة	وجه الشبه
الضمير في كأنّه العائد على اللّيل	الصبح	كأن	الحسن
سهيل	وجنّه الحب	الكاف	اللّون والاحمرار
سهيل	قلب المحب	الكاف "مقدرة"	الخفقان

---

1 الأزهر الزيناد، **دروس في البلاغة العربية** ، الطبعة الأولى (بيروت– الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، سبتمبر 1992) ص 13، 14 ، باختصار.

2 الطيلسان: كساء واسع يلبسه الخواص من العلماء، و هو من لباس العجم، جمعه طيالس وطيالسة.

3 سهيل: كوكب ضوؤه يضرب إلى الحمرة في اهتزاز واضطراب.

أما أقسام التشبيه:

– التشبيه المُرْسل ما ذكرت فيه الأداة.

– التشبيه المؤكد ما حذفت منه الأداة.

– التشبيه المجمل ما حذف منه وجه الشبه.

– التشبيه البليغ ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه.

وفي هذه الأمثلة سوف نتعرف ونتعرض للأقسام التي ذكرناها.

أ– أنا كالماء إن رضيت صفاءا *** وإذا ما سخطت كنت لهيبا.

ب– سرنا في ليل بهيم *** كأنّه البحر ظلاما وإرهابا.

ج– قال "ابن الرومي" في تأثير غناء مغن:

فكأن لذّة صوته ودبيبها *** سِنَةٌ تمشىّ في مفاصل نعَّس

د– وقال ابن المعتز:

وكأن الشمّس المنيرة دي *** نارٌ جلته حدائد الضرّاب

و– الجواد في السرعة برق خاطف.

هـ– أنت نجم في رفعةٍ وضياءٍ *** تجتليك العيون شَرْقًا وغربا.

ز– وقال المتنبي وقدا اعتزم سيف الدولة سفرًا:

أين أزمعت أيُّهذا الهُمام؟ *** نحن نَبْتُ الرُّبا وأنت الغمام.

س– وقال المرقّش:

النّسر مسك والوجوه دنا *** نانير وأطراف الأكُفُّ عنَم.

ففي البيت الأول يشبه الشاعر نفسه في حال رضاه بالماء الصافي الهادئ، وفي حال غضبه بالنار الملتهبة، فهو محبوب من جهة ومخوف من جهة أخرى، وهذا يتوقف على الحالة المعنوية التي يكون عليها، وفي المثال الثاني شبه اللّيل في الظلمة العاتمة والإرهاب بالبحر، وإذا تأملت

التشبهين في الشطر الأول والمثال الثاني رأيت أداة التشبيه مذكورة بكل منهما، وكل تشبيه تذكر فيه الأداة يسمى **مرسلا** وإذا نظرت إلى التشبيهين مرة أخرى رأيت أن وجه الشبه بين وفصل فيهما، وكل تشبيه يذكر فيه وجه الشبه يسمى **مفصلا**، ويصف "ابن الرومي" في المثال الثالث روعة وحسن صوت مغن وجميل إيقاعه، حتى كأن لذة صوته تسري في الجسم كما تسري أوائل النوم الخفيف فيه، ولكنه لم يذكر وجه الشبه متأكدا من أنك تستطيع إدراكه بنفسك الارتياح والتلذذ في الحالين، ويشبه "ابن المعتز" الشمس عند الشروق ودينار مجلوٍّ قريب عهده بدار الضرب، ولم يذكر وجه الشبه أيضا وهو الاصفرار والبريق، ويسمى هذا النوع من التشبيه، وهو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه، تشبيها **مجملا**، وفي المثالين الخامس والسادس شبه الجواد بالبرق في السرعة، والممدوح بالنجم في الرفعة والسمو والضياء من غير أن تذكر أداة التشبيه في كلا التشبيهين، وذلك لتأكيد الادعاء بأن المشبه عين المشبه به، وهذا النوع يسمى تشبيها **مؤكدا**، وفي المثال السابع يسأل المتنبي ممدوحه في تظاهر بالذعر والجزع والهلع والخوف قائلا: أين تقصد؟

وكيف ترحل عنا؟ ونحن لا نعيش إلا بك لأنك كالغمام الذي يبعث الحياة في الأرض بعد موتها، ونحن بالنبات الذي لا حياة له ولا وجود له بغير الغمام" [1]، «وفي البيت الأخير يشبه "المرقش" النسر، وهو طيب رائحة من يصف بالمسك، والوجوه بالدنانير، والأنامل المخضوبة بالعنم، وإذا

1 علي الجارم ومصطفى أمين، **البلاغة الواضحة مع دليلها** (الجزائر: المطبعة الجهوية بوهران) ص 20، 23، 24، بتصرف.

تأملت هذه التشبيهات رأيت أنها من نوع التشبيه المؤكد، ولكنها جمعت إلى حذف الأداة حذف وجه الشبه، وذلك لأن المتكلم عمد إلى المبالغة والاغراق في ادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه، لذلك أهمل الأداة التي تدل على أن المشبه أضعف في وجه الشبه من المشبه به، وأهمل ذكر وجه الشبه الذي ينمّ عن اشتراك الطرفين في صفة أو صفات دون غيرها، ويسمى هذا النوع بالتشبيه **البليغ**، وهو مظهر من مظاهر البلاغة»[(1)].

أغراض التشبيه:

قد يلجأ أو الشاعر في التعبير إلى التشبيه لإحساسه بأنه أكثر إفادة في إيصال المعنى وإصابة المراد.

وأيضا من بين الأغراض التي يمثلها التشبيه:

«- توضيح الصورة مثل: الفاصلة كشولة العقرب دون سم.

- تبيين هيئة مثل: الغضب نار تلتهم نفسها وغيرها.
- تزيين المشبه مثل: كأنك بدر ليلة تمه.
- تقبيحه مثل: ينهق نهيق الحمار.
- تقرير حال مثل: الشمس كالمرآة في يد المرتعد.
- برهنة على صحة:

فإن طاقة مثلي غير حافية *** والنمل يعذر في القدر الذي حملا»[(2)].

غرائب التشبيه وبديعه:

[1] نفسه، ص 24 ، 25.

[2] محمد وزناجي و رشيد مزوزي ، مرجع سابق، ص 66

«التشبيه أسلوب من الأساليب البيانية، وهو ميدان واسع تتبارى فيه قرائح الشعراء والكتاب والبلغاء ولعلّه هو وأسلوب الاستعارة من أكثر أساليب البيان دلالة وبرهانا على عقل اللّغوي والأديب وقدرته على الخلق والإبداع والابتكار، والتشبيه الذي هو في الوقت ذاته أساس الاستعارة يدل فيما يدل على خصب الخيال وسموّه وسعته وعمقه، كما يظهر كذلك مدى القدرة على تمثيل المعاني والتعبير عنها في صور رائعة خلاّبة، ولما كان التشبيه على هذا الوضع يعد مقياسا يقاس به بلاغة البليغ وأصالته وقدرته فإننا نرى من البلغاء من لا يقف في الدلالة على براعته في التشبيه عند حدّ إجادته، وإنما يتجاوز ذلك إلى الإتيان بأكثر من تشبيه في بيت واحد، فمنهم من شبه شيئين بشيئين في بيت واحد، كقول "امرئ القيس"

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا *** لدى وكرها العنّاب والحشف البالي.

فقد شبه الرطب من قلوب الطير بالعناب، واليابس منها بالحشف البالي فجاء تشبيهه في غاية الجودة.

محاسن التشبيه:

من بلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم، لأن التشبيه لا يعمد إليه إلا لضرب من المبالغة، فإما أن يكون مدحا أو ذما أو بيانا وإيضاحا، ولا يخرج عن هذه المعاني والمقاصد الثلاثة:

وإذا كان الأمر كذلك فلا بد فيه من تقدير لفظة "أفعل"، فإن لم تقدر فيه لفظة "أفعل" فليس بتشبيه بليغ ألا ترى أنّا نقول في التشابيه المضمر الأداة "زيد أسد" فقد شبهنا زيدا بأسد الذي هو أشجع منه، فإن لم يكن المشبه به في هذا المقام أشجع من زيد الذي هو المشبه كان التشبيه ناقصا

إذ لا مبالغة، ومن التشبيه المظهر الأداة قوله تعالى: (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام)، وهذا تشبيه كبير بما هو أكبر لأن السفن البحرية وإن كانت كبيرة فإن الجبال أكبر منها، وكذلك إذا شبه شيء حسن بشيء حسن، فإنه إذا لم يشبه بما هو أحسن منه فليس بوارد على طريق البلاغة وإن شبه قبيح بقبيح فينبغي أن يكون المشبه به أقبح»[1]، «وإن قصد البيان والإيضاح فينبغي أن يكون المشبه به أبين وأوضح، ومن ذلك يرى أن تقدير لفظة "أفعل" لا بد منه فيما يقصد به بلاغة التشبيه وإلا كان التشبيه ناقصا، وقد عرفنا مما سبق أن تشبيه الشيئين أحدهما بالآخر لا يخلوا من أن يكون تشبيه معنى بمعنى، أو تشبيه صورة بصورة، أو تشبيه معنى بصورة، أو تشبيه صورة بمعنى، وأبلغ هذه الأنواع تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى: (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة)، ووجه بلاغة هذا النوع تأتي من تمثيله للمعاني الموهومة بالصور المشاهدة، ومن محاسن التشبيه المضمر الأداة قوله تعالى: (وجعلنا الليل لباسا)، فشبّه الليل باللباس لأن الليل من شأنه أن يستر الناس بعضهم عن بعض لمن أراد هربا من عدو أو ثباتا لعدو أو إخفاء ما لا يجب الاطلاع عليه من أمره، وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها إلا القرآن الكريم، فإن تشبيه الليل بلباس مما أختصّ به القرآن الكريم دون غيره من الكلام المنثور والمنظوم، ومن لتشبيه المركب بالمركب مع إضمار الأداة ما رواه "معاذ بن حنبل" عن الرسول عندما قال له: (أمسك عليك هذا، وأشار إلى لسانه، فقال "معاذ": (أو نحن مؤاخذون بما نتكلم؟ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (ثكلتك أمك يا معاذ!، وهل يكبّ النّاس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم؟) فقوله:

---

[1] عبد العزيز عتيق، **علم البيان**، ص 114، 115، 119 ، بتصرف.

حصائد ألسنتهم، من تشبيه المركب بالمركب، فإنه شبه الألسنة وما تمضي فيه من الأحاديث التي يؤاخذ بها بالمناجل التي تحصد النبات من الأرض وهذا تشبيه بليغ عجيب لم يسمع إلا من النبي صلى الله عليه وسلم، ومن مقاصد التشبيه إفادة المبالغة، ولهذا قلَّما خلا تشبيه مصيب عن هذا القصد، ولكن ينبغي ألا يؤدي الإغراق في المبالغة إلى البعد بين المشبه والمشبه به أو إلى عدم الملاءمة بينهما، وإلا ارتدّ التشبيه قبيحا»[1].

- المجاز:

«إذا تتبعنا نشأة الكلام عن "الحقيقة والمجاز" فإننا نجد أن الجاحظ من أوائل من عرضوا لهذا الموضوع بالبحث والدراسة و"الجاحظ" إذ يتناول قضايا ومباحث البيان العربي لا يهتم كثيرا كما سبق وأن ذكرنا بصبها في قوالب وقوانين وتعريفات وتحديدها كما وأن ذكرنا بصبها في قوالب وقوانين وتعريفات

وتحديدها كما جرت العادة من بعده، وإنما نراه يسوق النماذج عليها من بليغ القول نثرا وشعرا، مع شرح بعضها أحيانا أو التعليق عليه، تاركا لمن يهمهم أن يعرفوا مفهومه لأي موضوع بلاغي طرقه أن يستنبطون من خلال شرحه له، ففي كلامه عن الحقيقة والمجاز يقول: "وإذا قالوا: أكله الأسد فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف، وإذا قالوا: أكله الأسود، فإنما يعنون النهش واللّدغ والعض فقط، وقد قال الله عز وجل (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا)، ويقولون في باب آخر: فلان يأكل الناس، وإن لم يكن يأكل من طعامهم شيئا، وكذلك قول "دهمان النهري":

[1] نفسه، ص 119، 120 ، 121.

سألني عن أناس أكلوا *** شرب الدهر عليهم وأكل.

فهذا كله مختلف، وهو كله مجاز"، فالأكل في قوله: "أكله الأسد" حقيقي، أما في الأمثلة الأخرى فالأكل على اختلاف أنواعه مجازي كما ذكر، ومن خلال تلك الأمثلة يتضح أن المجاز عند الجاحظ مقابل للحقيقة، وأن الحقيقة في مفهومه تعنى "استعمال اللفظ فيما وضع له أصلا "، كما أن المجاز عنده هو "استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي".»[1].

«ويعرف "عبد القاهر الجرجاني" (481 هـ) الحقيقة في المفرد بقوله: "كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع وقوعا لا يستند فيه إلى غيره، وهذه عبارة تنتظم الوضع الأول وما تأخر عنه كلغة تحدث في قبيلة أو في جميع العرب أو في جميع الناس مثلا أو تحدث اليوم، ويدخل فيها الأعلام منقولة كانت كزيد وعمرو أو مرتجلة كغطفان، وكل كلمة استؤنف بها على الجملة مواضعة أو ادّعى الاستئناف فيها وإنما اشترطت هذا كله لأن وصف اللفظة بأنها حقيقة أو مجاز فيها من حيث أن لها دلالة على الجملة لا من حيث هي عربية أو فارسي أو سابقة في الوضع أو محدثة مولدة "، ويعرف المجاز بقوله: "أما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، وإن شئت قلت: كل كلمة جرت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوّز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"»[2].

---

[1] نفس المرجع السابق ، ص 135، 136 ، بتصرف.

[2] نفسه، ص 136، 138.

« **أقسام المجاز: عقلي، ولغوي.**

- **المجاز العقلي:** يكون في الإسناد، أي في إسناد الفعل أو معناه إلى غير ما هو له، فلا علاقة فيه بين معنيين، بل إسناد فعل مجازا لغير ما وضع له، ويسند فيه الفعل إلى:

- **مصدره:**

تكاد عطاياه يُجنَ جنونها *** إذا لم يُعَوذْها برقية طالب.

جعل الشاعر عطايا الممدوح كائنا حيا له مشاعر الإنسان وأحاسيسه يصيبها مس الجن إن لم يحصنها صاحبها بالتميمة، فقد أسْند فيها الفعل (يجن) إلى المصدر (الجنون).

- **سببه:** (بنى ابن باديس الجامع الأخضر)، فقد أسند الفعل إلى سببه في المثال، حيث اسند (البناء) إلى "ابن باديس"، فلم يقصد الإسناد الحقيقي لأن العقل يمنع هذا التصور.

- **مكانه:** (ازدحم الحي بالسكان) فالحي لم يزدحم بالسكان وإنما الناس هم الذين يزدحمون.

- **زمانه:** (سرنا الزمان) فقد اسند السرور إلى الزمان.

- **الفاعلية:** (أبيني وبينك حجاب مستور)، يريد (ساتر).

- **المفعولية:** (واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي) فالمقصود (المكسو، المطعوم).

- **المجاز اللّغوي:** هو إيراد اللفظ من حقيقة لغوية إلى معنى آخر بينهما صلة ومشابهة – وهو نوعان:

- **الاستعارة:** وهي من المجاز اللغوي الذي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي (المشابهة).

- **المجاز المرسل:** مرسل لأنه مطلق غير مرتبط بالمعنى الحقيقي بعلاقة واحدة، وتكون فيه العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قائمة على غير المشابهة: وله علاقات كثيرة سيأتي تفصيلها مع التمثيل.

- **الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل:**

أن الأولى قائمة على المشابهة وأن الثاني قائم على غير المشابهة.

- والاستعارة كما نسميها مجازا، نسميها تشبيها بليغا أي – تشبيه حذف أحد طرفيه.

فهي تشبيه بليغ: لكونها معتمدة على مشبه ومشبه به ليس إلا.

أما حذف طرفيه: فإذا حذف المشبه فالاستعارة تصريحية وإذا حذف المشبه به فهي مكنية.

عناصر الاستعارة:

- **المستعار منه** : [المشبه به] المستعار له: [المشبه]، المستعار: [اللفظ الذي يؤخذ من المشبه به] القرينة.

أنــواع الاستعارة:

- **تصريحية:** وهي التي يصرح فيها بلفظ المشبه به، أو هي ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه.

مثالها: (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظّلمات إلى النّور).

هذه الآية اشتملت على كلمتي الظلمات وتعني الضلال، والنور وتعني الإيمان، والعلاقة بينهما هي المشابهة والقرينة حالية، وقد صرح فيها بلفظ المشبه به الذي هو[الظلمات والنور] فهي تصريحية.

- **مكنية:** وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه مثالها: (رب إني وهن العظم منّي واشتعل الرأس شيبا)، فقد شبه الرأس

بالوقود، ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو: الاشتعال على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس.

– **أصلية:** ما كان فيها المستعار اسما جامدا [غير مشتق]، كقولنا: سمعنا ثعلبا يعظ.

– **تبعية:** ما كان فيها المستعار غير اسم جنس [فعلا أو مشتقا]، كقوله تعالى: (فلمّا سكت عن موسى الغضب).

– **تمثيلية:** تركيب يتضمن مثلا أو حكمة، يستشهد به في حالة مماثلة ينطبق عليها معناه، كأن نقول للمتردد في الأمر: نراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى.

المجاز المرسل: قلنا إن المجاز المرسل (مجاز لغوي) كالاستعارة إلا أنه مطلق، وتكون فيه العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قائمة على غير المشابهة وله علاقات كثيرة أشهرها.

– **اعتبار ما كان :** (وآتوا اليتامى أموالهم)، فالتعبير هنا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان أي باعتبار أن هؤلاء كانوا يتامى وقد بلغوا سن رشدهم.

– **اعتبار ما يكون:** قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: (إنك إن تذرهم يُضِلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجِرًا كفَّارا)، ألا ترى أن المولود لا يولد فاجرا ولا كافرا، ولكن سيصير كافرا بعد أن يكبر، فالتعبير هنا مجاز مرسل علاقته باعتبار ما يكون»[(1)].

« – ا **لكلية:** قال تعالى على لسان نوح عليه السلام، (وإنّي كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في أذانهم)، عندما نفكر جيدا نجد أن

---

[1] محمد وزناجي و رشيد مزوزي، مرجع سابق، ص 67، 68 ، 69 ، 70، 71، باختصار.

الأصبع لا يمكن وضعه في الأذن بل، إننا لا نستطيع إلا وضع جزء من أصبع واحدة فقط، فماذا يرجى ويراد ويفهم من هذا التعبير؟ إنه أطلق الكل وأراد الجزء، (كل الأصابع وأراد إصبعا واحدة)، فالعلاقة هنا في المجاز المرسل – كلية– (حين يطلق الكل ويراد الجزء).

– **الجزئية:** (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) فاللفظة كلمة أطلقت وأريد بها الكلام، فقد أطلق الجزء وأريد الكل، فالعلاقة في هذا المجاز جزئية.

– **السببية:** قال الشاعر:

له أياد على سابغة *** أعدُّ منها ولا أعدِّدها،

ذكر الشاعر وتكلم عن اليد ولكن أراد بها النعمة، لا لعلاقة المشابهة إنما استعمل اليد في تعبيره لأنها هي التي تعطي وتمنح النعم فهي سبب فيها، فالعلاقة هنا سببية.

– **المسّببية:** (وينزل لكم من السماء رزقا)، الرزق لا ينزل من السماء، وإنما الذي ينزل من السماء – ماء المطر– الذي عن طريقه ينبت النبات والزرع الذي رزقنا، ألا ترى أن الرزق مسبب عن المطر فالعلاقة إذن المسببية.

– **المحلية:** قال تعالى على لسان إخوة يوسف (واسأل القرية التي كنا فيها...)، القرية مكان تجمع النآس فمجموعة المنازل والمرافق في هذا المكان تسمى قرية، فهل عندما نسأل القرية تجيب؟ بالطبع لا، إنما الذي يسأل ويجيب هم ساكنوا القرية، فالكلام أطلق على المحل وأراد الحال، إذن فالعلاقة المحلية.

- **الحالية:** (إن الأبرار لفي نعيم)، النعيم معنوي، روحي، فلا يحل فيه الناس، فالتعبير هنا بالحال والقصد المحل، فالعلاقة حالية فلا يقيم الأبرار في النعيم بل يسكنون في محله.

*** بلاغة المجاز المرسل:**

- حسن الوقع في النفس، إنه التحرر من قيود العبارة وضيقها، إنه الشعور بالحرية والانبساط، إن الذي يقوله يكون السلطان لأنه استطاع التحكم في الجمال، واستطاع استعمال الجمال» [1] حيث يزيد من رونق العبارة، ويزيد من دهشة الذات والعقل في توظيف إمكانات اللغة العربية، هذه اللغة التي حيرت العقول في العهد القديم ومازالت تحير العقول والقلوب في الزمن الحالي، إنها اللغة التي لا تموت، إنها اللغة التي ترفض الفناء، ترفض التشويش والسرقات، ترفض كل ما يريد أن يشوه صورتها الجميلة كيف لا وهي لغة القرآن، إنها اللغة التي تلبس ما تريد وتختار ما تريد، إنها اللغة الحرة، التي وقعت بين من يفهمونها ويقدرونها ويعشقونها.

الكناية:

«تعريفها:

الكناية في اللغة: مصدر كني، أو يكنو، أو كني يكني، والكني أو الكنو معناه الستر، فالكناية ستر المقصود وراء لفظ، أو عبارة، أو تركيب.

---

[1] نفس المرجع السابق ، ص 72، 73، بتصرف.

والكناية في الاصطلاح: لفظ وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى، أو هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين: حقيقة ومجازا من غير واسطة لا على جهة التصريح»(1).

- أقسام الكناية:

جرى تقسيم الكناية في الدرس البلاغي عند العرب باعتماد معيارين هما:

- نوع المكنيّ عنه: صفة أو وموصوف أو نسبة.
- المسافة الفاصلة بين اللفظ والمعنى المقصود: التلويح، الإشارة، الرمز، التعريض، الدوران، التلطيف.

1- أقسام الكناية باعتبار المكني عنه:

أ- **الكناية عن الصفة:** هي الكناية التي يستلزم لفظها صفة:

- طويل النجاد ← شجاع.
- رفيع العماد ← عظيم في قومه.
- كثير الرماد ← كريم.
- نؤوم الضحى← مترفة، ثرية.
- عريض الوسادة ← أبله.
- جبان الكلب ← كريم (ألف كلبه الضيوف فهو لا ينبح).
- مهزول الفصيل ← كريم (الفصيل ولد الناقة وذبحت أمّه فكان هزيلا).

ب – الكناية عن الموصوف:

---

[1] يوسف أبو العدوس، مرجع سابق، ص 119.

هي الكناية التي يستلزم لفظها ذاتا أو مفهوما.

- موطن الرعب
- موطن الحقد
- موطن الأضغان
- موطن الكتمان
- موطن الأسرار

} القلب

سليل النّار دق ورق حتى *** كأنَّ أباه أورثه السلالا (المعري).

(سليل النار كناية عن السيف)

ج- الكناية عن النسبة: هي الكناية التي يستلزم لفظها نسبة بين الصفة وصاحبها المذكورين في اللفظ إذ يصرح المتكلم بالصفة وصاحبها لكنه لا يعقد بينهما مباشرة ويعمد إلى نسبة الصفة إلى شيء له اتصال بصاحبها.

- يسير الجود حيث يسير.
- اللؤم في جلده.

2- أقسام الكناية باعتبار الوسائط:

رأينا أن بين اللفظ المصرح به والمعنى المكني عنه فضاء تتوزعه درجات تشغلها وسائط تربط بين الطرفين وتهدي المتقبل إلى المعنى المراد وحسب اتساع ذلك الفضاء وضيقه تكون درجة الالغاز في الكناية.

أ – **التلويح:** وهو نوع من الكناية الوسائط فيها كثيرة، فيكون الفضاء الفاصل بين المعنى المكني عنه والمعنى الحرفي كبيرا» [1]، «وقد سميت بالترويح لأنها تقوم على الإشارة من بعيد، وكل إشارة من بعيد تلويح، وتتصف الكناية الواقعة تحت هذا الاسم بوضوح وسهولة في المرور من واسطة إلى أخرى، ومن لفظ الكناية إلى المعنى المراد فالتلويح يتميز بأمرين اثنين:

– البعد في المسافة بين المعنى الحرفي والمعنى المراد لكثرة الوسائط.

– القرب في الفهم لوضوح العلاقات فيه فيسهل المرور من واسطة إلى أخرى، ومن المعنى الحرفي إلى المعنى المكني عنه، مثال: كثير الرماد.

ب– الإشارة:

هي لكناية تتوسط بين التلويح والرمز بقلّة الوسائط فيها وبوضوح نسبي في العلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى المراد.

لوجلوا حسنك أو غنّوا به *** للبيد في الثّمانين صبا.

يشير الشاعر هنا إلى قول لبيد: – إن الثمانين – وبلّغتها – قد احوجت سمعي إلى ترجمان.

وهو يقصد إلى بيان التأثير البالغ الذي يكون لحسن الممدوح إذ يمكن أن يرجع ويعيد الشباب إلى من فقده، وكنّى عن الشيخوخة بالإشارة إلى قول لبيد، والوسائط كما ترى ثقافية.

---

[1] الأزهر الزناد، مرجع سابق، ص 87، 88، 89، باختصار.

ج- **الرمز:** وهي الكناية القائمة على مسافة قريبة ووسائط قليلة فيكون فيها نوع من الخفاء مثال: عريض الوسادة (أبله)، حيث يستلزم عرض الوسادة كبرا في الرأس وطولا في العنق وهذا يستلزم البلاهة عند العرب.

د- **التعريض:** هي الكناية القائمة على لفظ يشير إلى المعنى المراد ويمكن الاستغناء عن معناه الحرفي، و يجري عادة في حكمة، كالكناية عن فساد الحكم بعبث الحداة بالإبل.

لقد عبثت بالنّياق الحداة *** ونام عن الإبل وعيالها»[1].

«و- **الدوران:** وهي الكناية التي تقوم على لفظ يدل على المعنى المراد بواسطة الدوران كالتعبير عنه بجملة أو مجموعة من الألفاظ عوض استعمال لفظة الصريح، كالكناية عن العاشق بطويل الليل.

طويل الليل ترحمه *** هو أتفه وأنجمه.

هـ - **التلطيف:** وهي الكناية القائمة على لفظ يدل على معنى بعيد على وجه التلطيف فتخف بذلك وقع المعنى الموحش أو المكروه، وتكثر في التعبير عن أعضاء الجسم، والأفعال التي تكون بها شحنه أخلاقية أو تتصل بها، كالتهجين أو التحريم، وغيرها كثير، ومن ذلك الكناية عن الجهل بمن لا يخطّ الألف مثلا.

وتمشي تعلّم في أمة *** كثيرة من لايخطّ الألف»[2]

---

[1] نفسه، ص 89، 90.

[2] نفس المرجع السابق، ص 90، بتصرف واختصار.

وبناءا على ما سبق فعلم البيان يعتبر من علوم البلاغة التي لها وزنها عند الكتاب والشعراء وأصحاب الأقلام، ومثله مثل علم المعاني، فكل علم منهما يزيد من جمال ألفاظ العربية، إذ به يصبح للغة العربية وخاصة في مجال الأدب حلّة جميلة ذلك أنه يحوي على قدر كبير من التعابير والفنون إنها فنون مرتبة مقننة مؤسسة على قواعد وأسس، هذا العلم الذي تمتاز به العربية على خلاف اللغات الأخرى التي تكون محصورة معدودة، محدودة، أما اللغة العربية فإنها مرنة بفضل العلوم التي تملكها اللغة العربية لها قدرة خلاقة وغريبة ومحيرة فعلى قدر ما تتمتع بعلومها وورونقها وعذب كلماتها وألفاظها إلا أنك في نفس الوقت تطرح عليك نفسك بعض الأسئلة الصعبة التي تقول في بعض الأحيان من أين للعربية هذا السحر وهذه القوة وهذا الإقناع؟ إنها سحر وهذا السحر يوجد في ألفاظها صحيح لكن السحر الأكبر والأعمق موجود في القوانين التي تتحكمها وكيف تحكمها إنها يد المهندس ولمسة الفنان، وعذب حديث لسّان الأديب الكاتب.

رابعا: علم البديع:

«البديع كما يقول "الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن" في كتابه "التلخيص" هو "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة»[(1)]، «ويعرفه ابن خلدون بأنه" هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق: إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه، لاشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك»،

---

[1] عبد العزيز عتيق، **علم البديع** (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1405 هـ- 1985)، ص 07.

وبعد فقد عرّف العرب في شعرهم كل الخصائص الفنية والأساليب البيانية التي تخلع عليه صفة الجمال والإبداع، وكان الشاعر منهم بحسه الفطري وعلى غير دراية منه بأنواع هذه الأساليب البيانية ومصطلحاتها البلاغية يستخدمها تلقائيا كلما جاش بنفسه خاطر وأراد أن يعبر عنه تعبيرا بليغا، ولعلنا نذكر ما كان يدور في أسواق العرب وأنديتهم من حوار أدبي، وكذا عرضهم لقصائدهم والتفاخر بها نظرا لما فيها من ألوان وفنون العلوم البلاغية المختلفة، وقد أخذ علماء اللغة العربية بعد الاسلام يهتمون غاية الاهتمام بعلم البلاغة ليستعينوا به في المحل الأول على معرفة أسرار الإعجاز في القرآن الكريم كتاب الله.

*** أوليات البديع:**

وإذا انتقلنا من هذا التمهيد إلى علم البديع أحد علوم البلاغة العربية، فإننا نلتمس أوليات هذا العلم في محاولة قام بها شاعر عباسي هو "مسلم بن الوليد الأنصاري" المتوفى سنة(208 هـ)، فقد وضع مصطلحات لبعض الصور البيانية والمحسنات اللفظية والمعنوية، من مثل الجناس والطباق، ولقد اشتهر هذا الشاعر أيضا بإجادة المدح من مثل قوله في مدح "يزيد بن مزيد".

تلقى المنية في أمثال عدتها *** كالسيف يقذف جلمودا بجلمود.

تجود بالنفس إن ضن الجواد بها *** والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

ثم نلتقي من بعده "بأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين" كما سبق الإشارة إليه وقد أشار الجاحظ إلى البديع بقوله: «والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على

كل لسان، والشاعر الراعي كثير البديع في شعره، وبشار حسن البديع، والعتابي يذهب في شعره في البديع مذهب بشار" [1]، وكلمة البديع عنده تعني الصور والمحسنات اللفظية والمعنوية وإن كان لم يحاول وضع تعريفات ومصطلحات لها، لأن اهتمامه وانشغاله عند الكلام عنها كان بتقديم الأمثلة والنماذج، لا بوضع القواعد والأسس، أما "ابن المعتز": وهو "أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد"، والمولود سنة (247 هـ)، فقد قام بأول محاولة علمية منهجية أكاديمية جادة في ميدان علم البديع، فقد كان شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر، سهل اللفظ جيد القريحة وأديبا بليغا مخالطا للعلماء، وله بضعة عشر مؤلفا في فنون شتى وصل إلينا منها: ديوانه وطبقات الشعراء، وكتاب البديع، ويذكر أن هذا الشاعر قد ولى الخلافة يوما وليلة، ثم مات مقتولا وقيل مخنوقا سنة(296 هـ)، وإذا كان "عبد القاهر الجرجاني" المتوفى (471 هـ) وصاحب كتابي "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" هو واضع نظرية علم البيان وعلم المعاني فإن "عبد الله بن المعتز" هو واضع علم البديع، كما يفهم ذلك من كتابه المسمى "كتاب البديع" الذي ألفه سنة (274 هـ)، ويبدو أنه ألف هذا الكتاب ردا على من زعم من معاصريه أن هناك من سبقه إلى هذا العلم»[1]، «وهم بشار بن برد ومسلم بن الوليد الأنصاري وأبا نواس على أنهم سبقوه إلى علم البديع في شعرهم، وفي موضع يشير إلى غرضه من تأليف كتاب البديع فيقول: "إنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يتجاوزا المتقدين في شيء من أبواب البديع»"، وفي موضع آخر يشير إلى أنه أول من نظم وجمع فنون هذا العلم فيقول: "وما جمع

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 07، 08، 09، 10، 11، 12، بتصرف واختصار.

فنون البديع ولا سبقني إليه أحد وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين"، وبناءا على ما سبق فإن "ابن المعتز" بوضعه كتاب "البديع" قد قام بالمحاولة الأولى في سبيل استقلال هذا العلم وتحديد مباحثه، التي كانت من قبل مختلطة بمباحث

علم المعاني وعلم البيان، ثم جاء بعده "قدامة بن جعفر" (337هـ)، و"أبو هلال العسكري"، ولكن ما يعنينا هنا ونحن نتتبع تاريخ علم البديع وتطوره هو "كتاب الصناعتين" و"الكتابة والشعر" لأبي هلال العسكري"، والذي جعله عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلا في 462 صفحة وغايتنا من كتاب "الصناعتين" لا تنصب عليه كله، وإنما هي تنصب على الباب التاسع منه وهو الباب الذي عقده "لشرح البديع والإبانة عن وجوهه وحصر أبوابه وفنونه"، وهذا الباب يشتمل على خمسة وثلاثين فصلا، تشل من حيز الكتاب نحو ربعه، والفضل في اختراع ما عرف من أنواع البديع إلى عصر "أبي هلال" يرجع إلى "عبد الله بن المعتز" و"قدامة بن جعفر"، فأما ابن "المعتز" مؤسس علم البديع فقد اهتدى إلى ثمانية عشر نوعا من البديع، وأما "قدامة" فقد اهتدى إلى تسعة أنواع فقط وبذلك يكون الاثنان قد اهتديا معا إلى سبعة وعشرين نوعا من أنواع البديع، وهذا كل ما ورد إلى علمنا مما كان معروفا من فنون علم البديع إلى عصر "أبي هلال العسكري" الذي بلغ بها إلى سبعة وثلاثين نوعا»[1].

فنون علم البديع:

«تنقسم المحسنات إلى قسمين هما: المحسنات البديعية المعنوية والمحسنات البديعية اللفظية.

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 14، 16، 21، بتصرف واختصار.

أما **المحسنات البديعية المعنوية:** فهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى أولا وبالذات، وإن كان بعضها يفيد تحسين اللفظ.

– أما ا **لمحسنات اللفظية** : فالغاية منها تحسين اللفظ، وإن حسنت المعنى أحيانا تبعا، وعلامتها أنه لو غير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك المحسن.

المحسنات البديعية المعنوية (اللغوية):

ومن هذه المحسنات: التورية، والطّباق، والمقابلة، وحسن التعليل، وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه واللف والنشر، والإرصاد، التقسيم، وتجاهل العارف وأسلوب الحكيم، وسنأخذ بالشرح البعض من هذه المحسنات:

التورية:

التورية لغة: مصدر وريت الخبر تورية، إذا سترته، وأظهرت غيره.

واصطلاحا: هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان، أحدهما قريب غير مقصود، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد مقصود ودلالة اللّفظ عليه خفية، فيتوهم السامع أنه يريد المعنى القريب، وهو إنما يريد المعنى البعيد بقرينة تشير إليه ولا تظهره إلا للإنسان الفطن، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

(وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار)، فالتورية في لفظة (جرحتم)، إذ إن المعنى القريب هو الجرح الحقيقي، أي: شق الجلد، والمعنى البعيد المقصود: ارتكاب الذنوب.

* **الطّباق:**

الطباق والمطابقة والتطبيق، والتضاد والتكافؤ كلها اسماء لمسمى واحد، وهو الجمع بين المعنى وضده في لفظين نثرا كان أم شعرا»[(1)].

«والطباق نوعان:

طباق الإيجاب: وهو ما اتفق فيه الضدان إيجابا وسلبا، كقوله تعالى: (وتحسبهم أيقاظا وهمْ رقودٌ).

فالطباق في لفظي(أيقاظا ورقود)، وكلاهما في المعنى ضد الآخر.

طباق السلب: وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، كأن يؤتي بفعلين أحدهما مثبت والآخر منفي نحو قوله تعالى: (تعلمُ ما في نفسي ولا أعْلَم ما في نفسك)، حيث الطباق في اللفظين (تعلم ولا أعلم).

ملاحظة: كما يكون الطباق في اسمين، أو فعلين يكون في حرفين كقوله تعالى: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)، فالطباق في الحرفين (لها وعليها)»[(2)].

المقابلة: «البلاغيون مختلفون في أمر المقابلة، فمنهم من يجعلها نوعا من المطابقة ويدخلها في إيهام التضاد ومنهم من جعلها نوعا مستقلا من أنواع البديع، وهذا هو الأصح، لأن المقابلة أعم من المطابقة.

أنواع المقابلة: المقابلة تأتي على هذه الأنواع:

- **مقابلة اثنين باثنين**: نحو قوله تعالى: (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا)
- **مقابلة ثلاثة بثلاثة** : نحو قوله تعالى (يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث).

---

[1] يوسف أبو العدوس، مرجع سابق، ص 129، 130، 132، بتصرف.

[2] نفسه، ص 132، باختصار.

- **مقابلة أربعة بأربعة** : نحو قوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى).

- **ومن مقابلة خمسة بخمسة:** قول الشاعر:

بواطئ فوق خد الصبح مشتهر *** وطائر تحت ذيل الليل مكتتم.

فالمقابلة هنا بين (واطئ وطائر) لأن الواطئ هو الماشي على الأرض والطائر هو السائر في الفضاء وبين (فوق وتحت) و(خذ و ذيل)، لما بينهما من معنى العلو والسفل، و(الصبح والليل) و(مشتهر ومكتتم).

- **ومن مقابلة ستة بستة:** قول الصاحب "شرف الدين الأربلي":

على رأس عبد تاج عزيزينة *** وفي رجل حر قيد ذل يشينه.

فالمقابلة هنا بين (على وفي)، و(رأس ورجل) و(عبد وحر)، و(تاج وقيد)، (عز وذل)، و(يزينه ويشينه)»[1].

حسن التعليل: «حسن التعليل أن ينكر الأديب صراحة أو ضمنا علة الشيء المعروفة، ويأتي بعلّة أدبية طريقة تناسب الغرض الذي يقصد إليه، قال المعري في الرثاء:

وما كلفة البدر المنير قديمة *** ولكنها في وجهه أثر اللّطم.

وقال ابن الرومي:

أما ذكاء فلم تصفر إذ جمحت *** إلا لفرقة ذاك المنظر الحسن.

[1] عبد العزيز عتيق، **علم البديع** ، ص 86، 88، 89، 90، باختصار.

يرثي أبو العلاء في البيت الأول ويبالغ في أن الحزن على المرثي شمل كثيرا من مظاهر الكون، فهو لذلك يدّعى أن كلفة البدر وعي ما يظهر على وجهه من كدره، ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من اللطم على فراق المرثي، ويرى ابن الرومي في البيت الثاني أن الشمس لم تصفرّ عند الجنوح إلى المغيب للسبب الكوني المعروف، ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح.

تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه:

- تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربان:

أ- أن يستثني من صفة ذم منفية صفة مدح.

ب- أن يثبت لشيء صفة مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى.

- تأكيد الذم بما يشبه المدح ضربان:

أ- أن يستثني من صفة مدح منفية صفة ذم.

ب- أن يثبت لشيء صفة ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى، هذا عن تأكيد، ومثال ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم (أنا أفصح العرب بيدَ أني من قريش)، وقال ابن الرومي:

ليس به عيبٌ سوى أنّه *** لا تقع العين على شبهه.

ففي المثال الأول تجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصف نفسه بصفة ممدوحه وهي أنه أفصح العرب، ولكنه أتى بعدها بأداة استثناء فدهش السامع، وظن أن النبي سيذكر بعدها صفة غير محبوبة ولكن سرعان ما

هدأت نفسه حين وجد صفة ممدوحه بعد أداة الاستثناء، وهي أنه من قريش، وقريش أفصح العرب، فكان ذلك توكيدا للمدح الأول في أسلوب ألف الناس سماعه في الذم، وكذلك في قول ابن الرومي حيث صدر كلامه بنفي العيب عامة عن ممدوحه، ثم أتى بعد ذلك بأداة استثناء هي (سوى) فسبق إلى وهم السامع أن هناك عيبا في الممدوح، وأن ابن الرومي سيكون جريئا في مصارحته به، ولكن السامع لم يلبث أن وجد بعد أداة الاستثناء صفة مدح، فراعه هذا الأسلوب، ووجد أن ابن الرومي قد خدعه فلم يذكر عيبا، بل أكّد المدح الأول في صورة توهم الذم، ويسمى هذا الأسلوب في الأمثلة المتقدمة تأكيد المدح بما يشبه الذم.

أما أسلوب توكيد الذم بما يشبه المدح، وهو كالأسلوب السابق، وكما ذكرنا له صورتان:

فالأولى نحو: لا جمال في الخطبة إلا أنها طويلة في غير فائدة، والثانية نحو: القوم شحاح إلا أنهم جبناء.

أسلوب الحكيم: أسلوب الحكيم تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارة إلا أنه كان ينبغي أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى، ومثاله قوله تعالى: (يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج)، فإننا نجد أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم سألوه عن الأهلة لما تبدو صغيرة ثم تزداد حتى يتكامل نورها ثم تتضاءل حتى لا ترى، وهذه مسألة من مسائل علم الفلك، يحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة فصرفهم القرآن الكريم عن هذا ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في

المعاملات والعبادات إشارة منه إلى أن يسألوه عن هذا، وإلى أن البحث في العلوم يجب أن يرجأ قليلا حتى تتوطد الدول»[1]

وهناك العديد من المحسنات البديعية المعنوية غير مستعملة كثيرا بالدراسة والشرح على المشهور منها والمستعمل غالبا.

المحسنات البديعية اللفظية: «وهي عديدة ومتنوعة نذكر منها الجناس، والسجع، والاقتباس والتضمين ورد العجز على الصدر، ولنا نظرة فاحصة لبعض منها:

الجناس:

هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وسبب هذه التسمية راجع إلى أن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد، والجناس نوعان: الجناس التام، والجناس غير التام.

الجناس التام: وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي:

1- نوع الحروف 2- عدد الحروف.

3- ترتيب الحروف. 4- هيئة الحروف من حيث الحركات والسكنات.

ومثال ذلك قوله تعالى: (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار، يقلب الله الليل والنهار، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)، (الأبصار) الأولى معناها العيون، و(الأبصار) الثانية معناها العقول.

الجناس غير التام: هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة.

---

[1] علي الجارم ومصطفى أمين، مرجع سابق، ص 289، 288، 292، 293، 291، 296، 295، بتصرف واختصار.

1- اختلاف اللفظين في أنواع الحروف، ويشترط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف واحد، ومثال ذلك قوله تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه).

الجناس في لفظي (ينهون وينأون)، وذلك لتشابه اللفظين واختلافهما في حرف واحد في وسط الكلمة وهو (الهاء) في ينهون والهمزة في (ينأون).

2- اختلاف اللفظين في عدد الحروف، ويسمى هذا الجناس ناقصا وذلك لنقصان حروف أحد اللفظين عن الآخر، مثال ذلك قوله تعالى (والتفت الشَّاق بالسَّاق، إلى ربك يومئذ المساق)، حيث الزيادة هي حرف الميم في لفظه (المساق)، والجناس في لفظي الساق والمساق.

3- اختلاف اللفظين في هيئة الحروف، ويقسم إلى قسمين:

أ- **الجناس المحرّف** : وهو ما اتفق فيه اللفظان في عدد الحروف وترتيبها، واختلافا في الحركات فقط ومثاله قول "أبي العلاء المعري":

والحُسن يظهر في بيتين رونقه *** بيت من الشعر أو بيت من الشّعر.

حيث وقع الجناس بين اللفظين (الشِّعر، والشعر)، وكلاهما متفقان في عدد الحروف وترتيبها ومختلفان في الحركات فقط.

ب- **الجناس المصحف** : هو ما اختلف فيه اللفظان في النقط فقط، ومثال ذلك قول "أبي فراس":

من بحر جُودك اغترف *** وبفضل علمك اعترف.

الجناس في (اغترف واعترف)، والاختلاف في النقط فقط.

4- اختلاف اللفظين في ترتيب الحروف، ويسمى هذا الجناس القلب، ويكون بأن يشتمل كل من اللفظين على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقصان مخالفا أحدهما ترتيب الآخر، ومن أمثلة ذلك قول الشاب الظريف:

ساق يريني قلبه قسوة *** وكل ساق قلبُه قاس.

فالجناس بين اللفظين (ساق وقاس)، فـ(ساق) مقلوب (قاس) و(قاس) مقلوب (ساق)»[1].

الاقتباس والتضمين:

«**الاقتباس:** هو تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن، أو الحديث النبوي الشريف من غير دلالة على أنه منهما، ويجوز أن يغير في الأثر المقتبس قليلا: ومن أمثلة ذلك قول البحتري:

نعمى من الله اصطفاه بفضلها *** والله يرزق من يشاء ويقدر.

أما التضمين: فهو أن يدخل الشاعر أو الكاتب في شعره أو نثره أقوالا مشهورة لغيرة، ومن أمثلة ذلك قول "الشهاب بن الأنباري":

وقل لمن في وصلها *** قد أحوجت سمعي إلى ترجمان.

ففي هذا المثال ضمن الشاعر بيته عجز بيت مشهور لعوف بن محلم السعدي حيث يقول:

إنّ الثمانين و بلغتها *** قد أحوجت سمعي إلى ترجمان.

وهذا يسمى (التضمين الجزئي) لأن الشاعر أثبت جزءا من البيت المشهور»[1].

---

[1] يوسف أبو العدوس، مرجع سابق، ص 144، 145، 146،باختصار.

والمحسنات البديعية على أنواعها تعمل كلها على الارتقاء باللغة العربية، هذه اللغة التي وجد فيها هذه الأنواع البديعية ارتجالا وبداهة، ودون قصد، ثم قننت ووضعت تحت أسس ومبادئ، وما يدل كل هذا إلا على قوة اللغة العربية وثراءها.

رد العجز على الصدر (التصدير):

«هو في النثر جعل أحد اللفظين المكررين (المتفقين في اللفظ والمعنى) أو المتجانسين (المتفقين في اللفظ دون المعنى) أو ملحقين بهما اشتقاقا أو شبه اشتقاق في أول الفقرة، والآخر في آخرها، فالمكرران نحو قوله تعالى: (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)، والمتجانسان نحو: سائل اللئيم يرجع وذمة سائل.

فسائل الأولى من السؤال، وسائل الثانية من السيلان والملحقان بالمتجانسان اشتقاقا، كقوله تعالى:

(استغفروا ربّكم إنه كان غفّارا)، والملحقان بالمتجانسان شبه اشتقاق، كقوله تعالى: (قل إني لعملكم من القالين)» [2]، وهناك العديد من المحسنات البديعية اللفظية التي تزيد من مكانة اللغة العربية وتزيد في قوتها بين اللغات الأخرى منها:

السّجع:

«السجع توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وكثيرا ما يأتي ويظهر في النثر، وقد يجيئ في الشعر كقول أبي الطيب المتنبي:

---

[1] نفسه، ص 150، 151، بتصرف واختصار.

[2] نفس المرجع السابق، ص 152.

فنحن في جذل والروم في وجل *** والبر في شغل والبحر في خجل.

وأضل السجع ما تساوت فقره، ومثاله: قال صلى الله عليه وسلم (اللهم اعط منفقا خلفا، واعط ممسكا تلفا)، السجع في (خلفا) و(تلفا)، فقول الرسول صلى الله عليه وسلم متكون من فقرتين متحدتين في الحرف الأخير.

الحر إذا وعد وفى، وإذا أعان كفا، وإذا ملك عفا، هذا المثال متكون من أكثر من فقرتين متماثلتين في الحرف الأخير أيضا، فالسجع يظهر في (وفى)، (كفا)، (عفا)»[(1)]

[1] علي الجارم، مصطفى أمين، مرجع سابق، ص 273، 274، باختصار.

الفصل الخامس

علم الدلالة

أولا : الدلالة.

ثانيا: مكونات الدلالة الأساسية.

ثالثا: التطور الدلالي.

تمهيد :

إن علم الدلالة من علوم اللغة العربية، إذ يقوم على بحث ودراسة العلامات اللغوية، ويبدأ من معنى المفردة من حيث حالتها المعجمية، إذ يقوم على تتبع الكلمة والمفردة واللفظة عبر الزمن، وفي مختلف السياقات

ذلك لأنه يصعب على اللغوي تحديد دلالة كلمة لأن الكلمة لا تحمل في ذاتها دلالة وإنما السياق هو الذي يحدد ويبين دلالتها الحقيقية، ويشكل علم الدلالة، أو دراسة الدلالة في اللغة العربية مع العلوم الأخرى الوجه المثالي للغة العربية واللّمسة النهائية لهذه اللغة، لأن علوم اللغة العربية متصلة فيما بينها اتصالا وثيقا وهدف هذا الاتصال والترابط هو خدمة الحرف العربي والكلمة العربية والعبارة العربية.

أولا: الدّلالـة:

«علم الدلالة علم حديث في مسمّاه، وفي استقلاليته، قديم في مادته، وفي معالمه، وبحوثه إذ لم يغفل لغويو العرب بحوث الدلالة، ففي كتاب الخصائص (خصائص اللغة العربية) "لابن جني" (ت 392 هـ)، باب في الدلالة اللّفظية والصناعية والمعنوية" [1]، وباب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" [2] و"باب في امساس الألفاظ أشباه المعاني" [3]، و"باب مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث" [4]» [5].

وإن الأبحاث الدلالية في الفكر العربي التراثي لا يمكن حصرها في ميدان معين من الإنتاج الفكري، بل هي تتوزع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم العربية الأخرى، إن الاحتكاك بين العلوم اللغوية والفكرية العربية المختلفة هو الذي أنتج الفكر الدلالي العربي وأرسى قواعد علم الدلالة العربية، والذي يمكن القول أنه رصيد الفلاسفة واللغويين وعلماء الأصول

---

[1] ابن جني، **الخصائص**، 3/98 – 101.
[2] نفسه، 2/145 .
[3] نفسه، 2/152.
[4] نفسه، 2/157.
[5] عبد الغفار حامد هلال، مرجع سابق، ص 12.

والفقهاء، والدراسات والبحوث الدلالية تمتد من القرون الأولى، القرن الثالث والرابع والخامس، وهذه الجذور العميقة في التاريخ تعني الكثير للغة العربية فرغم أنّها كانت لغة فتية إلا أن علومها امتدت جذورها عبر التاريخ والأجيال، «وقد سبق وأن ذكرنا من قبل ونحن نناقش أقسام الكلام في النحو على ضرورة التمييز بين القالب اللغوي ومعناه في اللغة، لأن النحو أصلا ما هو إلا دراسة شكلية بمعنى أننا لسنا في حاجة إلى شرح وتفسير وطرح دلالات الكلمات والمفردات لكي نبني كيف تجتمع في تراكيب مختلفة، لأن دلالة المفردات والجمل ليست جزءا وثيق الصلة بدراستها النحوية، ففي النحو لا نحتاج إلى أكثر من أن نقول أن كلمة Boy مثلا ما هي إلا اسم ، وأن مكانه في الجملة يكون كذا وأن له جمعا plural هو Boys ويقع في حالة الإضافة Ginitive case وهو قابل للتعريف.. وهكذا وعلى هذا فلسنا في حاجة إلى أن نقول أن كلمة "Boy" تشير إلى الولد الصغير الذي لم يبلغ الحلم"، وهي العبارة التي قد يقدمها لنا المعجم، ودراسة معنى القوالب اللغوية تسمى علم الدلالة، وهو المستوى الأخير من مستويات التركيب اللغوي الذي من المفروض أن نتعرض له بالدراسة والمناقشة، وعليه فاللغة ليست مجرد ضوضاء موضوعة في قوالب، مهما كانت هذه الضوضاء منظمة، لأنها لا تعتبر لغة ولا ينظر لها كلغة حتى يكون لها معنى ومدلول، ويستمد معناها إلى حد كبير من خلال استعمالها في مواقف الحياة الواقعية، لأن اللغة لا يمكن وجودها في فراغ، فوجودها مرتبط ومتوقف على الذين يستعملونها، وكيف يستعملونها، أي مواقف ومواضع الاستعمال، فنحن نقرأ المعاني ونستوعب الدلالات في العبارات والجمل والكلمات بالنظر إلى كيفية استعمالها، وأن العديد من الأصوات تبقى بلا معنى حتى نرى كيف

يستعملها الناس ومدى ارتباطها ببعض الجوانب الواقعية، ففي هذه اللّحظة مثلا استطيع أن أقدم كلمة جديدة مثل spled غير أن هذه الكلمة ستظل بلا معنى ما لم أشرح وأفسر لك ماذا أعني بها، فإذا ما قلت أنني أعني بهذه الكلمة "عددا من أوراق الخطابات المسطرة الوجهين"، استطيع بعد ذلك أن أمضي أكثر فأكون جملة مثل: *the sepleds do not differ ageat deal* وأنا واثق من أن كلامي مفهوم تماما، وبعبارة أخرى فإن ما قلته الآن هو إعطاء الكلمة معنى بطريقة أقل اعتباطا مما نفعل في استعمالنا العادي للغة"[1]، «وعلى أساس ذلك فإن علم الدلالة يدرس معاني الكلمات حيث يبين أولا كيفية اتصال هذه الكلمات بعضها ببعض، فمثلا هناك طريقة لتحديد دلالة كلمة ومثل good ذلك عن طريق ذكر عكسها *opposite* أو عن طريق ذكر مترادفات *synonyms* مختلفة لها وهكذا ثم يبين ثانيا العلاقة الموجودة بين هذه الكلمات والظواهر التي تشير إليها في العالم الخارجي، وهذا ما نشير إليه عادة تحت اسم العلاقة بين الاسماء والمسميات، وهي تسمية فيها ترخص كبير، ومع ذلك فهي تحتوي قدرا ضئيلا من الحقيقة لا أكثر، ولا أقل" [2]، «وكما سبق وأن ذكرنا فقد اهتم علماء اللغة العرب – قبل الغربيين بعلم الدلالة، لأن اللغة العربية تتصف بالثراء الواسع إذ تعرض العرب وتناولوا في دراستهم وبحوثهم دلالة اللفظ على معان عدة، ودلالة عدة ألفاظ على معنى واحد، والاشتقاق والحقيقة والمجاز والتضمين وكلها بحوث لها القسط الأكبر في علم الدلالة.

---

[1] دافيد كرستل ، مرجع سابق، ص 130 ، 131 ، بتصرف.

[2] نفسه، ص 131 ، 132 ، بتصرف .

وقد ظهر اسم هذا العلم *Semantics* في مقال كتبه ميشيل بريان، سنة 1883 م، ويعد هذا العالم الفرنسي من أوائل الواضعين لعلم الدلالة على أساس تاريخي لا وصفي، وعنى بالبحث فيه- كذلك- من الغربيين، منهم الأساتذة و"تنى الانجليزي" و"كروس" الايطالي، و"فونت" الألماني، وقد نهضت الدراسة في هذا الفرع على أساس من علم النفس والاجتماع اللّذين نهضا في الغرب، فبحث في الغرب معاني الكلمات، والاشتقاق اللغوي فيما يعرف بالمورفولوجيا التعليمي والتاريخي والمقارن وما يتعلق بعلم التنظيم القواعد (سينتكس)» [1]، وعليه فالدراسة الموضوعية للغة تكمن في دراسة المعنى، وبذلك «إن الطبيعة الحقيقية للغة يكمن فهمها من خلال فهم المعنى، ويلعب المعنى دورا كبيرا في كل مستويات التحليل اللغوي كما يلعب دورا كبيرا في تطبيقات كثيرة لعلم اللغة مثل طرق الاتصال، وتعليم اللغة والترجمة، ودراسة اكتساب اللغة"، "ولذلك يحتل المعنى من بين الفروع الدراسات اللغوية أهمية بارزة، أليس المعنى هو هدف الفروع اللغوية الأخرى"؟.

وكما سبق وأن ذكرنا فقد نال علم الدلالة *Semantics* اهتماما كبيرا من العلماء في القديم والحديث وليس بين أصحاب اللغة فقط، بل في فروع العلوم الإنسانية الأخرى، مثل علم النفس، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وغيرها ذلك أن للألفاظ ارتباط وثيق بالفكر لأن الألفاظ تحمل المعاني والدلائل التي ترسخ في العقل، فهي ترجمان للعقل والعاطفة والوجدان وحسن اختيار الألفاظ يترتب عنه حسن إيصال المعنى والمقصود» [2].

---

[1] عبد الغفار حامد هلال، مرجع سابق، ص 17، بتصرف.

[2] محمد محمد داود، مرجع سابق، ص 177 ، 178 ، بتصرف واختصار.

*** لفظة الدلالة والمعنى في المعجم العربي:**

«أ – الدلالة في المعجم العربي:

إن الناظر في باب "دلل" من معاجم اللغة يجد الاستعمالات التالية:

الدليل ما يستدل به (على الشيء) والدليل الدّال، والدِّلّيلي الدليل (مثل المتفق أجواب القلب) الذي يدلك على الشيء، ويقال هو الدليل بيّن الدّلالة، والدِّلالة مصدر الدليل، والدليل ما يستدل به على الشيء ويهتدي به إليه، والدَّلُّ: القلب والدّلدال: البلبل، ودل يدلُّ إذا كان زاهدى، وسمت حسن، ودلَّ إذا كان حَسَنُ الحديث (الصوت) والهيئة ودَلَّ يَدِلُّ إذا منّ بعطائه".

ب- المعنى في المعجم العربي:

إن الناظر في باب "عني" من معاجم اللغة يجد الاستعمالات التالية:

معنى الكلام ومعناته واحد يقال عرفت ذلك في معنى كلامه أي فحواه (ومضمونه).

قال الخليل – وعنوان الكتاب مشتق من المعنى "إذ أن اللفظ عنوان على المعنى، كما أن عنوان الكتاب علم على مادته ومحتواه"، وعنت الأصوات إذا علت وارتفعت، وهي تعنُو أي تطل برأسها ورقبتها من خلال الشيء (وعنا يعنو إذا أسلم زمامه إلى الشيء في خفة وتمام وكمال وطواعية)، ويقال سألته فلم يعْنُ لي بشيء، كقولك: لم ينْدَلي بشيء ولم يبض لي بشيء وأعنت الأرض والبلاد أي أنبتت وأخصبت"

ج- بين علم الدلالة وعلم المعجم:

هناك فواصل بين علم المعاجم وعلم الدلالة، إذ إن علم المعاجم ينظر في نسق ونظام ترتيب الكلمات وإيراد الألفاظ بعضها خلف بعض

بعد حصر أكبر كم منها، وحكاية معانيها كما هي مروية أو مسموعة من العرب دون تعليق عليها، أو تقديم أو تفسير أو تعليل لها، أمّا علم الدلالة فإنه ينظر فيما بين معاني الكلمات من وشائج وصلات ويأتي بالمعاني في إطارات وأبواب وفصائل، كما ينظر في طبيعة العلاقة بين المعاني وأصوات اللفظ، أو بين المعنى والقالب الصرفي للفظ، كما يتتبع تطور معاني ودلالات الكلمات عبر العصور التاريخية للغة»[(1)].

* **اللفظ والمعنى:** "إن الحديث عن عرفية اللغة وطبيعتها يقودنا ويأخذنا إلى الحديث عن العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى وقبل أن نتوغل في الحديث في هذه النقطة علينا أن نذكر كلام الإمام فخر"الدين الرازي" الذي ذكر فيه كل أوجه العلاقات الموجودة بين اللفظ والمعنى وقد حصرها في أربعة:

"الألفاظ إما أن تدل على المعاني بذواتها، أو بوضعه الله إياها، أو بوضع الناس، أو يكون البعض بوضع الله والباقي بوضع الناس" [(2)]، أما "ابن جني" حين يحلل الظاهرة اللغوية على أساس أنها نظام من العلامات أو الرموز الصوتية فيقول: "فكأنّهم جاءوا إلى واحد من بني آدم، فأومأوا إليه وقالوا: انسان انسان انسان، فأي وقت سمع هذا اللفظ علم المراد به هذا الضرب من المخلوق، وإن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك فقالوا: يد، عين، رأس، قدم أو نحو ذلك فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معنيها وهلمّ جرا فيما سوى هذا من الاسماء، والأفعال، والحروف" [(3)]. وعنده أن

---

1 عبد الغفار حامد هلال، مرجع سابق، ص 13، 14، 15، باختصار.
2 السيوطي، **المزهر**، ج1 ، ص 16.
3 ابن جني، **الخصائص**، ج1، ص 44، 46 – 74 .

إطلاق الاسماء على المسميات، كلفظة "انسان" الدالة على الإنسان، لهو من باب الإشارة فقط، فالأصوات المكونة لأي لفظة مذكورة لا تربطها بمدلولاتها المعروفة في الواقع الاجتماعي والمادي أيّ رباط منطقي أو تعليلي، ومرجع ذلك إلى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى هي اعتباطية أصلا تتم بالاصطلاح، ولن تفهم أو تستوعب أو تدرك إلا به، ودليل آخر على عرفية العلاقة وجود الترادف والاشتراك والتضاد في اللغات"[(1)].

«ولعل أقدم صور التعبير عن المقابلة بين اللفظ والمعنى كانت لدى صاحب "الكتاب" سيبويه، فهو يضع الرمز الصوتي وصيغته الصرفية في جهة، ويمثل في الجهة الأخرى مدلوله الجزئي، ذلك أن الكلام ينصرف إلى "اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل" [(2)]، وكل واحد من هذه الأقسام يمكن تسميته "اللفظ" مما يتفرع إلى مسألة "أن من كلامهم (العرب) اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظ والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين" [(3)]، ونقصد من الاستشهاد بكلام "سيبويه" إلى معرفة واحد من المواضع التي ربطت بين الشكل والمحتوى للمفردة الواحدة، وهو هنا (النحو وعلوم العربية عامة)، حيث اقتضى الدرس أن يبدأ المصنف بالبسائط لينتقل إلى المركبات، وإن (المعجمي) يتفق في نقطة البداية في درسه مع النحوي إلا أن مهمة كل منهما تختلف عن الآخر، إذ ينظر الأول إلى المفردة وخصائصها صيغت لها أحكام بحسب موقعها في التركيب، ويلتفت الثاني إلى مدلول هذه المفردة في وضع أقرب إلى أن

[1] **محاضرات في فقه اللغة**، سلسلة الدروس في اللغات والآداب، ص 30، 31، 32، بتصرف واختصار.
[2] سيبويه 09، **الكتاب**،(بيروت: مكتبة الأعلمي، 1976) .
[3] سيبويه 15.

يكون سكونيا، وأما عن تشكلها في تآلف معنوي مع سواها في شروط خاصة ندعوها في مصطلحنا الحديث (بالسياق)، فهذا أمر حشد له المعجمي القديم مواد تحتاج إلى مزيد من التمحيص والتفكير لنجد فيها ما قد يساعد في رسم سياقات الكلمات، وأما إذا رجعنا إلى "الجاحظ" على اعتباره أنه رجل فكر وأدب وثقافة حيث ترك لنا هذا الكاتب نصا يمثل موقفا يفاضل فيه بين مضمون الشكل الفكري وخصائصه الشكلية والتصويرية، وانه يشرح العمل الشعري بعد أن أثاره اهتمام بعض العلماء بمضمون أبيات دون أن تكتسب الروح الشعرية فيقول: إن "المعاني مطروحة في الطريق يعفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير "[1]»[2].

«ويبدو لكثير من القدماء والمعاصرين أن "الجاحظ" يريد تغليب اللفظ على المعنى إلا أن المغزى في النص لا يحتاج إلى التأويلات، فالرجل يقابل بين المضمون ومجموعة من العناصر المكونة للإبداع الشعري، لا تقف عند اللفظ أي الكلمات، فلدينا ههنا إضافة إلى اللفظ: السبك والصياغة، والوزن والتصوير، فيدخل التركيب اللغوي بكل علاقاته النحوية المتفرعة إلى خصائص مؤثرة في الدلالة وكذلك الإيقاع الموسيقي في تخيير الأوزان واستقامتها وتلاؤمها مع الغرض والموضوع، ويؤكد مذهب "الجاحظ" في غلبة الإلحاح على المعنى بمفهوم (الغرض أو القصد)، أنه يتحدث في مواضع أخرى عن الألفاظ والمعاني فيهتم بكيفية إخراج "المعاني القائمة في

---

[1] الجاحظ، **الحيوان**، 131/3، 132، نقلا عن **علم الدلالة العربي**.

[2] نفسه، ص 32، 33، 34، بتصرف واختصار.

الصدور والمتصورة في الأذهان والمتخلجة في النفوس" [1]، ويعبر عن تحقيقها بالألفاظ والعبارات بأنه "يحي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها" [2]»[3]، «أما في العصر الحديث فقد حصل جدل بين علماء اللغة والفلسفة والمنطق فكل كلمة في اللغة ترتبط بمعنى واحد أو أكثر، ولكن العلاقة بين الشكل اللغوي أو الكلمة المنطوقة ومدلولها في واقع الحياة علاقة توفيقية، وهذا يعني أنه ليست هناك علاقة مباشرة بين الأصوات المكونة لكلمة ما وما تدل عليه هذه الكلمة، وهذا ما ذهب إليه اللغوي السويسري "فردناند دي سوسير" (1916) عندما قسّم الشكل اللغوي (الكلمة) إلى قسمين:

أ – **الدال:** ***Signifier***

مجموعة الأصوات والنبر المكونة لكلمة ما.

ب– **المدلول:** ***Signifed***

وهو الشيء الذي تدل عليه الكلمة في واقع الحياة، أشار "دي سويسر" إلى أن العلاقة بين كلمة حصان مثلا والمخلوق الذي تدل عليه علاقة توفيقية، أي أنه لا يوجد سبب يعلل العلاقة بين ألفاظ الكلمات ومدلولاتها ليست هناك بالضرورة علاقة بين الصورة الصوتية لكلمة حصان والحيوان الذي تدل عليه هذه الكلمة لو أطلقت كلمة أخرى على هذا الحيوان لوصلت إلينا كما استخدمت أول مرة ولأصبحت الاسم الدارج له بدلا من اسمه الحالي، قام اللغويون بمحاولات كثيرة وطرحوا نظريات متعددة

---

[1] الجاحظ ، **البيان والتبيين**، 1/75 – 76 ، ط3 هارون 1968، نقلا عن **علم الدلالة اللغوية**

[2] الجاحظ ، **البيان والتبيين**، 1/75 – 76 ، ط3 هارون 1968، نقلا عن **علم الدلالة اللغوية**

[3] نفسه، 34، 36، باختصار.

لتوضيح المقصود من مفهوم المعنى، ومن بين النظريات التي طرحت في هذا الميدان ما يلي:

نظرية مساواة معنى الكلمة بمدلولها:

تشير هذه النظرية إلى أن معنى الكلمة هو الشيء الذي تدل عليه في واقع الحال، فعندما نقول شجرة أو مدرسة أو قلم فإننا نعني بهذه الكلمات الأشياء التي تشير إليها هذه المفردات في حياتنا أي المدرسة التي نتعلم فيها، والشجرة ذات الأغصان والأوراق، والقلم الذي نكتب به، و تبدو العلاقة بين الدال والمدلول واضحة في اسماء الأعلام، فالاسم خالد بن الوليد مثلا يشير إلى ذلك الفرد المعروف في التاريخ الإسلامي وما يصدق على الاسماء في هذا المجال يصدق على الأفعال، فالفعل مثلا يشير إلى حدث معين والصفة تشير إلى صفة الشيء أو إحدى خصائصه والظرف يدل على كيفية حدوث الفعل أو يحدد زمن أو مكان وقوعه، ولكن إذا فكرنا جيدا في هذه النظرية وما تنادي به نلاحظ أنها تعاني من قصور شديد يتمثل فيما يلي:

أ- إذا اعتقدنا بأن لكل كلمة معنى فإن ذلك يعني أن كل كلمة تدل على شيء معين في حياتنا أي أن لها مدلولا فعليا، ولكن اللغة تشتمل على مفردات كثيرة ذات معنى أو وظيفة ولكن ليس لها مدلول معروف محسوس في واقع الحال مثل: الغول والعنقاء، شديد، إن إعلم، حرية، حب، غضب...

ب- تواجه هذه النظرية تحديا آخر في جوهرها، فحتى الكلمات التي تشير إلى مدلول ملموس في الحياة لا تشير إلى مدلول وشيء محدد معروف لدى جميع الناطقين بلغة ما، فعندما نسمع كلمة مقعد أو شجرة أو

منزل فإننا ندرك معانيها ولكننا لا نعرف الشيء الحقيقي المحدد الذي تشير إليه كل كلمة»[1].

«فكلمة مقعد قد تشير إلى الكرسي الذي يجلس عليه معلم المدرسة في الصف أو الكنبة التي يجلس عليها شخص واحد أو الكنبة التي يجلس عليها أكثر من شخص واحد.....

المعنى هو الصورة الذهنية:

أن معنى الكلمة في هذه النظرية هو الصورة الذهنية للشيء الذي تشير إليه، وهذا يعني أن الصورة الذهنية لشيء واحد قد تختلف من إنسان إلى آخر ومن بيئة اقتصادية واجتماعية وثقافية، فالجمال مثلا فصورته الذهنية تختلف من شخص لآخر، ضف إلى ذلك أن هناك كلمات لها معنى وليس لها صورذهنية تقابل الملموس مثل: إن، أو، فقط، هذا، يشعر.....

المعنى هو استعمال المفردة في اللغة:

يعتقد بعض اللغويين أن معنى الكلمة يتحدد بالسياق الذي تستخدم فيه ولذلك يقول "فيرث" أن المعنى لا يظهر إلا من خلال السياق الذي تستخدم فيه الكلمة أو الجملة، ولذلك فقد يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى تبعا للسياقات المختلفة التي يمكن أن تستخدم فيها، ويشتمل السياق على عناصر كثيرة منها المتحدثون واللغة التي يستخدمونها (السلوك اللغوي) والسلوك غير اللغوي (ما يصدر عن المتكلم من إشارات أو تعابير وجه) والمكان والزمان الذي يدور فيه الحديث (انظر بالمر 1981 ص 51-56)، ولكن ترى كيف يتغير معنى الكلمة بتغيير السياق الذي تستخدم فيه انظر إلى كلمة جناح في الأمثلة التالية:

---

[1] شحدة فارع ((وآخرون))، مرجع سابق، ص 178 ، 179 ، 180 ، باختصار

- جناح العصفور مكسور.
- جاء أحمد على جناح السرعة.
- أقام الرئيس في جناح خاص في فندق كبير.

وبالرغم من قدرة هذه النظرية على تفسير قسط كبير من المعنى إلا أنها لم تنج من النقد، قد انتقد بالمر (1981: 54-56) منهج فيرث السياقي بقوله أن فيرث لم يقدم نموذجا أو نظرية شاملة لوصف اللغة بمكوناتها المختلفة ولكنه ركز على دور السياق في تحديد المعنى فقط»[(1)].

ثانيا: مكونات الدلالة الأساسية:

«تقوم الدلالة على أسس أهمها:

- اللّفظ المفرد، وأنواع أصواته، وارتباطه بمعناه.
- تولد ألفاظ جديدة من الأصل الواحد، وارتباطها بمعانيها.
- صلة الكلمة والمفردة بغيرها في العبارات والتراكيب، إذ لا غنى لها عن نظائرها.

ولا يفهم اللّفظ بغير جملة يسلك فيها، فاللغة كلام مترابط قبل أن يكون كلمات متناثرة.

ولذا قسّم الباحثون الدلالة أربعة أنواع معجمية، صوتية، وصرفية، ونحوية.

أ- **الدّلالة المعجمية** : هي الدّلالة التي وضعها الأسلاف للألفاظ العديدة والمختلفة، وتكفلت ببيانها قواميس اللغة حسب ما ارتضته الجماعة، واصطلحت عليه، وتستخدم في الحياة اليومية بعد تعلمها بالتلقين والسماع،

---

[1] نفسه، ص 180، 181، 182، بتصرف واختصار.

والقراءة والاطلاع على آثار السابقين الأدبية شعرا أو نثرا، وقد جمع العرب تراثهم فيما يسمى بالمعاجم اللّغوية، في إطار مرحلة لغوية معينة هي عصر قوة اللغة العربية، وهي تمثل تاريخ العرب وأخلاقهم وتراثهم وتقاليدهم وهي تحمل الأصالة والجذور الأولى للمفردة واللّفظة قبل أن يختلط العرب بغيرهم، ويمتد اللحن إلى لسانهم، وهذه الدلالة عرضة للتغيير، بل إنها تغيرات لاحقا بعد عصر تدوين اللغة نتيجة اختلاف حياة الأجيال المتعاقبة، ومن أمثلته تغير مدلول ألفاظ الصلاة والزكاة، والخليفة، والسلطان، والديوان وغيرها وما يصدق على العربية يصدق على غيرها من اللّغات.»[1].

ب- الدلالة الصّوتية:

«يعتمد تحديد المعنى وتوضيحه على خواص صوتية معينة، سواء أكان ذلك على مستوى المعجم أو السيمانتيك"، ومثال المعنى الوظيفي المستفاد من الدلالة الصوتية، هو التمييز بين الكلمات حيث إن كل تغير صوتي يتبعه تغير دلالي، سواء أكان هذا التغير الدلالي مباشرا مثل المعنى المعجمي في مثل:

(قال) حين نغير الوحدة الصوتية *Phoneme* "ق" بوحدة صوتية أخرى "ن" لتصبح الكلمة "نال" والفرق واضح بين معنى الكلمتين على مستوى المعجم، وقد يكون للتغير الصوتي أثر في التغير الدلالي ولكن بصورة غير مباشرة، فحين تؤثر الوحدات الصوتية في الوحدات الصرفية، فإن ذلك يؤثر في المعنى، مثل الهمزة: تحول الفعل اللازم إلى فعل متعدّ مثل: سجد، أسجد، فهم، أفهم، وهنا تغيرت الصيغة الصرفية مما أدى إلى

---

[1] عبد الغفار حامد هلال، مرجع سابق، ص 28، 29، بتصرف.

تغير في الدلالة،" كذلك التنغيم له دور هام في التفريق بين أنماط الجمل فيمكن أن نفرق بين الجملة الاستفهامية والاثباتية بواسطة التنغيم، ومثال ذلك: قول الله تعالى في سورة يوسف بعد فقد صواع الملك: (قالوا جزاؤه من وّجِد في رَحْله، فهو جزاؤه)[1]، فلا شك أن تنغيم جملة:

(قالوا اجزاءه) بنغمة الاستفهام، وجملة: (من وجد في رحله فهو جزاءه) بنغمة التقرير، سيقرب معنى الآية إلى الأذهان، ويكشف عن مضمونها".

ج الدلالة الصّرفية:

الوحدة الصّرفية *Morpheme* :

لها تأثير مباشر على المعنى، فمثلا تختلف دلالة صيغة اسم الفاعل عن دلالة اسم المفعول، وكلاهما يختلف عن دلالة صيغة المبالغة: "قائل، مقول، قوّال" هذا على مستوى المعجم، كذلك تؤثر الصيغ الصرفية على التركيب، مما يؤثر على المعاني النحوية، وبالتالي على المعنى العام، مثل اكتفاء الفعل اللازم بفاعله، فإذا استعملنا صيغة فعل متعدّ، فإن الفعل يتعدى إلى مفعول ولا يكتفي بفاعله، والفرق واضح في المعنى بين الفعل اللاّزم والمتعدي في مثل: قام محمد، أقام محمد ندوة، والصيغ الصرفية كثيرة ومتنوعة، وليس هذا مجال حصرها.

د- الدلالة النّحوية:

الدلالة النّحوية تتوقف على تغير مواقع الكلمات في الجملة، إذ التغير في الوظيفة النحوية يتبعه تغير في المعنى، فجملة: الرجل يعاتب المرأة،

---

[1] سورة يوسف، 75/12.

تختلف في المعنى عن: المرأة تعاتب الرجل، وهذا التغير في المعنى ناشئ عن تغير مواقع الكلمات، أي تغير الوظيفة النحوية» [1]، «والدلالات التي أشرنا إليها تأتلف في كل متكامل يتأدي إلينا: فالدلالة الأساسية أو المعجمية هي لب وجوهر المادة اللّغوية المشترك في كل ما يستعمل من اشتقاقاتها وأبنيتها الصرفية، ف (طحن) تدل على حركة وضغط لتحويل الحبوب إلى مسحوق ناعم بالرحى، ويكون حقيقيا ومن ثم حمّل الدلالات المجازية المتعددة، ويدخل هذا المفهوم في أبنية صرفية كثيرة، ونلحظ فيها إضافة إلى هذه الدلالات أمرا مكتسبا من الوزن نفسه أي معنى الوزن فالأفعال تحدد بحسب أوزانها الحدث والزمن وتقرن بالفاعلين بعد (طحن، يطحن، سيطحن، اطحن)

و(طحّان) دالة على اسم الفاعل بصيغته المبالغة المتأدية إلى تحديد الحرفة، و(مطحون) اسم المفعول للشيء المطحون، والطاحونة والطحّانة) تدلّان على آلات الطحن التي تدور بالماء (أو بسواه من حركة للثيران، أو في العصور الحديثة بوساطة المحرّكات النفطية والكهربائية)، وبعض الصيغ خصصت دالة على أجزاء من الجسم ترتبط بوظيفة التحويل من خشن إلى ناعم، فـ(الطواحن) كما يقول صاحب لسان العرب: "الأضراس كلها من الانسان وغيره على التشبيه، واحدتها طاحنة (قال) "الأزهري": كلّ سن من الأضراس طاحنة" [2]، نلحظ من خلال الكلمات التي أوردناها أن القيمة الصرفية توجه المادة الأساسية أو المعجمية وتضعها في مجال وظيفي معين، وهذا أمر نستطيع متابعته وتقصيه في المصنفات الصرفية

---

[1] محمد محمد داود، مرجع سابق، ص 182 ، 183، 184.

[2] اللسان مادة(طحن) ، نقلا عن **علم الدلالة العربي**.

وكتب اللغة، وفيما تورده المعجمات في أثناء بسطها لاستعمالات فروع كل أصل من الأصول.

وأما الإضافة الثانية فهي الدلالة النحوية، أي أن الكلمة تكتسب تحديدا وتبرز جزءا من الحياة الاجتماعية والفكرية عندما تحلّ في موقع نحوي معين في التركيب الإسنادي وعلاقته بالوظيفية، الفاعلية، المفعولية الحالية، النعتية، الإضافة، التمييز، الظرفية، فمثلا: "خاطبت الطحاّن في شأن تحسين عمله وزيادة مقدار إنتاجه"، فكلمة "طحّان" في موقع المفعول به تبرز في جهة من العلاقة الاجتماعية هي موقع المحاسبة والمسؤولية، وهناك من يحاسبها أو يسألها، والإضافة الثالثة وهي الدلالة السياقيّة، أي ما يكون قد طرأ على الكلمة من تطور دلالي بحسب القوانين التي ترصد حركة الألفاظ والدّلالات في الزمان المتتابع بين العصور"[1].

ثـالثا: التطور الدّلالي.

اللّغة وسيلة وأداة للتواصل بين الأشخاص، حيث تعتبر اللغة الأداة الحية للتعبير عما يدور في الأذهان والعقول، وعما يختلج النفس والفؤاد من عواطف وأحاسيس، والتطور اللّغوي لا يصيب مستوى معين من اللغة بل إنّه يمس جميع المستويات اللغوية على اعتبار ارتباطها ارتباطا وثيقا وأساسيا لنجاح العملية الكلامية، لكن الذي يجب أن يكون في الحسبان أن هذا التطور والتغير لا يكون فجائيا أو أنه يكون تلقائيا بل إنه يسير وفق قوانين وأسس منطقية مقنعة، «واللغة العربية كسائر اللّغات الحية، تخضع لسنة التطور فلقد استوعبت اللغة العربية قديما أول تجربة لها وهي تواجه

---

[1] نفسه، ص 20، 21، 22، بتصرف.

الحضارة الإسلامية، ثم تواجه الحضارات الأخرى المختلفة عبر العصور المتعاقبة، وهي لا تعجز عن الوفاء بالتعبير عن كل جديد ومستحدث من مواليد الحضارات المتعددة، والثقافات المختلفة»[(1)].

*** التطور الدلالي بين القديم والحديث:**

«البحوث الدلالية – عامة – بحوث قديمة حديثة فهي قديمة لأن العرب لهم جهود في هذا المجال، ونلمح أثرها في العديد من كتبهم، وهي أيضا حديثة لأنها قد استحدثت أنماطا وطرقا لبحث العلاقات الدلالية بين الألفاظ، ولقد عالج القدماء التغير الدلالي في اتجاهين:

الأول: تمثل في الحرص الشديد حفاظا على اللغة فوضعوا حدودا زمانية ومكانية ينتهي عندها قبول الاستعمال الجديد الذي سموه مولّدا، لأنه لم يسمع عن العرب الذين يحتج بهم، وعدُّوا كل تغير لا يوافق الاستعمال العربي – داخل الحدود الزمانية والمكانية التي وضعوها – لحنا، ولقد تكاثفت واجتمعت جهود اللغويين القدماء لمقاومة ومحاربة هذا اللحن، ورغم أن قيود اللغويين القدماء لقبول أي استعمال لغوي جديد، لم تمنع حركة التطور الدلالي، ولعل ذلك كان من بين الأسباب التي دفعت اللغويين المحدثين إلى قبول المولد الذي جرى "على أقيسة العرب من مجاز، أو اشتقاق، أو نحوها، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك، وحكمه أنه عربي سائغ"،

الثاني: "أنهم عدوا كل تغير يوافق الاستعمال العربي داخل الحدود الزمانية والمكانية من باب المجاز"»[(2)].

---

1 محمد محمد داود، مرجع سابق، ص 207، 208 ، بتصرف.

2 نفسه، ص 209، 210، بتصرف.

* **أنواع التطور الدلالي:**

«يعتري اللغات نوعان من التطور:

الأول: التطور العام أو التلقائي: وهو التطور الذي يلحق اللغة دون إرادة أفراد الجماعة التي تتحدث بها فلا تتعمده، ولا تستطيع مقاومته ويلحقها لأمور تمر بها الجماعة ارتقاء أو انحطاطا "فاللغة ظاهرة اجتماعية وتطورها لا يجري تبعا للأهواء والمصادفات، أوفقا لإرادة الأفراد، وإنما يخضع في سيره لقوانين جبرية ثابتة مطردة النتائج واضحة المعالم محققة الآثار تلا يد لأحد على وقف عملها، أو تغيير ما تؤدي إليه، فليس في قدرة الأفراد أن يقفوا تطور لغة ما أو يجعلوها تجمد على وضع خاص، أو يسيروا بها في غير السبيل التي رسمتها لها تسنن التطور الطبيعي"، فلفظ "(جيب) في العامية تطور معناه الأصلي وهو الدلالة على الفتحة التي يلبس منها القميص"[(1)]، وعلى هذا المنوال انتقلت كثير من الألفاظ – في العربية الفصحى – من معانيها القديمة إلى معان أخرى دون أن يعرف تدخل.

الثاني: التطور الخاص(أو المقصود) : وهو الذي تلجأ إليه الجماعة للحاجة فقد تحتاج إلى وضع مصطلحات لغوية لمخترعات حديثة في مجالات العلوم، والفنون، فيلجأ في ذلك أحيانا إلى تغيير دلالات بعض الكلمات، ونقلها، وهذا يتم طفرة دون سابق تدرج، ويكون عادة – على يد المتخصصين – كعلماء المجامع اللغوية الآن، وهذا النوع يتوقف انتشاره على مدى استجابة الجمهور لما وضع من مصطلحات وعلى العوامل

---

[1] ابن منظور، **اللسان** 280/1.

المؤثرة في ذيوعه وانتشاره كوسائل الإعلام وغيرها، ولذا فإن الألفاظ التي تخضع للتطور الخاص لها حالات ثلاثة:

– شيوع استعمالها في المعنى الجديد، فكلمتا (السيارة) و(القطار) قد نقلتا من القافلة (التي كانت تسير في الصحراء) إلى المركبين المعروفين وشاعتا في المعنى الجديد حتى كاد المعنى القديم ينسى نسيانا تاما فلا يكاد يذكره سوى اللغوي المتخصص.

– قلة استعمالها في المعنى الجديد، ومن ذلك كلمة (المذياع)، التي وضعت للجهاز المعروف (الراديو)، ولكن لم يكتب للكلمة العربية الشيوع في الاستعمال، فهي لا تكاد تذكر إلا قيلا بجوار كلمة (الراديو) الأجنبية.

– اختفاء الاستعمال الجديد، مثل كلمة (جماز) التي وضعها المجمع اللغوي (للترام) وهي أصلا – مشتقة من (جمزي) اسم حمار الوحش، فقد اختفت كلمات عربية في بعض الأقطار العربية نظرا لأسباب عدة كنا ذكرنا بعضها وأهمها»[1].

*** أسباب التطور الدلالي:**

« أسباب تتعلق باستخدام الكلمات، فمدلول الكلمة يتغير تبعا للحالات التي يكثر فيها استخدامها:

فكثرة استخدام العام مثلا في بعض ما يدل عليه يزيل تقادم العهد عموم معناه ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله، فالصلاة معناها في الأصل الدعاء، ثم شاع استعمالها في الاسلام في العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء، حتى أصبحت لا تنصرف عند إطلاقها إلى غير هذا المعنى، والحج مثلا معناه في الأصل

---

[1] عبد الغفار حامد هلال، مرجع سابق، ص 50، 51، 52، 53، بتصرف واختصار

قصد الشيء والاتجاه إليه ثم شاع استعماله في قصد البيت الحرام، حتى أصبح مدلوله الحقيقي مقصورا على هذه الشعيرة، وقس على ذلك، وكثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع، تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم، فمن ذلك مثلا في اللغة العربية البأس والورد والنجعة والحوة.....إلخ، فالبأس في الأصل الحرب ثم كثر استخدامه في كل شدة، فاكتسب من هذا الاستخدام عموم معناه، وأصل الورد اتيان الماء ثم صار اتيان كل شيء وردا لكثرة استخدامه في هذا المعنى العام.

" عوامل تتعلق بمبلغ وضوح الكلمة في الذهن، فكلما كان مدلول الكلمة واضحا في الأذهان قل تعرضه للتغير، وكلما كان مبهما، مرنا كثر تقلبه وضعفت مقاومته لعوامل الانحراف، ويساعد على وضوح مدلول الكلمة عوامل كثيرة من أهمها أن تكون مرتبطة بفصيلة من الكلمات معروفة الأصل.

أسباب تتعلق بأصوات الكلمة، فثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتغيرها يذلل أحيانا السبيل إلى تغيره، وذلك أن صلتها بالأسرة التي تنتمي إليها وبالأصل المشتقة منه تظل وثيقة وواضحة في الذهن، وما دامت محتفظة بصورتها الصورتية، وقوة هذه الصلة تساعد على ثبات مدلولها»[1].

«عوامل تتعلق بالقواعد، فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل إلى تغير مدلول الكلمة، وتساعد على توجيهه وجهة خاصة، فتذكير كلمة (ولد) مثلا في العربية (ولد صغير) قد جعل معناها يرتبط في الذهن بالمذكر، ولذلك

---

[1] عبد الواحد وافي، **علم اللغة** (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000) ص 319، 320، بتصرف.

أخذ مدلولها يدنو شيئا فشيئا من هذا النوع حتى أصبحت لا تطلق في كثير من اللهجات العامية، إلا على الولد من الذكور.

أسباب تتعلق بانتقال اللغة من السلف إلى الخلف فكثيرا ما ينجم عن هذا الانتقال تغير في معاني المفردات، وذلك أن الجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذي يفهمها عليه الجيل السابق ويساعد على هذا الاختلاف كثرة استخدام المفردات في غير ما وضعت له على طريق التوسع أو المجاز.

وكثيرا ما يتغير مدلول الكلمة على اثر انتقالها من لغة إلى لغة، فقد يخصص مدلولها العام وتقصر على بعض ما كانت عليه في لغتها الأصلية، وقد يعمم مدلولها الخاص، وقد تستعمل في غير ما وضعت له لعلاقة ما بين المعنيين، وقد تنحط إلى درجة وضيعة في الاستعمال فتصبح من فحش الكلام وهجره وقد تسموا إلى منزلة راقية فتعتبر من نبيل القول.

وقد يكون العامل في تغير معنى الكلمة أن الشيء نفسه الذي تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشئون الاجتماعية المتصلة به، فكلمة "الريشة" مثلا (*plume*) كانت تطلق على آلة الكتابة أيام كانت تتخذ من ريش الطيور، لكن تغير الآن مدلولها الأصلي تبعا لتغير المادة المتخذة منها آلة الكتابة فأصبحت تطلق على قطعة من المعدن مشكلة في صورة خاصة.

أسباب تتعلق باختلاف الطبقات والجماعات، فكثير ما ينجم عن اختلاف الناس في طبقاتهم وفئاتهم مدلول الكلمات وخروجها عن معانيها الأولى»[1].

---

[1] نفسه، ص 320، 321، 322، 323، 324، 325، بتصرف واختصار.

الفصل السادس

علم المعاجم

أولا : علم المعاجم.

ثانيا : المدارس اللغوية ومعاجمها.

ثالثا : المعجم العربي وصلته بالتطور الدلالي.

تمهيـد:

إن المعجمية أو علم المعاجم يعتبر علم من علوم اللغة العربية، الذي أرسى أسسها وقواعدها وتاريخ جذور كلماتها ومفرداتها وألفاظها،والمعاجم

تعتبر المنبع الأصيل والأساس المتين والمعبر السليم بالنسبة للباحث والدارس والمعلم والمتعلم والإنسان العادي العربي على سبيل المثال، الذي يريد أن يجمع رصيدا لغويا يساعده على التواصل مع الآخرين ويساعده على فهم الملتبس من الكلمات والغامض من العبارات والأفكار والأمثال، هذا عن أبناء المعجم وأبناء المجتمع الذي تخرج فيه، أما بالنسبة للدارس والباحث الذي لا ينتمي إلى لغة ذلك المعجم فإنه يكون له النور الذي يسير عن طريقه ليعرف اللغة العربية، ويقف على أسرارها وأسوارها، فالمعجم العربي هو المفتاح الذي عن طريقه يهتدي الآخر إلى فتح بابها ليجلس ليتمعن ليفكر، ويستنتج في الأخير أنها سر العرب والعروبة.

أولا: علــم المعــاجم:

قبل التطرق لتعريف المعجم وعلم المعاجم كتخصص علينا أولا ذكر:

*** جمع اللغة وحركة التأليف العربية:**

«المقصود بحركة التأليف هو دراسة المراحل التاريخية لتأليف الكتب من جانبيها اللغوي والأدبي من خلال نشأتها وتطورها ونموها ورقيها، إلى جانب بيان وكشف أهم مصادرها ومراجعها والمناهج أو المنهج الذي اعتمده المؤلف في تأليفها، وقد كان للحضارة العربية ورقيها وانفتاحها دورا هاما في تأليف الكتب العربية خاصة اللغوية منها، حيث أرسى التأليف قواعده وأسسه الأولى، وعملية التأليف عند العرب في عهدها الأول خاصة كانت نشيطة فعالة وخصبة ولها ثمارها الطيبة التي كانت مفخر العرب، حيث أسس العرب لأنفسهم مكانا في دائرة العلم التي لا حد لها، حيث تبين هذا في إقبال الغرب على دراسة اللغة العربية ومحاولة الإلمام بالحضارة العربية الإسلامية، إلى درجة أنهم كانوا يجمعون الكتب مقابل أموال باهضة، لا

لشيء إلا محاولة فهم السر الذي جاءهم من هناك من الشرق العربي، وأهم دافع لحركة التأليف هو الباعث الديني وهذا ما حاولنا شرحه في فصول سابقة، لأن إعجاز القرآن كان يكمن في اللغة العربية وما تحتويه من بلاغة وبيان وحلاوة وإلى جانب القرآن الحديث النبوي الشريف، وضف إليه الشعر والنثر، فكان أن تمخض من دراسة لغة كل مصدر من هذه المصادر دراسات ومؤلفات أدبية وفكرية وعلمية، فكان أن تعدي محتواها جانب الدين، بل شمل مختلف النواحي العلمية»[1] ونفهم مما سبق ذكره «أن حركة التأليف في المعاجم العربية قامت على أساس المادة التي جمعها اللغويون في البادية في القرن الثاني الهجري، إذ خرج عدد كبير من اللغويين من البادية وأخذ كل منهم يجمع اللغة من أبناء القبائل الفصيحة الحرة التي لم تفسد بعد سليقتها فلاحظ كثير من البدو اهتمام وانشغال اللغويين بتلقي اللغة عنهم، فهاجر العديد منهم إلى جنوب العراق حيث ازدهرت وتطورت وارتقت العلوم اللغوية أو علوم اللغة العربية في كل من البصرة والكوفة وأخذوا يبيعون المادة اللّغوية التي عندهم لكل من ينشدها من اللغويين، ولم تكن عملية جمع اللغة محاولة شاملة لتسجيل كل الألفاظ التي عرفتها القبائل العربية، بل كان اللغويون وخاصة منهم علماء البصرة يضعون شروطا أساسية ورئيسية يجمعون على أساسها اللغة، تتعلق هذه الشروط بالزمان والمكان والحال، و بهذا المعيار ركز اللغويون عملهم على لغة قبائل معينة، وبين هذا و ذاك صنفت لهجات القبائل المختلفة، والواقع أن اللغويين لم يهتموا في القرن الثاني الهجري بالتنوع اللغوي في الجزيرة العربية، ولا بمحاولة تسجيل جوانبه، بل كان محاولة للبحث عن الصيغ الفصيحة

---

[1] جمال شوالب، **الدليل في مصادر اللغة والأدب** (قالمة– الجزائر) ص 13، 14 ، بتصرف واختصار.

والكلمات الصحيحة الفصيحة عند القبائل العربية التي يقترب استخدامها للغة من المستوى اللغوي المنشود.

ولقد أثمرت حركة جمع المادة اللغوية من الكتب والرسائل اللغوية، إذ جمع كما ذكرنا اللغويون ما عرفته القبائل الفصيحة من ألفاظ، و صنفوها في مجموعات دلالية، وألفوا في هذا مجموعة كبيرة من الكتب ألف الأصمعي(ت 216 ه) في "خلق الإنسان" و"الإبل" و"الخيل" و"الوحش" و"النبات" و"الشجر"، وألف "أبو زيد الأنصاري" في"اللبن" و"المطر" و"النبات" و"الشجر"، وظلت الرسائل هي الشكل الوحيد الذي اتخذته دراسة الألفاظ العربية من الناحية الدلالية وقتا طويلا، إلى أن برزت إلى الدوائر العلمية حركة تأليف المعاجم، وقد كان لما ألفه الأصمعي و"أبو زيد الأنصاري" وغيرهما أكبر الأثر في المعاجم العربية وفي نظرية اللغة عند العرب بصفة عامة، وإذا كان اللغويون في القرن الثاني قد قصروا جهدهم على جمع الصيغ والدلالات الفصيحة أو القريبة كل القرب من الفصيحة فإن الأكثرية المطلقة من علماء اللغة في القرون التالية قد لاحظت تغير الاستخدام اللغوي بعد القرن الثاني، ولذا توقفت حركة العمل اللغوي الميداني توقفا تاما، على الرغم من أن العمل اللغوي في القرن الثاني الهجري لم يكن هادفا إلى دراسة التنوع اللغوي في الجزيرة العربية بل كان الهدف منه جمع المادة اللغوية من ينابيعها الصافية وعليه ظل اللغويون في القرون التالية يقصرون عملهم على المادة اللغوية التي اعترف علماء القرن الثاني بفصاحتها ومن مظاهر الجهد العلمي في عصر الحضارة الإسلامية هو نشاط العلماء العرب لتأليف المعاجم، وهم بهذا أهم من ألف المعاجم قبل العصر الحديث

على الإطلاق، حيث بدأت حركة تأليف المعاجم موازية لتدوين الرسائل اللغوية في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة»[(1)].

تعريف المعجم: "جاء في كثير من المعاجم، شرح لفظ (معجم) من (عجم)، عجم عجما – الخط نقطه وأنكره جماعة العجم خلاف العرب، والعرب والعجم جمع الأعجم: الذي لا يفصح العجمي الذي من جنس العجم والعجم: الذي في لسانه عجمة، الأعجم: الأخرس وأعجم الكلام ذهب به إلى العجمة وخلاف أعربه، العجماء: البهيمة، وعند ابن جني يعنى الإخفاء والإبهام ضد البيان والإفصاح وقد أقر مجمع اللغة العربية استعمال القاموس للدلالة على معنى المعجم ورأى أن اطلاق لفظ قاموس على المعجم من قبيل المجاز، أطلق عليه هذا الاسم لأنه يزيل إبهام المادة المرتبة ويبنها ويوضحها بما يجمعه من شروح، وهناك علاقة بالقاموس، فالقاموس في اللغة وسط البحر ومعظمه، أو أبعد موضوع غورا فيه، وهو من القمس هو الغوص في الماء» [(2)]، وفي الاصطلاح "المعاجم جمع مفردها معجم، والمعجم كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون مواده مرتبة ترتيبا خاصا، إما على حروف الهجاء أو على المواضيع، وأكمل المعاجم ما يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد توضح مواضع استعمالها»[(3)]، ونحن في ذلك كله: «لا يهمنا من المعجم معناه القديم، وأصل تعريفه عند القدامى، مما أصبح متعارفا لا جدال فيه"، لقد عرف المعجم في العصر

---

1 محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 95، 96، 97، 98، بتصرف واختصار.
2 صالح بلعيد ، **مصادر اللغة**، ص 65.
3 محمد خليفة الأسود ، مرجع سابق، ص 136.

الحديث بأنه "كتاب اللغة وما يعرفونه بالقاموس من أعجم الكلام أو الكتاب أي أزال عجمته وإبهامه وفسره"، وهو أيضا "ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم"، إن الخلاف واضح بين التعريفين، وإن كان يقرّان ويصرحان أن اللغة هي موضوع المعجم، وذلك ليس كافيا بل يعتبر بداية، إذ أن المعجم يستوجب أن يعرف بحسب طبيعة المعلومات التي يوفرها عن اللفظ المدخل، أو ما يسمى قديما وحديثا بالمادة، وهذه الطريقة كفيلة بأن تساعدنا على التمييز بين نوعين غالبين من المعاجم، وهما معجم الكلمات، ومعجم الأشياء فالأول يهتم بوضع الكلمة دلاليا وصوتيا، وصرفيا ونحويا، وأسلوبيا واستعمالا في سياق معين كثيرا ما يعتمد الشواهد، أما معجم الأشياء، فإنه يهتم بالموضوع الذي يعبر عنه بكلمة من الكلمات، معتمدا في ذلك جملا تصف ذلك الشيء أو الموضوع، واستعماله وأصله، ومكانته من ثقافة المجموعة المعينة، وعلى هذا الأساس يمكن أن نقرأ أن معجم الكلمات هو المعجم اللغوي، وأن معجم الأشياء هو المعجم الموسوعي أو الموسوعة، فضلا عما يتميز به الأول عن الثاني في مستوى ترتيب المداخل أو المواد[1]، فالنوع الأول يهتم بمفردات اللغة واستعمالها، والثاني يركز على المضمون الذي تحيل إليه الكلمات» [2]، والمعجم الموسوعي هو نوع من المعاجم لا يقف عند حدود شرح المفردات والكلمات ومعانيها وإنما يتعدى ذلك إلى معلومات أخرى غير لغوية مثل ذكر اسماء بعض العلماء والأدباء والمفكرين والفلاسفة وتواريخ ميلادهم ووفاتهم وبعض الأعمال التي صدرت

---

[1] المعجم الموسوعي ينظم الكلمات بحسب المواضيع عادة، و المعجم اللغوي ينظمها بحسب النظام الأبجدي أو الصوتي أو أواخر الكلمات إلخ.

[2] محمد رشاد الحمزاوي**من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا**الطبعة الأولى (بيروت– لبنان: دار الغرب الإسلامي1986) ص 151.

عنهم، وإلى جانب المعجم اللغوي والمعجم الموسوعي توجد أنواع كثيرة من المعاجم التي أدرجها العلماء أو علماء اللغة، ومن أشهرها:

– المعجم الثنائي اللغة *Bilingual Dictionry*

وهو المعجم الذي يستخدم في الشرح أو التعريف لغة غير لغة المداخل أو المفردات، انجليزي عربي أو العكس.

– المعجم الوصفي *Descriptive Dictionry*

وهو يقوم على جمع مفردات لغة أو لهجة أو مستوى لغوى معين وذلك في مكان معين وزمان محدد مثلا، كأن نعمل مثلا معجم للألفاظ المستخدمة في إحدى اللهجات العربية القديمة.

– المعجم الموضوعي (معاجم المعاني) *Thesaurus*

وهو نوع من المعاجم يختلف في ترتيب المفردات ونوعها وكمّها إذ يرتب المفردات وفق الموضوع أو المعاني التي تتصل به، أي أنه يلتزم بوضع المفردات المتصلة بموضوع واحد، في مكان واحد مثل الألفاظ الخاصة بجسم الإنسان وأعضائه مثلا، وقد عرفت اللغة العربية – هذا النوع من المعاجم منذ بداية حركة جمع اللغة وذلك كما سبق ذكره في صورة رسائل معجمية صغيرة لا تتعامل إلا مع المفردات المتصلة بموضوع واحد مثل "رسالة في البئر" أو "خلق الإنسان" أو "الابل"...إلخ.

ويدرس علم اللغة المعاصر الأسس النظرية والتحليلية لهذا النوع من المفردات التي تتصل بموضوع واحد وفق نظرية علمية منهجية تعرف باسم "نظرية الحقول الدلالية" *Semantic Fields*

– المعجم التاريخي: *Historical Dictionary*

وهو معجم لا يلتزم بفترة زمنية معينة، أو مكان معين ومحدد مثل المعجم الوصفي، وإنما ينظر إلى المراحل المتعددة التي مرت بها اللغة أو حياة اللغة نظرة شاملة وخاصة من ناحية الاستعمال بحيث ينتهي إلى ترتيب التطور في استعمال المفردات من حيث المعنى والمبني، منذ عصور عديدة وقديمة إلى أن يصل إلى العصر الذي يتم فيه عمل المعجم، ويقوم المعجم التاريخي بسرد تاريخ الكلمات في إطار حياة اللغة كما يوضح ميلاد المفردات الجديدة، ويتطرق لاختفاء المفردات أو بعض من المفردات من الاستعمال وزمان كل منها.

*** التأليف المعجمي قبل العرب:**

«من الأمم التي سبقت العرب في تأليف المعاجم: الآشوريون والصينيون واليونان، حيث أن الكشوفات الحديثة أثبتت أن الآشوريين هم العرب القدماء، إذن فإن أجداد العرب أول من ابتكر المعاجم، وقد ألف الآشوريون معاجم بلغتهم السومرية القديمة وقد وضعوا هذه المعاجم في قوالب من الطين وحفظوها في مكان يشبه المكتبة وقد توصل إليها الكشف والبحث العلمي المعاصر، واعتبرت من أهم مصادر تاريخ الآشوريين، وقد ألف الصينيون معاجم قبل العرب ومن أهم هذه المعاجم: معجم "يوبيان" الذي ألفه "كوي وانج" ثم معجم "شوفان" الذي ألفه "هوشن" وهذان المعجمان هما الأساس الذي بنيت عليه معاجم اللغة الصينية واللغة اليابانية، أما اليونانيون فقد ذكرت لهم مؤلفات كثيرة وصفت بأنها معاجم ولكنها مفقودة لم تصل إلينا، والذين اهتموا في اليونان بتأليف المعاجم هم علماء الإسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد نظرا لاهتمامهم باللغة لاشتهار الشعر والخطابة بينهم.

*** بداية التأليف المعجمي عند العرب والداعي لهذا التأليف:**

ورد في "مقدمة الصحاح" بقلم "أحمد عبد الغفور العطار" أن أول من استخدم كلمة "المعجم" رجال الحديث وأول ما عرف كان في القرن الثالث، فقد جاء في "صحيح البخاري" عنوان من تعبيره وهو قوله "باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم" والجامع أحد كتب البخاري ويريد بأبي عبد الله نفسه وللبخاري "التاريخ الكبير" رتب فيه أسماء الرجال على حروف المعجم مبتدئا بالمحمدين، وأول كتاب أطلق عليه اسم المعجم هو "معجم الصحابة" "لأبي معلي أحمد بن علي الموصلي" المتوفى سنة (307هـ)، وقد ارتدفه "أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز الباغوي" المتوفى سنة (315هـ) وسمى كتابيه الذين ألفهما في اسما الصحابة: المعجم الكبير، والمعجم الصغير، ثم كثر إطلاقه واستعماله بين من ألفوا في الحديث وعنهم أخذه اللغويون، وما يجب ملاحظته هنا التفريق بين بداية التأليف المعجمي عند العرب وإطلاق كلمة معجم على الكتب المؤلفة لحصر المفردات وبيان معانيها فتأليف هذا النوع من الكتب بدأ من القرن الثاني الهجري وذلك بوضع "الخليل بن أحمد" أول كتاب في حصر المفردات العربية وترتيبها وهو كتاب "العين"، وتوفي "الخليل بن أحمد" (سنة 175هـ) أما إطلاق كلمة معجم على هذا النوع من التأليف فقد جاء متأخرا أي في القرن الرابع الهجري على يد أصحاب الحديث»[(1)].

«وبتأليف الخليل لمعجم "العين" تتابع بعده تأليف المعاجم إلى وقتنا الحاضر.

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 136، 137، 138.

- فقد ألف ابن دريد (ت 231هـ) معجم الجمهرة.
- وألف أبو علي القالي (ت 356هـ) معجم البارع.
- وألف أبو منصور الأزهري (ت 370هـ) معجم التهذيب.
- وألف الصاحب بن عباد (ت 386هـ) معجم المحيط.
- وألف ابن فارس (ت 395هـ) معجمين هما مقاس اللغة والمجمل.
- وألف الجوهري (ت حوالي سنة 400هـ) معجم الصحاح.
- وألف ابن سيده الأندلسي (ت 458هـ) معجم المحكم والمخصص.
- وألف الزمخشري (ت 538هـ) معجم أساس البلاغة.
- وألف الصاغاتي (ت 650هـ) معجم العباب.
- وألف ابن منظور (ت 711هـ) معجم لسان العرب .
- وألف الفرووز ابادي (ت 817هـ) معجم القاموس المحيط .
- وألف الزبيدي (ت 1205هـ) معجم تاج العروس .
- وألف بطرس البستاني سنة (1283هـ) معجم المحيط وقطر المحيط.
- وألف الشرتوني سنة (1907م) معجم أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد.
- وألف الأب لويس المعلوف سنة (1908م) معجم المنجد.
- وصدر عن المجمع اللغوي سنة (1960م) المعجم الوسيط.

هذه بعض المعاجم التي ظهرت في اللغة العربية، وإذا كان تاريخ مصطلح "معجم" له أصوله في التاريخ بصفة عامة، وتاريخ التأليف العربي بصفة خاصة، فإن هذا المصطلح لم يظهر في إحدى إلا في سنة (1225م)، أي بعد خمسة قرون من ظهور معجم العين *Dictionarius*

صيغة اللاتينية وبعد هذه القرون الخمسة استعملت الكلمة، إلا أنه لم يظهر معجم بالمعنى الشامل إلا في القرن السابع معجمه سنة (1604م)، وبناءا على ما تقدم يبدو أن السبب في التفكير *Robert taurdrey* عندما كتب في وضع معجم هو البحث عن معنى لفظ في لغة أجنبية، بالإضافة إلى معاني الألفاظ النادرة الاستعمال أو الغريبة والغامضة والمبهمة في اللغة نفسها، ويضاف إلى ذلك أن مستعمل اللغة لا يعي في ذاكرته الثروة اللغوية كلها، فعندما يصادف مستعمل اللغة بعض الكلمات التي لا يعرف معناها بدقة ووضوح يضطر إلى اللجوء إلى المعاجم» [(1)]، خاصة بالنسبة للاستعمالات القليلة والنادرة في لغته، لأن اللغة تورث، فكما لسنا مسؤولين عن لون بشرتنا ولون عيوننا لأن لون البشرى ولون العيون مثلا تتوارث من الآباء إلى الأبناء، فكذلك اللغة فإنها تورث من جيل إلى جيل، كما تورث جميع جوانب الحضارة لأي أمة من الأمم خاصة الجانب الثقافي والعلمي، ونظرا للعوامل والظروف التي تتعرض لها اللغة عبر الزمن فإنه قد تختفي بعض المفردات وتتولد مفردات جديدة، وعندما تذكر فجأة مفردة كانت تستعمل قديما فإن الجيل الجديد يجد صعوبة في حلها وفهمها، ونحن لحد الآن عندما نتكلم مع أجدادنا خاصة نجد أنه يوظف مفردة تبدو غريبة فنسأل عن معناها فيشرح لنا الجد أو الجدة، وقد تكون تلك المفردة تعبر عن فعل استعمله أو تعبر عن اسم شيء من الأشياء كان يستعمل قديما، ومن ذلك فإنه تقتضي الحاجة إلى وضع معجم يشرح ويفسر مثل تلك الألفاظ، بالإضافة إلى أن مخزون الذاكرة لا يمكن الاحتفاظ به لمدة طويلة لأن الذاكرة ليست مسؤولة عن الاحتفاظ بكل مخزونها لأنها مضطردة إلى

---

[1] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 251، 252، 253، 254، بتصرف واختصار.

الاستغناء عن البعض منه وإن كان قليل، وعليه وكما سبق وأن ذكرنا فذاكرة الإنسان تستوعب وتحتفظ بقدر محدود ومعين من المفردات وعليه فإن وظيفة المعجم دعت إليها حاجات عملية.

* **وظيفة المعجم:**

«بما أن المعجم هو حامل اللغة فلا بد أن نفهم أن للمعجم قدرة على استيعاب اللغة، ولكن ليس كل اللغة لأن اللغة المنطوقة يستحيل استيعابها، وعليه فالمعجم لا يقاس بحجمه وكثرة عدد كلماته بل بالوظيفة التي يؤديها، فقدرة الاستيعاب الكبيرة يترتب عنها ضغط على التعريف فيه والاقتصاد فيه وقلة الاستيعاب تختصر عدد المفاهيم والمدلولات وبالتالي فإن علم المعجم يفيد أن ندعوه عموما بالمعجم لا يستطيع أن يستوعب اللغة كلها»[(1)]، وعليه فوظيفة المعجم تكمن في:

- شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها المتعددة، إما في العصر الحديث فقط أو يتتبع معناها في العصور المتتابعة عبر تاريخ وجودها، وينبغي لكي يكون المعجم وافي لهذا الغرض ولهذه المهمة أن يتعرض للكلمة أو المفردة في سياقات متعددة وجمل مختلفة حتى يتجلى معناها.

- بيان كيفية نقط الكلمة أو بعبارة أخرى بيان ضبطها بالشكل بالنسبة للمعاجم العربية، وتتبع المعاجم في بعض اللغات الأجنبية طريقة خاصة لبيان النطق، تتلخص في استخدام (رموز صوتية معينة تكتب بها الكلمة بعد أن تكتب بهجائها العادي، وقد ألف في بعض اللغات معاجم خاصة لبيان النطق أما بالنسبة للمعاجم العربية فقد كان أصحابها ينصون

---

[1] محمد رشاد الحمزاوي، مرجع سابق، ص 170، 171، بتصرف واختصار.

على ضبط النطق كأن يقولوا هذا لفظ على وزن كذا يقصد الميزان الصرفي)، أو يقول نطق كلمة كذا يشبه نطق كلمة كذا حيث تكون الكلمة الثانية معروفة النطق، أو يكتفون بوضع الكلمة بالشكل إما بالحركات أو بالنص على نوع الحركة نحو بفتح الأول وضم الثاني.

– تحديد الوظيفة الصرفية للكلمة: أهي اسم أم حرف ومن أي الأفعال هي (ماضي،...إلخ) «وبما أن المعاجم هي مناجم للمعرفة وهي العين الذي لا ينضب من المعارف، فإن صاحب البحث العلمي أو الباحث عندما يريد كتابة بحثا ما، فأول شيء يجب أن يتصل به أو يستعمله أو يطلع عليه هو "المعجم" فهو يجلي للباحث لب الفكرة الأولى للبحث ويقدم الآراء والجوانب المختلفة حول ذلك البحث، وإن كان موضوع البحث شخصية فإنه يقوم بتقديم معلومات كافية عنها تدعو الباحث إلى الانتباه والاحتياط وعدم السهو في الجوانب الأخرى للشخصية، فالمعاجم تمدنا بمفتاح باب المعارف ومن استشار المعاجم قبل بداية البحث لا شك في أن بحثه سيكون موضوعيا مرتكزا على أسس متينة وبعيدا عن الذاتية.

– أما في الكتابة فقد لا يسعفنا الوقت لكي نبحث في مسألة صرفية أو مسألة نحوية لمعرفة كيفية كتابة الهمزة أو كيفية كتابة الاسم المقصور المنون عندما يكون مجرورا، ولكن برجوعنا إلى المعجم وتصفحنا لباب الهمزة مثلا أو تصفحنا لباب الياء نجد أمثلة عن اسماء ترينا كيفية كتابة الاسماء المهموزة وكيفية كتابة الاسماء المنقوصة بسرعة ويسر.

– أما في جانب المخزون اللغوي فكل إنسان يهتم بالمعرفة والعلوم والفنون ويتتبع حركة العلم والعلماء فإنه يسعى دائما إلى تقوية مخزونه اللغوي، لأنه أساس اتصاله بالآخرين، وعليه فهناك معاجم تعتني بالمعنى،

أي أنها تورد المفردات المستخدمة في معنى واحد وكذلك المفردات التي يمكن استخدامها في جميع جوانب ذلك المعنى ويستفيد من هذه المعاني من أراد البحث عن مفردات مرادفة وذلك يقوى المخزون اللغوي لدى الكاتب ويجعل أسلوبه جزلا رصينا، ويجعله على مدى استعداد للتواصل مع الآخرين ويسهل عليه عملية البحث أيضا»[1]

وتجدر الإشارة على أساس ما سبق إلى أن الألفاظ أو الكلمات أو المفردات التي تحتويها المعاجم ليست مجرد كلمات ورسوم وإنما هي معالم وقصور من الكلمات، إنها رسوم تعبر عن حياة وانفعالات وعواطف وأحاسيس إنها ليست مجرد خطوط تعبر عن معنى ما، وإنما هي إحساس تمثل في كلمة وحروف ولذلك فقد «لاحظ "G. Matoré" أن المفردات اللغوية ليست مجموعة من الكلمات فحسب بل إنها تؤدي أفكارا وعواطف وتعبر عن وجود أحداث ملموسة وعن أشياء»[2]، نعم إنها تعبر عن أفكار أو فكرة معينة عاشت في عقل الباحث وترعرعت في داخله وبلورتها أحاسيسه لأنه يعيش في مجتمع ومثله مثل أي شخص آخر، بل إنه يتعدى الأشخاص الآخرين في قوة إحساسه ورقة شعوره ودقة حدسه، وتقنية فهمه للأشياء وللأفعال ولما يحصل أمامه فقراءة الباحث للأحداث التي تدور حوله وتدور في نفسه تختلف كل الاختلاف عن قراءة شخص عادي، إنه يعيش للمجتمع ويعيش فيه، إن ألام الكاتب والباحث تنزف وبدمائها يخط سرح الكلمات ويدفع عجلة العلم مهما حصل، إن مهمته هي تنمية مجاله الذي يعمل فيه، لأنه بهذا العمل يسد كل الثغرات ويساعد مجتمعه للرقي والتطور.

---

[1] محمد خليفة الأسود ، مرجع سابق، ص 206، 207، بتصرف واختصار.
[2] محمد رشاد الحمزاوي، مرجع سابق، ص 52.

*** علم المعاجم :**

علم المعاجم فرع من فروع علم اللغة المعاصر، يقوم بدراسة المفردات وتحليلها في أي لغة وخاصة، معناها أو دلالتها المعجمية ثم تصنيف هذه المفردات استعدادا لعمل المعجم، وينقسم هذا العلم إلى فرعين أساسيين هما:

1- علم المعاجم النظري *Lexicology*

2- فن صناعة المعجم *Lexicography*

أما علم المعاجم النظري، فهو علم يهتم بدراسة المفردات أو الكلمات في لغة معينة أو عدة لغات من حيث المبنى والمعنى، أما من حيث المبنى فهو يدرس طرق الاشتقاق، والصيغ المختلفة، ودلالة هذه الصيغ من حيث وظائفها الصرفية والنحوية، وكذا العبارات الاصطلاحية، وطرق تركيبها، أما من حيث المعنى فهو يدرس العلاقات الدلالية بين الكلمات مثل الترادف والمشترك اللفظي وتعدد المعنى وغير ذلك.

- أما فن صناعة المعجم، أو علم المعاجم التطبيقي، فهو يقوم بعدة عمليات تمهيدا لإخراج المعجم ونشره، وتتمثل هذه العمليات فيما يلي:

- جمع المفردات أو الكلمات أو الأحداث المعجمية من حيث المعلومات والحقائق المتصلة بها.
- اختيار المداخل.
- ترتيب المداخل وفق نظام معين.
- كتابة الشروح أو التعريفات وترتيب المشتقات تحت كل مدخل.
- نشر الناتج في صورة معجم أو قاموس.

وبناءا على ما سبق فإن العناصر الأساسية التي يقوم عليها المعجم هي:

- الكلمات أو مادة المعجم.
- المداخل.
- التعريف أو الشرح."

«* **علم المصطلح:** المصطلح لغة من الإصلاح ضد الفساد، وهو اتفاق طائفة وضع لفظ بإزاء المعنى وقيل الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى آخر، فكلمة الاصطلاح تخصصت مع تكون العلوم في الحضارة العربية الاسلامية، فصارت تعني المتفق على استخدامه بين أصحاب التخصص الواحد للتعبير عن المفاهيم العلمية في ذلك التخصص، وقد أقر مجمع اللغة العربية تنمية علم المصطلحات بذلك العلم الذي يبحث القضايا العامة للألفاظ الاختصاصية وعدت التسمية بعد ذلك إلى علم المصطلح.

* **طرق سياقة المصطلح:**
- الاشتقاق.
- النحت والتركيب.
- التقريب.
- الترجمة.

* **معايير وضع المصطلحات:**
- المعيار الدلالي (دقة المفهوم).
- المعيار المعجمي (أن يكون له جذر في المعجم).
- المعيار المورفولوجي.
- المعيار الفنولوجي.

*** علم المفردات: *Vocabulary***

فهو علم يعترف ضمنا بالوجود المستقل المتميز للكلمة، غير أن هذا العلم قد استقر على عدد من الموضوعات تتصل كلها بالمفردات وحركتها وأنواعها وهي:

- حصيلة المفردات التي يستخدمها المتكلم أو الشاعر أو الكاتب بلغة ما.
- مقدار الثروة اللفظية في لغة معينة وإحصاؤها.
- مجموعة المصطلحات التي تستعمل في دائرة علمية أو فنية محدودة.
- إحصاء ومقارنة الكلمات المستعملة في عدة لغات طبقا لاحتياجات المتكلمين بها.
- أنواع المعاجم المستعملة في كل لغة.

*** مكونات المعجم:**

طبيعة المعجم ومكوناته يمكن أن نجملها في أربعة عناصر وهي:

1- مادة المعجم. 3- الترتيب.

2- المداخل. 4- الشرح أو التعريف.

وفيما يلي سنحاول شرح هذه العناصر:

1- مادة المعجم: *Lexical Items*

ونقصد بها الكلمات التي يجمعها المعجم ثم يرتبها ويشرح معناها، بالإضافة إلى طريقة النطق وذكر مشتقاتها.

2- المداخل:

المدخل هو الوحدة المعجمية التي توضع تحتها بقية الوحدات الأخرى (المشتقات) فالجذر اللغوي يمثل البنية الأساسية للكلمات المشروحة، إلا أنه قد تختلف المداخل حسب نوع المعجم، ففي الموسوعات والمعاجم الموضوعية ترتب طبقا لأسماء الموضوعات دون النظر إلى الجذر اللغوي، وغالبا ما تلتزم المعاجم اللغوية الترتيب الألفبائي في المداخل غير أن المعاجم اللغوية القديمة عرفت طرقا أخرى.

3- الترتيــب:

ونقصد به ترتيب المداخل ثم ترتيب المشتقات تحت كل مدخل حسب النظام المعمول به في كل معجم وغالبا ما يلتزم المعجميون الترتيب التالي:

- تقديم الأفعال على الأسماء.
- تقديم الاسماء على الصفات.
- تقديم الفعل الثلاثي على الرباعي والمجرد على المزيد واللازم على المتعدي.
- تقديم الكلمات ذات المعنى الحقيقي على الكلمات المجازية.
- تقديم الدلالات الحسية على الدلالات المجردة.

ومع أن ترتيب المواد داخل المعجم لا بد أن يخضع لنظام ثابت إلا أن هذا النظام كان مفتقدا في المعاجم العربية القديمة خاصة في ما يتعلق بترتيب المشتقات ومرد هذا الاضطراب يعود أساسا إلى طريقة جمع اللغة وسيطرة مبدأ حفظها.

4- الشرح أو التعريف:

ونقصد به شرح المعنى حتى يكون واضحا لا غموض فيه، وهو من أحق المهام التي تلقى على عاتق واضع المعجم، لذلك وضعوا شروحا ينبغي الالتزام بها لتوضيح المعنى.

- إحكام وضبط نطق الكلمة.
- تقنين ذكر الشائع من المعاني دون المهجور غير المألوف.
- ترتيب المعاني الحقيقية قبل المعاني المجازية.
- عدم استخدام كلمات لم يسبق شرحها في المعجم.
- عدم استخدام الشرح الدوري بالمرادف.

وعلى العموم يمكننا التمييز بين أصناف مختلفة من التعاريف أهمها:

1- **التعريف المرجعي:** يربط اللفظ بالمرجع ويتفرع إلى ثلاثة أنواع:

أ - **التعريف بالإشارة:** يستخدم الصورة والرسم للإحالة على اللفظ.

ب - **التعريف بالوصف:** يركز على الصفات الخارجية للكائن المعرف إلا أنه يرقى إلى مستوى التعريف المثالي لأنه لا يقول شيئا من معنى التعبير المطلوب تحديده كأن يعرف.

ج - التعريف النطاقي : (أي في نطاق جماعة من المفردات) تعيين بالإشارة أو الوصف مجموعة أفراد ينطبق عليهم المفهوم مثال: الإقطاعيون أي المنادون بنظام الإقطاع، أي البحث عن الإقطاع.

2- **التعريف الإجرائي** "الاستعمالي": يحدد المصطلح بإبراز دلالته الوظيفية كأن يعرف الحاسوب بأنه آلة تستهدف الحساب السريع.

3- **التعريف السياقي:** هو تعريف المفردة في سياق خاص أو في إطار حقل معرفي معين.

4- **التعريف الاشتراطي** "الاصطلاحي": يعرف المفردة بتعبير معين، بحيث يكون استعمال الشخص لذلك التعبير مشروطا بما شرطه على نفسه، فباللغة العلمية مثلا يبدع العالم دلالات جديدة.

5- **التعريف الجوهري** "المنطقي": يرصد هذا التعريف الخصائص الجوهرية للشيء جنسا وفصلا دون النظر إلى الأصل اللغوي للكلمة مثل: حيوان دون ريش، لأنه يركز على أوصاف الإنسان لا على جوهره "حيوان" ولا على مميزاته.

6- **التعريف التحليلي**: يقدم خصائص أو سمات أو مميزات محددة بألفاظ وعبارات معروفة مسبقا كقولنا: أرملة، من مات زوجها.

7- **التعريف بالترادف**: ويعد هذا النوع من أسهل التعاريف إلا أنه لا يخلوا من بعض الأخطاء خاصة عندما يشرح المعجمي الكلمة المرادف لها غير معروف أو تكون العلاقة الدلالية بين المترادفين غير واضحة.

8- **التعريف بالسلب والنقيض** : يقتضي هذا النوع انتماء المصطلحين إلى المعنى العام للكلمة المشروحة ويلجأ إليه على الرغم من صعوبته كقولنا ليلة ظلماء، لا قمر فيها.

9- **التعريف بالتضمين** : يتضمن التعريف ما يدل على جنس المعرف كقوله: الفضة معدن من خصائصه كذا وكذا.

10- **التعريف الصرفي الدلالي**: يعتمد على العلاقات الاشتقاقية بين المعرَف والمعرِف لأن ذلك يسمح بإدراك العلاقة الموجودة بين بعض الكلمات من العائلة نفسها مثل بياض: لون أبيض.

11- **التعريف الموضوعي:** يتضمن بالإضافة إلى الخصائص المحددة عددا من السمات تصف كل المعارف التي لها صلة بالمعرف ويتفاوت حجمها حسب مقتضيات المعرّف.

12- **التعريف بالمثال** "الشواهد": يعتمد على الأمثلة والشواهد بتوضيح الشرح وأكثر ما يكون هذا النوع في المعاجم العربية القديمة وفي المعاجم المعيارية.

13- **التعريف القاموسي** : للتعريف على الاستعمال الاصطلاحي للمفردة يستخدم التعريف القاموسي شاهدا كل الأنواع السابقة مثال: اللسان جسم لحمي مستطيل متحرك، يكون في الفم ويستعمل للتذوق والبلع والنطق، ويجمع هذا المدخل بين التعريف بالتضمين والوصف والاستعمال»[1].

ثانيا: المدارس اللغوية ومعاجمها:

* **اللغة والتأليف:** اللغة والتأليف كانت ولا تزال اللغة هي الوسيلة الأولى والسبيل الوحيد للتواصل الإنساني، وتحتل منزلة عالية ومهمة في عملية دفع عجلة الفكر نحو التقدم والارتقاء المعرفي، لأنها تعتبر هوية الأمة وحافظ تاريخ الأمة وأصلها، وإن الاهتمام باللغة يعني الاهتمام بصيانة الفكر، وقد تنبه علماء اللغة العرب بمكانة اللغة العربية، ولهذا قامت حركة التأليف في المعاجم العربية على أساس المادة اللغوية الصحيحة النقية، حيث خرج عدد هائل من علماء اللغة في القرن الثاني الهجري إلى البادية حيث المنابع الصافية والسليقة السليمة، والعربية لم يصيبها ما يبدل من جذورها ويحرك من أصالتها، ولقد ذكرنا في ما سبق خاصة في موضوع علم النحو العربي قضية الاحتجاج والسماع والقياس

---

[1] عن محاضرة ، قسم الأدب العربي، السنة الثانية جامعي، بتصرف واختصار.

تحدثنا عن من يحتج بهم؟ وما يحتج به، وذكرنا الشروط التي وضعها علماء اللغة في القبائل والأماكن التي يستلزم الأخذ عنها، فهم لم يأخذوا من أي كان، بل وضعوا قوانين وأسس وركائز يستحيل معها الوقوع في الخطأ، وإن كان علماء الكوفة قد اشتهروا بالتساهل في بعض شروط السماع، وقد نتج عن حركة علماء اللغة وحركة التأليف التي بلغت ذروتها في تلك الفترة ظهور المعجم العربي، وإن كان في البداية ظهور بعض الرسائل فكانت تمهيدا للمعجم العربي، «والمعاجم اللغوية هي تلك المصادر الرئيسية التي يحتاج إليها كل ذي بحث في شرح الألفاظ والمعاني، فباستعمال هذه المفردات اللغوية وشروحاتها حسب موقعها في الجملة، يستطيع الدارس أن يدخل ويتوغل ويتحسس أمورا في ذهن الكاتب، وبالتالي يقع على مفهومه وغرضه ومن جانب آخر، على كاتب المعجم أن يتمعن ويتفكر ويتدقق في اختيار وانتقاء ألفاظه ليعبر تعبيرا حسنا عن معناه وغرضه، وعلى هذا الأساس، نستطيع القول بأن هناك نوعين من المعاجم، فأما معاجم الألفاظ فتختص في معرفة اللفظة المستعملة في التعبير، وأما معاجم المعاني فإنها تختص في معرفة المعنى المستعمل عن طريق المفردات اللغوية، وقد مرت هذه المعاجم، قبل ظهورها بوجهها العصري الحديث والمعروف الآن، بمراحل ثلاثة متداخلة ومتصل بعضها ببعض.»**(1)**

«* مرحلة جمع المادة كيفما كانت، وحيث ما وجدت، إذ العالم يقصد البادية فيجمع المادة اللغوية دون ترتيب وتمحيص (التأليف المختلط).

** مرحلة جمع المادة المتعلقة بالموضوع الواحد، كمثل العمل الذي قام به "أبو زيد الأنصاري" في كتاب "المطر" وكتاب "الإبل" و"الوحوش"

---

[1] جمال شوالب، مرجع سابق، ص 15، 16، بتصرف.

للأصمعي، وهذا العمل يقابله في الاصطلاح الحديث ما يعرف ويسمى بالحقول الدلالية (التأليف الموضوعاتي).

*** مرحلة تم فيها وضع المعجم على نمط خاص في الترتيب وأول معجم يظهر في العربية هو معجم "العين" "للخليل بن أحمد والموسوعات"[1].

*** المدارس اللغوية ومعاجمها:**

«إن من خصائص اللغة العربية أن معظم ألفاظها يتكون من ثلاثة حروف أصول، ومن خصائصها أيضا إمكانية التصرف في تلك الأصول الثلاثة بحيث يتولد منها عدد غير قليل من الكلمات التي تدور في محيط واحد من المعنى وذلك ما يعرف عند اللغويين بالاشتقاق وقد استفاد مصنفو المعاجم من هذه الخاصية استفادة كبيرة» [2]، وتمتاز اللغة العربية إضافة إلى الاشتقاق بعدة خصائص كنا قد ذكرناها سابقا ومن بين هذه الخصائص المرونة مما ساعد هذا، بالإضافة إلى الخصائص الأخرى المختلفة على تسهيل عملية تأليف المعاجم التي تعتبر صنعة وعرة ودقيقة حيث تتطلب التركيز والدقة والفكر السديد.

*** المدرسة اللغوية الأولى:**

«كان لهذه المدرسة الفضل الكبير في بعث عجلة التأليف إلى الأمام، ووضع اللبنة الأولى لإرساء قواعد علم المعجمية إذ تعتبر هذه المدرسة أول من عبّد الطريق ووضع الخطوط ووضح الصورة أمام المدارس اللغوية الأخرى التي جاءت بعدها، وقد اعتمدت هذه المدرسة في منهجه الترتيب

---

1 صالح بلعيد، **مصادر اللغة**، ص 64، بتصرف.

2 محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 138.

وفق مخارج الحروف الصوتية واتخاذها كأساس لتقسيم المعاجم إلى مواد وأبنية، حتى هناك من أطلق على هذه المدرسة "مدرسة الترتيب الصوتي"، لكن الذي يعاب على هذه المعاجم أن وقعت في أخطاء مناهجها التي اتخذتها كأساس للترتيب، والتي ظهرت جلية في الكتب الأولى خاصة، لأن البداية تكون دائما ناقصة وتأتي غير منظمة تنظيما كليا، لذلك تأتي الكتب الموالية لتقلّص الفارق في الأخطاء والمآخذ، وأول هذه الأخطاء تنقلنا إلى صعوبة البحث في هذه المعاجم ومشقة الاهتداء إلى اللفظ المراد بحثه نتيجة اعتماد مؤلفي هذه الكتب مبدأ التقاليب، ومن خلال هذه المميزات والخصائص يمكننا أن نحصر أهم المعاجم التي اتخذت مخارج الحروف الصوتية كمنهج لها وهي على النحو التالي:

1- معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (100- 175هـ).

2- معجم "البارع" لأبي علي القالي (288-356هـ).

3- معجم تهذيب اللغة للأزهري (282-370هـ).

4- معجم "المحيط" للصاحب بن عباد (324-385هـ).

وسنحاول فيما يلي دراسة معظم هذه المعاجم دراسة تحليلية مختصرة، حتى يمكن للباحث والدارس أن يأخذ نظرة عامة حول محتويات كتب الأصول في اللغة في عصورها المختلفة، وما هذه الدراسة سوى دافع كبير يستطيع من خلاله القارئ أن يرتب أفكاره، وأن يعمق فكره ويوسع دائرة معارفه ويزيد من مخزونه اللغوي بالرجوع إلى أمهات الكتب والمعاجم اللغوية.»[(1)].

1- معجم العين:

---

[1] جمال شوالب، مرجع سابق، ص 21، 22، بتصرف.

«**مؤلفه**: "الخليل بن أحمد الفراهيدي "المتوفى سنة (175هـ)، واختلف في نسبه هذا المعجم للخليل فبعض العلماء يرى أنه من وضع تلميذه "الليث بن المظفر"، ولكن أغلب العلماء على أنه من تأليف "الخليل بن أحمد" الذي كان يعرف بدقة فكره وحدة استيعابه وقوة استنباطه، وذلك لأنه عربي ولأن الظروف التي وجد فيها ساعدته إلى جانب ذكائه إلى هضم اللغة العربية في تلك الفترة، إنه الشغوف العالم، لقد كانت بينه و بين اللغة العربية قصة حب وحنين تمخضت عنها علوم عديدة أهمها إفراز معجم العين الذي كان عمودا من أعمدة علم اللغة العربية، لأنه ليس مجرد معجم فقط بل في محتواه يجمع غالبية علوم اللغة العربية، وقد رتب "الخليل" معجمه على مخارج الحروف»[1].

هدف المؤلف:

«كان هدف "الخليل" من تأليف معجمه هو ضبط اللغة العربية وحصرها في نظام مرتب، فقام بابتكار وانجاز هذا المعجم ليملأ الفراغ الذي أصاب الفكر العربي في هذا المجال، رأى "الخليل" أن اللغة العربية، بدون وعاء يحفظها، ودون قلعة تحميها قد تذهب هباءا، ولذا فكر في وضعها ضمن قواعد وأسس ثابتة وقد عرف قبله أن الفينيقيين وضعوا ترتيبا للحروف وعدده اثنان وعشرون حرفا وهذا الترتيب يبدأ بحرف الهمزة وتليه الحروف التالية: ب- ج- د-هـ- و- ز- ح- ط- ي- ك- ل- م- ن- س-ع- ف- ص- ق- ر- ش- ت- ث - خ- ذ- ض- ظ- غ، وقد جمعها بعضهم في هذه الكلمات تسهيلا لحفظها: أبجد - هوز - حطي- كلمن - سعفص- قرشت- ثخذ - ضظغ.

---

[1] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 138، بتصرف واختصار.

والكلمتان الأخيرتان تسمى حروفها بالروادف التي أضافها العرب إلى هذا الترتيب.

لكن الخليل رفض هذا الترتيب الفينيقي لكونه لا يستند إلى مبدأ معين أو منهج منظم لأنه يبدأ بحرف الهمزة الذي لا يستقر على حال، كما قام بدراسة المحاولات اللغوية الأخرى وخاصة منها محاولة "نصر بن عاصم الليثي" (ت 90هـ) عندما كلفه "الحجاج بن يوسف الثقفي" بوضع ترتيب يليق باللغة العربية، فكان ما يطلب الحجاج، وجاء الترتيب على النحو التالي:

أ – ب– ت– ث– ج– ح– خ– د– ذ– ر– ز– س– ش– ص– ض– ط– ظ– ع– غ– ف– ق– ك– ل– م– ن–هـ– و– ي وعدده ثمانية وعشرون حرفا مرتبة وفق الأشباه والنظائر، غير أن الخليل رفض أيضا هذا الترتيب لأنه في رأيه مبنى على الرسم والكتابة وأساس اللغة يتعدى الرسم والكتابة إلى النطق والأداء.

منهجه وترتيبه:

بعد رفض "الخليل" للترتيبين السابقين، لم يبق لديه إلا غاية واحدة، وبعد دراسة علمية أكاديمية منهجية دقيقة اهتدى إلى ترتيب، فقد لاحظ أن اللغة العربية تتألف من 29 حرفا، ولمّا كان الخليل يعيش في جو الموسيقى والإيقاع والأنغام، فإنه ساعده ذلك على قراءة القرآن وإرسال التفعيلات العروضية المختلفة إذ يعتبر مؤسس العروض دون منازع، وعليه فقد استنتج أن للأنغام والإيقاعات والموسيقى علاقة مع حروف اللغة العربية وأصواتها، وبالتالي نستطيع أن ندرس هذه الأصوات كما تدرس الأنغام الموسيقية، فكما الآلة الموسيقية هي مخرج هذه الأنغام فكذلك الفم، هو مخرج الأصوات اللغوية، وإن دّل هذا على شيء فإنما يدل على أن العرب أسبق من غيرهم

إلى اكتشاف ودراسة الأصوات اللغوية، وقد اقترب ابن جني من هذه الفكرة حين قال "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوى الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء وتشحيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الصبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات من ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل" (1)، فعلى هذا الأساس أقام الخليل دراسته حول الأصوات اللغوية العربية» (2)، «وعلى العموم فإن معجم الخليل هو أول معجم عربي تمثل نظرية المعجم العربي حيث نظر الخليل في الحروف العربية من الناحية الصوتية أي من ناحية مخارجها من أقصى الحلق، بهذا الترتيب:

- ع/ح/ه/خ/غ: حلقية.
- ق/ ك: لهوية.
- ج/ ش/ ض: شجرية.
- ص/ س/ ز: أسلية.
- ط/ د/ ت : نطعية.
- ظ / ث/ ذ: لثوية.
- ر/ ل/ ن/ ف/ ب/ م : ذلقية.
- و/ أ /ي : هوائية، فالهمزة آخر الحروف.

ثم رتب الأبواب ترتيبا صرفيا فابتدأ بالثنائي، فالثلاثي (الصحيح والمعتل) ثم الرباعي فالخماسي وهو أقصى ما تصل إليه الكلمة العربية

---

[1] ابن جني، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار (بيروت: دار الكتاب العربي، 1957)، ج1، ص 46.
[2] جمال شوالب ، مرجع سابق، ص22، 23، 24، 25، بتصرف.

الأصل»[1]، « قال الليث، قال الخليل كلام العرب مبني على أربعة أصناف على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي» [2]، «وقد استقصى الأبنية التي لم يجد فيها مشقة، ثم وضع نظام تبديل موقع الحرف في الكلمة (التقليبات)»[3]، «وعليه فقد ذهب به تفكيره إلى استعمال العمليات الرياضية في الكلمة الواحدة، ولا حظ أن الكلمة الثنائية مثلا يمكن أن يتغير حرفاها في موضعين مختلفين، فقد يكون الحرف في بداية الكلمة، وقد يحتل نهاية الكلمة في موضع آخر كأن تقول: بر – رب فالكلمة الواحدة أعطت لنا صورتين»[4]، «وعلى هذا الأساس الرياضي نستطيع القول أن الكلمة الثلاثية تعطي لنا 06 مفردات، والرباعية تعطي 24 كلمة، والخماسية تعطي 120 لفظة»[5]، «وعلى إثر هذا المبدأ، مبدأ التقاليب أو ما يسمى بالاشتقاق الكبير، وهو توليد كلمة من كلمة سابقة بتغيير مواضع الحروف، "فالخليل" لا يتوقف عند هذا الحد، بل يطلب من كل باحث في معجمه أن يرتب الكلمة المطلوبة على أساس المخرج الصوتي أولا، فعندما نبحث عن كلمة (برد) مثلا في معجم"العين"، فإننا أول ما نفعله هو أن نرتب الحروف الثلاثية حسب سلّمه اللغوي، فنرى أن حرف الدال يأتي قبل حرف الراء، وحرف الراء يأتي قبل حرف الباء، وبهذه الطريقة نجد أن كلمة (برد) تأتي في معجم العين تحت كلمة (دربٍ)، أي نبحث عن كلمة (برد) وتحت شروحها وتقاليبها الخمس نعثر على الكلمة التي نريدها وهي كلمة

---

[1] صالح بلعيد، **مصادر اللغة**، ص 73، 74.

[2] أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين** تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائ (ايران: منشورات دار الهجرة)، ج1، ص 47.

[3] صالح بلعيد، **مصادر اللغة**، ص 74، باختصار.

[4] جمال شوالب، مرجع سابق، ص 29.

[5] صالح بلعيد ، **مصادر اللغة** ، ص 74، بتصرف.

(برد)»[1]، «وهكذا يمكننا أن نختصر منهاج الخليل في قولنا: أنه رتّب معجمه حسب المخارج اللسانية، انطلاقا من الحلق ثم اللسان، ثم الأسنان فالشفتين، ومع ذلك جاء عمله صعبا، فيحتاج الباحث إلى أن يكون متقنا لعلم الصرف ويميز بين الأصلي والزائد، والمعتل والصحيح، ثم بين الثلاثي والرباعي والخماسي، ومراتب الحروف وهي تخرج من اللسان»[2]

2- معجم البارع:

مؤلفه: هو "أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي"، لقب "بالقالي" لانحداره من مدينة قاليقلا ولد بأرمينيا سنة 288 ه، تتلمذ على يد ابن دريد، وابن الأنباري، ونفطويه، والزجّاج، والأخفش في مدينة بغداد عام 328 ه، ثم انتقل إلى بلاد الأندلس سنة 330 ه ومكث فيها، إلى أن توفي بقرطبة سنة 356 ه ، من مؤلفاته "الأمالي" في الأدب، و"البارع" في اللغة، ويكاد المؤرخون يجمعون على أنه كان أحفظ زمانه وأكثرهم رواية للشعر وأكثرهم معرفة بقواعد وأسس المدرسة البصرية في النحو، غير أن كتابه "الجليل" لم يصلنا كاملا وما وصل منه سوى سبعة أحرف وهي: الهاء، العين القاف، الحاء، الطاء، الدال، والتاء، ويبدو أن أصل المعجم أضعاف هذا الجرد، ويذكر أنه ربما يقع في 5000 ورقة، ويقع في 64 مجلد.

هدف المؤلف: كان يسعى "أبي علي القالي" هذا العالم الجليل من وراء كتابه ومعجمه هذا إلى حفظ العربية، لأنها تعتبر هوية الإنسان العربي في ذلك الوقت، ومازالت تعتبر جزءا كبيرا من شخصيتنا وممتلكاتنا وارثنا العريق الذي يدخل في تشكيل دواتنا وأفكارنا وأحاسيسنا وموقفنا، إنها اتجاه

---

[1] جمال شوالب، مرجع سابق، ص 29، 30، بتصرف.

[2] صالح بلعيد ، **مصادر اللغة**، ص 76، 77، باختصار.

الروح نحو المثل، إنها الرغبة في السمو والارتفاع وهي النور الذي نسير على أثره في ظلمات الواقع المرير، ولقد كان "البارع" مساهمة فعالة وناجحة في سبيل علم من علوم اللغة العربية الذي تفتخر بأصوله ومفعوله وثقله في التواصل والتحاور والاحتكاك.

منهجه وترتيبه: وقد تبنى"القالي" في معجمه منهج "الخليل" في ترتيب الحروف ترتيب صوتي مع تغيير طفيف إذ بدأه بالهمزة ثم الهاء ثم العين، كما حرص على ذكر اللفظ ومقلوبه، وقد اعتمد القالي في معجمه على المادة اللغوية الموجودة في "كتاب العين"، و«عليه فمعجم "البارع" ينتمي إلى مدرسة "الخليل" اللغوية، وقد اعتمد ترتيب سيبويه مع خلاف طفيف، وكان ترتيبه كما يلي:

ع- هـ- ج- ح- غ- ق- ك- ض- خ- ش – ل- ر- ن- ط- د- ت- ص- ز- س- ظ- ذ- ث- ف- ب- م- و- ا- ي- ء، وجاءت أبواب البارع مقسمة إلى ستة أقسام:

1- أبواب الثنائي المضاعف (ويسميه الثنائي في الخط، والثلاثي في الحقيقة) مثل: مدّ – خطي

مدد – حقيقة.

2- أبواب الثلاثي الصحيح.

3- أبواب الثلاثي المعتل

4- أبواب الحواشي أو "الأوشاب"[(1)].

5- أبواب الرباعي.

6- أبواب الخماسي.

---

[1] يقول صاحب البارع: وإنما سميناه أوشابا لأننا جمعنا فيه الحكايات والزجر والأصوات والمنقوصات.." البارع ص 26.

– وكما سبق وأن ذكرنا أن القالي ذكر أو حرص على ذكر اللفظ ومقلوبة، حيث ميز كل تقليب بتصديره بكلمة "مقلوبة"، كما أن المؤلف كان يحرص حرصا كبيرا على إيراد اقتباساته إلى أصحابها بكل أمانة، وأنه كان يضبط الحروف التي يخاف عليها من التصحيف، وهذا أمر حديث وجديد لم يسبقه إليه غيره، والملاحظ في كتاب "البارع" أن القالي كان يكثر من أسماء اللغويين في مواده، إضافة إلى استعمال الشواهد الشعرية بكثرة أثناء شرح المادة اللغوية، مما يدل على نمو الجانب الأدبي والحس الفني لدى كاتب "البارع"، والملاحظ في هذا المعجم أن صاحبه بالغ في ذكر لغات عديدة مثل ذكره لغات الكلابيين والنميريين، والطائيين، والقيسيين والأسديين والتميميين

وأهل مصر والمدينة والحجاز والجزيرة والعراق.»[1].

3- معجم تهذيب اللغة:

مؤلفه: "أبي منصور محمد بن طلحة الأزهري "المتوفى 370هـ، قال في مقدمة المعجم عن أسباب هذه التسمية "وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة لأني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها وغيرّها الغتم عن سننها فهذّبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ، بقدر علمي، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات عن العرب»[2]، «وإن من الحوادث التي حصلت لهذا العّلامة أنه أسّر حين عودته من فريضة الحج، ولكن أسره عاد عليه بنعمة الأثر لكون آسريه من

---

[1] جمال شوالب، مرجع سابق، ص 37، 38، 39 ، بتصرف.

[2] صالح بلعيد ، **مصادر اللغة**، ص 78.

أصل عربي خالص، مما دفعه إلى الأخذ عنهم كثيرا من المادة اللغوية الصافية، ومنها النكت والنوادر، ومن مؤلفاته موضوعات في تفسير الألفاظ الفقهية، وتفسير المعلقات السبع، وشع "أبي تمام"، وأشهر ما كتب "تهذيب اللغة»[1]، «ويعتبر هذا المعجم من أهم معاجم الترتيب الصوتي التي وصلت إلينا من المعاجم التي التزمت بمنهج الخليل إلا قطع منها، ولكن أهم ميزة وسمة تميز "تهذيب اللغة" "للأزهري" عن المعاجم المماثلة أن الأزهري جمع مادة جديدة عن البدو الذين عاش بينهم فترة من الزمن، وكما سبق وأن ذكرنا عن أمر أسره وفائدته أنه ذكر في مقدمة كتابه أنه وقع أسيرا أثناء ثورة القرامطة، وعاش بين مجموعة من العرب أكثرهم من هوازن وبعضهم من تميم وأسد "ولا يكاد يقع في منطقتهم لحن أو خطأ فاحش فبقيت في إسارهم دهرا طويلا... واستفدت من مخاطباتهم ومحاورة بعضهم بعضا ألفاظا جمة ونوادر كثيرة، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب"، وبهذا يعتبر الأزهري اللغوي الوحيد الذي اهتم في القرن الرابع الهجري بالعمل اللغوي الميداني، وكانت حركة جمع اللغة قد توقفت منذ أكثر من قرن»[2].

هدف المؤلف:

كان الهدف من وراء وضع "تهذيب اللغة" هو وضع ضوابط وأسس تحفظ عن طريقها عروس اللغات العربية، فالزهري مثله مثل أي مفكر وإنسان عالم يحس ويشاهد ما يحصل حوله من هجمات على اللغة العربية، وما قد يصيبها من تلك الهجمات ضف إلى ذلك أن زحف العربية في البلاد

---

[1] جمال شوالب، مرجع سابق، ص 41، بتصرف.
[2] محمود فهمي حجازي ، مرجع سابق، ص 102، بتصرف.

الأخرى أفادها من جهة وألحق بها خسائر من جهة أخرى، لهذا كانت عين علماء اللغة تسهر جاهدة لدفع ما قد يصيب هذه اللغة الأصيلة، «حيث كان الأزهري يرمى ويهدف من خلال معجمه إلى تنقية العربية من الأخطاء اللغوية التي أصابتها من قبل»[1].

منهجه وترتيبه:

«بما أن الأزهري قد اعتمد منهج الخليل، وعليه فإن ترتيبه هو ترتيب الخليل أيضا، فقد قسم الأزهر معجمه إلى كتب بحسب عدد الحروف، مبتدأ بحرف العين إلى آخر الحروف، ثم جعل لكل كتاب ستة أبواب تتمثل كالتالي:

أ- **الثنائي المضعف:** ويبدأه بحرف العين مع الحرف الذي يليه مباشرة، وهكذا إلى آخر الحروف معا لأخذ بعين الاعتبار مبدأ التقليب.

ب- **الثلاثي الصحيح** : وفي هذا الباب، ترتب الحروف حسب مخرجها الصوتي ترتيبا ثلاثيا، مع العلم بأن هذا الباب هو أضخم من غيره لا لشيء سوى أن اللغة العربية أصلها ثلاثي.

ج- **الثلاثي المعتل** : ترتب الحروف في هذا الباب على الطريقة السابقة.

د- **اللفيف:** وهو ما كان ملتفا بحرفين من حروف العلة.

ه - **الرباعي:** ترتب الحروف في هذا الباب ترتيبا رباعيا وفقا للمخرج الصوتي.

و- **الخماسي:** وهو بدون أبواب لقلة مادته»[2]

---

[1] جمال شوالب، مرجع سابق، ص 41، بتصرف واختصار.
[2] نفسه، ص 43، 44.

«ويقع هذا المعجم في عشرة مجلدات.

*** – ما يؤخذ على معاجم المدرسة اللغوية الأولى:**

«نبدأ أولا بكتابة العين والذي يعتبر أول معجم لغوي عربي يؤلف، وعليه فمن الطبيعي أن لا يخلو من بعض الأخطاء والمآخذ، وإنها سنة في البشر ويحسن بنا أن نذكر ما يستحق الذكر.

– قضية التصحيف، وقد اتهمه في هذا كل الباحثين دون استثناء ويرجع الدكتور أحمد أمين في كتابه "ضحى الاسلام" في الجزء الثاني هذا الأمر إلى أن الكتابة في عصر "الخليل بن أحمد الفر اهدي" كانت غير منقوطة، كما أن حروف اللغة العربية ذات أشباه ونظائر.

– الأخطاء الصرفية، مثل إدخال مادة ثلاثية في مادة رباعية.

– اضطراب الروايات واختلاف النسخ والاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين.

– إهماله أبنية مستعملة في اللغة.

– عدم استيفاء الصيغ والمعاني.

هذا عن الخليل الذي يعتبر عمود من أعمدة اللغة العربية لأنه يعتبر وبلا منازع مؤسس صرح المعجمية والعروض وعلم النحو، إن عقل الخليل تعدى كم العلوم اللغوية إذ استطاع استيعابها وإرساء أسسها بكل جدارة.

أما معجم "البارع": فالقالي كما سبق ذكره كان يكثر من أقوال اللغويين في تفسير الألفاظ، وعليه فقد وقع في فخ التكرار، وبالتالي الوقوع في خلط بين المواد اللغوية.

– والباحث والدارس في هذا المعجم لا يجد مآخذ كثيرة أو نقدا لمواده، ولعل ذلك يكمن في ضخامة حجمه، إذ قيل أنه يتألف من 4446 أو

5000 ورقة، تنقسم إلى 164 جزءا، ولهذا السبب قل إقبال الناس عليه منذ زمن قديم، بالإضافة إلى اعتماده مبدأ التقاليب، وكذلك صعوبة البحث في مواده اللغوية، مع الملاحظة أن "القالي" توفى قبل أن يتمه، فأكمله "محمد بن الحسين الفهري"، أما ما يؤخذ على "تهذيب اللغة " على غرار طول حجمه وضخامته، ويذكر أنه لم يودع فيه كل ما أراد، ضف إلى ذلك صعوبة البحث فيه لاعتماده مبدأ التقاليب وكذا التكرار، تكرار الأقوال المختلفة في تفسير اللفظ الواحد، ومجمل القول يلخصه "ابن منظور" صاحب "لسان العرب" فيقول: "... غير أن كلا منهما (تهذيب اللغة للأزهري والمحكم لابن سيده الأندلسي)، مطلب عسر المهلك، ومنهل وعر المسلك، وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا، وجلاهم عنه، وارتاد لهم مرعى مريعا ومنعهم منه وقد أخر وقدم وقصد أن يعرب فأعجم، فرق الذهن بين الثنائي والمضاعف والمقلوب، وبدد الفكر باللفيف والمعتل الرباعي والخماسي، فضاع المطلوب: فأهمل الناس أمرهما وانصرفوا عنهما" وعلى الرغم من كل هذه الهفوات إلا أن أصحاب تلك المعاجم يعتبر كل واحد منهم عملاق من عمالقة علوم اللغة العربية لأن كلا منهم أرسى قواعد وأسس علم من علوم اللغة العربية ألا وهو علم المعاجم أو المعجمية، الذي أنبهر به كل من كان بالداخل وتعجب منه كل من كان هناك في الخارج، إنه علم العربية وهوية اللغة العربية إنه لون حروف اللغة العربية، إن لم نقل عنوان جذور حروفها وأصواتها وكلماتها وألفاظها، إنه أصل من الأصول التي لا يجب أن نستغني عنه.

*** المدرسة اللغوية الثانية:**

وتتألف هذه المدرسة من أربعة معاجم هي: "جمهرة اللغة" لابن دريد (ت 321هـ) و"مقاييس اللغو" لابن فارس (ت 395هـ)، و"المجمل" لابن فارس أيضا، و"أساس البلاغة" للزمخشري (53هـ).

فنظرا للأخطاء التي وقعت فيها المدرسة الأولى، وما أصابها من خلل واضطراب في الترتيب والتبويب، حيث اضطر أصحاب المدرسة اللغوية الثانية إلى ابتكار طريقة جديدة، ويذهب العلماء أن الشيباني صاحب معجم "الجيم "(ت 206هـ)، هو أول من ابتكر طريقة حديثة ألا وهو الترتيب الهجائي الألفبائي حسب الحرف الأول من أصول الكلمات»[1].

- وسنأخذ بالدراسة: معجم جمهرة اللغة ثم معجم مقاييس اللغة.

1- معجم جمهرة اللغة:

مؤلفه: هو "أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري"، ولد بالبصرة سنة 223 هـ وعليه فقد شرب من المنبع الصافي وسمع العلوم من مهدها السليم الصحيح، ونظرا لحدة عقله ورجاحة فكره، وقمة ذكائه فقد برع حتى اشتهر في زمانه في ميدان اللغة والأدب.

هدف المؤلف: إن هدف "ابن دريد" من مؤلفه أنه كان يرمي إلى احتواء كلام العرب الصحيح وكان هدفه هدف كل عالم متمعن متحسس بكل ما يدور حوله وحول لغته، إن العربية كان لها حماتها في كل العصور، فهي محفوظة مصونة ما دام الفكر العربي واقف على أسوار قصر اللغة العربية.

منهجه وترتيبه: إن المتطلع لكتاب "ابن دريد" يجد تأثر هذا الأخير وإعجابه بكتاب "العين" للخليل بمجرد الإطلاع على المقدمة ولقد استقى

---

[1] جمال شوالب ، مرجع سابق، ص 32، 49، 50، بتصرف.

مادته اللغوية منه، وهو يعترف بفضل الخليل في صناعة المعجم العربي فيقول: «ولم أجر في إنشاء هذا الكتاب إلى الازدراء بعلمائنا ولا الطعن في أسلافنا وأنّي يكون ذلك، وإنما على مثالهم يحتذي وبسبلهم نقتدي وعلى ما أصّلوا نبني، وقد ألف "أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهدي" – رضوان الله عليه – كتاب العين، فأتعب من تصدي لغايته وعنّى من سما إلى نهايته فالمنصف له بالغَلب معترف والمعاند متكلف وكل من بعده له تبع أقر بذلك أم جحد".

– «ويعتبر معجم "جمهرة اللغة" الذي ألف في القرن الرابع الهجري أنه احتفظ بفكرة الترتيب الداخلي وفق الأبنية حيث اتخذ الترتيب الهجائي كأساس الترتيب العام للجذور، ثم في مراعاته للأبنية باعتبارها أساس الترتيب الداخلي: وباعتبار جمهرة اللغة أقرب زمنا إلى عصر "الخليل بن أحمد" فقد احتفظ بنظام ذكر الكلمة ومقلوباتها في أقرب موضع ممكن، أي أن "ابن دريد" أفاد من "الخليل" من عدة جوانب، ولكنه عدّل ترتيب الحروف»[1]، «رتّب ابن دريد معجمه على الطريقة الألفبائية وفق أوائل أصول الكلمة كما ذكرنا، وقسّمه إلى ستة أبواب هي: باب الثنائي المضاعف وما يلحق به باب الثلاثي وما يلحق به، باب الرباعي وما يلحق به، باب الخماسي وما يلحق به، باب اللفيف، وأخيرا باب النوادر، على هذا التقسيم، راح المؤلف يشرح منهجه بقوله: "فمن نظر في كتابنا هذا، فآثر التماس حرف [بمعنى لفظ] ثنائي فالبدأ بالهمزة والباء أوالهمزة والتاء...إلى آخر الحروف، وأما الثلاثي فإنا بدأنا بالسالم منه، فمن أحب أن يعرف حرفا من أبنيته.... فليبلغ ذلك في جمهور أبواب الثلاثي السالم ومن أراد بناءا

---

[1] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 104، بتصرف.

يلحق بالثلاثي بحرف من حروف الزوائد، فإنا قد أفردنا له بابا في آخر الثلاثي، تقف عليه مع المعتل إن شاء الله، فأما الرباعي، فإن أبوابه مجمهرة على حدتها... ثم جعلنا للملحق بالرباعي بحرف من حروف الزوائد أبوابا... وأما الخماسي فنبوب له أبوابا لم نحوج فيه إلى طلب لقرب تناولها وكذلك الملحق بالخماسي [في الأصل بالسداسي] بحرف من حروف الزوائد، فإن عسر مطلب حرف من هذا، فليطلب في اللفيف، فإنه يوجد إن شاء الله تعالى، وجمعنا النوادر في باب فسميناه "النوادر" لقلة ما جاء على وزن ألفاظها... "، من خلال ما سبق ذكره، نتوصل إلى استنتاج أن "ابن دريد" قد بدأ كل باب من أبواب المعجم بالحرف المسمى به الباب مع مراعاة الترتيب الألفبائي لكل الحروف، فباب الباء مع التاء إلى آخر الحروف... وهكذا دواليك، أما الحروف التي تأخرت أثناء الترتيب، فقد وردت في الأبواب السابقة لأن المؤلف قد اعتمد مبدأ التقليب المبتكر من طرف "الخليل"، ولهذا لم يشرحها ثانية، ومن هنا كثرت لديه الألفاظ المشروحة، وكثرت الأبواب عنده، وعلى هذا النسق، يستمر "ابن دريد" شرح مواده اللغوية، فإذا أردنا مثلا أن نبحث عن كلمة (عربة) نجردها من الزوائد فتعطينا (عرب)، ثم نرتبها ترتيبا هجائيا ألفبائيا فتصبح (برع)، وقس عليها في الأبنية الأخرى، غير أن ابن دريد لم يلتزم بمنهجه»[(1)].

2- معجم مقاييس اللغة:

مؤلفه: هو أبو الحسين أحمد بن فارس (ت 395هـ)، وقد ألف هذا المعجم بعد تأليفه "المجمل" وهو صاحب كتاب (الصاحبي في فقه اللغة)،

---

[1] جمال شوالب، مرجع سابق، ص 53، 54، بتصرف.

وقد تتلمذ على يده العديد من العلماء وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على غزارة علمه وقمة عقله وفكره ونظره.

هدفه: إن هدف ابن دريد في مقاييس اللغة هو أن يثبت أن للغة العربية مقاييس سليمة وأصولا لا تتفرع منها فروع، وأراد أن يثبت أيضا ويصرح أن الكلمات الرباعية والخماسية أكثرها منحوت.

منهجه وترتيبه:

«قسم "ابن فارس" معجمه إلى ثمانية وعشرين كتابا بعدد حروف الهجاء، فجعل كتابا للهمزة، وكتابا للباء، وكتابا للتاء،... إلى آخر الحرف، ثم قسم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب بحسب الأبنية:

أولها باب الثنائي المضاعف، ثانيها باب الثلاثي، وثالثها وآخرها باب ما زاد على الثلاثي»[1].

«ونصل إلى أن "ابن فارس" قد رتب الجذور وفق نظام الدائرة فعندما تأتي الكلمات التي تبدأ بالباء تنتظم الجذور فيها على النحو التالي: ب ب – ب ت – ب ث.... ويكون آخر هذه الحروف ب أ – وعندما تأتي الكلمات التي تبدأ بالثاء تنتظم فيها الجذور على النحو التالي: ث ث – ث ج – ث ح... ويكون آخر هذه الجذور ث أ – ث ت – أ ي أن "ابن فارس" يبدأ من الحرف نفسه ثم يأتي الحرف مع الحرف الذي يليه في الترتيب الهجائي، إلى أن تنتهي حروف الترتيب الهجائي ثم تأتي الحروف الأخرى السابقة على ذلك الحرف في الترتيب الهجائي»[2].

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 59.

[2] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 104، 105.

*** ما يؤخذ على المدرسة اللغوية الثانية:**

«إن من الأمور التي يمكن أخذها على "معجم الجمهرة" كمثال للمدرسة الثانية إتهام المؤلف بالنقل عن معجم العين "للخليل" وخاصة من طرف اللغوي نفطويه الذي قال:

ابن دريد بقرة *** وفيه عيّ وشرّه
ويدّعي من حمقه *** وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين إلا *** أنه قد غيره[1]

– توليد الألفاظ التي ليس لها أصول في كلام العرب، يقول "الأزهري" وممن ألف في عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم "أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد" "صاحب كتاب الجمهرة"، ثم نقذه "ابن جني" في خصائصه ونسبه إلى القصور في علم التصريف يقول: "وأما كتاب الجمهرة ففيه من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر..."[2].

– تفسيره لكثير من الألفاظ بكلمة "معروف"
– اضطرابه في الهدف.
– وقوعه في التصحيف.

وعلى الرغم من كل هذه المآخذ فإن معجم جمهرة اللغة يعتبر خطوة جديدة في علم المعجم العربي»[1]

---

[1] ثم يرد عليه ابن دريد في أبيات شعرية ساخرة، **الجمهرة**، ج1، ص 15.
[2] ابن جني، **الخصائص**، ج1، ص 288.

وتبقى المدرسة اللغوية الثانية رغم أخطائها وهفواتها عمودا من أعمدة العلوم اللغوية العربية، إنها أمسكت المشعل من المدرسة الأولى واحتفظت به بجدارة لأن العلم هو القاسم المشترك بين جميع العلماء على اختلاف انتماءاتهم وأفكارهم وميولهم وتطلعاتهم، فكانت العربية هي الأساس الذي اجتمع حوله هؤلاء لكي يبنوا لها قصورها ويضعوا لها جنودها وحراسها.

*** المدرسة اللغوية الثالثة:**

وتعتبر من أكبر وأشهر المدارس المعجمية في تخريج المعجم العربي القديم ومن أشهر معاجمها:

- الصحاح، للجوهري (ت حوالي 400هـ).
- لسان العرب لابن منظور(ت 711هـ).
- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي(ت 817هـ).
- تاج العروس، للزبيدي (ت 1205هـ).

وسنأخذ بالدراسة والعرض كل من معجم الصحاح ولسان العرب.

1- الصحاح:

" *** مؤلفه:** هو "أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري"، قيل: إنه ولد سنة (332هـ) في تاريخ وفاته فقيل سنة (393هـ)، أو (398هـ)، وقيل في حدود 400 هـ وهو الأغلب والأرجح . ويذكر أنه تتلمذ وأخذ اللغة على يد خاله "أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الفارابي" وهو غير الفيلسوف "أبي نصر الفارابي"، إلى جانب مجموعة أخرى من العلماء الأجلاء، ويذكر أن "الجوهري" كان مولعا بالسفر.

هدفه:

من خلال العنوان الكامل للمعجم وهو "تاج اللغة وصحاح العربية" نستشف ونستنتج أن هدفه هو محاولة تدوين الصحيح من ألفاظ العرب وقد اعتمد على منهج ومبدأ الرواية والمشافهة وهي الطرق التي اعتمد عليها عمالقة الكتب وعمالقة أمهات الكتب على اعتبار أن القرن الرابع الهجري يمثل الحد الفاصل لزمن الاحتجاج ويجهل العلماء زمن كتابة هذا المعجم.

منهجه و ترتيبه:

«قال "الجوهري" في مقدمة صحيحه "أما بعد فإني قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله تعالى منزلتها وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمفردتها على ترتيب لم اسبق إليه وتهذيب لم أغلب عليه في ثمانية وعشرين بابا، وكل باب منها ثمانية وشرين فصلا على عدد حروف المعجم، إلا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول، وبعد تحصيلها بالعراق رواية، وإتقانها دراية ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية، ولم آل في ذلك نصحا ولا ادخرت وسعا، نفعنا الله و إياكم"، هكذا يوضح في المقدمة منهجه المتميز وغرضه من تأليف هذا العمل، وهذا السبق الذي ذكره في مقدمة معجمه يفنده الأستاذ "ابراهيم السامرائي" على أنه تبع "للبدنيجي"، حيث يقول: "إن هذا ادعاء باطل لأن هذا النظام سبقه إليه البدنيجي في صناعة المعجم في نظام القافية، وقد ظفر بالمخطوطة الأستاذ "حمد الجاسر" في خزانة "أبا صوفيا باشنبول" وقد أشار إليه ذلك في مجلة العرب العراقية، وقد كتب مقاله يشير فيها إلى سبق البدنيجي في صناعة المعجم في نظام القوافي وأشار إلى أن الجوهري لم يكن البادئ في نظامه هذا، وقد أعجب بالرأي والمقالة الأستاذ "خليل العطية" وبدا له أن يدرس المصنف وكتاب التقفية، متخذا ذلك في رسالة

دكتوراه فكان له ما أراده "وإن سبب التأليف على هذا النمط كما رأينا في المقدمة، كان يقصد التيسير على الشعراء الكتاب فالشعراء يلتزمون القوافي والكتاب يلتزمون السجع، فهم بحاجة إلى الكلمات باعتبار أواخرها، وعليه فإن الترتيب الذي تبعه الجوهري في معجمه هذا يتمثل فيما يلي:

- اتبع طريقة الخليل في الترتيب على المخارج، وترك نظامه في ذكر الكلمة وما ينشأ عنها بالقلب.
- اعتبر آخر الحرف حرفا في الكلمة بدلا من الأول.
- جعل الباب للحرف الأخير.
- الفصل للحرف الأول.

مثلا: كلمة فرح، تبحث في باب الحاء، فصل الفاء، وبذلك يوزع الكلمات على الفصول، وهذا بعدد حروف العربية، إلا أن بعض الأبواب تقل فصولها عن ثمانية وعشرين، ويحشد في الباب كل الكلمات التي تتفق في الحرف الأخير، فباب الألف المهموزة يذكر فيه الكلمات التي تنتهي بهمزة مثل:

أجأ/ بأبأ/ تأتأ/ ثأثأ/ جاجأ..... يأيأ، وهكذا ينتهي الباب، ويسمي هذه المادة التي تبدأ في الباب بالحروف التي تنتهي بها فصلا، فمادة (أجأ) في فصل الألف المهموزة و(بأبأ) في فصل الباء و(تأتأ) في فصل التاء....

وهكذا إن النظام الجدي الذي ابتكره الجوهري في زمانه جعله يتفرد بين المعجمات التي سبقته أو عاصرته، وقد حمل المختصين على إكبار هذا المؤلف، مما مهد الطريق لتداوله واستعماله بكثرة»[(1)].

2- لسّان العرب:

---

[1] صالح بلعيد ، **مصادر اللغة**، ص 82، 83، 84، بتصرف واختصار.

حين بدأت الحملات الصليبية تكشف عن وجهها الحقيقي وعن أغراضها الكريهة، حيث كانت الأطماع كلها موجهة إلى الحضارة العربية الإسلامية، ورغم تصدي صلاح الدين الأيوبي لتلك الحملات إلا أنه من الجانب الآخر كان يلزم وضع خطة تحفظ بها اللغة العربية وتحفظ بها علومها ويصون بها مخزون الحضارة فنتج عن كل هذه الأسباب حركة الجمع والتأليف حيث تحمل علماء تلك الفترة أكباد مسؤوليتها ويشهد التاريخ بأنها كانت أعظم وأهم حركة تأليف على مر الزمن، حيث تشعبت طرقها وضمت جميع علوم اللغة العربية، بالإضافة إلى الفنون والعلوم الأخرى، وكان على رأسها الاهتمام بالقرآن الكريم والحديث الشريف حفظا وتفسيرا، وكان من بين نتاج تلك الحركة العلمية التي تنم عن فكر عالي واهتمام كبير من طرف عقول تلك الأمة، ظهور معجم لسان العرب الذي يعتبر خطوة عملاقة في سبيل حفظ التراث العربي ومقومات الحضارة الإسلامية.

مؤلفه: «هو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقي المصري الأنصاري الخزرجي، ولد بمصر سنة 630 هـ، عمل في ديوان المماليك، وكان مسؤولا عن قضاء طرابلس، كاتب وشاعر، من مؤلفاته التي يقال عنها إنها بلغت 500 كتاب، نذكر: "مختار الأغاني" و"أخبار أبي نواس" و"لسان العرب" في اللغة، وكما أنه امتاز باختصار الكتب "العقد الفريد" لابن عبد ربه، توفى سنة 711 هـ»[(1)].

هدفه:

كان هدف ابن منظور من مؤلفه، أن يستوعب قدر كبير من الألفاظ العربية الصحيحة، وعن طريق لسان العرب حفظ ابن منظور معظم ما جاء

---

[1] جمال شوالب، مرجع سابق، ص 80.

في المعاجم التي سبقته، ويعتبر هذا المعجم بحر من العلوم اللغوية وغيرها من العلوم الأخرى، ذلك أن الغاية من تأليفه هو الحفاظ على تراث الأمة العربية وكنوزها التي لا تحصى.

منهجه وترتيبه:

قال "ابن منظور" في مقدمة معجمه «واني لم أزل مشغوفا بمطلعات كتب اللغات والاطلاع على تصنيفها وعلل تصاريفها ورأيت علماءها بين رجلين، أما من أحسن جمعه، فإنه يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع»[1].

ولقد اقر وعين ابن منظور مصادر جمع مادته في المعاجم الآتية:

- تهذيب اللغة، للأزهري (ت 370هـ).
- المحكم ، لبن سيده، (ت 458هـ)
- الصحاح، للجوهري (ت 398هـ).
- حواشي ابن بري على الصحاح، لابن بري (ت 576هـ).
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير(ت 609هـ).

«ولقد أقر ابن منظور بجودة المادة التي وجدت في تهذيب اللغة للأزهري، ويقر بكمال المحكم لابن سيده، وقد ذكر هذا في المقدمة وأثنى عليهما، وهكذا يقر بهذين العملين ويعتبرهم من أمهات الكتب ثم يقر باتقان عمل الصحاح، والحاشية على الصحاح لابن بري، والنهاية لابن الأثير ت 606 هـ، ما عدا هذه المعاجم يرى فيها وعر المسلك وعسر الهضم للمادة

---

[1] ابن منظور، مقدمة اللسان 2/1.

اللغوية»[1]، «أخذ ابن منظور ما وجده في هذه المعاجم ونقله نقلا، قال ابن منظور، "ليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم... ونقلت من كل أصل مضمونه ولم أبدل منه شيئا... بل أديت الأمانة في نقل الأصول بالنص، وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النص" [2]، وبذلك اعتمد ابن منظور على مصادر تعود بدورها إلى المادة التي جمع أكثرها في القرن الثاني الهجري، بالإضافة إلى نقله المادة الموجودة في معجم متخصص هو النهاية في غريب الحديث لابن الأثير» [3]، «ويحتوي "لسان العرب" على أكثر من ثمانين ألف مادة، ويعد أضخم المعاجم حجما فهو موسوعة لغوية ضخمة، لكنه أبسطها مادة، وأحفلها استشهادا، وقسم هذا المعجم إلى أبواب حسب الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية، مع مراعاة الترتيب الألفبائي، فباب الباء مثلا للكلمات المنتهية بحرف الباء، فإذا رميت البحث عن كلمة أخذ عليك بباب الذال من فصل الهمزة...

ولقد صدر بعض أبوابه بكلمة عن الحرف المعقود له الباب ذاكرا فيه مخرجه وصفاته، واختلاف النحويين حوله، وقد قال في صدر حرف العين "العين والحاء لا يأتلفان في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما إلا أن يؤلف فعل من جمع بين الكلمتين مثل حيّ على فنقول (حيعل)»[4].

نقد وثناء لكل من معجم الصحاح ولسان العرب:

«من المآخذ التي يمكن أن توجه إلى معجم الصحاح نذكر ما يلي:

---

[1] صالح بلعيد، **مصادر اللغة**، ص 88، بتصرف.

[2] مقدمة لسان العرب، 3/1.

[3] محمودي فهمي حجازي ، مرجع سابق، ص 106.

[4] نفسه، ص 88، 89، بتصرف واختصار.

- وقوعه في التصحيف والتحريف.
- إهماله بعض المواد والصيغ، يقول الفيروز أبادي: "فاته ثلثا اللغة أو أكثر، إما بإهمال المادة أو بترك المعاني الغريبة النادرة".
- أما من أثنى عليه فهو أبو منظور الثعالبي في يتيمته، فقال: "وله كتاب الصحاح في اللغة، وهو أحسن من الجمهرة، وأوقع من تهذيب اللغة وأقرب متناولا من مجمل اللغة".

أما بالنسبة لـ: لسان العرب "فمن المآخذ التي يمكن أن تتوجه إليه فهو على الرغم من أنه أضخم المعاجم العربية جميعا، إلا أنه وقع في ما وقع فيه غيره من السابقين، وهي كالآتي:

- وقوعه في الفوضى والاضطراب داخل المواد نتيجة كثرة مصادره التي نقل عنها.
- كثرة التفسيرات للصيغ الواحدة.
- تكرار الشواهد.
- تركه لبعض الصيغ والمعاني»[1].
- على الرغم من كل تلك الهفوات لكن يبقى ابن منظور من الأوائل الذين أرسوا علم المعاجم العربي وثبتوا أرضيته وجذوره وأصوله، إذ المتطلع على علم المعجمية العربية وتاريخها، «يلاحظ أن ابن منظور تميز في قضية الجمع بمبادرات ثلاث لم يسبقه إليها أحد: أولها مبدأ اعتماد ما يسمى بالمرجع اللغوي المكتوب الذي صحت روايته وثبتت، فهو أول من أنشأ معنى المدّونة المكتوبة وبرر موقفه منها بأن استمد مادة معجمه من خمسة كتب كما ذكرنا سالفا التي جمعت كما وكيفا كل مادة اللغة حسب رأيه، فهو

---

[1] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 76، 78، 83، بتصرف واختصار.

لم يستعملها بغية الجمع والحفاظ على اللغة العربية فحسب كما يزعم الكثير من الدارسين الذين اعتبروه جماعا ماهرا، وناقلا أمينا، بل إن غايته تبدو طريفة بالنظر إلى اختياره تلك الأمهات دون سواها، ومعنى ذلك أن اختياره ليس اعتباطيا، لأن معنى المدونة يفترض عنده استقراء المعلومات اللغوية من مواطن مختلفة محددة مختارة، عن قصد حتى تتوافر لمستقرئها جميع عناصر اكتمال مادته، وحتى يتجنب كل من شأنه أن يحكم عليها بالقصور أو التقصير في الإحاطة بالموضوع المطروق، أما المبادرة الثانية فهي مولدة من المبادرة الأولى وتعتبر فرعا منها، ونحن ننسبها اليوم إلى ما يسمى بعلم اللغة الجغرافي الذي يقر مفهوم المساحة اللغوية التي يجب أن يشملها الجمع ويقابل هذا المفهوم، مفهوم المساحة الزمنية التاريخية، وهذا باعتبار المعاجم الخمسة التي اعتمدها تعبر عن مراحل لغوية متتابعة، وعلى هذا الأساس فإلى جانب اعتماده على معاجم المشرق، فقد اعتمد معجما أندلسيا مغربيا وهو محكم ابن سيده الأندلسي، وتعتبر المبادرة الثالثة جريئة للغاية، فهو أول معجمي قد أقر اعتماد الحديث الشريف لغة من اللغات التي يجب أن يرتكز عليها المعجم، ولا سيما أن التقاليد المعجمية واللغوية العربية كانت لا تثبته في جلها لأنه يروي بالمعنى لا باللفظ.

– ويعتبر عمله هذا ثوريا لسببين هامين: أولهما اعتبار الحديث مصدرا لغويا مهما رغم معارضة جمهور اللغويين استعماله حجة لغوية، وثانيهما الاستناد لأول مرة إلى النثر ليكون أساسا مهما من أسس الاستشهاد، وعليه فيعتبر ابن منظور العقل الفريد الذي أعطى الجديد في علم المعجمية العربية»[1].

---

[1] محمد رشاد الحمزاوي، مرجع سابق، ص 141، 142، 143، بتصرف واختصار.

المدرسة اللغوية الرابعة:

«تتميز هذه المدرسة عن سابقاتها أنها تتطرق في تأليفها إلى معنى اللفظية، وبالتالي فيمكن أن نطلق على معاجمها "معاجم المعاني"، أما عن الكتب التي ألفت على طريقة هذه المدرسة فنذكر ما يلي:

- كتاب "الخيل" للأصمعي.
- كتاب "المطر" لأبي زيد الأنصاري.
- كتاب "الألفاظ الكتابية" لعبد الزمن الهمذاني.
- كتاب "المخصص" لبن سيده الأندلسي (398 هـ - 458 هـ).
- كتاب " فقه اللغة و سر العربية " للثعالبي(350 هـ - 429 هـ).»[1]

وسنأخذ بالدراسة والتقديم:

- معجم فقه اللغة وسر العربية:

مؤلفه: أبي منصور الثعالبي المتوفى 430 هـ، عرف عنه كتب في اللغة والأدب.

هدفه: جاء هدفه مثل جميع العلماء الذين ألفوا في المعجمية، لقد حرص على حفظ اللغة العربية ويبدو أنه ألتمس الكوامن والأسرار التي كانت تحملها اللغة العربية وما زالت فراح يخط معجمه هذا الذي يعتبر مصدر من مصادر المعجمية العربية.

منهجه وترتيبه: «وإذا أتينا إلى وصف هذا الكتاب نستشف من خلال مقدمته الطويلة المدبجة بقول المؤلف: "أما بعد حمد لله على آلائه والصلاة والسلام على محمد وآله، فإن من أحب الله أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب

---

[1] جمال شوالب، مرجع سابق، ص 98 ، بتصرف.

العرب أحب اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب، على أفضل العجم والعرب، وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل، والاسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد... إلخ، هذه المقدمة تبين لنا المنهاج الذي كان سائدا في وقتها من طول نفس المقدمة المسجوعة والتي تبتدئ بحمد الله والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر الخصال الحميدة التي يتمتع بها العرب... ثم انتقل إلى الحديث عن أبي الفضل عبيد الله "بن أحمد الميكالي" الذي مدحه، هذا العالم الذي كان يعرف ببلاغته ولقد شاء القدر أن يلتقي الثعالبي به، وذلك في قرية الشيخ برستاق في "فيروز أباد"، حيث بقي عنده أربعة أشهر يقوم على خدمته ويلازم مجلسه العلمي الذي تجرى فيه مختلف الأقوال في ألفاظ العربية ومعانيها، فكان أن تمخض عن كل هذا معجمه، الذي جمع فيه أشعار الشعراء، وأقوال النحاة المشهورين، وخرج هذا العمل يحوي ثلاثين بابا، وما يقرب من ستمائة فصلا، وهذا نموذج من عمله في الباب الخامس عشر الذي عنوانه (في الأصول والأعضاء والأطراف وأوصافها وما يتولد منها وما يتصل بذكر معها عن الأئمة)، فقال في (فصل في تفصيل الشعر): العقيقة الشعر الذي يولد به الإنسان، الفروة معظم الرأس الناصية شعر مقدم الرأس، الزؤابة مؤخر الرأس، الفرع شعر رأس المرأة، الغديرة شعر ذؤابتها الغفر شعر ساقها، الدّبب شعر وجهها، عن الأصمعي، وأنشد (قشر النساء دبب العروس)، الوفرة ما بلغ شحمة الأذن من الشعر، الجُمّة والغفرة ما غطّى الرأس من الشعر، الهُدب شعر أجفان العينين الشارب شعر الشفة

العليا، العنْفقة شعر الشفة السفلى، المسربة شعر الصدور، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان دقيق المسربة، الشعرة شعرة العانة، الأسب شعر الأسْت الزّبب شعر بدن الرجل ويقال بل هو كثرة الشعر في الأذنين، فالثعالبي ينطلق من تحديده الإطار العام (الأبواب) ثم يقسمه إلى مجموعة من القول (الفصول)»[(1)].

ثالثا: المعجم العربي وصلته بالتطور الدلالي:

– تعد حركة التأليف العربي في عصر الحضارة الإسلامية، أهم وأنضج حركة عرفها العالم العربي والإسلامي، نظرا للمجهودات التي بذلها علماء اللغة على اختلاف مشاربهم، فحركة التأليف في أنواع علوم اللغة العربية كانت تسير وفق نظام محكم، وكأن القائم على كل ذلك إنسان واحد فقط، صحيح أن الخوف على العربية والخوف على القرآن الكريم كان السبب المباشر لدفع عجلة العلم والتأليف إلا أن علوم اللغة العربية كانت في قمة تألقها وعطائها... إذ في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة بلغت ذروتها في شتى الميادين اللغوية من معجمية ونحو وغيرها، فقد كانت الظروف مناسبة إذ في تلك الفترة لم يفسد بعد اللسان العربي، وما زالت السليقة العربية محتفظة على أصالتها ولم يطرأ عليها اللحن، فكانت حركة تأليف الكتب النحوية موازية لحركة تأليف المعاجم، «وإن التصنيف المعجمي يمثل ضربا من النشاط الدؤوب للحفاظ على جوهر العربية الفصحى، وبه أخذت تتكامل صورة مفردات اللغة على نحو يناظر ما كان من إقامة أركان النحو والصرف في الكتب والتأليف المختلفة بين المدارس والنزاعات والمتفقة في أمر أولي وأساسي وهو: ألا تضطرب اللغة فتنحرف

---

[1] صالح بلعيد، **مصادر اللغة**، ص 101، 102، 103، 105، بتصرف واختصار

في شعاب اللحن والخطأ، وكذلك أفاد التأليف المعجمي من حركة جميع الأشعار والأخبار الجاهلية، بل إن التفقه بكلام القرآن استدعى عناية بالغريب وشرحه حتى إنهم ليعدّون تفسير "ابن عباس" نواة للمعاجم العربية، وإذا نظرنا إلى العمل المعجمي من زاوية تثبيت أركان الفصحى التي تحدثنا عنها عرفنا حدود المادة وماهيتها في المعاجم المعروفة لدينا، فقد أدرك المشتغلون بالعربية والدراسات القرآنية ضرورة بلورة هذه اللغة في كيان لا يتغير إلا بمقدار ما يسعف حاجة الناس ولقد احتوت المعجمات العربية حتى القرن الرابع على الذخيرة الفصيحة من الألفاظ ومعانيها، ذلك أن سلسلة المعاجم ابتدأت بأعمال الرواة مع القرن الأول الهجري الذين رحلوا إلى البادية ومواطن العرب الأقحاح، وشهد القرن الرابع كما سبق وأن ذكرنا غزارة في التأليف المعجمي بطرفيه: الألفاظ والمعاني، وإن ما يؤخذ على المعاجم العربية، ونحن نخصص القول بالقرن الرابع ثم نعممه في بعض الجوانب استكمالا للأفكار المتناولة، يكاد يكون واحدا، ونستطيع أن نعرضه من زاويتين تؤدي الواحدة منهما إلى الأخرى، أولاهما تأخذ على أصحاب التصنيف المعجمي أنهم لم يتجاوزوا بالمادة المجموعة حدا زمنيا معينا هو عصر الاحتجاج ثم أهملوا ما بعد ذلك من ألفاظ الحضارة والمبتكرات المحدثة التي شهدها العصر العباسي على امتداده، ويلاحظ باحث "أن هذه المعاجم – على الرغم من اتساعها وتعدد أجزائها – تعني بإثبات الألفاظ القديمة بما فيها الغريب والموات، وتبذل جهدا عظيما في استقصائها، وتوضيح معانيها والاستشهاد عليها بالقرآن والحديث والشعر الذي يحتج به"، والزاوية الثانية التي من خلالها توجه النقد للمعاجم العربية الأولى هي أنها لم تتابع مسيرها لتسجل تطورات الألفاظ في الأزمنة اللاحقة للعصر

الاحتجاجي، فيقول رمضان عبد التواب "لقد اقتصرت جهود اللاحقين على تنظيم ما جمعه أسلافهم، ولم يحاول واحد منهم أن يدون ملاحظاته على الفروق بين تلك اللغة القديمة: لغة البدو في القرون الأولى ولغة معاصريه، فلم يحاول واحد من علماء القرن الخامس مثلا أن يبين لنا المعنى الذي يفهمه معاصروه في لفظة جمعها زميل له في القرن الثاني الهجري"» [1]، «وإننا حين نبغي معرفة الدلالات وألفاظها الجديدة، لا بد أن نتلمس طلبتنا بين التأليف المتفرقة للأدب والتاريخ والجغرافيا، والفقه، إضافة إلى ما عرف باسم كتب (اللحن) وإن قيام دراسة لغوية من خلال تحليل واقع اللغة في المجتمع لأمد زمني معين، يتبين لنا أن رصد الجدة والحداثة في الآماد التالية للاحتجاج – بقواعده التي تعورف عليها – أمر يغاير طبيعة التصنيف المعجمي الذي تتابع عليه الرجال في القرون الأربعة الأولى – وفيما بعدها ترسما لها – فقد كانت السلامة اللغوية معروفة الأبعاد، ولها مواطن في الجزيرة العربية وهي – كذلك تدور في فلك يشكل الموروث الشعري عظمه ويعصده النسق القرآني ولغته، وأما التغيير والتطور والنقل في الدلالات فلها مجالات واسعة تمتد وتتلون بألوان المجتمع الإسلامي الذي ضم بلادا جديدة وأمما طارئة على اللغة، وهناك أشكال عدة للأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، وفي ميدان القول والتأليف تعدد المتكلمون بين العربي فصيحا لسانه وملحونا، والأعجمي المتكلم بلغة غريبة عنه هي العربية، ولكل حالة ظروفها وأخطاؤها أو لنقل تصرفاتها، إذن يطرح السؤال عن الكيفية التي تعتمد فيها المصطلحات العلمية والاستعمالات اليومية

---

[1] فايز الداية، **علم الدلالة العربي** النظرية و التطبيق دراسة تاريخية، تأصيلية نقدية (الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية، 1988)، ص 211، 112.

والتغيرات الأدبية، وقد تكون الإجابة مماثلة في عدد كبير من المؤلفات – المتصورة – التي تعالج أطرافا من وجوه الحياة، وذلك على النحو المتبع في معاجم المعاني الكبرى كالمخصص لابن سيده، ثم تنقلب إلى ترتيب للألفاظ (لا بحسب الموضوعات) – ثم تصب في جداول أو كتب ليست هي بالمعاجم القديمة بل هي إضافة إليها، فتتميز الاختصاصات لا كما يتصور اللغويون الأوربيون خاصة، "فبيرغيرو" يصور لنا تدرّج الجديد من الألفاظ مرحلة إثر أخرى حتى يبلغ في النهاية مرتبة الاعتراف به معجميا، "فإن (التسمية) فعل خلاق، ومدرك فيه الأصل الفردي، وهو في الوقت نفسه متقطع يحدث مرة بعد أخرى، وإن فردا ما يبتكر الكلمة فتضطلع حالا بوظيفتها بفضل قانون الاتفاق الجمعي، أما (الاستبدال أو الإحلال) فهو على النقيض من حالة الابتكار السالفة، إنه غير مؤكد ومتدرج، وثمة اتفاق اجتماعي عليه إلا أنه غير مفسر ويسير نحو الشيوع بفعل القانون الذي يقضي أن المعنى الجديد يفرض نفسه شيئا فشيئا حتى يبلغ النقطة التي يقبله فيها المعجم"، وتواجهنا في هذا المقام أكثر من قضية، ويشير "ستيفن أولمان" إلى واحدة منها فثمة مرحلة غامضة وغير مقيسة تفصل بين ابتكار اللفظ واعتماده وقبوله في المجتمع أي "صيرورة هذه الكلمات عرفية تقليدية" وإن معيار الانتشار أو بلوغ درجة النقل الدلالي السليم لم يكن مما اتفق عليه بدقة، ولئن كانت الرواية عن شاعر أو بدوي في أعماق الجزيرة مقبولة عند الرواة – ومن يجمعون التراث القديم – وتبني عليها القواعد والأحكام لقد يكون الأمر مختلفا في حالة شاعر محدث أو كاتب أو منصف

فأصحاب النحو واللغة يلوذون بالموروث وبما استقام له من رسوم القوانين ويثير اللغويون في دراستهم للتطور الدلالي مشكلات ويبحثون من ثم عن

حل لها ليفيدوا من الحلول في التطبيقات العملية ويكون للأدب وتعبيره النصيب الأوفى والأساس الذي يرتكزون عليه هو المعجم وحدود دلالته، أي أن درس المعجم ينصرف إلى المجال الفني عن طريق المقارنة وتمييز الاختلافات وبهذا نلاحظ المنطلق اللغوي للنتائج التي توجه تفسير النصوص الأدبية وتدعم النظرية النقدية، ولقد كنا رأينا اتجاهات النقد الحديث في آراء المنظرين له، ومحاولتهم الإفادة من تناغم أو جدل يتحرك بين اللغة والدلالة خاصة – والعمل الأدبي، وهذا التناول يجعل مناقشتنا لقضية المعاجم العربية القديمة معللة، فالتحولات والتطورات الدلالية التي نتقصاها في كتب النقد في القرن الرابع – والشروح الأدبية على رأسها تبرز خصائصها التي كانت لها في هذا المضمار بالمقايسة بحالة الظاهرة اللغوية في مظان لها، حسب رأي بعض الباحثين أو تصورهم – هي المعاجم، أو بتقرير أبعادها التي لا يوفيها المعجم وهي ضرورة لاستكمال الوظيفة الدلالية في الحيز الأدبي، يميز الدارسون بين ضربين للدلالة، الأول منهما هو ذاك المعجمي الذي يقدمه لنا مصنفو المعاجم والآخر هو المعنى أو الدلالات السياقية، وكان "فندريس" قد قارن بين ذاك التجريد المنطقي في تفسير الكلمة معجميا من جهة، وما تثيره من أجواء تأثيرية من جهة أخرى "فالكلمة لا تحدد فقط بالتعريف التجريدي الذي ترسمه المعجمات، إذ يتأرجح حول المعنى المنطقي لكل كلمة جو عاطفي يحيط بها وينفذ فيها ويعطيها ألوانا مؤقتة على حسب استعمالاتها هي التي تكون قيمتها التعبيرية"، وعليه فكل ما يمكن أن نحمله للكلمة من معاني، يكون عبارة عن فرضية فقط لأن المعنى المقبول يكون متمثلا في نص معطى، وينظر إلى المعجم على أنه لا يفي بالغرض إذا ما رغبنا في حصر دقيق للدلالة بحسب السياقات

وتنوعها وعلى الرغم من هذا فإنه لا يعد نقصا في الدرس المعجمي، لأن المنوط به هو إيراد المعنى المشترك أو المركزي الذي يتشعب إلى مجموعة الحالات الجزئية التي تتباين وتتغاير بعدد السياقات التي تحل فيها، وإن الفروق أو ما نسميه بالظلال تتسع أو تضيق إلا أنها تبقى موصولة بالأصل الذي يرجع إليه في تثبيت الجدة الحادثة، أو اللمحة المضافة وقد يتأبى على نقله إلى مجال بعيد كل البعد عما قدر له من قبل، ويغلب على الابتداع والابتكار الجزئي ههنا النمط الأدبي خاصة في مجازاته وتحولات المعنى، إضافة إلى المرات التي تستخدم فيها ألفاظ لتعبر عن مخترعات طريفة، أو انفعالات غريبة لذا كله ليس في وسع المعجم أن يورد كل ظل أو دلالة سياقية لأنه يتحول عندئذ إلى أعمدة من الألفاظ التفسيرية لا تكاد تنتهي، فالمتكلمون يضيفون – باستمرار – الكثير من الألوان أما الأسلوب المقترح فهو أن تتنخل استعمالات مدة معينة ويسجل التردد الأكثر بينها، فيدون في معجمات – أو كتب معجمية – لاحقة مميزة»[(1)]

[1] نفس المرجع السابق، ص 213، 214، 215، 216، بتصرف واختصار.

الفصل السابع

اللّغة وعلم اللغة الحديث

أولا : نشأة اللغة.

ثانيا: تعريف اللغة.

ثالثا: اللغة بين المؤثرات والخصائص.

تمهيد:

إن موضوع اللّغة بصفة عامة أثير حوله أسئلة عديدة، وقدمت بشأنها بحوث ودراسات مختلفة، وهذا يعود لمكانة اللّغة في حياة الأمم والشعوب وفي حياة الحضارات، ونظرا للمكانة التي تحتلها اللّغة في جميع المجالات الأدبية والفنية والعلمية،فقد أخذت بالدراسة والبحث لمعرفة نشأتها،وان كانت هذه النقطة لا تصل بنا إلى حقيقة قطعية،بل تذهب بنا إلى وضع بعض الافتراضات والتخمينات،إلا أن البدء بهذه النقطة يجعلنا نضع الركيزة الأولى لدراسة اللّغة المنطوقة، وإن التعرف على مدلول اللّغة وتفسيرها ،وشرحها ومخزونها يجعل من أفكارنا تتنوع،وافتراضاتنا تأخذ الطابع العلمي والمنطقي الذي من خلاله نصدر القوانين التي تتحكم في اللّغة وتتحكم عن طريقها

اللّغة، والذي يهمنا في هذه الدراسة هي اللّغة العربية بصفة خاصة على اعتبار أنها لغة العالم في القديم و سلطان العالم اليوم.

أولا: نشأة اللغة:

إن موضوع نشأة اللّغة قد أثير حوله نقاش كبير وطويل «وحظي هذا الموضوع باهتمام كبير عبر العصور التاريخية فقد أورد "فندريس" أن المؤرخ الإغريقي "هيرودوت" أشار إلى أن "اسمتيك" ملك مصر في عصر الفراعنة أراد أن يعرف فيما إذا كانت اللّغة المصرية أقدم اللغات لهذا أمر بعزل طفلين منذ ولادتهما» [1] «إلى الوقت الذي يبدآن فيه الكلام، وكان افتراضه أن يؤدي عدم وجود أي مثال يحتذي به في النطق إلى استعمال أول لغة بشرية في العالم، ومع مرور الزمن، سمع الطفلان وهما يرددان كلمة "بيكوس" وعلم الملك وأتباعه إذ ذاك أن هذه الكلمة تنتمي إلى اللّغة الفريجية (phigyan)، ومن هنا استخلص الملك أن هذه اللّغة هي اللغة الأولى التي عرفتها الإنسانية»[2]، «وعليه فالبحث والدراسة في نشأة اللّغة من البحوث الفلسفية التي يغلب عليها الظن والشك والتخمين والحدس والاحتمال والتكهن والتي لم يخرج منها اللغويون بنتائج يقينية مرضية منطقية مقنعة، نظرا لأنّه ما وصل إلينا من معلومات عن اللّغة كان عن طريق الكتابة واللّغة موجودة قبل الكتابة بآلاف السنين ولهذا لا يمكن التأكد حاليا من أصل اللّغة وما يطرحه العلماء من آراء في نشأة اللّغة لا تعد وأن تكون نظريات فلسفية لم تحقق على أرض الواقع بعد، ونتيجة لهذه الأبحاث، وعدم التيقن والتأكد من نتائجها، فقد عزف علماء اللّغة عن البحث فيها، ذلك أن البحث في هذه

---

[1] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 263، باختصار.

[2] أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص 1، بتلخيص.

النقطة لا يصل بنا إلى نتيجة علمية بل يصل بنا إلى سؤال مبهم» [1] «ولا شك أن الفضل في نشأة اللّغة الإنسانية يرجع إلى المجتمع نفسه وإلى الحياة الاجتماعية، فلولا اجتماع الأفراد بعضهم مع بعض وتواصلهم واحتكاكهم وحاجتهم إلى التعاون والتفاهم وتبادل الأفكار والتعبير عما يجول بالخواطر من معان ومدركات ما وجدت لغة ولا تعبير إرادي، ومما لاشك فيه أن اللّغة ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية فتخلقها طبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة الجمعية وما تقتضيه هذه الحياة من شؤون، فليست المشكلة إذن في البحث والتنقيب والتساؤل عن الأسباب التي دعت إلى نشأة اللّغة ولا في البحث عمن أنشأها، وإنما المشكلة إذن في البحث عن العوامل التي دعت إلى ظهورها في صورة أصوات مركبة ذات مقاطع متميزة الكلمات، والكشف عن الصورة الأولى التي ظهرت بها هذه الأصوات، أي الأسلوب الذي سار عليه الانسان في مبدأ الأمر في وضع أصوات معينة لمسميات خاصة وتوضيح الأسباب التي وجهته إلى هذا الأسلوب دون غيره، وفي خضم كل هذا لا بد لطالب العلم والباحث في ميدان علم اللّغة من معرفة ما قيل عن أصل اللّغة وتاريخها، وعلى ضوء هذه الحقائق وهذه الأسباب سنناقش النظريات التي قيلت في نشأة اللّغة هذا وأهم ما قيل بهذا الصدد يرجع إلى عدة نظريات.

نظرية التوقيف: وهي تقرر أن الفضل في نشأة اللّغة الإنسانية يرجع إلى الهام الاهي هبط على الانسان فعلمه النطق واسماء الأشياء، وقد ذهب إلى هذا الرأي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني "هيراكليت *areHclite*"

---

[1] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 265، 264، بتصرف واختصار.

وفي العصور الوسطى بعض الباحثين في فقه اللغة العربية "كابن فارس" في كتابه "الصاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها" أن اللّغة توقيفية وليست اصطلاحية أي أنها هبة من اللّه تعالى، وذهب إلى هذا الرأي في العصور الحديثة طائفة من العلماء على رأسها الأب "لامي" في كتابه" فن الكلام" *L'art deparler* ولا يكاد أصحاب هذه النظرية يقدمون بين يدي منهجهم دليل عقليا يعتد به، أما أدلتهم النقلية، فبعضها يحتمل التأويل وبعضها يكاد يكون دليلا عليهم لا لهم، فالمؤيدون لهذا الرأي من باحثي العرب يعتمدون على قوله تعالى (وعلّم آدم الأسماء كلها)" [(1)] وعلى الرغم من عدم صراحة هذا النص القرآني» [(2)] «فابن فارس يرى أن اللّه تعالى علم آدم اللّغة، وبهذه اللغة اكتسب الانسان القدرة على تسمية الأشياء ويبينون ذلك بأن اللّه خلق كل الدواب من الأرض وأحضرها لآدم ليرى بماذا يسميها وكان اسم كل حيوان وكل طائر هو ما أسماه به آدم» [(3)]، «وجاء في تفسير هذه الآية عن "مجمع البيان" للشيخ الطبرسي (وعلّم آدم الأسماء كلها)، أي علمه معاني الاسماء، إذ الاسماء بلا معاني لا فائدة فيها ولا وجه لإشارة الفضيلة لها... وقيل أنه سبحانه وتعالى علّمه جميع الأسماء والصناعات وعمارة الأراضين والأطعمة والأدوية واستخراج المعادن وغرس الأشجار ومنافعها وجميع ما يتعلق بعمارة الدين والدنيا عن "ابن عباس" و"مجاهد بن جبير" وعن أكثر المتأخرين، وقيل أنه علّمه اسماء الأشياء كلّها ما خلق وما لم يخلق بجميع اللّغات التي يتكلم بها ولده بعده، وقد روى عن الصادق

---

[1] سورة البقرة،31/2.
[2] عبد الواحد وافي ، مرجع سابق، ص 96، 97، بتصرف.
[3] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 265، 264، بتصرف واختصار.

عليه الصلاة والسلام أنه سأل عن هذه الآية فقال الأراضين والجبال والشعاب والأدوية ثم نظر إلى بساط تحته فقال وهذا البساط مما علمه، وقيل أنه علّمه اسماء الملائكة واسماء ذرّيته عن الربيع، وقيل أنه علّمه ألقاب الأشياء ومعانيها وخواصها وهو أن الفرس يصلح لماذا والحمار يصلح لماذا، وهذا أبلغ لأن معاني الأشياء وخواصها لا تتغير بتغير الأزمنة والأوقات وألقاب الأشياء تتغير على طول الأزمنة، واختلف في كيفية تعليم اللّه تعالى آدم الاسماء فقيل علّمه بأن أودع قلبه معرفة الاسماء وفتق لسانه بها فكان يتكلم بتلك الاسماء كلها، وقيل إنما علّمه اسماء الأشخاص بأن أحضر تلك الأشياء وعلّمه اسمائها في كل لغة ولأي شيء يصلح، وأي نفع فيه وأي ضرر ومن تفسير هذه الآية ندرك أن اللّه سبحانه وتعالى علّم الانسان جميع العلوم، وأن الاسم يطلق على الشيء بعد أن يتكامل ويتضح بصورة شاخصة، لأننا لا نفهم الأشياء إلاّ بأسمائها، والمعرفة إنما تتطور في داخل الذهن حتى تصل إلى درجة الاسم وعندئذ يصبح الشيء معلوماً، وهذا يعني أن الاسماء تطلق على الأشياء المعلومة والعلوم»**(1)**

وروى "خصيف" عن "مجاهد" قال: علمه اسم كل شيء وقال غيرهما: إنما علمه اسماء الملائكة، وقال آخرون علّمه اسماء ذريته أجمعين، ثم يقرر أنه يذهب إلى قول "ابن عباس" أي أن اللّه علّم آدم اسماء الأشياء بما هي في الدنيا الآن" **(2)** أما ابن جني فيشرح هذه الصيغة بقوله "فان قيل: فاللّغة فيها اسماء وأفعال وحروف، وليس يجوز أن يكون المعلم من ذلك

---

[1] زكي الميلاد، **الفكر الاسلامي بين التأصيل و التجديد**، الطبعة الأولى (بيروت- لبنان: دار الصفوة، 1415هـ - 1994) ص 253، عن حاشية الصفحة، باختصار.

[2] **الصاحبي في فقه اللغة**، ص 31.

الاسماء دون غيرها مما ليس بأسماء، فكيف خص الاسماء وحدها، قيل اعتمد ذلك من حيث كانت الاسماء أقوى القبل الثلاثة، ولابد لكل كلام مفيد من الاسم" (1) لأن الاسم هو قلب الجملة وقلب الكلام وروح اللّغة، ففي الوقت الذي يمكن فيه الاستغناء عن الفعل والحرف لا يمكن الاستغناء فيه عن الاسم، «وبالرغم من هذا التفسير المقنع إلى حد ما، إلا أن آراء نظرية التوقيف وهدفها وما تنادي به يعد ضعيفا لسبب تأثره عند العرب خاصة بمذهب "ابن فارس" الأميل إلى التشيع وبآرائه الفقهية والنحوية المنتمية إلى مدرسة الكوفة المعتمدة على الرأي والرواية، وعلى الرغم من إيمان واقتناع "ابن فارس" الشديد بهذه النظرية إلا أنه يشعر أن اللّغة تتغير من عصر إلى عصر، طبقا لحاجات المتكلمين بها، وعليه فانه يعبر عن فكرة التغير اللّغوي، أو نمو اللّغة طبقا لنظرية التوقيف المؤمن بها، فيقول "ولعلّ ظانا يظن أن اللّغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة في زمان واحد، وليس الأمر كذلك بل وقف اللّه – جلّ وعز– آدم– عليه السلام– على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه وانتشر من ذلك ما شاء اللّه، ثم علّمه بعد – آدم – عليه السلام– من عرب الأنبياء – صلوات اللّه عليهم– نبيا نبيا ما شاء اللّه أن يعلمه، حتى انتهى إلى نبينا محمد– صلى اللّه عليه وسلم– فآتاه اللّه – جلّ وعزّ– من ذلك ما لم يؤته أحد قبله على ما أحسنه من اللّغة المتقدمة»(2)

---

[1] ابن جني، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار(دار الكتب المصرية، 1952) 41/1، 42.

[2] نادية رمضان النجار، مرجع سابق، ص 28، بتصرف واختصار.

«ومما يحتج به أصحاب هذه النظرية أيضا انه لم يبلغنا أن قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجتمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، وقد كان في الصحابة من البلغاء والفصحاء وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو أحداث لفظة لم تتقدم ألا ترى أن سبحانه يقول: (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتهم وألوانهم)، مما يدل على أن اختلاف اللّغات أمر توقيفي من صنع اللّه وأنه لابد للانسان فيه، بل لقد ذم اللّه تعالى أولئك اللذين وضعوا أسماء ما أ نزل اللّه بها من سلطان في قوله تعالى: (إن هي إلا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم)، وعلى الرغم من كل الدلائل العقلية والنقلية التي تمتاز بها هذه النظرية إلا أنها تبقى تتسم بالضعف لأن النص القرآني ليس صريحا كما يدعون.

- **نظرية الاصطلاح** : ويرفض أصحاب هذه النظرية أن تكون اللّغة توقيفية لأسباب أشاروا إليها بقولهم: إننا لا نرى منطقا في العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها، فإطلاق "قلم" على آلة الكتابة مثلا ليس له علة أو سبب ويمكن من الناحية الفرضية استعمال لفظ آخر بدل "قلم" لتلك الآلة ويستحيل على اللّه سبحانه وتعالى صنع شيء مخالف للمنطق، كذلك أشاروا إلى أن اللّغة غير مطردة ويكثر فيها الشاذ والمشترك اللّفظي وكل ذلك نقائص يجب أن ينزه الخالق عنها ولا تنسب إليه وإنما هي أهل الاصطلاح»[1]

ويذهب ابن جني إلى القول «إن أصل اللّغة لابد فيه من المواضعة وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون إلى الإبانه على الأشياء فيضعوا لكل منها سمة ولفظا يدل عليه ويغنى عن إحضاره أمام

---

[1] محمد خليفة الأسود مرجع سابق، ص 267، باختصار.

البصر، وطريقة ذلك أن يقبلوا مثلا على شخص ويؤمنوا إليه، قائلين انسان؟ فتصبح هذه الكلمة اسما له، وان أرادوا سمة عينه أو يده أو رأسه أو قدمه أشاروا إلى العضو وقالوا: يد، رأس، قدم...الخ

وسيروم على هذه الوتيرة في اسماء بقية الأشياء، وفي الأفعال والحروف، وفي المعاني الكلية، والأمور المعنوية نفسها، وبذلك تنشأ اللّغة العربية مثلا، ثم يخطر بعد ذلك لجماعة منهم كلمة (مرد) بدل انسان وكلمة (سر) بدل رأس، وهكذا تنشأ اللّغة الفارسية» [1]، «وعليه فمذهب الاصطلاح لا يستند على منطق، إذ كيف يمكن التفاهم والاصطلاح على تسمية الأشياء وليست هناك لغة أصلا، فكيف يجمع هؤلاء الحكماء ويتفقوا على تسمية الأشياء؟، ومن أين جاءت هذه التسميات للأشياء وليس هناك وجود للغة؟» [2]

ولذلك ليس لهذا المذهب، أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي، بل إن ما يقرر ليتعارض مع النواميس العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية، فعهدنا بهذه النظم أنها لا ترتجل ارتجالا ولا تخلق خلقا، بل تتكون بالتدرج من تلقاء نفسها» [3]، وبناءا على ما سبق ذكره فان مناقشة نظرية التوقيف والاصطلاح فيها نوع من الصعوبة، وقد اشتهرت هاتين النظريتين في القرن الرابع هجري عند العرب، أما العلماء المحدثين الذين عاشوا ما بين منتصف القرن الثامن عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين، فقد أخذوا بالدراسة

---

[1] **الخصائص**، ج1، ص 41.

[2] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 46، باختصار.

[3] محمد رمضان عبد التواب **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** الطبعة الثالثة(القاهرة:مكتبة الخانجي1997) ص 111.

والبحث والتقصي موضوع نشأة اللّغة وبحماسة وجدية ومعقولية طرحت آراؤهم واختلفت وتباينت وفيما يلي بيان لأهم تلك النظريات.

- **نظرية محاكاة أصوات الطبيعة:** «يرى أصحاب هذه النظرية بأن اللّغة في أول أمرها كانت تقليدا لأصوات المسميات، فمثلا عندما يسمع الانسان الأول نباح الكلب فيتخذ هذا الصوت اسما للكلب، وعندما يسمع صوت العصفور يتخذ هذا الصوت اسما للعصفور، وهكذا ويتصور ويرى هؤلاء العلماء بأن الانسان سمع حفيف الشجر وزفير النار وقصف الرّعد وخرير المياه وهديل الحمامة وحاكى لغة الأصوات واتخذ تلك المحاكاة اسماء لتلك الأشياء، وقد تطورت تلك الألفاظ وبمرور الزمن اتخذت صورا أخرى أبعدتها عن دلالتها الأصلية ولهذا السبب لا نلاحظ هذه العلاقة في الوقت الحاضر بين الألفاظ ودلالتها»**(1)**

وإذا ما سلمنا برأي هذه النظرية وناقشناه «نجد أن اشتراك اللّغات في الكلمات المحاكية للطبيعة على هذا النحو أمر نادر، ولو كانت هذه النظرية صحيحة، للاحظنا اشتراكا بين اللّغات في الألفاظ والكلمات التي تحاكي الطبيعة مثل: الشّق، والدّق، والقطع، والصهيل، والعواء، والمواء، والنباح، والهديل وما إلى ذلك ولقد سمعت الديك العربي في بلاد العرب، والديك الألماني في بلاد الألمان، يصيحان بطريقة واحدة دون أدنى فرق، غير أننا نحاكي صوت الديك عند العرب فنقول: كوكوكوا، ويقول الألمان: "كيكيري".

ويرى بعض العلماء بناءا على هذا الرأي، أن مناسبة اللفظ للمعنى مناسبة حتمية بمعنى أن اللّفظ يدل على معناه دلالة وجوب، لا انفكاك فيها،

---

[1] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 267، 268، بتصرف

وممن نادى بهذا الرأي "عبّاد بن سلمان الصيمرى" من المعتزلة فقد ذهب إلى أن بين اللّفظ ومدلوله مناسبة طبيعية، حاملة للواضع على أن يضع هذه اللّفظة أو تلك بإزاء هذا المعنى أو ذاك، ويروون عن بعض من تابعه على رأيه هذا، أنه كان يقول: إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل عن معنى كلمة «إذغاغ» وهي بالفارسية: الحجر.

– كما يقولون فقال: أجد فيه يبسا شديدا، وأراه الحجر"[1]»[2]

– نظرية الأصوات الانفعالية:

«يرى أصحاب هذه النظرية أن اللّغة الإنسانية نشأت نتيجة لأصوات انفعالية يصدرها الانسان مثل الشهقات والتأوهات التي تصدر عن الشخص عند الفرح أو الحزن، فالانسان عندما يندهش أو يفزع يميل عادة إلى فغر فيه كما لو كان يتنفس بعمق فإذا زفر هذا الهواء الذي تنفسه فغرفاه وجدنا الفم يميل إلى الاستدارة قليلا، ومثل هذا الوضع للشفتين يولد لنا صوت اللين المنتهي بالضمة، وهي حين تطول قد يتصل بها شيء شبه الهاء، ويعتقد أصحاب هذه النظرية بأن هذه التأوهات قد تطورت إلى أصوات اتخذت دلالات خاصة هي ما نعرفه الآن باللّغة، واعترض بعض علماء اللّغة على هذه النظرية بقولهم أنها محتاجة إلى دليل تاريخي يؤيدها ونبهوا إلى أن الإنسان يصدر هذه التأوهات عندما تنعدم اللّغة أي عندما لا يوجد كلمات تعبر عن الموقف أو الصدمة، وهذه النظرية في عمومها لا تستند هي الأخرى إلى دليل عقلي منطقي أو نقلي نصي يؤيدها، بل إنها تميل إلى الفلسفة والتخمين والخيال والمنطق.

---

[1] السيوطي، **المزهر**،47/1.

[2] رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 113، بتصرف واختصار.

- نظرية نشأة اللّغة نتيجة للتنفيس والترويج عن النفس:

تقترب آراء هذه النظرية من آراء النظرية السابقة إن لم نقل أنها تختلف من حيث عنوان النظرية فقط أما المضمون فيكاد يكون نفسه، ويرى أصحاب هذه النظرية بأن الأصوات الإنسانية نشأت أولا في صورة جماعية، ويحتمل أنها صدرت عن جماعة من الناس أثناء قيامهم بعمل شاق يتعاونون على آدائه ويؤيد أصحاب هذه النظرية رأيهم بما يلاحظ من أن الإنسان يجد راحة إذا تنفس أو تنهد بقوة وعنف وكرّر هذا عدة مرات فهذه العملية تجعله يخرج من رئته قدرا من الهواء، ويقوم بعملية عقلية يستريح لها وتخفف من عناء عمله ونحن نلاحظ الآن وقبل أعوام كثيرا من العمال حين يقومون بعمل شاق يغنون أو يرددون عبارات بدائية لا تكاد تتضمن معنى معقولا، وهم بهذه العبارات يلقون عونا لأنفسهم في أثناء عملهم الشاق، ويجدون في هذا متنفسا وتشجيعا فيكررونها دون ملل، ويرى أصحاب هذه النظرية أيضا أن اللّغة نشأت عندما اجتمع الانسان بأخيه ولم تنشأ عن فرد منعزل»[1]، «ومع كل هذا فان هذه النظرية ناقصة وغامضة، أما نقصها، فلأنها تبين منشأ الكلمات الكثيرة التي لا يمكن ردّها إلى تلك الأسباب التي سبق ذكرها، وأما غموضها فلأنها لا تشرح لنا السّر في أن تلك الأصوات الساذجة الانفعالية تحولت إلى ألفاظ أو أصوات مقطعية، فلهذين السببين انصرف عنها اللّغويون، وسخر منها "مكس مولر، كذلك»[2]

- نظرية الاستعداد الفطري:

---

1 محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 268، 269، 270، بتصرف واختصار.

2 رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 116، بتصرف واختصار.

«وقد دعاها اللّغوي الألماني "مكس موللر" نظرية "دنج دونج" وتتلخص هذه النظرية في أن الانسان مزود بفطرته بالقدرة على صوغ الألفاظ، إلا أن هذه القدرة لا تظهر إلا عند الحاجة وحينما سما "ماكس موللر" نظريته هذه بـ"دنج دونج" إنما كان يريد أن يشبه هذه القوة الفطرية بلولب الساعة الملتف في باطنها ويشبه حوادث الزمن ببندول الساعة الذي يتحرك فيخرج بتحركه القوة الكاملة في الساعة...وكأن النفس البشرية مخزن ممتلئ بالألفاظ ينفتح شيأ فشيأ بمفتاح الزمن ومقتضيات الحياة الواقعية، ولعّل الذي دعى "ماكس موللر" إلى وضع هذه النظرية، ملاحظة الأطفال في حياتهم اليومية الحرة، وهم يكتبون بشتى الطرق على أنهم قادرين على إنتاج الألفاظ ووضع الاسماء وإطلاق الكلمات إذ أنهم يضعون جل جهدهم في ابتكار كلمات يبرهنون عن طريقها أن لهم القدرة على التعبير والتميز والتفوق والتواصل مع الآخرين"، وهذه النظرية كسابقاتها لا تحل مشكلة، والسؤال المطروح أو الذي يطرح نفسه هو: كيف ومتى زود الإنسان بهذه الذخيرة اللّغوية؟ وكيف يمكن للطفل أن يطلق الاسماء على المسميات دون أن يكون قد سمعها من قبل محيطه؟، ومن هنا نصل إلى سؤال آخر: هو كيف اختلفت اللّغات واللّهجات؟»(1)

- نظرية الملاحظة:

«صاحب هذه النظرية هو العالم الألماني (جيجر)، فقد برهن هذا العالم على أن أقدم ما أمكنه الوصول إليه، من الأصوات اللّغوية الأولى أعمال أو إشارات انسانية وتعتبر هذه النظرية خطوة إضافية بالنسبة

---

[1] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 50، بتصرف.

لموضوع نشأة اللّغة وتعتبر خطوة أخرى في رفع الغموض الذي يكتنف النشأة الأولى للغة وعلى الرغم من ذلك إلا أنها لم تستطع أن توضح لنا، بأسلوب مفهوم معقول، كيف وضعت تلك الأصول العامة الأولى، على أنه من المتعذر إرجاع جميع الكلمات التي تتكون منها اللّغات كلها إلى تلك الأصول العامة»[1]

- نظرية التطور اللّغوي:

«رأى عالم اللّغة "جسبرسن" حول نشأة اللّغة: أنه بالامكان اكتشاف المراحل الأولى التي مرت بها اللّغة عن طريق دراسة الأمور الآتية:

1- لغة الأطفال ومراحل نموها: ودراسة لغة الطفل تقتصر على السنة الأولى من عمره حين يصدر هنا الطفل أصواتا طبيعية أثناء مناغاته أو إحداثه لأصوات مبهمة ليس وراءها هدف سوى اللّعب، والأصوات التي يحدثها الطفل في تلك الفترة غير مألوفة لدى مستعملي اللّغة الشائعة في البيئة، بل إن هذه الأصوات تشق وتصعب على الطفل نفسه ولا يستطيع نطقها حين ينمو ويتعلم لغة الكبار، وهذه هي الأصوات التي تستحق عناية الباحثين، فهي تمثل مراحل نمو اللّغة عند الطفل.

2- لغة الأجناس البدائية: يرى "جسبرسن" "أن دراسة لغة الأمم البدائية قد ترشد إلى نشأة اللّغة الإنسانية، لأن اللّغة البدائية في رأيه تمثل مرحلة موغلة في القدم ولذلك فهي قريبة تاريخيا من نشأة اللّغة وبالامكان مقارنة هذه اللّغة باللّغة الحديثة، وللإهتداء إلى الطريق الذي سلكته اللّغة في

---

[1] رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 117، بتصرف واختصار.

تطورها وعلى الرغم من منطقية الافتراض الذي طرحه "جسبرسن" إلا أن رأيه يبقى يفتقر إلى المنطق والعقل والاقتناع.

خلاصة الكلام في موضوع نشأة اللّغة:

«اهتمت الحضارات الإنسانية منذ القدم بالبحث والدراسة في أصل اللّغة وكيفية تكوينها وقد أجريت تجارب لمعرفة اللّغة الأولى التي تكلمها الإنسان ثم تطور البحث ليضع الفرضيات والاعتقادات التي كانت كلها تدور حول نشأة اللّغة، إلا أن هذا الموضوع الذي شغل العقول منذ القدم، وعلى الرغم من البحوث التي قدمت في سبيله، إلا أن علم اللّغة الحديث قد تركه جانبا فلم يعد علماء اللّغة يحفلون به نظرا لاعتقادهم واقتناعهم بأن النتائج التي يتوصلون إليها في هذا الموضوع ستكون غير جازمة»[1]، «وعليه فلا يدخل موضوع ارتباط اللّغة بالوحي أو بالاصطلاح أو بغيرهما في إطار قضايا علم اللغة الحديث، لأنه ليس من الممكن بحث الموضوع بمعايير علمية دقيقة»[2]، «ولأن علم اللّغة الحديث يحاول بتطوير مناهجه وبالاصرار على الدّقة العلمية أن يصل إلى نتائج دقيقة ولذلك استبعدت من البحث اللّغة تلك الموضوعات التي لا يمكن بحثها بمناهج دقيقة وأشهر هذه الموضوعات نشأة اللّغة ومرد الاهتمام في القديم إلى الدّين فقد تكونت عند الجماعات الدّينية المختلفة آراء راسخة نسبيا حول نشأة اللّغة الانسانية ، فاليهود يصرون على كونها هي العبرية ومسيحوا الشرق يجعلونها السريانية، وحار المؤلفون العرب بين جعلها العربية أم السريانية"، وإذا كان المفكر العربي "ابن حزم" قد وجد أنه من العبث التفكير في اللّغة الأولى عند

---

1 محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 271، بتصرف.

2 محمد فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 66، بتصرف باختصار.

الانسان ونسبها إلى الدّين دون دليل "فان علم اللّغة الحديث لا يتناول البحث في قضية نشأة اللّغة الانسانية لعدم وجود منهج علمي لبحث ذلك»[1]

ثانيا: تعريف اللّغة:

«تعددت تعريفات اللغة عند القدماء والمحدثين، وركزت كل مجموعة على النواحي المهمة- من وجهة نظرها- وأبرزتها في التعريف ومن أهم التعريفات- عند القدماء- التي تعبر عن حسّ لغوي مرهف ونظرة ثاقبة ودقة ملاحظة، تعريف ابن جني(391هـ): "حدّ اللّغة، أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [2] وهذا التعريف دقيق يذكر كثيرا من الجوانب المميزة والمهمة للغة، أكد ابن جني أولا الطبيعة الصوتية للغة وهذا يبين أن دراسة أصوات اللغة تنبه لها علماء العربية قديما، كما ذكر ابن جني الطبيعة والوظيفة الاجتماعية للغة في التعبير ونقل الفكر، وهذا يدل على أنها لا تعيش ولا تترعرع إلا في مجتمع وأن لكل قوم لغتهم» [3] واللّغة منظمة عرفية، تمارس طقوسها داخل المجتمع وتحتوي في هيئتها على نظم متعددة يؤدي كل نظام فيها وظيفة من خلال شبكة من العلاقات الترابطية مع النظم الأخرى ويطلق على هذه النظم مسمى (الأجهزة)"، وقبل أن نقف على طبيعة هذه الأنظمة وعملها داخل محطات الإنتاج نستعرض مقولات القوم في حدود، وبنائية هذه الأنظمة، فابن خلدون يخص اللغة بالقول: "اللّغة – في المتعارف- هي عبارة المتكلم عن مقصوده واللّغة ملكة اللّسان وهو في

---

1 محمود فهمي حجازي ، مرجع سابق، ص 46.

2 ابن جني ، **الخصائص**، 1/33.

3 محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 09، بتصرف واختصار.

كل أمّة بحسب اصطلاحاتهم" [1]، ويذهب ابن خلدون إلى أن اللّغة ملكة صناعية فيقول بصدد هذا «"اعلم أن اللّغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللّسان – للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو النظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالا، الحال أي أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة" انتهى كلام ابن خلدون، فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللّغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصّبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة، ومن كل متكلم ويبقى استعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم، وهكذا تيسرت الألسن واللّغات من جيل إلى جيل وتعلّمها العجم والأطفال، وهذا هو معنى ما يقوله الكثير من أن اللّغة للعرب بالطبع أو بالملكة» [2]، وعلى أساس ما ذهب إليه "ابن خلدون"، فإننا نستطيع أن نتبين أن هذا العلاّمة ميّز بين الملكة اللسانية وصناعة اللّغة، وهو بالتالي يفصّل فصلا تاما بين ملكة اللسان وعلومه، واللّغات كلها عنده

---

[1] مقدمة ابن خلدون، ط 1997، ص 1252، 1254.

[2] عن محاضرة، قسم الأدب العربي، السنة الثالثة جامعي، 2003/04/05 ، بتصرف.

شبيهة بالصناعة تختص باللّسان للتعبير عن الأغراض، ونحن حين نمارس صناعة اللّغة نعبر من خلال تلك الممارسة عن آرائنا وأفكارنا وشعورنا وعواطفنا ومواقفنا، وحين نخفق في التعبير نخفق في تحقيق الملكة، أما "ابن حزم الأندلسي" فيذهب إلى القول: "اللّغة جسر الإنسانية إلى كل القيم المجّردة" وهذا – واقعيا– تأكيد لوظيفة اللّغة الاجتماعية دون الفصل في حدودها، وأنظمتها، ويمكن تصنيف هذا المفهوم في كشوف العموميات التي عرضت للغة على أنها واسطة العقد، وأداة التواصل، وأنها تتشكل مع الفكر وجهين لعملة واحدة وأننا لا نستطيع أن ننطق بما لا قدرة لنا على التفكير به، أما "الآمدي" فقد أكّد على اجتماعية اللّغة حين قيد القول "لما كان الواحد لا يستقل بتحصيل معارفه بنفسه وحده، دون معين أو مساعد له من نوعه، دعت الحاجة إلى نصب دلائل يتوصل بها كل واحد إلى معرفة ما في ضمير الآخر من المعلومات المعينة له في تحقيق غرضه، لذلك استخدم الإنسان ما يتركب من المقاطع الصوتية، التي خطى بها نوع الإنسان دون سائر أنواع الحيوان ومن اختلاف تركيبات المقاطع الصوتية حدثت الدلائل الكلامية، والعبارات اللّغوية" «ونالت التعاريف التي ذكرنا، خاصة تعريف "ابن جني" اهتمام اللّغويين العرب المحدثين لأنه ضم أكبر قدر من الحقائق المهمة عن اللّغة، وتعريف "اللّغة"، في علم اللّغة الحديث– على تنوع مدارسه– يلتقي مع تعريف "ابن جني" لها حول هذه الحقائق الهامة، لكنه أضاف إليها حقائق أخرى كانت ثمرة لتطور هذا العلم من خلال الدراسة العلمية ومن بين التعريفات الحديثة للغة ما يلي:

– تعريف اللّغوي السويسري "دي سوسير" في كتابه "محاضرات في اللسانيات" "نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة

اللّغوية يحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعا من جماعته فدى سوسير يركز على الجانب الصوتي للّغة إذ يعتبر عنده العامل الأهم والمهم في العملية التواصلية، كما أنه يتفق مع الرأي الذي يذهب إلى أن اللّغة تكتسب سماعا من الجماعة الأم، أما "روى – سي هجمان" فيقول "اللّغة قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد
مجتمع ما»[1]

«ويبدو أن رأي اللّساني المعاصر "هنري سويت" قد سار على نفس رؤى "الآمدي" السالفة حين قرّر أن التتابعات الصوتية هي التي تؤكد حضور الكلمات، ذات الدلائل المتباينة"، أما اللّغة في لسان العرب فإنها قد تمس في الجانب من المطابقة (الكلام)، جاء فيه: "واللّغة من الاسماء الناقصة، وأهلها لغوة من لغا إذا تكلم، ويقال لغى، يلغى ولغا يلغو لغوا تكّلم، على وزن فعلة، لأن أصلها لغوة"، ويصرح الدكتور "السعران" قائلا: "اللّغة نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالات الاصطلاحية"، ويعلق الدكتور "عبد الصبور شاهين" مفيدا مما تقدم قائلا: "للّغة وجه فردي، وآخر اجتماعي ولا يمكن تصور أحدهما دون الآخر"، وهو يتفق مع ما ذهب إليه عالم اللّغة "دي سوسير" حين ذهب إلى أن اللّسان له مظهر اجتماعي هو اللّغة، ومظهر فردي هو الكلام، ونستنتج مما سبق أن اللّغة لها صلة وطيدة بالعمليات الفكرية والنفسية والاجتماعية عموما» [2]، «واللّغة صنو الحياة، فإذا أردت أن ترسل أو تشتري كتابا أو تتواصل مع شخص آخر أو حتى أن

---

1 محمد محمد داود، مرجع سابق، ص 43، 44، باختصار.

2 عبد القادر عبد الجليل، **علم اللسانيات الحديثة** الطبعة الأولى(عمان: دار صفا للنشر و التوزيع،2002) ص 31، بتصرف واختصار.

تناجي نفسك فلابد لك من استخدام اللّغة، وأينما ذهبت تجد اللّغة محيطة بك، وحتى في النوم وأثناء الحلم فإننا نتحدث ونتواصل مع الآخرين، وبدون اللّغة لا يوجد أدب ولا فن ولا صناعة ولا علوم، وبدونها لا نستطيع أن نعبر عن ما يدور بخلدنا من أفكار، ولا نبالغ إذا قلنا أن ما يميز الانسان عن الحيوان أساسا هو امتلاكه للغة إنها شرط رئيس لإنسانيتنا، واللّغة نظام من الرموز التوفيقية تستخدمه مجموعة بشرية للتواصل فيما بينها، وعندما نقول أن شخصا يتقن لغتين مثلا فإننا نعني أنه يعرف نظامين مستقلين من الرموز التوفيقية وبالتالي يستطيع أن يتواصل مع أفراد ينتمون إلى مجموعتين بشريتين لكل منهما نظامها اللّغوي الخاص»(1)

وفي «محاضرات لفردينال دي سوسير استثمار واسع وشامل للغة – حدّا، ووظيفة وبيانا تكوينيا وصوتيا، وفنولوجيا، حيث أرسى دعائم الدراسات اللسانية البنيوية أو الوصفية وسنقف مع آرائه التي امتدت على مساحة أكثر من نصف قرن من الزمان ولا زالت متكأ لكثير من البحوث والدراسات اللسانية.

يؤكد "دي سوسير" على أن اللّغة "نتاج جماعي" ليتمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة"، ويضيف في وصفات متعددة لهذه المنظومة (اللّغة) قائلا أنها:

* نظام مؤلف من مجموعة من الرموز تعكس أفكار معينة.
* شيء محدد ومستقل في ذاته، قابل في تكوينه للتصنيف.
* تتمثل في النظام، والمعايير المنتظمة في سلم الجماعة اللّغوية.

---

[1] شحدة فارع ((وآخرون)) ، مرجع سابق، ص 09، 10، 11، بتصرف واختصار.

* شيء يمكن أن يدرس على حده، فنحن لم نعد نتكلم اللّغات المنقرضة ولكننا قادرون على تمثّل بنيتها اللّغوية.

* بعض الكلام، إن شكلت بعده الجوهري، وهما ليس بشيء واحد فهي منه بمثابة قسم معين وإن كان أساسيا.

* شيء معين ذو حدود، ضمن مجموعة ظواهر الكلام المتنافرة .

* الجانب الاجتماعي من الكلام، الخارج عن نطاق الفرد وهي لا توجد إلا بمقتضى نوع من التعاقد،بين أعضاء المجموعة البشرية الواحدة.

* نظام من الدلائل ليس فيه من الجوهري سوى اقتران المعنى والصورة الأكوستيكية.

* لا وجود للكيان اللّغوي إلا بفضل اقتران الدال بالمدلول.

– هذه الرؤى تؤكد في عمومها على اجتماعية اللّغة، وفردية الكلام، وأن هذا الأخير لا يمكن أن يخضع إلى عملية التحليل، بعيدا عن اللّغة إلا إذا درس وهي في هذا المستوى، إن هذا النوع من التحليل إلا فرادي للنّص لا يمكن أن يتصل بدراسة اللّغة إلا حين تندرج ضمن مكّونات النظم اللّغوية، بحيث يمكنها أن تساعد في الكشف عن طبيعة العلاقات والظواهر التي تحكم أبنية اللّغة ومنظوراتها، وعليه فاللّغة فيما سلف عند دي سوسير، منظومة ذات منهج ثلاثي التكوين.

– اللّغة– بدلالة الظاهرة الاجتماعية المطلقة (الكلام الانساني عموم) A language

– اللّغة– بدلالة التعيين (كالعربية والانجليزية وسواهما)اللّسان Langue B

C- الكلام- بدلالة الفردية ينتمي إلى اللّسان وتعتبر النقطة A منطلقا لتوليد النقطتين (B,C)، لاشتمالها عليهما، في ميدان الدرس اللّساني»[1] وسيأتي الحديث عنه في نقطة اللّسانيات، هذا عن رأي "دي سوسير"، «أما العالم سابير (1921) فيعرف اللّغة بأنها طريقة بشرية وغير غريزية لنقل الأفكار والأحاسيس والرغبات بواسطة رموز تنتج طوعا، "وقد تعرض هذا التعريف للنقد من قبل عدد من اللّغويين فمن ناحية فان كثيرا مما يمكن نقله بواسطة اللّغة لا يندرج ضمن "الأفكار" و"الأحاسيس" و"الرغبات" مهما كان تفسيرنا لها فعلى سبيل المثال يؤكد عالم اللّغة البريطاني "فيرث" (1964) على أهمية الوظيفة الاجتماعية للغة التي تشتمل على التخطيط والإرشاد والتحية والوداع والمديح والذم والرضا والشكوى وغيرها»[2]، «فكان يرفض باستمرار بناء فكره اللّغوي على ما يسمى بالثنائيات التي يصعب تحقيقها من الناحية العملية، وذلك على خلاف ما ذهب إليه دي سوسير تماما، لقد كان شديد الحرص على وصف اللّغة بوصفها نشاطا معنويا في سياق اجتماعي معين، وجاء تبريره لهذا الموقف بقوله "بما أننا نعرف القليل عن العقل ودراستنا هي دراسة اجتماعية في جوهرها، فسوف أكف عن احترام ثنائية الجسم والعقل والتفكير والكلام، وأكون راضيا بالإنسان ككلّ يفكر ويتصرف وسط رفقائه كوحدة شاملة» [3] (Dichotomies)

---

[1] عبد القادر عبد الجليل ، مرجع سابق، ص 31، 32، 33.

[2] شحدة فارع ((وآخرون))، مرجع سابق، ص 12.

[3] John firth : synopsis of linguistic ,theory studies in linguistics analysis, philo –sophical society special volume , oxford, 1957, p 2: نقلا عن السانيات النشأة و التطور

«ويشير كريستال إلى أهمية استعمال اللّغة لأغراض مختلفة كتدوين الحقائق في السجلات الرّسمية (المواليد مثلا) والتاريخية والتقارير العلمية ومن ناحية أخرى فهناك أنظمة متعددة للرموز المنتجة طوعا لا تندرج عادة ضمن تعريف اللّغة كالإيماءات والحركات اليدوية وغيرها من الإشارات أما "بلوك وتريجر" (1942) فقد ذهبا في كتابهما الموجز في التحليل اللّغوي إلى أن اللّغة "منظومة من الرموز الصوتية التوفيقية *Outhine of liguistic analysis*

يمكن بواسطتها لمجموعة من النّاس في مجتمع معين أن تتعاون"، ويختلف هذا عن تعريف "سابير" ذلك أنه لا يرتكز على أهمية الوظيفة التواصلية للّغة وبدلا من ذلك فانه يؤكد على وظيفتها الاجتماعية.

ويذهب هول (1968) في كتابه مقالة عن اللّغة *Essay on language* إلى أن اللّغة "نمط سلوك جماعي يقوم بنو البشر بواسطته بالاتصال والتفاعل بعضهم مع بعض برموز شفهية سمعية توفيقية يستخدمونها بحكم العادة، ومن النقاط التي يمكن ملاحظتها في هذا التعريف ما يلي:

*اشتمال التعريف على كلمتي الاتصال والتفاعل بدلا من اصطلاح "التعاون"

*استخدام اصطلاح "شفهي سمعي" الذي يشير إلى المتكلم والمستمع معا، أي المرسل والمتلقي للإشارات الصوتية.

*استخدام اصطلاح "نمط سلوكي جماعي" للدلالة بوضوح على أن اللّغة التي يستعملها أفراد مجتمع ما هي إلا جزء من ثقافة ذلك المجتمع.

*استخدام كلمة "العادة" التي تعني وجهة نظر دعاة المذهب السلوكي استجابة متكررة لمثيرات معيّنة يمكن التنبؤ بها أما "روبنز" (1979)، فيرى "أن اللّغات ما هي إلا منظومات من الرموز... تبنى بكاملها تقريبا على أساس العرف الخالص أو العرف التوفيقي"، ويؤكد "روبن" على مرونة تلك الرموز وقابليتها للتكيف ويضيف "روبنز" في موضوع آخر (1971) "أن اللّغات قابلة بغير حدود للتوسع والتعديل وفق الحاجات والحالات المتغيرة للمتحدثين بها"، ويتضح من هذا، أن "روبنز" لا يحبذ تعريفا محددا بل يتجه إلى تبني عدد من الحقائق البارزة حول اللّغة منها قابلية تعديل منتوجات تلك المنظومة ضمن حدود معينة.

أما التعريف الخامس فيعزف على وتر مختلف تماما ونقتبسه من كتاب "ناعوم تشومسكي" (1957)»[1]

«حيث ذهب إلى تعريف اللّغة في كتابه "البنى التركيبية" قائلا: "من الآن فصاعدا سأعد اللّغة مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، كل جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر وكل اللّغات الطبيعية في شكليها المنطوق والمكتوب هي لغات بهذا المعنى وذلك لأن كل لغة تحتوي على عدد متناه من الفونيمات (أو الحروف) ومع هذا، فان عدد الجمل غير متناه"، وفي نظر "تشومسكي" إن الجمل قد يكون طولها غير محدود، ومع ذلك فهي جمل نحوية مقبولة، وقد أتى بمثال واضح كما هو الشأن في هذه الجملة: "هذا هو الرجل الذي تزوج البنت التي ألّفت الكتاب..." وتدّل النقاط الثلاث على إمكانية توسيع الجملة إلى الطول المرغوب فيه، ومن الناحية العملية، هناك بعض الحدود التي ينبغي أن تقف

---

[1] شحدة فارع ((و آخرون)) ، مرجع سابق، ص 13، 14.

عندها الجملة، وان كانت غير مضبوطة من قبل النحاة، ومن جهة أخرى، فان هذه الجمل التي تتكون من عناصر محدودة هي في الواقع غير متناهية»(1)، «فتشومسكي يرى أن كل جملة من الجمل يمكن تمثيلها سلسلة متعاقبة من الأصوات، ومن مهام عالم اللّغة لدى وصفه لغة ما، أن يقرر أيا من هذه السلاسل المتعاقبة محدودة العناصر تشكل جملا وأيا منها لا تشكل جملا، كما عليه أن يبين إذا استطاع إلى ذلك سبيلا الخصائص البنيوية التي تتمتع بها نظمها الصوتية والنحوية والدلالية.

ويعرف ووردون (Wardh augh 1972) اللّغة بأنها "نظام من الرموز الصوتية التوفيقية التي تستخدم في التواصل بين الناس"، وهذا التعريف كما هو واضح يحصر اللّغة بالكلام حيث توجد الأصوات ولا ينطبق على لغة الإشارة التي يستخدمها الصّم والبكم ويبين التعريف أن الكلام هو الركن الأساسي في اللّغة بغض النظر عن وجود نظام كتابي لها أم لا ومع هذا فهدف الكتابة محصورا في حفظ اللّغة المنطوقة ويتمثل هذا في دور النصوص المكتوبة»(2)، «ولقد فرق "دي سوسير" بين اللّغة والكلام لرفع الإبهام الذي يحدث عند إطلاق لفظ "لّغة" ويظهر الإبهام والغموض فيما يأتي: لو أردنا تعريف اللّغة العربية مثلا لقلنا بأنها ما ينطقه المتكلمون بالعربية عند المحادثة، ولكن هذا التعريف لا يشمل الكتابة وقد يدخل فيمن يتكلمون العربية ما يقلد الكلام العربي مثل "الببغاء" إضافة إلى ذلك أن قولنا عند المحادثة كأننا شرطنا في "اللّغة" لكي تكون "لغة" أن تكون منطوقة ولرفع الغموض يرى "دي سوسير" أن كل من يتكلم "اللّغة" له القدرة على

---

[1] أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص 209.

[2] شحدة فارع ((وآخرون))، مرجع سابق، ص 15.

إنشاء قوالب ونماذج يمكنه بواسطتها التكلم وذلك ما يسمى لغة ، أما ما ينطقونه أثناء المحادثة فيسمى كلاما»[1]، وهذا ما سبق الإشارة إليه في عملية التفريق بين اللّغة والكلام واللّسان.

« ويذهب ستفن بنكر *Steven pinker*، فيقول في كتابه "غريزة اللّغة" *Language Instinct* "إن اللّغة من صنع الانسان أو نتاجا لإبداعه أو أنها شيء نتعلمه كما نتعلم كيف نخبر عن الزمن بل إن اللّغة قطعة من التكوين البيولوجي لأدمغتنا، تتطور وتنمو عند الطفل بشكل عفوي، دون جهد مبذول متعمد، وهي تنقل دونما إحساس بقواعدها، ولهذه الأسباب عمد بعض علماء الادراك إلى وصف اللّغة مقدرة سيكولوجية وأداة عقلية ونظام عصبي ووحدة حاسوبية غير أنني أحبذ استعمال المصطلح، الطريف الجذاب "غريزة instinct فهو يعبر عن الفكرة القائلة بأن النّاس يتعلمون كيف يتكلمون تماما بنفس الطريقة التي تتعلم العناكب كيف تنسج شباكها، ولم يخطر ببال أحد أنّ نسيج العنكبوت هو أحد اختراعات إحدى العناكب العبقريات، أو أن هذا النسيج أو ذاك له صلة بنوع التعلم الصّحيح، أو أن لتلك العنكبوت ميولا فطرية أو استعدادات طبيعية للتصميم والبناء والنسيج وإنما نقول إن العنكبوت تنسج خيوطها لأن لديها أدمغة العناكب وهذه الأدمغة تحفزها على النسيج والقدرة على النجاح وحينما نبدأ النظر إلى اللّغة على أنها ليست الجوهرة التي ينفرد بحوزتها البشر بل على أنها تكّيف بيولوجي لإيصال المعلومات لن يكون هناك مجال للأفكار التي تستهوينا لنرى اللّغة، على أنها العامل الرئيسي في تشكيل الأفكار.

---

[1] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق،ص 63، بتصرف.

وإذا ما قارنا وجهة نظر *Steven Pinker* ووجهة نظر "سابير"، إذ الأول يذهب إلى أن اللّغة غريزة في حين يذهب الثاني إلى أن اللّغة غير غريزية وأنها طريقة بشرية لنقل الأفكار لكن بواسطة رموز تنتج طوعا، نجد أن كلا منهما له مفهومه الخاص للّغة ونحن نحترم كلا الوجهتين ومن أكثر تعريفات اللّغة شمولا ذلك الذي قدمته الجمعية الأمريكية للنطق واللّغة والسمع المعروفة ب "آشا" Asha وهي إلى الأحرف الأولى لاسم هذه الجمعية الانجليزية: *American Speech- language- Heaving Association*

تنظر "آشا" إلى اللّغة على أنها: نظام معقد وديناميكي من الرموز المتفق عليها يستخدم في شتى أنواع التفكير والتواصل (*Owens*, 1992) ويؤكد هذا على الجوانب التالية:

* تتطور اللّغة في إطار تاريخي اجتماعي ثقافي معين.

* اللّغة سلوك تحكمه قواعد معينة *tule governed* ويتألف هذا السلوك من مستويات مختلفة هي الصوتي *phonology* والصرفي *morphology* والنحوي *syntax* والدلالي *semantics* ، والبراجماتي أو السياقي *pragmatics*.

*اكتساب اللّغة واستخدامها تحكمه مجموعة متشابكة من العوامل البيولوجية والإدراكية والنفسية والبيئية.

* يتطلب الإستخدام الناجح والفعال للّغة لغايات التواصل فهما عميقا وواسعا للسلوك والتفاعل الإنساني ويشتمل ذلك على فهم لعملية التواصل

غير اللّفظي non verbal ولدور التعزيز *reinforcement* والعوامل الثقافية والإجتماعية في اكتساب اللّغة»[1]

إن عادات وتقاليد المجتمعات تعتبر عامل أساسي وفعّال في عملية توظيف "اللّغة" واستعمالها في عملية التواصل والاحتكاك والتفاهم والتناغم والإبداع، لأن وجود شخص في مجتمع ما، يتطلب منه فهم العلاقات الاجتماعية والعادات التي تطغى على ذلك المجتمع وهذا يجعله يحسن استخدام اللّغة في علاقاته وتواصله مع الآخرين، حتى يستطيع أن يفهم، أن ينتج ويبدع ويحقق المستحيل، «وعليه فاللّغة عامل أساسي، إذا لم نقل أنها تطغى على جميع وسائل التعبير والتواصل والتحاور (مثل لغة اللّمس، ولغة البصر ولغة الشم)، بتنوع وسائل التعبير التي في طوقها، وتسمى أيضا لغة الكلام أو اللّغة الملفوظة، واللّغة المنطوقة هي التي عناها "سيبويه" في معرض حديثه عن (الحروف) فهو يقول: "وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيّدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون لا تتبين إلا بالمشافهة" واللّغة تختلف وتتنوع باختلاف المجتمعات الإنسانية، والتعريفات الحديثة للغة لا تكاد تخرج عن تعريفات علماء اللّغة في القرون الماضية، فهي توضح أن اللّغة المنطوقة (المسموعة) نظام متكامل من الرموز الصوتية، وهذه الرموز لا تحمل بطبيعتها قيمة ذاتية تربطها بمدلولها في الواقع الخارجي وإنما تقوم على العرف الاجتماعي والتقاليد، أي تقوم على الاتفاق الكائن بين الأطراف التي تستخدمها في التعامل» [2] «وبناءا على ما سبق فانّ غالبية ما وقفنا عليه من بيانات للغة، تؤشر اجتماعية اللّغة، ذلك لأنها

---

[1] شحدة فارع ((وآخرون)) ، مرجع سابق، ص 15، 16.

[2] عبد المعطي نمر موسى، مرجع سابق، ص 14، 15، بتصرف واختصار.

منظومة، مساحتها الوضعية الأفراد، والجماعات البشرية، وهي تمارس حركتها الوظيفية داخل الغلاف الحياتي، وقد عبّر "بيير جيرو" وهو يعرض للجانب الوظيفي للغة عن ذلك بقوله "للغة وظيفتان: أولا أنها تعطي الأشياء التي نتكلم عنها دلالتها، وثانيا: تبر عن موقف المتكلم إزاء هذه الأشياء، ويذهب "وليم همبلت" إلى القول: "شكرا للغة التي صار فيها الإنسان انسانا"، وتؤكد أن اللّغة بمنظورها الشمولي هي الإنسان وبعض من ماهيته، لأنها مؤشر القدرة، والبناء العقلي، والصيرورة الفكرية، والى هذا المتجه يذهب الدكتور "عبد الصبور شاهين" قائلا: "فلما كانت اللّغة ثمرة العقل، والعقل جوهر الانسان، كان من المنطق أن تقرر أن اللّغة مجلى هذا الجوهر ومظهره، فالعقل، كالكهرباء يعرف بأثره ولا ترى حقيقته"، هذه الآراء بكلياتها وجزئياتها، تصف اللّغة على أنها ظاهرة، ووظيفة اجتماعية يستخدمها أفراد المجموعة الإنسانية في عمليات التواصل الفكري والمعرفي، ومواقف الحياة المختلفة، ويتباينون معها في مسائل الأداء *performance* "بشكل نسبي، ومحدود، كذلك في قدراتهم وتمكنهم اللّغوي ، "*competence*"، واللّغة – واقعا– ملكة ترتكز على قوة الطاقة الكامنة في الذّات الانسانية وحين "تتعين" هذه اللّغة على مستوى الأمة الواحدة تصبح "نتاجا جماعيا"، لقوى هذه الطاقة (الملكة)، وينقل الدكتور "تمام حسّان" رأي "دي سوسير" في اللّغة المعينة قائلا: "إن اللّغة تتبنى على ملكة في طبيعتنا، على حين نجد اللّغة المعينة شيئا مكتسبا، متعارفا عليه يمكن أن يخضع للغريزة الطبيعية وتبقى معالجة اللّسانيين لموضوع "اللّغة" رحالها بين تفاعلات أواصرّها الصوتية، وتركيبها، وبين المجموعات اللّغوية، حيث

تتفاوت قدراتهم وطرق أدائهم»[1] وما يمكن استخلاصه وفهمه مما سبق وما تم التركيز عليه هو مهمة ووظيفة الاتصال التي تتم بصورة تدعو إلى الدهشة عن طريق اللّغة، وان كان هناك ما يساعد أو يساهم في عملية التواصل والاتصال، إلا أن اللّغة تبقى هي قلب العملية الاتصالية و جوهره.

«فاللّغة هي أكثر طرق الاتصال الإنساني استعمالا وأعظمها تطورا، وما تتضمنه هذه العبارة على جانب كبير من الأهمية إذ يعني كونها وسيلة اتصال أنها تقوم أساسا بنقل المعلومات بطريقة ما، أي أنها رسالة بين مرسل مستقبل، وباالنسبة للغة فان كلا منهما من البشر والرسالة إما تنقل صوتيا*Vocally* من خلال الهواء، وإما كتابة *graphically* بواسطة علامات على سطح ما هو الورق في الغال.

اللغة إذا صورة من صور الاتصال، لأن هناك صورا أخرى غيرها بطبيعة الحال ليس من الضروري أن تتصل بالنشاط الإنساني، وما يقصده عالم اللّغة بكلمة "اللّغة" هو أنها ظاهرة إنسانية أساسا، وقد يحجم حتى عن استعمال كلمة "لغة" للإشارة إلى المعنى المجازي للاتصال، مثال ذلك عندما يقول أحد أن هناك اتصالا وثيقا بين الموسيقيين وقائد الأوركسترا ومؤلف الموسيقى، ومن ثم فثلاثتهم لا يتكلمون لغة واحدة ولكن حتى إذا خصص أحدهم مصطلح "اللّغة" للدلالة على الاتصال الإنساني فقط، فسيبقى أمر واحد وهو أن ليس كل ما يقع تحت هذا التحديد يدخل في إطار اللّغة بالمعنى الذي يفهمه عالم اللّغة، ونتبين السّبب في ذلك إذا أخذنا في الحسبان كل الطرق الأخرى المحتملة للاتصال الإنساني، إذ من الممكن أن

---

[1] عبد القادر عبد الجليل ، مرجع سابق، ص 35، 37 ، 38، باختصار.

نتصل بأفواهنا أو بأجزاء أخرى من وجوهنا أو باستغلال إحدى حواسنا مثل السمع أو البصر أو الصوت، وتلك أكثر حواسنا استعمالا.

ثالثا:اللّغة بين المؤثرات والخصائص:

علينا أولا أن نتطرق إلى:

أ- **طبيعة اللّغة** : «اللّغة أولا وقبل كل شيء نظام من الرموز الصوتية، وتكمن قيمة أي رمز في الاتفاق عليه بين الأطراف التي تتعامل به، وقيمة الرمز اللّغوي تقوم على علاقة بين متحدث أو كاتب هو المؤثر وبين مخاطب أو قارئ هو المتلقى، واللّغة وسيلة للتعامل ونقل الفكر بين المؤثر والمتلقي وصدور هذه الرموز الصوتية اللّغوية لأداء معان محددة متميزة يعينها المتحدث ويفهمها المتلقي.

- معناه اتفاق الطرفين على استخدام هذه الرموز للتعبير عن الدلالات المقصودة، وبهذا يكون هناك ارتباط غير مباشر بين الجهاز العصبي للمتكلم والجهاز العصبي للمخاطب، وما اللّغة إلا وسيلة الربط بينهما وأداة التعبير، فكل موقف كلامي يشترط وجود متحدث ومتلق وتتم عملية الكلام بأن يصدر الجهاز العصبي عند المتحدث أوامره إلى الجهاز النطقي عنده، فتصدر اللّغة وتمضي على شكل موجات صوتية في الهواء فيتلقاها المتلقي بجهازه السمعي، ثم تنتقل بعد ذلك إلى جهازه العصبي فتترجم هذه الرموز الصوتية إلى معانيها المرتبطة بها، واللّغة وسيلة التعامل الاجتماعي الأولى في المجتمع الإنساني، أما وسائل الاتصال الأخرى مثل

الإشارات الصوتية أو أعلام الكشافة فليست إلا محاولة بديلة للنظام اللّغوي وهي تقوم أساسا على النظام اللّغوي، ولذا ليس لها بدونه وجود»[1]

«ويرتبط النظام اللّغوي بالرّمز اللّغوي الذي بدوره يرتبط ببيئة محددة يطلق عليها الجماعة اللّغوية *Community Linguistic* فعندما يسمع إنسان لغة أجنبية لا يعرفها يسمعها أصواتا غير متميزة، وليس لها تصنيف واضح عنده، وليست لها دلالة رمزية، ولكن ابن اللّغة– أو العارف بها لا يسمع هذه السلسلة الصوتية فحسب، بل يميز مكوناتها ويفهم محتواها الدلالي ومن الممكن بحث الأصوات المنطوقة من ناحية الخصائص الفيزيائية كما سيأتي شرحه في موضوع الأصوات، فالمادة الصوتية موضوع من موضوعات التحليل في الفيزياء، ويكشف التحليل الفيزيائي للصوت عن جوانب كثيرة من الخصائص الطبيعية، مما يفيد أيضا من الناحية التطبيقية في تصميم التليفونات وأجهزة الإرسال والاستقبال اللاسلكي وتصميم المباني التي يتردد فيها الصوت...الخ، ولكن البحث اللّغوي يبحث المادة الصوتية باعتبارها وسيلة لتوصيل المعلومات ولذا لا يراها حشد صوتي كما تبدو للأجنبي، وكما يسجلها الجهاز الأصم بل يرى فيها نظاما محددا من الرموز المتميزة التي تحمل معنى، وتختلف الخصائص للصوت باختلاف الأفراد والمواقف الكلامية داخل الجماعة اللّغوية الواحدة، فلكل فعل كلامي خصوصيته وتختلف الخصائص النطقية للعبارة الواحدة باختلاف الأفراد، وقد يختلف نطق الانسان الواحد لنفس العبارة باختلاف أحواله النفسية ويتغير نطقه بتقدم العمر، ومع هذا فالجماعة اللّغوية هي الجماعة التي تتشابه فيها مجموع العبارات التي يتعامل بها أبناؤها على نحو يمكنهم من

---

[1] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 09، 10، باختصار.

الفهم المتبادل *Mutual Intelligibility* ومجموع العبارات المستعملة في الجماعة اللّغوية يصدر عن بيئة لغوية واحدة تربط كل أفراد الجماعة وتتحدد الجماعة اللّغوية باعتبار تشابه مجموع العبارات التي يتعامل بها أفرادها، فتعاملهم بها هو الذي جعل منهم جماعة لغوية واحدة» [(1)]، وبناءا على ما سبق ذكره فاللّغة تتأثر وتؤثر، ولذلك علينا ذكر بعض الأسباب والعوامل التي تمس اللّغة في أعماقها.

أ العوامل التي تؤثر في اللّغة:

«لقد أشار "الإمام ابن حزم" إلى العوامل التي تؤثر في اللّغة وتعمل على تبديلها أو اندثارها أو تقسيمها، إذ يقول: "إن اللّغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم... وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كل ذلك سببا لذهاب لغتهم ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم، فهذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة»[(2)]

– **العامل الحضاري:** إن للعامل الحضاري دور كبير في حياة اللّغة «وإن انتشار الصيغ اللّغوية والتراكيب تتأثر بعوامل كثيرة أهمها وأبرزها في العالم المعاصر العامل الحضاري، وحتى في القديم كان لهذا العامل الدور الفعّال في حياة اللّغة، فانّ مكانة ومنزلة أية لغة من اللّغات الكبرى تتحدد في المقام الأول بما تحمله من تراث حضاري وما تقدمه من نتاج حضاري

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 16، 17، بتصرف.

[2] **الإحكام في أصول الأحكام** ، نقلا عن **اللغة العربية وتحديات القرن الحادي و العشرين.**

حديث»[1]، ويظهر هذا العامل بوضوح حين تحتك أكثر من لغة في منطقة واحدة أو في منطقتين متجاورتين فانه يظهر صراع، «لأن قوة اللّغات ليست واحدة، ومن ثم تختلف قدرتها على المقاومة، خاصة إذا كانت هذه اللّغة موجودة في مجتمع راقي من الناحية الاجتماعية والثقافية والعلمية، ومتطور وثري من الناحية الاقتصادية، ففي العصر الحديث فالألمانية والفرنسية مثلا، لغتان قويتان تستويان في القوة فإذا ما تعرضنا لوجوه المقارنة نجد أن المنافسة تكاد تكون بين هاتين اللّغتين في الميدان الاقتصادي وحده، ذلك أنّ الفوز الذي تناله إحدى اللّغتين يكون في ميدان المعاملة، أي في صميم الحياة نفسها» [2]، فالعامل الحضاري يمد اللّغة بالقوة وبالبقاء وبالحياة –

عامل السلطان والدين: «إن العامل الديني هو الذي أبقى اللّغة العبرية مقروءة أكثر من عشرين قرنا، فكان اليهود يتعلمون قدرا من العبرية لأنها لغة العهد القديم، وهو كتاب اليهود المقدس، وكذا اجتماع العرب والتقائهم حول الفصحى وعدم نجاح الدعوى إلى الكتابة بالعامية يرجع إلى عامل ديني مهم هو أن اللّغة العربية والمجتمع العربي والأمة العربية تنتمي إلى القرآن والى الاسلام، أو أنها تلتقي جميعها وتجتمع حول لغته، وقد مهد العامل الديني لدخول عدد كبير من الألفاظ العربية المتعلقة بالدين والاقتصاد والسياسة إلى لغات العالم الإسلامي في إفريقيا وآسيا وجنوب أوروبا، ففي اللّغات السواحلية والتركية والفليبينية وأيضا في اللّغة الصربوكرواسية نجد المسلمين يستخدمون الألفاظ الخاصة بالعبادات خاصة وبالسلوك اليومي مستعارة من اللّغة العربية، وارتباط الخط العربي بالدّين

---

[1] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 28.

[2] رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 171، بتصرف واختصار.

الإسلامي، جعل المتحدثين بالحبشية في هرر – وكلهم من المسلمين يكتبون الحبشية بالخط العربي وقد دخلت في الهررية ألفاظ وكلمات عربية كثيرة وكأنهم أرادوا واحبوا بذلك أن يثبتوا ارتباطهم بالعالم الإسلامي وتميزهم عن غيرهم، هذا على سبيل المثال الدين الإسلامي وقد ركزنا التحدث عنه ذلك لأن الاسلام دين عالمي ودين الحق» [1]، ويرى "ابن خلدون" أن للدين أثر كبير في حياة اللّغات «فالدين عامل خطير من عوامل التوجيه ماديا ومعنويا، وللدين (أي دين) لغته وأساليب خطابه واصطلاحاته الخاصة: بالإضافة إلى أنه لا يمكن فهمه، والوصول إلى أسراره إلا بوسيلة فعالة تنفذ إلى هذه الأسرار وتجليها، وهذه الوسيلة – بالطبع – هي لغة هذا الدين المسيطر في البيئة المعينة يقول "ابن خلدون" في ذلك: "اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين أو المختطين لها، ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد، عربية"[2]، فلسان الأمصار هو اللّغة العربية، لغة السلطان والدين الاسلامي أو ما أشار إليها بلغة الجيل الغالبين ويقصد (الملك والدين)، وذلك لأن اللّغة في هذه الحالة هي مفتاح التواصل بين الجيل الغالبين وجماهير المواطنين وهي السبيل إلى الدخول في النظام القائم بقوانينه وضوابطه ودينه ويؤكد هذا المعنى مرة أخرى بقوله "فلما هجر الدين اللّغات الأعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا هجرت كلها في ممالكها، لأن النّاس تبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللّسان العربي من شعائر الإسلام

---

[1] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 28، بتصرف واختصار.
[2] **مقدمة ابن مخلدون**، ج1، ط3 (دار نهضة مصر، 1979) ص 910.

وطاعة العرب"[1]، فابن خلدون يرى أن السلطان أو الملك والدين أو الملة لهما أثر كبير في حياة المجتمعات وفي لغاتها، لارتباط القبيلين بعضهما ببعض ارتباطا وثيقا، فالسلطة أو الملك قيادة تصرف الأمور وتضع النظم والقوانين وتوجه النّاس إلى السير على طريقة مخصوصة، كما يقوم السلطان بقضاء حاجات الرعية ورغباتها، كل ذلك في حاجة إلى وسيلة للتواصل وتبادل الآراء والأفكار وتنفيذ الأعمال وتسيير عجلة الحياة على النمط المرسوم بضوابط الملك والحكم هذه الوسيلة هي اللّغة، ومن الطبيعي أن تكون هذه اللّغة هي لغة "القيادة" أو المصدر الموجه والمتصرف في الأمر، ومما يؤكد تلازم الحال المآل بين السلطة والدين من جهة واللّغة من جهة أخرى، أن اللّغة يصيبها ما يصيب السلطان والدين- مجتمعين أو منفردين- من تغير أو تبدل، قل أو كثر، وهذا ما صرح به ابن خلدون في قوله "ولما تملك العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم بالمشرق وزناتة والبربر بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان العربي لذلك، وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللّذين بهما حفظ الدين وصار ذلك مرجحا لبقاء اللّغة العربية المضرية من الشعر والكلام، إلا قليلا بالأمصار" [2]، فتغير الملك والسلطان وتغير القائمون عليه يستلزم منه تغير اللّغة أو يصيبها تغير ما، وهو ما أشار إليه ابن خلدون بقوله "فسد اللّسان العربي لذلك" والتعبير (بالفساد) تجاه علمي له مسوغاته عند الآخرين بمنهج المعيارية، ذلك المنهج الذي

---

[1] نفسه، ج3، ص 900، 901.

[2] نفسه، ج 2، ص 903.

يعني بالقواعد المطردة للّغة ويحكم بالفساد والخطأ على كل من تجاوز أو خرج عن هذه القواعد»[1]

- **العامل الاجتماعي :** إن العامل الاجتماعي يعتبر من أهم العوامل في حياة اللّغات، فانتقال مجموعة بشرية على سبيل المثال من مكان لآخر واختلاط المجموعة الوافدة مع السكان الأصليين كفيل بخلق علاقات لغوية جديدة وهذا على أساس التأثير والتأثر ومن المعروف أن هجرة القبائل العربية عقب الفتح الإسلامي للشام والعراق ومصر والمغرب كانت من أهم العوامل في انتشار اللّغة العربية، وبذلك لم تعد اللّغة العربية لغة شمال الجزيرة العربية أو لغة منطقة معينة من هذا العالم بل أصبحت بمرور الوقت لغة الحديث والعلم والتخاطب والأدب في الدولة الإسلامية الكبرى، التي امتدت جذورها في مناطق مختلفة وعديدة من العالم، وفوق كل هذا فالطبقة العليا في المجتمع الواحد ذي الطبقات المتعددة تؤثر تأثيرا حاسما في الاستخدام اللّغوي لدى الطبقات الأخرى ومحاكاة الطبقة العليا أو الفئة الحاكمة أمر معروف في دول العالم المختلفة، فالمتتبع والدارس والباحث لمجتمع ما يجد أن فئة المجتمع الراقية تجد لها ألفاظا تخصها وطريقة للتخاطب تهمها، فبفضل مكانها تستطيع أن تؤثر في الكلمات والألفاظ لأنها الفئة التي تتجه لها الأعين في المجتمع ويكثر عنها النقاش بين الكثير من أفراده، وزد على ذلك وزن فئة النخبة في المجتمع، فلها القسط الأكبر من التأثير في لغة المجتمع الذي تعيش وتوجد فيه، على اعتبار أنها الصفوة والزبدة، فكل ما يصدر عنها صحيح وإن كان يشوبه الشك والخطأ، فهي فئة

---

[1] كمال بشير، **علم اللغة الاجتماعي**، مدخل، طبعة ثالثة (القاهرة: دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، 1997) ص 122، 121، بتصرف واختصار.

يعتبرها المجتمع معصومة من الوقوع في الخطأ، ويمكن أن ندرج تحت العامل الاجتماعي، نقطة جديرة بالدراسة والالتفات والاهتمام على اعتبار أن معظم الدول والمجتمعات الإسلامية تعرضت للغزو الاستعماري، السبب الذي جعل تلك المجتمعات تتأثر بلغة المستعمر على الرغم من استقلالها واسترجاعها للحرية، وعليه «فان إستعمار القرون الماضية قد خلف ما يسمى باللّغات التي تطلق على *Language of Colonization* أو لغات الاستعمار *Colonial Language* اللّغات الرسمية الأساسية في المناطق المحتلة بقوات استعمارية، وبهذا المعنى وعلى هذا الأساس أصبحت الانجليزية اللّغة الاستعمارية والرسمية في الهند فارضة نفسها ومفرداتها ودلالاتها وهويتها على اللّغات الأهلية المتعددة، وتظل اللّغة الاستعمارية المفروضة *Superimposed* حية حتى بعد اختفاء القوة الاستعمارية كما سبق وأن ذكرنا، وكثيرا ما تظل لغة رسمية، أو واحدة من اللّغات الرسمية للبلد الحديث الاستقلال، ومن أمثلة ذلك اللّغة الانجليزية في نيجيريا، وغانا واللّغة الفرنسية في الأمم الجديدة التي خرجت عن الوصاية الفرنسية في افريقيا، وفي حالات أخرى تصبح لغة المستعمر لغة رسمية وربما لغة وطنية وأهلية عن طريق ما يعرف بالاحتلال اللغوي *linguistic replacement* وقد حصل هذا بالنسبة للغة الانجليزية في أمريكا الشمالية، وأستراليا ونيوزلاندة، وبالنسبة للغة الفرنسية في الأقاليم الكندية بمنطقة كويبك وحينئذ فان اللّغات الأهلية الأصلية ربما تضطر أو تميل إلى الاستسلام وتختفي، لأن البيئة سمحت بذلك، وربما عاشت اللّغة الأصلية ولكن في حالة استسلام كما ذكرنا،مثل لغة *Quicha* في بيروو ، و *Aymara* في بوليفيا ونادرا ما تندمج اللغتان في لغة واحدة على أساس متعادل وان كان من

المعتاد حدوث اقتراض شامل للكلمات وللصيغ، من كلا الجانبين أو مهجنة، حيث تسيطر اللّغة المتولدة ولكن مع خضوع ملحوظ للعادات الكلامية للسكان الأصليين مثل الفرنسية الهاييتية المهجنة وربما يصيب اللّغة المهجنة نوع من عدم الاستقرار فتصبح لغة وطنية، ولغة رسمية، كما هو الحال بالنسبة للغة الأفريكانية والمالطية (أساسا عربية ولكن مع تأثيرات ايطالية كبيرة)، وكثيرا ما تبرز لغة ما نتيجة للعامل الثقافي والقيمة الثقافية، وبهذا تؤخذ بالدراسة، وقد تستعمل في بلاد ما، وأن مكانة اللّغة الفرنسية لمعروفة جيّدا باعتبارها لغة دبلوماسية، ولغة ذات ثقافة عامة في معظم أنحاء العالم، وإن كان نفوذها ربما كان لبعض الوقت راجعا إلى نفوذها السياسي والعسكري فإن مكانتها اليوم ثقافية محضة»[(1)]

- **العامل الثقافي:** «يقرر الدارسون أن هناك خمسة عناصر أساسية يمكن اتخاذها معيارا لتصنيف البشرية إلى أمم، ولوضع الفوارق بين هذه الأمم وتعيين الخواص المميزة لكل منها، هذه العناصر هي: الجنس المشترك (أو الأصل) والدين والقومية واللّغة والثقافة، بوجه خاص دور بارز ومهم في هذا التصنيف والتحديد، إذ هما بمثابة المرآة العاكسة لكل أنواع النشاط الإنساني في هذه الأمة أو تلك وهذا المجتمع أو ذاك، ولموضوع اللّغة والثقافة في مجتمعنا العربي أهمية خاصة، إذ أن وضعهما أو بناءهما يحتاج إلى نظر ودرس كي نتعرف حقيقة الأمر فيهما بالعود إلى بناء هذا الجانب أو ذاك ونكشف عن مكوناته وتخبر هندسته، ودرجات التناسق والتكامل بين هذه المكونات، ولعل أول ما نلاحظه في هذا الشأن هو أن

---

[1] ماريو باي ، مرجع سابق، ص 187، 188، بتصرف.

بناءنا اللّغوي والثقافي بناء ينقصه التكامل والتجانس أو الانسجام بين وحداته، ففي هندسته نشاز، وعليه فهويتنا اللّغوية والثقافية هوية مهزوزة، يشوبها نوع من التفكك والاضطراب والشك، وضرب من التنافر والتباعد والتناقض وعدم الانسجام، ومن ثم يسوغ لنا أن نقرر أن ليست لنا هوية لغوية وثقافية موحدة مكتملة، فاللّغة العربية (أي اللّغة المنطوقة) تعاني من بلبلة الألسن وتعدد اللّهجات التي تحسب بالعشرات بل بالمئات وكذلك ثقافتنا القومية لم تنج من هذا التفرق والتمزق ولم تسلم من الخلط، وزعزعة البناء: فهناك ثقافة خاصة، وخاصة الخاصة، وثقافة العامة، وعامة العامة، وثقافة رجل الشارع، وثقافة أهل الحرف والصناعات، وهذه الثقافات وان اتفقت في بعض الثوابت وما أقلها، تدفع بأصحابها إلى مسارات من السلوك متباينة وتوجههم اتجاهات متباعدة، وعليه يصعب الالتقاء عند نقطة الهدف القومي بعامة ونعني بها فكرة الانتماء إلى الوطن المعين، وكذلك بالنسبة للغة، وفي رأينا أن العلاقة بين اللّغة والثقافة فرصة طيبة لترتيب الأمور والكشف عن مدى التأثير والتأثر بينهما، حتى يكون النظر في أحد الجانبين أو كليهما وهو المفروض، أداة عملية صالحة لتعرّف الجانب الآخر، ولسوف نشير إلى بعض صور التأثير والتأثر ومظاهره، لتكون بمثابة توجيه أو نقطة انطلاق للمهتمين بالشؤون اللّغوية والثقافية في مجتمعنا مركزين على الجانب اللّغوي، في البداية نقول: إن اللّغة ليست مجرد ضوضاء أو أصوات تلقي في الهواء وإنما هي – في حقيقة الأمر– نظام وتجسيد حي لكل معارف الإنسان وخبراته، ودليل شخصيته وهويته الثقافية، وهي بمثابة الكاشف عن مكنون النفس والعقل، ذلك المكنون الذي يترجم بفعل المواقف والظروف إلى واقع حقيقي في صورة أحداث فعلية وهذا الكشف باللّغة يتمثل

في كل ظواهرها: في أصواتها، وطرائق نطقها وأدائها، ودرجات توافقها وتآلفها وفي مفرداتها من حيث اختيار صيغها وكلماتها ونوعيه هذا الاختيار، ويجب أن ندرك ونعرف أن اللّغة شأنها في ذلك شأن الثقافة خاصة إنسانية، وأن لها – كما للثقافة– جانبين من الوجود: وجود بالقوة، ووجود بالفعل، فالأول طاقة، أو قدرة كامنة في النفس، نكشفه وتتبئ عنه الترجمة الفعلية الواقعة من الفرد أو الأفراد في الظرف المعين، وهذا هو الوجود بالفعل وهذا الجانب الثاني– وهو الوجود الواقع الفعلي– سابق على الجانب الأول، جانب القواعد والقوانين والأسس المخزونة في ذهن الجماعة فمن المقرّر أن الأحداث اللّغوية الفعلية تقع أولا وبتكرارها ووقوعها مرات ومرات في سياقاتها الاجتماعية تحدث انطباعات لها تستقر في ذهن الجماعة أو الفرد، وتصبح بمثابة الأنماط العامة»(1)

«وإذا رجعنا وعدنا إلى كلمة ثقافة (*culture*) نجدها كلمة مضللة، لأن لها معنيين محتملين، فهي عند عالم الأجناس البشرية تعني الحصيلة الكلية للتقاليد والعادات والأعراف، وطرق الحياة لأي طائفة اجتماعية سواء كانت متقدمة لدرجة عالية أو العكس، ومعنى هذا أن كل الجماعات عند عالم الأجناس البشرية – مهما صغرت أو كانت بدائية لها ثقافة وكل الثقافات على درجة واحدة من المساواة، أما كلمة ثقافة في مدلولها التقليدي فترتبط بالممارسة المتقدمة للحضارة التي عادة ما تعبر عن نفسها عن طريق اللّغة المكتوبة، وتشمل مجالات عدة مثل الأدب والشعر والفلسفة والعلم والحصيلة الفكرية، وهذا التباين الدلالي بين المعنيين قد أدى إلى سوء فهم متكرر، وربما كان علاج هذه الحالة في وضع كلمة أخرى لأحد هذين

---

[1] كمال بشر، **علم اللغة الاجتماعي**، ص 235، 236، بتصرف.

المعنيين، إن ثقافة أي أمة أو مجتمع ترتبط ارتباطا وثيقا بنمط لغتها ما دامت الأخيرة تعكس عادة نشاطاتها وحركاتها وابداعاتها وابتكاراتها، ويرى العالم الأمريكي *Meta linguistics* أبعد من هذا و يزعم أن نمط اللّغة المتكلمة يفرض تأثيره المباشر على هذه النشاطات ، وإن كان هذا الزعم ما يزال محل خلاف كبير"، ومهما يكن من شيء فلا شك أن اللّغة تشكل جزءا من الوعي الثقافي للجماعة، وهي تعد واحدة من أقدم المظاهر لهذا الوعي، إن لم نقل أنها باحثه الوعي- إنّ التمييز بين جماعة وأخرى ليؤسس غالبا – على الأقل من الناحية الظاهرية- على اللّغة إذا كنت تتكلم لغتي فأنت تنتسب إلى مجموعتي، أما إذا اختلفت لغتك عن لغتي فأنت تنتمي إلى جماعة أخرى، ونحن نتعامل ونتصل على هذا الأساس، ومن ثم فاللّغة في الغالب هي مفتاح لسلوك الجماعة»(1)

– عامل الاختلاط والعزلة:

«اللّغة تقليد وعادة اجتماعية، والعادات تتغير وتتعدل طبقا لظروف المجتمع أو البيئة المعينة لأسباب كثيرة منها (وهو ما يهمنا هنا) تنوع بعض العادات والثقافات وإن في الممارسة والتطبيق- بتنوع فئات المجتمع وطبقاته من مثقفين وتجار وحرفيين وعامة...الخ.

واختلاط هؤلاء بعضهم ببعض يظهر أثره حتما في الظواهر اللّغوية للغة العامة وتختلف درجة التأثير باختلاف العوامل الفاعلة في هذه السبيل ويزداد الاختلاف والتنوع في ظواهر اللّغة بوجه خاص عندما يقع الاختلاط بين المواطنين الأصليين وغيرهم من الفئات أو الأجناس الوافدة ذات الألسن

---

[1] ماريو باي، مرجع سابق، ص 189، 190، 206، 208، بتصرف

والرطانات المختلفة، حدث هذا مثلا عندما كثر الأعاجم في الأمصار الإسلامية في العصر العباسي، وحدث مثله وأكثر في عهد ابن خلدون، يقول: «اعلم أن ملكة اللسان المضرى لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن، وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها..."[(1)]

فإذا كان هذا هو حال الاختلاط بوصفه عاملا اجتماعيا مؤثر في حياة اللّغة، فان العزلة هي الأخرى لها دورها، وان كان في الاتجاه المضاد، حيث أنها عامل مهم من عوامل صيانة اللّغة والحفاظ عليها من التغير أو "الفساد"، وقد أدرك العّلامة ابن خلدون هذه الحقيقة وأشار إليها بكلام واضح صريح: ولهذا (لعدم الاختلاط أو العزلة) كانت لغة قريش أفصح اللّغات العربية وأصرحها لبعدهم عن البلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة، وغطفان وبني أسد وبني تميم"[(2)]

ويستمر ابن خلدون في كلامه مؤكدا نظرته الثاقبة هذه بتفسير بعض التغيرات التي تبدو في لغات القبائل الأخرى، بسبب بعدهم عن "قريش" وما اكتنفها من قبائل، وبسبب مخالطتهم للأعاجم: "وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية"[(3)]»[(4)]، وبناءا على كل ما سبق فان اللّغة تتأثر بعوامل

---

[1] مقدمة ابن خلدون، ج3، ص 1285.
[2] نفسه، ج3، ص 1279.
[3] نفسه، ج3، ص 1279، 1280.
[4] كمال بشر، **علم اللغة الإجتماعي**، ص 126، 127، 128، بتصرف واختصار.

عدة ومختلفة فهي كالجسم الحي أو الكائن الحي، فهي تؤثر وتتأثر واللّغة أي لغة تمتاز بخصائص عدة.

أ **خصائص اللّغة:** إن اللّغة التي يستعملها الإنسان للتواصل مع أبناء جنسه تحمل خصائص متميزة تنفرد بها عن تلك التي تستخدمها الحيوانات للتواصل فيما بينها، ذلك لأن للإنسان عقل وفكر ينظم به وعن طريقه يتم الحوار من لغة تشتمل الحروف والأفكار والمشاعر والعواطف، وفيما يلي استعراض لأهم هذه الخصائص:

«- القدرة على التعبير عن العلاقات الزمانية والمكانية *Displacement of Desaussure*، فعندما تقترب منك قطتك وتجلس إلى جانبك على الأريكة وتبدأ بالهرير (ر.ر.ر) فإنها تعبر عن سلوك متصل بتلك اللحظة وبذلك المكان، إنها لا تفعل ذلك لربط ما تحس به في تلك اللحظة وذلك المكان بالماضي أو المستقبل أو بمكان آخر، إن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستخدم اللّغة للتعبير عن علاقات زمنية لربط الماضي بالحاضر وبالمستقبل وللتعبير عن علاقات مكانية مختلفة، فيمكن أن نقول لقد زرتك أمس وسأزورك الشهر القادم وقابلت عليا في القرية ورافقته إلى المدينة وهكذا، وهذه الخاصية اللّغوية تمكن البشر من الحديث حول مسائل وأحداث متنوعة غالبا، لا تكون موجودة في لحظة الحديث أو بيئته المباشرة هناك اعتقاد بأن النحل يمتلك هذه الخاصية، فعندما تعود إحدى النحلات العاملات إلى الخلية من رحلة لها إلى أحد البساتين وترقص بطريقة معينة ومعقدة فإنها بذلك تنقل رسالة إلى بقية النحل حول المكان الذي وجدت فيه مصدرا للرحيق اللازم لإنتاج العسل، لكن تظل المسألة الهامة التي تميز لغة النحل عن لغة البشر قائمة، فما تشير إليه رقصة النحل يتعلق فقط بآخر

وأحدث مصدر للرحيق، ولا يمكن أن يذهب الأمر بالنحلة العاملة إلى حد تقديم اقتراح لزميلاتها لزيارة بستان آخر مثلا، إننا نستعمل اللّغة للحديث عن كل شيء سواء أكان واقعا أم أحلاما.

- **التوفيقية:** ***Arbitrariness***

إن الغالبية من الكلمات العلاقة فيها بين اللفظ والمعنى توفقية وجاءت بمحض الصدفة،وهذا يعني أنه لا توجد علاقة مباشرة بين الكلمة ومدلولها.

- **الانتاجية:** ***Productivity***

تتجلى هذه الخاصية بوضوح في الكلمات الجديدة التي يطلقها الإنسان على المبتكرات والاختراعات، وفي الكلمات والعبارات والجمل التي يصف بها المواقف الجديدة التي تصادفه، وأحيانا يشار إلى هذه الخاصية الابداعية*creativity* وبفعل هذه الخاصية يمكن مثلا استخدام عدد محدود من الأصوات والقواعد لإنتاج عدد غير محدود من الكلمات وبالتالي العبارات والجمل.

- **الطبيعة الاجتماعية للغة والتوارث الاجتماعي والثقافي:** قد يرث الطفل عن والديه لون بشرته أو شعره أو طول قامته ولكنه لا يرث لغتهما بالضرورة فإذا ولد طفل لوالدين أردنيين (يتحدثان العربية في البيت) ويعيشان في بريطانيا، وذهب إلى الحضانة ثم الروضة حيث تتحدث معلماته اللّغة الانجليزية فانه بالتأكيد سيتعلم هذه اللّغة إلى جانب اللّغة العربية التي يتحدث معه بها والديه في المنزل، هناك اتفاق واسع بين العلماء على أن الطفل يولد ومعه قدرة موروثة لاكتساب اللّغة، ولكن هذه القدرة لا تنحصر في لغة بعينها بل هي قدرة عامة على تعلم إحدى اللّغات

البشرية وبالذات اللّغة التي يتعرض لها الطفل، أي بغض النظر عن تحديد اللّغة بل حسب البيئة اللّغوية ونوع اللّغة التي يجدها في مجتمعه»[(1)]

«- **الطبيعة الصوتية للغة** : من الحقائق الأساسية التي أكدها علم اللّغة الحديث: الطبيعة الصوتية للغة، فالصوت اللّغوي هو الصورة الحية للغة، واللّغة التي لا تنطق لغة ميتة، ولا تغنى الكتابة عن الواقع الصوتي للغة، وبخصوص اللّغة العربية فلقد كان للقدماء بصر باللّغة وحس مرهف، فقد أدركوا الحقيقة الصوتية للغة ونلمح ذلك واضحا من تعريف "ابن جني" كما مّر بنا حيث يعرف اللّغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، ولما كانت اللّغة ظاهرة إنسانية، فالأصوات المقصودة هنا هي الصوت اللّغوي حيث يصدر من الإنسان نوعان من الأصوات.

الأول: صوت غريزي فطري، كالبكاء والضحك.

الثاني: صوت عرفي اصطلاحي مكتسب وهو الصوت اللّغوي.

فالطفل ينزل من بطن أمه يبكي بفطرته لا يحتاج لأحد أن يعلمه البكاء أو الضحك، بينما يحتاج إلى تعلم أصوات اللّغة حسب لغة الجماعة، ولقد جاء القرآن الكريم بالصورة الصوتية المثلى لما كانت عليه اللّغة العربية في العصر الجاهلي، وظلت هذه الصورة تنتقل بالرواية الشفوية حتى العصر الحاضر بمستوى من الدقة لم يحظ به نص لغوي آخر، مما أدى إلى استقرار أصوات اللّغة العربية إلى حد كبير، وأصبح التطور الصوتي بها ضئيلا إذا ما قورن بالتطور الصوتي الذي لحق باللّغات الأخرى، يضاف إلى هذا أن للصوت في اللّغة العربية في رحاب القرآن الكريم قيمة

---

[1] شحدة فارع ((وآخرون)) ، مرجع سابق، ص 25، 26، 27، بتصرف.

فنية فضلا عن المعايير الدقيقة والضوابط المحددة لهذا الصوت ويتجلى كل هذا في اهتمام العلماء العرب بعلم الآداء لآيات القرآن الكريم حيث وضعوا معايير لسرعة نطق الصوت اللّغوي فصنفوا تلاوة آيات القرآن في النطق إلى مستويات.

1- التحقيق. 2- الترتيل.

3- الحذر. 4-التدوير.

- فالبحث اللّغوي انتهى إلى تأكيد الطبيعة الصوتية للّغة، واهتم في هذا الإطار بظواهر ستهم في الكشف عن معادن ودلالات متنوعة كاستخدام التنغيم للدلالة على معان مختلفة كالاستفهام والطلب والأمر وحالات الغضب والرضا، والدهشة والتعجب، ونحو ذلك من دلالات، مثل تنغيم التحية ودلالاتها المختلفة، فقد تقال بأسلوب ونمط يظهر منه الاحترام والتقدير، وقد تقال بنمط فيه رقّة وعذوبة للتعبير عن المودّة والمحبة ونحو ذلك من دلالات فإذا نظرنا إلى الصوت الإنساني من زاوية نفسه تظهر لنا دلالات يحسها الإنسان فمن صوت المتحدث يمكنك أن تشعر به وأن تدرك فرحه أو حزنه أو مرضه أو صحته أو أنه حديث عهد باليقظة من نومه، ويمكنك أن تدرك من صوت الإنسان عتابه ولومه، ومن الصوت أيضا يمكن أن تعرف مدى استقراره وثباته في موقفه، ومدى اهتزازه وتوتره وعدم ثقته بنفسه أثناء الحديث كما يظهر من الصوت كبر المتحدث أو تواضعه وغضبه وحنقه، أو خوفه واضطرابه ومن خلال الدلالات الاجتماعية للصوت الإنساني يمكنك أن تدرك وتعرف الكثير من تمييز الأفراد وتصنيفهم إلى بيئاتهم، فبمجرد أن تسمع الشخص يتحدث تعرف أنه جزائري أو مصري أو من بلد آخر، ومن درجة الصوت يمكنك التمييز بين الذكر

والأنثى، والطفل والشاب والشيخ الهرم،هذا فضلا عن استخدام البصمة الصوتية في العلم الحديث لتحديد صاحبها في العمل الجنائي، أو لطلب الرقم في التليفون أو الإملاء على الكمبيوتر ليتولى الكتابة مباشرة عن طريق البصمة الصوتية.

* **اللّغة متغيرة:** تربط اللّغة بالمجتمع ارتباطا وثيقا فهي المرآة التي تعكس كل مظاهر التغير والتحول والتبدل في المجتمع، رقيّا وتطورا وتحضرا كان أو انحطاطا وتراجعا وتقهقرا، لذا كان التغير لسنة جارية في سائر اللّغات الحية وان اختلفت نسبته، ويقع التغير اللّغوي في المستويات اللّغوية كلها، من أصوات وصرف وتراكيب ودلالة، ويدرس كل في بابه ويهتم الباحثون بدراسة دوافع وأسباب هذا التغير ومظاهره ونتائجه...الخ»[1]

---

[1] محمد محمد داود، مرجع سابق سابق، ص 44، 45، 46، 47، 48، 50، 52، بتصرف واختصار.

الفصل الثامن

اللسانيات والعلوم الإنسانية

أولا : تحديد المصطلحات

ثانيا: علم اللّغة وموضوعاته

ثالثا: علم اللّغة والعلوم الإنسانية

تمهيد:

اختلفت وتنوعت المصطلحات التي تختص بدراسة اللّغة، وعلى اختلافها وتعددها يبقى هدفها الأول هو دراسة اللّغة لذاتها ومن أجل ذاتها، وكما كثرت المصطلحات بالمقابل تعددت موضوعات هذا العلم الذي جعل أولى وأسمى اهتماماته وقلب دراسته اللّغة المنطوقة، ونظرا لأنها وجدت في المجتمعات وتوجد بين الأشخاص فهذا يدل على العلاقة الوطيدة مع المجتمع والفكر والنفس الإنسانية إنها محور الدراسات والبحوث اللّغوية هي قلب العلوم والآداب والفنون.

وقبل الغوص في تعريف "علم اللّغة" أو "اللّسانيات" وتحديد موضوعاته، علينا أولا التطرق إلى التسميات المختلفة وبيان مفهومها إلى حد ما.

أولا: تحديد المصطلحات:

«إذا حاولنا إلقاء نظرة على تاريخ "علم اللّغة" فسنجد أن هذا العلم قديم وإن لم يتحدد مصطلحه ولم يتبلور إلا عن وقت قريب، لقد ظهر الاهتمام بهذا العلم على مر الحضارات الإنسانية، فإذا تأملنا تراث الحضارة الهندية في هذا المجال نجد أن الدراسة اللّغوية وصلت إلى مرحلة متقدمة من التطور –خاصة– في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد، ومن أشهر

اللّغويين في الهند بانيني، وإذا ما عدنا إلى تراث الحضارة اليونانية في هذا الشأن فسنجد دراسة لغوية رائدة لا زالت جل مفاهيمها وتصوراتها رافدا مرجعيا يعتمد عليه في الفكر اللّساني المعاصر وأبرز قيمة لتراث اليونان اللّغوي، تلك القيمة التي تبرز فيما قدمه أفلاطون وأرسطو والمدرسة الرواقية وسيأتي تفصيل ذلك، ولابد من الإشارة إلى الحضارة الرومانية وإذا كانت تسير في فلك التراث اليوناني إلا أن بصماتها لا تغفل في مجال الدراسة اللغوية وسيأتي تفصيل ذلك، ولم تكن الحضارة العربية الإسلامية أقل شانا من سواها فجهود العرب الأقدمين لا يمكن إنكارها أو ردها وذلك بكل مستوياتها الصوتية والتركيبية والدلالية، لقد كان للتحول الحضاري العميق الذي أحدث القرآن– الأثر الأكبر في هذا المجال، وقد بدت اللّمسات الأولى بهدف خدمة النّص القرآني.

ويبدو أن عبارة علم اللّغة Linguistique كما يرى دافيد كرستل – تتعرض بصفة خاصة لتفسير خاطئ ويبدو ذلك من اللّحظة التي يسمع فيها النّاس هذا الاسم للمرة الأولى فإنهم لا يسألون ما علم اللّغة؟ وإنما يقولون، ما علوم اللّغة؟ كما لو كانت الكلمة تشير إلى مجموعة من الأشياء اللّغوية، إن للمصطلحات الثلاثة: فقه اللّغة، وعلم اللّغة، وعلم اللّغات وجودا تاريخيا في تراثنا العربي، وإن اختلفت الدلالات في ذلك فيما يخص "علم اللّغة" لم يكن له وجود في ميدان الدراسات اللّغوية، وكانت كلمة (لغة) تدل على جمع الألفاظ وتبويبها وعمل المعاجم أي أن الاهتمام منصب على دراسة المفردات»[(1)]، «وعليه فقد ظهر عند العرب مصطلح "فقه اللّغة" والذي يعتبر اصطلاح سابق عن اصطلاح "علم اللغة" فاصطلاح فقه اللّغة أطلقه

---

[1] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 15، 16، 17، بتصرف واختصار.

علماء العرب على بحوث تتناول نشأة اللّغة وخصائصها وتنوع اللّغات وتفرعها إلى لهجات، وقد حملت كتب اسم فقه اللّغة مثل كتاب "فقه اللّغة" "للثعالبي"، و"الصاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها "لابن فارس"، واصطلاح فقه اللّغة عند علماء العرب يرادف تماما اصطلاح "علم اللّغة" الذي نستعمله الآن ويظهر ذلك فيما يلي:

* تصور علماء اللّغة العرب لوحدة الدراسات اللّغوية، وأنها تخدم هدفا واحدا وهو فهم تركيب اللّغة وتاريخها وأنواعها إذ يقول أبو الحسين أحمد بن فارس في مقدمة كتابه، "الصاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها "اعلم أن لعلم العرب أصلا وفرعا، أما الفرع فمعرفة الاسماء والصفات كقولنا رجل وفرس وطويل وقصير وهذا هو الذي يبدأ به عند التعلم، وأما الأصل فالقول على وضع اللّغة وأوليتها ومنشأها ثم على رسوم العرب في مخاطباتها ومالها من الافتنان تحقيقا ومجازا، والناس رجلان: رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره، وآخر جمع الأمرين معا وهذه الرتبة العليا لأنها بها يعلم خطاب القرآن، والسنة وعليها يعول أهل النظر، "فابن فارس" هنا يفرق بين الدراسات اللّغوية التعليمية وبين الدراسات التي تتعلق بنشأة اللّغة وبنيتها، وقد تناول علماء اللّغة المحدثون هذه الأبحاث تحت اصطلاحات حديثة في علم اللّغة مثل الوصفية والمعيارية.

* والنقطة الثانية هي أنه ورد في معجم القاموس المحيط "الفيروز آبادي" أن لفظ "فقه" هو العلم بالشيء والفهم له وغلب على علم الدين لشرفه وفقه ككرم يعني أنه يمكن أن يبني من لفظ فقه على وزن "فعل" ونعرف من القياس اللّغوي أن هذا الوزن يعني أن صاحبه بلغ النهاية في ذلك الوصف، فعندما يطلق "فقه اللّغة"، فإنما يعني به العلماء دراسة اللّغة في جميع

جوانبها التاريخية والصوتية والصرفية والنحوية والدلالية إذ أن من يوصف بأنه فقيه في اللّغة يجب أن يكون عالما بكل ما يتصل بها.

* النقطة الثالثة إن الكتب التي ألفت تحمل عناوين مثل "فقه اللّغة" "لابن فارس" و"المزهر في علوم اللّغة وأنواعها" "للسيوطي"، قد اشتملت على مباحث لغوية كثيرة تعتبر من صميم علم اللّغة.

* النقطة الرابعة- بالرغم من اختلاف علماء اللّغة المحدثين حول المقصود باصطلاح "فقه اللّغة" إلا أن أغلبهم يرى أنه لا فرق بين هذا المصطلح ومصطلح "علم اللّغة"، وقد عرض "محمد مصطفى رضوان" رأي الفريقين وانتصر للفريق القائل بأنه لا فرق بين الاصطلاحين فقال: "يرى بعضهم أن فقه اللّغة قديما وحديثا ليس إلا قطاعا من قطاعات الحقل اللّغوي، أو حلقة من حلقاته، ومن الممكن الاستغناء عنه والاكتفاء بعلم اللّغة الذي صار يطلق في الحاضر على أي لون من ألوان هذا الحقل، ويرى آخرون وجوب تحديد المصطلحات واختيار أفضلها لهذا الحقل وأن الأنسب في هذا المقام هو المصطلح الواضح المحدود: (علم اللّغة Linguistics)، لأنه يضم كل الأبحاث والدراسات التي توجه الى اللّغة في أية زاوية... وقد سوى بينهما في المدلول كثيرون، واعتبروا الصلة بينهما وثيقة وأنهما في الغالب يتلاقيان بميدان وأن أؤثر هذا الرأي وأفضله على سائر الآراء» [1]، ويذهب "محمود فهمي حجازي" إلى القول «فقه اللّغة بمعنى علم اللّغة المقارن، أو بمعنى: دراسة الألفاظ العربية أو بمعنى: بحث الأصوات في الفصحى أو بمعنى: بحث اللّهجات القديمة والحديثة» [2]،

[1] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 38، 39، 40، 41، بتصرف واختصار.

[2] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 47، باختصار.

وكما سبق وأن ذكرنا أن «ظهور مصطلح "فقه اللّغة" في تراثنا العربي في القرن الرابع الهجري ظهر في كتابين الأول "الصاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها "تأليف أحمد بن فارس (ث 395هـ) والكتاب الثاني هو "فقه اللّغة وأسرار العربية" تأليف أبى منصور الثعالبي (ث 430هـ) فلو حاولنا أن نقف على معنى مصطلح "فقه اللّغة" عند "ابن فارس والثعالبي" فإننا لا نعثر على مفهوم واضح متفق عليه، "فابن فارس" لا يشير إلى هذا المصطلح داخل كتابه والثعالبي يرجع سبب وعلة التسمية إلى اختيار الأمير الذي أهدى إليه الكتاب» [(1)]، «لكن الذي يجدر الإشارة إليه هو اتفاق كتابا ابن فارس والثعالبي في معالجتهما لقضايا الألفاظ العربية، فموضوع "فقه اللّغة" عندهما هو معرفة الألفاظ العربية ودلالاتها وتصنيف هذه الألفاظ في موضوعات وما يتعلق بذلك من دراسات» [(2)] وما يتعلق باللّغة من مميزات وخصائص، ولعل هذا المفهوم هو الذي أملى على ابن جني (392هـ) أن يعنون كتابه بـ "الخصائص"، لمن أراد أن يتفقه في خصائص ومميزات العربية.

وقد ذهب "حلمى خليل" إلى القول بأن كلمة (فقه) قد انتقلت من بيئة الفقهاء إلى بيئة اللغويين مع ما انتقل من مصطلحات فقهية إلى ميدان الدراسات اللّغوية، غير أن دلالة كلمة (فقه) هنا استعملت بالمعنى العام دون المعنى الاصطلاحي عند علماء أصول الفقه أي استعملت بمعنى فهم الشيء فهما دقيقا أو التعمق في دراسة اللّغة العربية، ومعرفة خصائصها

---

[1] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 21، بتصرف واختصار.

[2] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 66، بتصرف واختصار.

وأسرارها بشكل عام لأننا لا نكاد نجد موضوعات محددة أو منهجا واضحا يدرس به القدماء ما أطلقوا عليه (فقه اللّغة).

«أما ماريوباي فيرى أن موضوع فقه اللّغة *Philology* لا يختص بدراسة اللّغات فقط، ولكن يجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والنتاج الأدبي للّغات موضوع الدراسة» [1] «وقد عرفت الدراسات اللّغوية العربية في العصر الحديث مصطلح "فقه اللّغة" ترجمة لمصطلح *Phiology* منذ عام 1926 م عندما استقدمت الجامعة المصرية المستشرق الايطالي "جويدي" للتدريس بها حيث أشار في محاضراته بالجامعة – كما يقول زكى مبارك– إلى أن كلمة *Phiology* من الكلمات التي يصعب ترجمتها إلى اللّغة العربية، وأن لها في اللّغات الأوربية معنى خاصا لا يتفق عليه أصحاب علم الأدب، فمنهم من يرى أن هذا العلم مجرد درس لقواعد النحو والصرف ونقد النصوص والآثار الأدبية ومنهم من يرى أنه ليس درس اللّغة فقط، ولكنه بحث في الحياة العقلية عن جميع وجوهها، وإذا صح ذلك فمن الممكن أن يدخل في دائرة الفيلولوجي علم اللّغة وتاريخ اللّغة ومقابلة اللّغات والنحو والصرف والعروض وعلوم البلاغة وعلم الأدب بمعناه الواسع، فتدخل تاريخ الأدب ، ويتضح مما تقدم أن مصطلح "فقه اللّغة" فهم على أنه ترجمة لكلمة *Phiology* ، وقد تجلى لنا الفرق الشاسع في دلالة العبارتين، وبدأ الاهتمام يتبدى في دراسات بعض الباحثين الذين ركزوا على التمييز بين العبارتين، وبدأت الدراسة في مجال علم اللّغة تكشف عن معالمها فظهرت التسمية الجديدة (Linguistique) اللّسانيات أو علم اللّغة ويرى "صبحي الصالح" أنه "من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين اللّغة وفقه

---

[1] ماريو باي ، مرجع سابق،

اللّغة، لأن كل مباحثها متداخلة لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب قديما وحديثا... وإذا التمسنا التفرقة بين هذين الضربين من ضروب الدراسة اللّغوية من خلال التسميتين المختلفتين اللّتين تطلقان عليها وجدناها تافهة لا وزن لها

فاسم علم اللّغة عند الفرنجة *linguistique* أو *science du language* أي العلم المختص بالكلام أو اللّغة، واسم فقه اللّغة عندهم هو *Philologie* وهي كلمة مركبة من لفظين اغرقيين أحدهما philos بمعنى الصديق، والثاني logos بمعنى الخطبة أو الكلام، فكأن واضع التسمية لاحظ أن فقه اللّغة يقوم على حب الكلام للتعمق في دراسته من حيث قواعده وأصوله وتاريخه "ويواصل" صبحي الصالح "حديثه عن التسمية عند القدماء والمحدثين إلى أن يصل إلى اقتراح يرتضيه وهو: "على الباحثين المعاصرين ألا يستبدلوا بهذه التسمية القديمة شيئا، وأن يعمموها على جميع البحوث اللّغوية، لأن كل علم لشيء فهو فقه، فما أجدر الدراسات جميعا أن تسمى فقها" ويجعل "عبد الواحد وافي" من المصطلحين "فقه اللّغة" و"علم اللّغة" شيئا واحدا مع اختصاص فقه اللّغة العربية وحدها، قال: "...فقد درس المؤلفون من العرب بعضها تحت اسماء مختلفة، أشهرها فقه اللّغة، وهذه التسمية هي خير ما وضع لهذه البحوث، فإن فقه الشيء: هو كل ما يتصل بفلسفته وفهمه والوقوف على يسير عليه من قوانين»[(1)]، «وواضح مما تقدم أن "فقه اللّغة" لم يتضمن أي نظرة محددة المعالم والخطوات في دراسة اللّغة، ولا يشمل أيضا أي طريقة منهجية واضحة، وعليه فقد يكون "فقه اللّغة" كما ذكرنا يعني دراسة المفردة أو الألفاظ ودلالاتها ومعانيها وترتيبها

---

[1] **فقه اللغة**، ص 05، نقلا **مباحث علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**.

وتصنيفها في المعاجم المختلفة، وان كان علم اللّغة الحديث يتناول هذا الجانب ولكن بمناهج مستحدثة في الدراسة والعرض والبحث.

- اللّسانيات، علم اللّغة، علم اللّسان:

- إن جمع اللّغة العربية، اعتمد على مدلولات الألفاظ ومعانيها وعليه فقد شملت عملية الجمع والتمحيص دراسة المفردات كما سبق وأن ذكرنا وتصنيفها في المعاجم، وهذا ما يطلق عليه علم المفردات أو علم المعاجم أو المعجمية في اللّسانيات الحديثة وعليه فمعاني وأهداف كل من اللّسانيات وعلم اللّغة، وعلم اللّسان، لها علاقة وثيقة بعالم المفردة والكلمة إن لم نقل أن المفردة واللّفظة والكلمة هي لب الدراسة العلمية في هذا العلم، وقد نصادف في التراث إشارات إلى "علم اللّغة"، أو "علم اللّغات"، فالسيوطي(911هـ) يشير إلى أن "علم اللّغات" هو العلم الذي يبحث في أصل اللّغات ونشأتها وهل هي توقيف أم اصطلاح.

وانّ معظم من أخذ اللّغة بالدراسة والبحث في بداية الدراسات اللّغوية يكاد يجمع الجميع على أن "علم اللّغة" أو "اللغة" في التراث العربي وكما ذهب إليه "حلمي خليل" كانت تعني دراسة الموضوعات التالية:

1- البحث في نشأة اللّغة وأصلها.
2- جمع الألفاظ وتدوينها وروايتها.
3- البحث في دلالة الألفاظ واشتقاقها.
4- دراسة بعض الجوانب الصوتية والصرفية.
5- عمل المعاجم (صناعة المعاجم)

وكل هذا كان يهدف إلى إتقان اللّغة العربية وحسن نطقها واستعمالها واستخدامها بشكل صحيح بعيد عن اللّحن والخطأ، أما علم اللّسان: فان لهذا

المصطلح تاريخ عريق، إذ استخدمه ووظفه الفارابي (339هـ) إذ يقول "علم اللّسان ضربان: أحدهما حفظ الألفاظ الدّالة عند أمة ما، وعلى ما يدل عليه شيء منها، والثاني قوانين تلك الألفاظ...إن الألفاظ الدّالة في لسان كل أمة ضربان مفردة ومركبة...وعلم اللّسان عند كل أمة ينقسم سبعة أقسام عظمى: علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تركب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين تصحيح الأشعار، فمصطلح "علم اللّسان" قريب في دلالته من مصطلح "علم اللّغة" مع إضافة الضوابط التي تضبط جوانب اللّغة المختلفة، كما وظّف "ابن خلدون" المصطلح في مقدمته، وهو فصل "في علوم اللّسان العربي"، ويشمل على علم النحو، وعلم اللّغة...وعلم البيان، وعلم الأدب، ونجد المصطلح نفسه عند "أبى حيان" النحوي إذ سمى علوم اللّغة بـ"علوم اللّسان"

اللّسان في اللّغة والاصطلاح:

- **اللّسان:** يقول "ابن فارس" (395هـ) في مادة (لسن): "الام والسين والنون أصل صحيح واحد يدل على طول لطيف غير بائن في عضو أو غيره، من ذلك اللّسان وهو معروف، والجمع ألسن فإذا كثر فهي الألسنة... وقد يعبر باللّسان عن الرسالة فيؤنث حينئذ... واللسن جودة اللّسان والفصاحة واللّسن اللّغة يقال لكل قوم لسن أي لغة"، ويقول "الراغب الأصبهاني" (565هـ) في مادة (لسن): "اللّسان الجارحة وقوتها... واختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللّغات، والى اختلاف النغمات، فإن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع، كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر"

اللّسان في القرآن الكريم:

– وردت كلمة "لسان" في القرآن الكريم في عدة مواضع للدلالة على جملة من المعاني منها:

– **آلة الكلام** في قوله تعالى (ألم نجعل له عينين (8) ولسانا وشفتين(9))[1]

– **اللّغة** : أي رصيد الكلمات والقواعد الذي تملكه الجماعات اللّغوية في قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه)[2]

– **الكلام:** أي الاستعمال الفردي للّغة في قوله تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم)[3]

–**الأسلوب:** أي الخاصة الفردية للمتكلم في قوله: (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا، فأرسله معي ردا)[4]

بالإضافة إلى وروده في مواضع أخرى للدلالة على "النظام التواصلي المتداول بين أفراد المجتمع، في قوله تعالى: (واختلاف ألسنتهم وألوانهم)، وقوله تعالى: (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)»[5]

اللّسان واللّغة والكلام:

«يعرف "دي سوسير" اللّسان تعريفا يعتمد على مجموعة من الثنائية "فاللّسان خاصة من خواص الجنس البشري أو هو قدرة الإنسان على التواصل بواسطة جهاز من العلامات التي تعتمد على النظام التواصلي الذي يمتلكه كل فرد متكلم– مستمع مثالي– ينتمي إلى مجتمع لغوي له

---

1 سورة البلد90/8-9.

2 سورة ابراهيم 4/14.

3 سورة المائدة5/78.

4 سورة القصص 34/28.

5 عن محاضرة، قسم الأدب العربي ، السنة الثالثة جامعي، بتصرف.

خصوصيات ثقافية وحضارية معينة، وهو نتاج اجتماعي لملكة اللّغة المتجسّدة في الأعراف الضرورية التي يستخدمها المجتمع لتوظيف هذه الملكة عند أفراد المجتمع"، واللّسان خارج عن إرادة الفرد، وليس بوسعه أن يغيره أو يعدل في أي مستوى من مستوياته، واللّسان له مظهر اجتماعي هو اللّغة ومظهر فردي هو الكلام، وهو حاضر في شكله الآتي وهو ماض في شكله الزماني، وهو جهاز قار وفي الوقت نفسه يتطور:

بين اللّغة والكلام:

-**اللّغة**(language)، هي الملكة اللّسانية المتمثلة في تلك القدرات التي يمتلكها الانسان، وهي التي تميزه عن الكائنات الأخرى.

-**الكلام** (parole) هو الانجاز أو الأداء الفعلي للّغة في الواقع وفق أنماط اللّسان وحقيقتها في الواقع.

- فاللّغة والكلام هما أساس اللّسان ودعامته.
- اللّغة مؤسسة اجتماعية.
- الكلام عمل فردي.
- اللّغة من خلق مجتمع.
- اللّغة نتاج يتقبله المتكلم وينطبع به ويسجله بشكل سلبي لا حرية فيه.
- الكلام نشاط يقوم به المتكلم، فهو إرادة وذكاء وإبداع وحرية.
- اللّغة نظام.
- الكلام تطبيق النظام.
- اللّغة سنة مشتركة بين أفراد مجتمع واحد.
- الكلام هو الطريقة الشخصية التي يستعمل بها المتكلم هذه السنة.

- الكلام ما نقوله أو نكتبه.
- اللّغة ما يحكم القول الذي نقوله، والكتابة التي نكتبها.
- اللّغة إمكان التحقيق.
- الكلام تحقيق الإمكان، أي أن اللّغة عبارة عما يوجد بالقوة، والكلام عبارة عما يوجد بالفعل.
- اللّغة ثابتة نسبيا.
- الكلام متغير.
- اللّغة شيء متميز في حد ذاته فالذي يفقد الكلام يبقى ذلك محتفظا باللّغة، يفهمها إذا سمعها أو قرأها.
- اللّغة- من حيث الأهمية- جوهرية.
- الكلام ثانوي.
- الكلام سابق- ماديا- وجود اللّغة»(1)
- ما يمكن فهمه واستخلاصه من تعريف "دي سوسير" للّسان واللّغة والكلام، أن اللّسان خاصية بشرية تجعل الإنسان يحتك بالآخرين ويتواصل معهم عن طريق مجموعة من العلامات، هذه العلامات تختلف من فرد لآخر وتعتمد على الثقافة والرصيد المعلوماتي للأفراد، ونجد أن اللّسان عند "دي سوسير" أشمل واعّم من اللّغة والكلام إذ أن اللّغة تمثل الجانب الاجتماعي والنظام والقانون الاجتماعي فيه، أما الكلام فيمثل الفرد وما يتوفر عليه من رصيد حتى يكون ما يصدر عنه من كلام ينطبق أو يخالف النظام والقانون الاجتماعي المتمثل في اللّغة، أما اللّسان جهاز قار إلا أنه يتطور وتطرأ عليه تبدلات وتغيرات تخص الجانب المعلوماتي فيه،

---

[1] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 328، 329، 330، 331، باختصار.

نستخلص من كلام "دي سوسير" أن اللّغة هي خاصية وميزة وصفة تخص البشر وتميزهم عن باقي الكائنات الأخرى، وإذا كانت اللّغة نظام فالكلام هو آداء وتطبيق ذلك النظام على الواقع، أو في الواقع الحياتي، وعليه فاللّغة والكلام هما عماد اللّسان البشري وأساسه، وعلى الرغم من أن اللّغة نتاج المجتمع وثمرته إلا أن الكلام يعتبر عمل فردي، واللّغة نظام ينتقل إذا استطعنا القول بالوراثة لا يد للفرد فيه، فكما الفرد والإنسان ليس مسؤولا عن لونه وشكل جسده ولون عينيه وغيرها فكذلك نستطيع القول على اللّغة، فالمتكلم ينطبع بنظامها وبها دون أي انفعال أو إبداء ردة فعل، وان كان يستعمل الكلام فلا يستطيع توظيفه إلا فيما تمليه عليه أنظمة اللّغة، وعلى الرغم من أننا نفكر قبل أن نتكلم ونستعمل الحيلة والذكاء والتحايل في عملية التواصل مع الآخرين، إلا أنه لا نستطيع بكل تلك الأساليب والإبداعات إلا أن نلعب ونفكر ونخاطر في دائرة اسمها اللّغة، فليس من السهل اختراق قانونها ونظامها فالكلام ما هو إلا طريقة شخصية ذاتية فردية نتفوه به ونكتبه في ظل حكم اللّغة وقانونها وسلطانها، وعليه فاللّغة ثابتة نسبيا لأنها تخضع لعوامل عديدة تؤثر فيها وفي نظمها وقوانينها كنا قد ذكرناها فيما سبق.

ثانيا:علم اللّغة وموضوعاتها:

قبل التطرق لموضوعات علم اللّغة علينا أولا بمزيد من التفصيل والتعريف لعلم اللّغة على الرغم من أننا كنا قد تعرضنا لهذا المصطلح بالإشارة لكن هذه المرة سنغوص في مفهومه بعض الشيء.

أ **تعريف"علم اللّغة:** «"علم اللّغة" هو العلم الذي يبحث في اللّغة ويتخذها موضوعا له فيدرسها من النواحي الوصفية، والتاريخية والمقارنة،

كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللّغات المختلفة، ويدرس وظائف اللّغة وأساليبها المتعددة وعلاقاتها بالنظم الاجتماعية المختلفة وهو موضوع علم اللّغة، هو كل النشاط اللّغوي للإنسان في الماضي والحاضر واللّغة التي يبحث فيها هذا العلم ليست هي اللّغة العربية أو الانجليزية أو الألمانية، وإنما هي اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها" هي "اللّغة" التي تظهر وتتحقق في أشكال لغات أخرى كثيرة، ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور "الكلام" الإنساني»[(1)]

«وأن علم اللّغة "*linguistique-linguistics* في أبسط تعريفاته هو دراسته اللّغة على نحو علمي قال "مارتيني *Martinic*" "إن علم اللّغة هو الدراسة العلمية للّغة الإنسانية " وهذا يعني أن الدراسة اللّغوية موضوعية ولاعتمادها على الموضوعية استقرت كثير من الحقائق، مما ولّد العديد من المناهج العلمية، فاللسانيات علم وصفي لا شأن له بإطلاق الأحكام الجمالية والميل الذاتي ولذلك فاللسانيات لا تعترف بمبدأ الصواب المطلق أو الخطأ المطلق، وإنما ترى أن مقاييس الصواب والخطأ يحددها المجتمع والمستعملون للغة يقول "مارتيني" "إن معظم الأحكام الجمالية التي تتناول اللّغة مرهون بشيء آخر غير الميزان الذاتية لأدوات الإبداع والتعبير هذه، فهذه الأحكام تقوم في الواقع على العواطف التي يحس بها المرء نحو الأمة التي تستخدم هذا اللّسان، وعلى طبيعة الصلات التي أقامها مع أهله، وعلى الحب الذي يكنه للبلد الذي سمعه فيه، وعلى جاذبية الأدب الذي هو دعامته"، وبذلك فاللّغة تتطور واللّسانيات لا تقتصر اهتماماتها على لغة دون لغة، أو على مستوى دون مستوى ولكنها تهتم بكل اللّغات قديمها

---

[1] رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 07، باختصار.

وحديثها، وبكل المستويات داخل اللّغة الواحدة يقول "دي سوسير" "إن مادة الألسنية تتكون من جميع مظاهر الكلام سواء تعلق الأمر بكلام الشعوب المتوحشة أو الأمم المتحضرة، في العصور العتيقة أو الكلاسيكية أو في عصور الانحطاط والمعتبر في كل عصر في هذه العصور ليس الكلام الصحيح والكلام الأدبي فقط ولكن جميع أشكال التعبير"» [1]، «ومرة أخرى فإنّ علم اللّغة هو الذي يتخذ من اللّغة منطلقا ومرجعا له، وفي هذا يصرح "دي سوسير" قائلا: "موضوع علم اللّغة الوحيد والصحيح هو اللّغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها» [2]، «وعلم اللّغة كما سبق وأن أشرنا هو الدراسة العلمية للغة التي تعتمد على الدّقة والوضوح والشمول والمنهجية، ويدرس اللّغة لذاتها وله مسميات أخرى عديدة أشهرها وأهمها: علم اللّسان، واللّسانيات والألسنية، والألسنيات، واللّغويات، محاكاة للفظ الانجليزي *Linguistics*» [3]

«واللّغويات تتناول في أكثر الأحوال ما يدرس في أقسام اللّغة الإنجليزية من تدريبات نحوية، مع مدخل عن نظرية اللّغة والبحث الصوتي، وتاريخ اللّغة وتستخدم الكلمة أيضا في الأزهر بعد محاولة تطويره» [4]،

«إن اللّغة هي أساس الدراسة في علم اللّغة، واللّغة المنطوقة هي أساس اهتمامه، وإن كان يهتم باللّغة المكتوبة، وهكذا نعود لنقول أن علم اللّغة هو دراسة اللّغة» [5]

---

[1] نور الهدى لوشن، ص 37، 38، 39، بتصرف واختصار.

[2] علم اللغة ، ص 49، نقلا **عن علم اللسانيات الحديثة**.

[3] كمال بشر، **دراسات في علم المعنى**(السيماتيك) ص 83، نقلا **عن العربية وعلم اللغة الحديث**، بتصرف واختصار.

[4] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 47، 48، بتصرف واختصار.

[5] ماريو باي، مرجع سابق، ص 35، بتصرف واختصار.

ويعني دراسة اللّغة من جميع جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ويدخل في جانب اللّغة الدلالي النواحي البلاغية، وقد اختصر بعضهم هذا التعريف بقوله "علم اللّغة هو الدراسة العلمية للغة" [1] والدراسة العلمية يعني تحليلها بواسطة الملاحظة والتجربة المحددة التي يمكن تحققها والتثبت منها في إطار نظرية عامة لبنية اللّغة، وقد عرفه 'فليسن' بقوله "هو العلم الذي يحاول فهم اللّغة من خلال تركيبها وفهمها الداخلي"[2]

«أما المعاني التي حددت لمصطلح *Linguistique* اللّسانيات فهي على الترتيب التاريخي:

- الدراسة المقارنة والتاريخية للغات، كالنحو المقارن والفيولوجيا المقارنة.

- العلم الحديث الذي موضوعه اللّغة في ذاتها، ولذاتها- وهو مفهوم "فردينان دي سوسير" ويندرج تحت هذا العلم كل المصطلحات الدارجة وهي: علم اللّهجات *Dialectologie* وعلم الاشتقاق التاريخي *Etymologie* والنحو *Grammaire* والمعاجم *Lexicologie* وقد نظمت أول ندوة عربية في مجال اللّسانيات في تونس في شهر ديسمبر 1978م، وذلك تحت رعاية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية، وقد حضر إلى هذه الندوة علماء اللّسانيات من مختلف الأقطار العربية، وتم الاتفاق على تخصيص لفظ "اللّسانيات" اسما لهذا العلم، وقد احتضنت دمشق الندوة الموالية، وأصبحت تعرف بالندوة العلمية للّسانيات وهكذا توحد المصطلح بين أبناء اللّغة العربية بعد أن تجاذبته تسميات عدة وصيغت به

---

1 introduction to theoritical linguistics,Jhon lyons cambridge university press,1969.p11..

2 introduction to dexriptive linguistics,H.A.G leason, JR newyork,p.2 نقلا عن التمهيد في علم اللغة

عبارات كثيرة وفيما يلي نورد كشفا بالتسميات التي أطلقت على هذا العلم كما أوردها "عبد السلام المسدي":

1- اللانغويستيك	2- فقه اللّغة	3- علم اللّغة
4- علما لغة الحديث	5- علم اللّغة العام	6- علم اللّغة العام الحديث
7- علم فقه اللّغة	8- علم اللّغات	9- علم اللّغات العام 10.
10- علوم اللّغة	11- علم اللّسان	12- علم اللّسان البشري
13- علم اللّسانة	14- الدراسات اللّغوية الحديثة	15- النظر اللّغوي الحديث
16- علم اللّغويات الحديث	17- الدراسات اللّغوية المعاصرة	18- اللّغويات الجديدة
19- اللّغويات	20- الألسنية	21- الألسنيات
22- اللّسانيات	23- اللّسنيات"»(1)	

«وفي البحث العلمي اللّساني غلبت ثلاثة مصطلحات لدلالة على ماهية اللّسانيات، هي المصطلحات التالية "علم اللّغة"، و"اللّسانيات" و"الألسنية"، وقد أجرى" أحمد مختار عمر "تحليلا لمجموعة من عناوين الكتب والأبحاث اللّسانية خلص فيها إلى النتيجة التالية: ورد مصطلح "علم اللّغة" 25 عنوانا، و"ألسنية" 10 عناوين و"لسانيات" 5 عناوين، لتأتي عناوين أقل من ذلك في مقدمتها علم اللّسان، والباحث يفضل مصطلح "الألسنية"، رغم شيوع "علم اللّغة" في المشرق و"اللّسانيات" في المغرب- لجملة من الأسباب منها:

- عدم صلاحية مصطلح "علم اللّغة" لجملة دلالات قديمة، ولحاجته للوصف لتوضيح مجاله ومنهجه.
- التباس "علم اللّغة" بمعنى تعليم اللّغات وإتقان مجموعة من اللّغات.

---

[1] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 24، 25، 26، 27، 32، 33، 34، بتصرف واختصار.

– عدم استخدام كلمة"لغة" في التراث بالمعنى الطارئ حديثا، وإنما كانت تدل على معنى اللّهجة، ولم ترد في القرآن الكريم، إنما جاءت كلمة"لسان" وجمعها "ألسنة"، لأنها أكثر شمولا واستيعابا من "لغة".

– كلمة "لسان" تعد من المعجم الأساسي المشترك بين اللّغات السامية في حين أن كلمة "لغة" يونانية الأصل.

– إطلاق مصطلح مشتمل على كلمة "لسان" أسبق في الوجود، فمصطلح "علم اللّسان" و"الألسنية" أسبق من "علم اللّغة".

وانطلاقا من هذه الأسباب حسم "أحمد مختار عمر" أمر اختياره بين مصطلحي"لغة" و"لسان"، وبقي حسمه الأمر بين "اللّسانيات" و"الألسنية"، فبعد الإشارة إلى سيادة مصطلح في منطقة والآخر في منطقة أخرى: وتوصية ندوة (اللّسانيات واللّغة العربية)، التي سبق وأن أشرنا إلى قراراتها إلى استعمال واستخدام مصطلح "اللّسانيات"»[1]، يفضل مختار عمر "الألسنية" للاعتبارات التالية:

«– كون علم اللّغة الحديث لا يختص بلغة معينة، وإنما يتناول كافة اللّغات، ولا يقتصر على مستوى واحد في إطار اللّغة الواحدة، ولذا يناسبه لفظ الجمع (ألسن) لا المفرد (لسان).

– جواز النسبة إلى جمع التكسير بعد إقرار مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، ذلك خاصة عندما يكون الجمع اسما لعلم من العلوم (ألسنية).

– التصرف في لفظ "ألسنية" أسهل من "لسانيات" (ألسنية، ألسني/ لسانياتية، لسانياتي) فيرد الجمع إلى المفرد (لسانية، لساني).

---

[1] عن محاضرة، قسم الأدب العربي، السنة الثالثة جامعي، بتصرف واختصار.

– اللّبس الذي يحصل عند استخدام "لغوي" (إلى اللّغة أم إلى علم اللّغة) و"لساني" (إلى اللّسان أم اللّسانيات) وهذا يزول باستخدام "ألسنية"، وحل مشكلة المصطلحات الألسنية يمكن في اعتماد مقياس مدى شيوع المصطلح وتقبله بين المتخصصين والتزام قرارات المجامع اللّغوية والهيئات العلمية.»[1]

ٱ موضوعات علم اللّغة:

– أما فيما يخص موضوعات علم اللّغة ومجالاته فيقول «"دي سوسير" في ذلك أن موضوع علم اللّغة الوحيد والحقيقي هو اللّغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته ويبحث فيها لذاتها"، وقال جورج مونان: "من المعلوم أن الألسنية العامة موضوعها الكلام البشري كما يبدو ومن خلال اللّغات دون تمييز"، وكما اتضح موضوع علم اللّغة واتضحت معالمه، أصبح جليا أنّ موضوع اللّسانيات هو اللّسان البشري الذي يبتدئ في مستويات لغوية، وقد وقف "محمود سليمان ياقوت" على ألفاظ مستويات التحليل اللّغوي ويمكننا تلخيص نظرته فيما يلي:

أ– **مستويات** ومفردها مستوى (level) وهذا المصطلح الانجليزي من مدلولاته.

– مستوى العنصر اللّغوي من حيث أنه صوتي، أو صرفي أو نحوي أو دلالي.

– مستوى استعمال اللّغة من حيث إنه رسمي أو غير رسمي، أو أدبي إلى آخره.

والمستوى الأول، أي العنصر اللّغوي هو أساس التحليل.

---

[1] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 34، 35، بتصرف.

ب-**التحليل:** وهو ترجمة للمصطلح (*Analyse*) والتحليل إرجاع الشيء إلى أصله.

ج- **اللّغوي:** والصيغة هنا تدل على النسب إلى "اللّغة" لغة.

وهذه الصيغة (لغوي) تنسب إلى الصلة أو العلاقة، كما تنسب إلى الصلة أو العلاقة بعلم اللّغة.

ونخلص إلى أن مستويات التحليل اللّغوي "عبارة عن تحليل اللّغة إلى عناصرها الأساسية المباشرة، وتلك العناصر تندرج خلال أربعة مستويات صوتية، وصرفية ونحوية، ودلالية، أو ثلاثة على أساس جعل المستويين الصرفي والنحوي مستوى واحدا هو التركيبي، أو خمسة على أساس إضافة المستوى المعجمي"، وقد اتضح أن وصف اللّغة وتحليلها يقتضيان دراسة المستويات اللّغوية، فاللّغة نظام، وهذه المستويات أركانه وهي كل والمستويات عناصره»[(1)]، وعليه نستطيع أن نعطي ونبين مجالات بحث علم اللّغة وموضوعاته فيما يلي:

«- دراسة الأصوات التي تتألف منها اللّغة ويتناول ذلك تشريح الجهاز الصوتي لدى الإنسان، ومعرفة إمكانات النطق المختلفة الكامنة فيه، ووصف أماكن النطق ومخارج الأصوات في هذا الجهاز، وتقسيم الأصوات الإنسانية إلى مجموعات، تظهر في كل مجموعة منها خصائص معينة ودراسة المقاطع الصوتية، والنبر والتنغيم في الكلام، والبحث عن القوانين الصوتية التي تكمن وراء إبدال الأصوات وتغيرها، كل ذلك يتناوله فرع خاص من فروع علم اللّغة، وهو"علم الأصوات".

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 39، 40، 41.

– دراسة البنية، أو البحث في القواعد المتصلة بالصيغ، واشتقاق الكلمات وتصريفها، وتغيير أبنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة، وهو ما يدرس عند العرب باسم "علم الصرف"»[(1)]

«– دراسة نظام بناء الجملة، ودور كل جزء في هذا البناء، وعلاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض، وأثر كل جزء في الآخر مع العناية بالعلامة الإعرابية، وهو ما يعرف بـ "علم النحو"»[(2)]

«– دراسة الألفاظ، أو معاني المفردات، والعلاقة بين هذه الدلالات والمعاني المختلفة، والحقيقي منها والمجازي، والتطور الدلالي وعوامله ونتائجه، ونشوء الترادف والاشتراك اللفظي والأضداد، وغير ذلك وكذلك دراسة حياة الكلمة عبر العصور اللّغوية المختلفة، وما ينتابها من تغير في الصوت والدلالة، وما يطرأ عليها من أسباب الرقي والانحطاط، وعوامل البلى.

– البحث في نشأة اللّغة الإنسانية، وقد ظهرت في ذلك عدة نظريات مختلفة.

– علاقة اللّغة بالمجتمع الإنساني، والنفس البشرية، وهنا يتنازع علم اللّغة علمان آخران هما: علم الإجتماع، وعلم النفس، فهناك بحوث ودراسات تهدف إلى بيان العلاقة بين اللّغة والإنسان في حياته الاجتماعية، وتبين أثر المجتمع وحضاراته ونظمه، وقوانينه، ودساتره وتركيبه وبنيته الجغرافية في مختلف الظواهر اللّغوية، كما أن هناك بحوثا أخرى نفسية

---

[1] رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 10.

[2] محمد محمد داود، مرجع سابق، ص 106، بتصرف.

تدرس وتبحث العلاقة بين الظواهر اللّغوية، والظواهر النفسية بمختلف أنواعها، من تفكير وخيال، وتذكر واسترجاع وعاطفة وانفعال وغير ذلك.

- وآخر موضوعات هذا العلم، هو البحث في حياة اللّغة، وتطورها في نواحي الأصوات، والبنية والدلالة والتركيب وغير ذلك، وكذلك البحث في صراع اللّغات، وانقسامها إلى لهجات، وصراع اللّهجات بعضها مع بعض وتكّون اللّغة المشتركة وغير ذلك من الأمور»[1]

- وانّ التطرق لموضوعات ومجالات علم اللّغة يدفع بنا إلى تحديد الوظيفة أو البعض من وظائف اللّغة على أساس أنها هي محور البحث والدراسة والتنقيب والتساؤل، «وبما أن اللّغة وسيلة وأداة وجوهر تستعين بها العلوم الأخرى كالفلسفة والمنطق وعلم النفس وعلم الإجتماع، بل تقف على ركائزها، فقد استلزم من هنا اهتمام أصحاب تلك العلوم باللّغة، لأنها الطريق الذي يتخذونه في سفرهم عبر تلك العلوم والفنون، لذلك ظلت اللّغة فترة من الزمن في رحاب ميادين الفلسفة والمنطق وعلم النفس، وكانت مبادئ اللّغة وخطوطها العريضة تسير وفق معايير هذه العلوم، ويرى أصحاب المدرسة العقلية- من أهل الفلسفة والمنطق- أن الوظيفة الأساسية والمهمة الأساسية للغة هي التعبير عن الأفكار ونقل الخبرات الإنسانية وأن الإنسان لا يستطيع التفكير بدون لغة.

ويحلل "جيفونز *Jevones*" وظيفة اللّغة إلى ثلاثة أغراض هي:

- كونها وسيلة للتفاهم والتواصل.
- كونها أداة مساعدة للتفكير.
- كونها أداة لتسجيل الأفكار والرجوع إليها"

---

[1] رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 10، 11، بتصرف.

وبتأمل هذه الأغراض التي ذكرها "جيفونز" للّغة نراها تخص المفكرين فحسب ولا تشمل الجماعة اللّغوية كلها، والواقع اللّغوي ينفي أن النّاس تتكلم للتعبير عن فكر فقط، ولا يختلف السلوكيون- من علماء النفس- عن الفلاسفة في قصر وظيفة اللّغة على مجالهم، حيث رأوا أن الوظيفة الأساسية للغة هي التأثير والاقناع والتعبير عن العواطف والأحاسيس والشعور، ومن أبرز اللّغويين تأثرا بهذه المدرسة السلوكية بلومفيلد"الذي تأثر بآراء "فايس *Weiss* "، وفي المقابل هناك مدرسة أخرى، هي المدرسة الإجتماعية التي ركّزت على الطبيعة الإجتماعية للغة، فاللّغة مرآة المجتمع ترتبط بالجماعة في تقدمها وتخلفها، أي أنّ اللّغة تتأثر بأهلها وبأصحابها وبالوسط الذي تترعرع فيه، ففي ضعفهم ضعف لها!! وهذا ما حاولنا شرحه في نقطة العوامل التي تؤثر في اللّغة ومن أبرز أنصار المدرسة الإجتماعية اللّغوي الفذ "يسبرسن*Yespersen* " الذي يقّرر أنّ اللّغة لا تستخدم للتعبير عن الأفكار، بقدر ما تستخدم للتواصل الإجتماعي والاحتكاك والتعاون بين أفراد الجماعة، فعبارات التحية والاعتذار والتهنئة في المناسبات الإجتماعية، تؤدي احتراما للتقاليد الإجتماعية، بل ويختار الإنسان منها ما يناسب كل بيئة رعاية للجماعة وأيضا العبارات الخاصة بتوزيع الأعمال، وطلب المساعدة وطلب العمل ...الخ، كل هذه العبارات لا تحمل فكرا جديدا كان يحمله السامع، بل هي للترابط والتواصل الاجتماعي والتعاون الجماعي وتؤمن هذه المدرسة باستقلال علم اللّغة وأنه ينبغي أن يقوم علم اللّغة على حقائق اللّغة ذاتها، كي نصل إلى نتائج صحيحة»(1)

---

[1] محمد محمد داود، مرجع سابق، ص 48، 50، بتصرف واختصار.

ثالثا: علم اللّغة والعلوم الإنسانية:

«إن علم اللّغويات، وهو أحد العلوم الإنسانية الأساسية الذي يتخذ من لغة الإنسان موضوعا له كما سبق وأن ذكرنا، حيث يصفها ويحلل بنيتها، ونظرا لعلاقة اللّغة بمختلف جوانب السلوك الإنساني، فإن علم اللّغويات وثيق الصلة بالعلوم الإنسانية والإجتماعية، وعلم النفس وعلم الإجتماع والتربية والأنتروبولوجيا والفلسفة وغيرها...» (1)، «ويذهب وينحو الأستاذان "لاسنون ومابيه" في تعريفهما للغة وما يتصل بها نحوا وظائفيا مع بقية العلوم والمعارف الإنسانية بقولهما: "اللّغة شيء مركب تتصل دراسته بعدة علوم: بعلم الطبيعة لأن اللّغة تتكون من أصوات وبعلم وظائف الأعضاء لأن تلك الأصوات تولدها حركات عضلية، وتدركها الأذن، وبعلم النفس، لأن الجمع بين تلك الحركات يرجع إلى حقائق نفسية» (2)، ولكي تحقق اللّغة وجودها ووظيفتها وفاعليتها في عملية التواصل، على اعتبار أنها ظاهرة اجتماعية، وموضوع علم اللّسان الأصلي والأول، لابدّ على رأي "لاسنون ومابيه" من «دراسة اللّغة كظاهرة صوتية، أو ظاهرة عضلية، أو حسية تخضع للحركات، أو للإدراك الحسي، أو لفهم الأصوات الصادرة، ولكن كوسيلة للاتصال بين كائنات تجتمع في جماعات» (3)، «ولما كانت اللّغة نقطة التقاء بين علم اللّغة وشتى فروع المعرفة، فقد أدى هذا التعاون المتبادل بينهما، وصارت البحوث اللّغوية الحديثة تستعين بالعلوم الأخرى، رغبة في الكشف عن أسرار النظام اللّغوي بكل مستوياته، على نحو ما

---

[1] شحدة فارع ((وآخرون)) مرجع سابق، ص 09، بتصرف واختصار.

[2] **منهج البحث في الأدب و اللغة**، ص93، بتصرف واختصار نقلا عن **علم اللسانيات الحديثة**.

[3] **علم اللغة العام**، ص 32، باختصار ، نقلا عن **علم اللسانيات الحديثة**.

يظهر في استعانة اللّغويين بعلم التشريح وعلم الفيزياء في دراسة نطق الصوت اللّغوي، وصفات الصوت اللّغوي الفيزيائية، وأثرها في عملية السمع، ومن جانب آخر فإنّ فروع المعرفة الأخرى، تستعين باللّغة كوسيلة، فنشأت فروع معرفية حديثة عند نقطة الالتقاء بين هذه العلوم واللّغة ولتعدد وتنوع فروع المعرفة إلى درجة جعلت أحد مؤتمرات علم اللّغة التطبيقي يتفق على أهم فروع هذا العلم نحو ما ذكره الأستاذ "أحمد مختار عمر"، وفيما يلي بيان بأهم الفروع كما وردت في كتابه

1- تعليم اللّغة الأم واللّغات الأجنبية	2- الاختيارات اللّغوية
3-التخطيط اللّغوي	4- علم اللّغة التقابلي
5- صناعة المعجم	6- محاولة وضع لغة عالمية
7-التحليل الأسلوبي	8- الإلقاء وعيوب النطق
9- أنظمة الكتابة	10- علم اللّغة الإحصائي
11- علم اللّغة الإجتماعي	12- علم اللّغة النفسي

ومهما يكن من أمر، فإنّ من المفيد أن يكون لدينا رؤية شاملة لرؤوس المعارف والعلوم التي تهتم بعلم اللّغة ويهتم بها وقد جرت عادة اللّغويين على تصنيف علم اللّغة إلى قسمين كبيرين هما علم اللغة النظري وعلم اللّغة التطبيقي، ولكل قسم فروع متعددة»[1]

«وعلم اللّغة النظري *General Linguistics*، موضوعه نظرية اللّغة ومناهج البحث فيها، والأساس النظري لهذا العلم أنّ اللّغة ظاهرة إنسانية عامة تؤدي نفس الوظائف في المجتمعات الإنسانية على اختلافها، وتتألف بنيتها دائما من أصوات تنتظم في كلمات تكون الجمل لتؤدي الدلالات

---

[1] محمد محمد داود، مرجع سابق، ص 88، 90، بتصرف

المختلفة ومن هذا المنطلق يهدف علم اللّغة العام إلى وضع نظرية شاملة في بنية اللّغة، وكيفية تحليل هذه البنية إلى عناصرها التي تجعل منها وسيلة للتعامل في الجماعة اللّغوية، وهذه النظرية ليست مجرد فكر فلسفي ميتافيزيقي نظري ولكنها نتاج الدراسات المنهجية التطبيقية في اللّغات المختلفة، فهي حصيلة التحليل العلمي لأبنية لغوية مختلفة ونتاج معرفة السّمات الأساسية التي توجد في كل لغة من اللّغات الإنسانية والتي لابد من وجودها لكي تؤدي اللّغة وظيفتها، ويقوم علم اللّغة العام أيضا برسم الأسس المنهجية للتحليل اللّغوي من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، فإذا كانت أصوات اللّغات تبدو لأول وهلة مختلفة متنافرة فإن كل أصوات اللّغات تصدر من الجهاز الصوتي الإنساني، وهو مشترك عند كل البشر ولذا فهناك أصوات كثيرة تتكرر في أكثر اللّغات وهناك وسائل محددة تتوسل بها اللّغات المختلفة للتمييز بين أصواتها، فالتعرف على هذه الجوانب والاستفادة من خبرات الباحثين في اللّغات المختلفة لوضع نظرية شاملة في بنية اللّغة مما يدخل في علم اللغة العام وهناك وسائل محددة تتبعها اللغات المختلفة للتمييز بين الكلمات وتصنيفها في مجموعات والتعرف على هذه الوسائل وعلى منهج تحليل اللّغة من هذه الجوانب جزء من علم اللّغة العام، وفضلا عن هذا يهتم علم اللّغة النظري ببيان طبيعة العلاقات المؤثرة في حياة اللّغة في المجتمعات الإنسانية فاللّغة لا تعيش في فراغ، بل لابد لها من جماعة تستخدمها حتى تصبح لغة، وهنا يهدف علم اللّغة النظري أو العام إلى إيضاح الجوانب الحضارية المختلفة التي تؤثر في حياة اللّغة، ويحاول إيضاح عوامل انتشار اللّغات وموتها وعوامل التجديد اللّغوي، ومشاكل الازدواج اللّغوي وغير ذلك من المشكلات التي

تتكرر في مجموعات إنسانية مختلفة، إن كل بحث دقيق يعد حول بنية أية لغة أو وظائفها في المجتمع هو بحث يفيد علم اللّغة العام، ولذا تتطور النظرية العامة للغة ولمناهج بحثها بتطور الأبحاث الجزئية في اللّغات واللّهجات المختلفة»[1]، هذا عن علم اللّغة النظري أو العام، أما علم اللّغة التطبيقي «أو اللّسانيات التطبيقية، حيث عرف هذا المصطلح في تسميات أخرى مختلفة نذكر من بينها: اللّسانيات التربوية، واللّسانيات التطبيقية في تعليمية اللّغات، وصناعة تعليمية اللّغات، والدراسة العلمية لتعليم اللّغة الأجنبية، وظهر هذا المصطلح حوالي سنة 1946، وذلك حين صارت اللّسانيات التطبيقية موضوعا مستقلا في معهد تعليم اللّغة الانجليزية- بجامعة ميتشقان، وقد كان هذا المعهد متخصصا في تعليم اللّغة الانجليزية كلغة أجنبية تحت إشراف العالمين "تشارلزفراي" و"روبارت لادو" وقد شرع هذا المعهد يصدر مجلته المشهورة" تعلم اللّغة مجلة اللّسانيات التطبيقية "ثم أسست مدرسة اللّسانيات التطبيقية في جامعة ادنبرة سنة 1959 وهي من أشهر الجامعات تخصصا في هذا المجال، وأنتشر هذا العلم انتشارا واسعا في كثير من جامعات العالم لحاجة النّاس إليه، ولقد كان هذا التخصص يهتم بكثير من الأمور والمجالات منها: تعلم اللّغة الأولى وتعليمها، وتعليم اللّغة الأجنبية والتعدد اللّغوي، والتخطيط اللّغوي، علم الإجتماع اللّغوي، علم النفس اللّغوي، وعلاج أمراض الكلام والمعجم، وعلم اللّغة التقابلي وأنظمة الكتابة، ولكن فيما بعد معظم هذه الفروع استقلت، والمحور الذي يدور عليه علم اللّغة التطبيقي هو في معظمه حول وجود المشكلة وتتطلب حلا معينا، وهكذا فهذا العلم يهدف إلى البحث عن حلول للمشاكل المطروحة، وانّ الفرع

[1] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص43، 45، بتصرف واختصار.

الذي يكاد يغلب على هذا العلم هو تعليم اللّغة سواء لأبنائها أو لغير الناطقين بها»[1]، «وكل من علم اللّغة النظري وعلم اللّغة التطبيقي لكل قسم منهما فروع متعددة وتحت كل فرع تفريعات جزئية، وهكذا فيما يلي رسم توضيحي لهذا التصنيف.

[1] عن محاضرة، قسم الأدب العربي، السنة الثالثة جامعي، بتصرف واختصار.

- علم اللّغة الحديث
  - النظري
    - باعتبار المادة
      - أصوات
      - صرف
      - تراكيب
      - دلالة
      - بلاغة
      - معجمي
    - باعتبار المنهج
      وصفي- تاريخي
      مقارن - تقابلي
      معياري- بنيوي
      تطبيقي...الخ
  - التطبيقي(يتناول شتى فروع المعرفة)
    1- علم اللّغة الاجتماعي
    2- علم اللّغة النفسي
    3- علم اللّغة الانثروبولوجي
    4- علم اللّغة الجغرافي
    5- علم اللّغة التاريخي
    6- علم اللّغة السياسي
    7-علم اللّغة الإعلامي
    8-علم اللّغة التعليمي(طرق التدريس)
    9- علم اللّغة الآلي
    10- علم اللّغة الطّبي
    11- علم اللّغة العسكري»[1]

(وهذا ما تّم شرحه وبحثه ودراسته في الفصول السابقة)

---

(1) محمد محمد داود ، مرجع سابق، ص 90، بتصرف

وفيما يلي تعريف بأهم الفروع، وبخاصة في جانب علم اللّغة التطبيقي لصلتها الوطيدة باللّغة من جانب وقدمها بين الفروع الأخرى من جانب آخر وأهم هذه الفروع :

1- علم اللّغة الإجتماعي *Sociolinguistics*

2- علم اللّغة النفسي *Psycholinguistics*

3- علم اللّغة الأنتروبولوجي *Anthropological Linguistics*

4- علم اللّغة الجغرافي *Geolinguistics*

5- علم اللّغة التاريخي *Historical Linguistics*

6- علم اللّغة السياسي *Institutional Linguistics*

وقبل البدأ والغوص في دراسة هذه الفروع ومناقشتها علينا أولا أن نتطرق ونتعرض لنقطة جد مهمة أخذت بالدراسة من طرف معظم العلماء إلا أنّ جلّهم أدرجها تحت علم اللّغة النفسي لارتباطها الوثيق به وهناك من أخذها بالدراسة من حيث علاقتها بالمجتمع وهذه النقطة هي:

اللّغة والفكر: إن الفكر مرتبط باللّغة ارتباطا وثيقا فهو روحها وقلبها النابض فبالفكر تستمد اللّغة نظامها وتسترجعه وتجدده وترتب بالفكر قوانينها وتصدر أحكامها، إنها نظام المجتمع، إنها السّيد والفكر هي العصى، «والفكر له دورتان، دورة داخلية يجدد فيها نفسه مما علّق عليه من رواسب وشوائب وظنون ليستعيد حيويته وديناميكيته، ودورة خارجية يجدد فيها الواقع والمجتمع إصلاحا وتزكية وتطويرا.

والفكر الذي لا يجدد نفسه من الداخل، لا يجدد الواقع خارجا فالفكر له ديناميكيته ولا تتكشف إلا باتحاده مع اللّغة وطرحه على الآخرين في الواقع، والفكر كما يتجدد من الواقع ويتأثر باللّغة والمجتمع، فهو الآخر

يجدد الواقع، والفكر الذي لا يؤثر في الواقع والإنسان والحياة وكل جوانب الحياة، ومن تلك الجوانب الأساسية اللّغة، فإنّ ذلك الفكر فكر ميت محكوم عليه بالفناء والزوال لأنّ الأعمال هي روح الأفكار كما يقول المفكر الجزائري "مالك بن بني"- رحمه اللّه- [1905-1973م]»[1]، وعليه فالفكر واللّغة حقيقة واحدة لها أوجه متعددة، فاللّغة لا يمكن لها أن يستغني عن الفكر، والفكر لا يمكن له أن يستغني عن اللّغة وإن كانت اللّغة لها جانبها المادي الذي يكمن في الحروف والأصوات، واستعمال الجهاز النطقي، حيث يمكن إدراكها بالحواس، نسمعها وننطقها، وإذا استطعنا القول بأن الفكر ليس له جانب مادي ظاهر للعيان وملموس، إلا أنه يعتبر مجموعة من القيم والمعاني التي على أساسها يرتب الإنسان أشياءه المادية وحتى المعنوية الروحية، إنه قانون الحياة الروحي ولا يمكن بحال من الأحوال الفصل بين اللّغة والفكر، أو القول بفكر قائم لوحده، أو النداء بلغة بمعزل عن الفكر، «ونعود لطرح السؤال الآتي: هل نحن بحاجة إلى لغة لكي نستطيع الكلام؟ وأيهما سبق الآخر؟ وهل نستطيع أن نتكلم دون تفكير؟ وهل هناك تفكير بلا كلام؟

تباينت الايجابيات حول هذه الأسئلة وتباينت معها وجهات النظر ومهما اختلفت الإجابة والآراء فانّ جل العلماء يكادون يجمعون على أنّ هناك ارتباطا وثيقا بينهما.

وقد انتهى واطسون(*Watson*)، مؤسس السلوكية القديمة إلى أنّ التفكير هو اللّغة، وبناءا على ذلك فإنّ التفكير عبارة عن تناول الكلمات في الذهن، أو أنّ التفكير عبارة عن عادات حركية في الحنجرة، أو هو حديث

---

[1] زكي الميلاد، مرجع سابق، ص 21، 22، بتصرف واختصار.

داخلي يظهر في الحركات قبل الصوتية لأعضاء الكلام، أي أنّ التفكير كلام ضمني» [(1)]، ويمكن أن نقيس على كلامه أنّ التفكير لغة ضمنية، يمكن قراءتها بالنظر إلى ملامح الوجه والجسم ونستطيع أن نضرب مثالا: عندما يكون الإنسان غاضب أو سعيد، على الرغم من عدم نطقه وتعبيره وكلامه إلا أنك بمجرد النظر إليه تستطيع قراءة ملامح وجهه، وإلى جانب كل ما ذكرنا فإننا عندما نفكر فإننا نخاطب دواتنا وأنفسنا وأرواحنا، «والى مثل هذا الرأي ذهب عالم النفس "سيشنوف 1863م، وهو معلم "بافلوف"، قال "عندما يفكر الطفل فهو يتكلم في الوقت نفسه- فالتفكير الذي يحدث في سن الخامسة ينتقل بواسطة الكلمات، وبالتأكيد من خلال حركات اللّسان والشفاه، وهو ما يصدق أيضا بالنسبة لتفكير الراشدين"

أما العالم فيجوتسكي(*Vygotsky*) في كتابه "التفكير واللّغة" 1943م، فقد ركّز على المنظور الإرتقائي فهو يتصور أنّ الكلام عند الطفل يكون اجتماعيا في البداية ثم يليه الكلام المتمركز حول الذّات، وبعده الكلام الداخلي أو التفكير، ويقّرر "فيجوتسكي"- صراحة- أنّ تدفق التفكير لا يصاحبه ظهور متزامن للكلام، فالعمليتان ليستا متماثلتين، ولا يوجد تطابق جامد بين وحدات- التفكير ووحدات الكلام كما يرى "ديستوفسكي *Distovski*"

فالتفكير له بناؤه الخاص والانتقال من التفكير إلى الكلام ليس مسألة يسيرة، فالتفكير إذا- في رأي "فيجوتسكي" لا يتم التعبير عنه في كلمات، ولكنه يأتي إلى الوجود من خلال هذه الكلمات، والكلام الباطني والداخلي – بالنسبة لفيجوتسكي- ليس مجرد النطق الصوتي للجمل- كما يرى

---

[1] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 172.

"واطسون"، إنّه صورة أو شكل خاص من أشكال الكلام، يقع بين التفكير والكلام المنطوق.

ويقدم "(بياجيه Piaget)– من ناحية أخرى- تصورا يناقض التصور السلوكي، "فمدرسة بياجيه ترى أنّ الإرتقاء المعرفي يحدث أولا ثم يتبعه الإرتقاء اللّغوي، أو أنه ينعكس- أي التفكير- أو العملية الفكرية- على لغة الطفل، ونمو تفكير الطفل خلال تفاعل الطفل مع الأشياء والناس في بيئته، ويتأثر ارتقاء اللّغة حسب مدى تداخلها في هذه الأشكال من التفاعل لكنها لا تنمو عبر النمو المعرفي وعلى أساس ما تقدم نستخلص أنّ هناك اتجاهين، اتجاه لا يفصل بين اللّغة والفكر، واتجاه آخر يرتضى الفصل بينهما، والجدير بالذكر هو أنّ الاتجاه الذي يرى الفصل بين اللّغة والتفكير كمقابل للاتجاه السلوكي- ليس بالرأي والإتجاه الأمثل فالذي يرى أنّ الكلام تعبير ليس له علاقة بالعملية الفكرية، فهذا الرأي غير معقول وغير مقبول ولا منطقي، ولا يمت للواقع والحياة الإجتماعية لعملية التواصل بصلة، وعلينا أن نتصور – في ضوء ما تقدم – ما سيحدث عند الفصل بين الصوت والمعنى أو بين الفكرة والصوت، فستصبح أصوات الإنسان تساوي أصوات الحيوانات» [(1)]، فالصوت دون فكرة لا يساوي شيئا، واللّغة نتاج عملية فكرية، فالفكر أساس اللّغة لأنه ينظم قوانينها أنا أفكر إذن أنا هنا لأعبر وأتكلم وأقول ولكن بطريقة منظمة منطقية مقنعة حتى يتقبلني الآخر، وأن أكون في هذه العملية خاضع لقانون المجتمع المتمثل في اللّغة ونظامها الجماعي الذي يصطبغ به، وفق البيئة الاجتماعية التي نترعرع فيها، فنكتسب الجانب والمظهر الاجتماعي الذي يمليه علينا قانون توارثه الجميع

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 173، 174، بتصرف واختصار.

وبناءا على ما سبق لا يمكن أن نقول أنّ اللّغة لا تتغير ولا تتأثر بعوامل شتى سبق وأن أشرنا إليها في فصول سابقة، فاللّغة يطرأ عليها التغير ولكن هذا التبدل ليس جذريا وهذا ما طرحه "دي سوسير" عن وصف «العلامة اللّغوية بالتغير والثبوت في آن واحد، قد يبدو الأمر متناقضا ولكن بمقابلة هذين النقيضين، أراد أن يؤكد على أن اللّغة تتغير على الرغم من عدم مقدرة الناطقين بها على تغييرها، وعادة ما تميل العلامات إلى الثبوت لأن ثمة قوى تعمل على منع التغير اللّغوي، وتقاوم التبدل الاعتباطي، ومن بين هذه القوى كما يقول "وترمان"، الثروة المفرداتية الكبيرة، والبنية اللّغوية المعقّدة، والجمود الذي يميز اللّغة بالإضافة إلى كون اللّغة ملك الجميع، وأنّ جذورها ضاربة في أعماق التاريخ، ونحن ورثناها عن الأجداد، وما علينا إلا تقبلها، إن اللّغة إذن نتاج قوى تاريخية وهذه القوى هي نفسها التي تقاوم كل تغير أو كل تأثير، وهكذا يكون التغير اللغوي والسريع والمفاجئ أمرا مستبعدا وهذا راجع حسب "دي سوسير" إلى أن تغيرات اللّغة لا ترتبط بتعاقب الأجيال، وأنّ الجهود التي يتطلبها تعلم اللّغة الأم تؤدي إلى استحالة وقوع تغيير عام، وعلى اعتبار ما سبق فاللّغة هي ملك الفكر الجماعي لجميع الأفراد في المجتمع الواحد، على أساس أنّ الكلمة تحمل فكرة، وإلى هذا ذهب "دي سوسير"، أنّ قيمة الكلمة تتجسد وتتمثل في خاصيتها التي تستطيع بها تمثيل فكرة معينة، وقد جاء هذا اللساني بمفهوم "القيمة" من الاقتصاد، حيث ذهب إلى أنّ قطعة خمسة فرنكات لا يتم تحديدها إلا بمعرفة أنّه يمكن تبديلها بكمية محدّدة من شيء آخر كالخبز مثلا»[(1)]، وهذا ما ذهب إليه "محمد خليفة الأسود" في كتابه "التمهيد في علم اللّغة" إلى أنّ

---

[1] أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص128، 129، بتصرف واختصار.

اللّغة تعتمد على شيئين هما: الصوت والفكرة أو المعنى، ولكن النقطة التي أخالف فيها الرأي بالنسبة للدكتور "محمد خليفة الأسود" وهو ذكره في نفس الكتاب صفحة 43 العبارة التالية

"واللّغوي يهتم بالصوت كوسط لنقل الفكرة، لهذا فالصوت يجب أن يكون منظما تنظيما دقيقا" انتهى كلام الدكتور، إلا أنني أرى أنّ الفكرة هي التي تنظم الصوت، فإذا كانت الفكرة مفهومه وهادفة فيستلزم من ذلك أن يكون الصوت منظم وعلى أساس ما تقدم نتوصل إلى نتيجة هي: صوت + فكرة = لغة

وإذا مثلنا هذا الاستنتاج بما يلي:

لنري: - الفكرة = قطعة أرض

- الصوت = الأعمدة و الجدران

إذن: الأرض + الأعمدة والجدران= منزل

أي فكرة + صوت = اللّغة

فالفكر هو الذي ينظم مفردات اللّغة وأصواتها ويصوغها في أي قالب وفي أي تعبير وفي أي أسلوب شريطة عدم الخروج عن نظام لغة المجتمع، والآن سننتقل إلى فروع هذا العلم الذي اتخذ من اللغة أساسا لدراساته.

* **فروع علم اللّغة:** فكما للّغة صلة وطيدة بالفكر فلها علاقة، أيضا بصاحب ذلك الفكر ألا وهو المجتمع وعليه فقد ظهر:

-1- علم اللّغة الاجتماعي: إن اللّغة كائن حي ينمو ويتطور ويؤثر ويتأثر بعوامل عدة كنا قد تطرقنا إليها سابقا، ومن بين العوامل التي ذكرناها هي العامل الاجتماعي، والمتمثل في حضارة الأمة ونظمها وعاداتها: وتقاليدها وعقائدها، ومظاهر نشاطها العلمي والعقلي، وثقافتها العامة

واتجاهاتها الفكرية والعقائدية «ونظرا للعلاقة الوطيدة بينها وبين المجتمع، فقد نشأ فرع يسمى "علم الاجتماع اللّغوي" أو "علم اللّغة الاجتماعي" الذي يحاول الكشف عن العلاقة بين اللّغة والحياة الاجتماعية، وقد تنبه اللّغويون إلى مثل هذه البحوث، بعد أن رأوا الدراسات التي تقوم بها المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي أنشأها "دوركايم" *(Durkheim)* في أوائل القرن العشرين، وانضم إليها كثير من علماء اللّغة في فرنسا وألمانيا وانجلترا وسويسرا والدنمرك، وكثير من أساتذة الجامعات في أوربا وأمريكا، وهناك من العلماء من لم يضم انضماما ايجابيا إلى هذه المدرسة غير أنهم تأثروا بعقلية "دوركايم" الجبارة، وبذلك أصبحت بحوث المدرسة الاجتماعية الفرنسية أساسا للبحوث اللّغوية في الكثير من الأحيان، إذ طبقت نظريات علم الاجتماع العام على اللّغة، وحاول الباحثون أن يبينوا لنا أثر المجتمع ونظمه وحضاراته المختلفة، على الظواهر اللّغوية باعتبار أنّ الإنسان كائن اجتماعي ولذلك كانت اللّغة كائنا حيا كالإنسان سواء بسواء لأنها ألصقت الظواهر الاجتماعية به، ويقول فندريس: "في أحضان المجتمع تكونت اللّغة، ووجدت يوم أحّس النّاس بالحاجة إلى التفاهم بينهم، ونشأ من احتكاك بعض الأشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفاتهم، الإشارة إلى أعوزتهم الكلمة والنظرة إذا لم تكف الإشارة" ، وهكذا يرى "فندريس" أنّ اللّغة تنتج من الاحتكاك الاجتماعي، "ثم تصبح عاملا من أقوى العوامل، التي تربط أفراد المجتمع الإنساني، ويرى علماء الاجتماع أنّ الظواهر الاجتماعية لها قوة قاهرة آمرة، تفرض بها على أفراد المجتمع ألوانا من السلوك والتفكير

والعواطف وتحتم عليهم أن يصيبوا سلوكهم وتفكيرهم وعواطفهم، في قوالب محدّدة، مرسومة على حد تعبيرهم.

ويدل على وجود القهر في الظواهر الاجتماعية- عند علماء الاجتماع- أنّ الفرد إذا حاول الخروج والتمرد على إحدى هذه الظواهر الاجتماعية، فإنّه سرعان ما يشعر برد فعل مضاد وسريع من المجتمع الذي يعيش فيه، ذلك لأنّ المجتمع يشرف على سلوك أفراده، ويستطيع التوقيع على العقاب، على من تسول له نفسه الخروج عليه وأهون صور هذا العقاب، هو التهّكم الشديد أو السخرية المرّة، وأفضل كلمة تناسب ما قلنا "ارتكب خطئا مرّة واحدة ويكرهك الجميع"، والأمثلة على وجود هذا القهر وهذا الضغط، عديدة منها أنّ المجتمع لا يسمح لنا مثلا أن "نتحدث باللّغة العربية لمن لا يفهمها"، وهذا الضغط وهذه الممارسة وهذه القوة التي عن طريقها يملي المجتمع قوانينه تختلف بالطبع شدّة وضعفا وربّما أنّ الإنسان لا يحس بهذا القهر، أو لا يكاد يشعر به حين يستسلم له بمحض اختياره وإرادته، لأنّ الشعور بالقهر في مثل هذه الحالة ليس مجديا، ولكن ذلك لا يحول دون أن يكون القهر من خصائص الظواهر الاجتماعية»[1]

وبناءا على ما سبق فعلم اللّغة الاجتماعي «يدرس العلاقات بين اللّغة والمجتمع ويبحث عن طرق المحادثة والتواصل التي نستخدمها ونستعملها ونستعين بها، وفي غالب الأحيان نبحث عنها في ذواتنا لكي نستعين بها في الظروف الاجتماعية المختلفة والمفاجئة، ويتناول موضوعه كذلك دراسة اللّهجات المختلفة ضمن منطقة جغرافية محدّدة، وتحليل العوامل والظروف الاجتماعية التي تحطم الاستعمالات اللّغوية المختلفة بين الأفراد، منها على

---

[1] رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 125، 126، 127، 128، بتصرف.

سبيل المثال العلاقات المحدّدة بين المشاركين في الحديث، وأسلوب التخاطب والحوار (رسمي أم غير رسمي)، والمكانة الاجتماعية لكل منهم والأدوار الاجتماعية التي يقومون بآدائها وهدف المحادثة، وموضوعها وما إلى ذلك، إن الحديث والكتابة لا يشكلان أبدا بمفردهما كل أنظمة الاتصال، فالاتصال والتواصل الإجتماعي يتم تدعيمه بمراعاة آداب الحديث فالذوق السليم والمروءة تقتضيان أن يحترم المرء من يكبره سنّا أو مقاما فلا يرفع صوته فوق صوته ولا يخاطبه بعبارات لا يستحبها، كما أنّ وسائل الايماء مثل هزّ الرأس تنقل لنا أكثر المقاصد دقة ويشكل الأسلوب أحد أهم المواضيع التي يعالجها ويتناولها علم اللّغة الاجتماعي، فكلمّا كتبنا وعبّرنا وتكّلمنا بلغتنا القومية اتّبعنا أسلوبا دون غيره يعتمد على الحالة والعلاقات القائمة والموجودة بيننا وبين الشخص الذي نتكلم إليه أو نكتب إليه، وعليه فالعوامل الاجتماعية والاختبارات الأسلوبية يمكن التعرف عليها وتحديد نوعها وبذلك ندرك النظم التي تمثلها» [(1)] وبناءا على ما سبق ذكره فقضايا علم اللّغة الاجتماعي كثيرة ومتنوعة ولنعد إلى أحدها وهي اللّهجات كنا قد أشرنا إليها سابقا «فعلم اللّغة الاجتماعي يأخذ بالدراسة، حيث يدرس الفروق الاجتماعية بين طبقات المجتمع، التي تؤدي إلى تباين اللّهجات، فلهجة الطبيب تختلف عن لهجة الحرفي، فالأول نجد صوته منخفض في حين الحرفي نجده يتكلم بلغة مغايرة وألفاظ مغايرة وصوت مرتفع نوعا ما، وربما زاد هذا الاختلاف حتى أصبحت كل لهجة لغة مستقلة، وأوضح مثال على هذا اللّغات الايطالية، والفرنسية، والاسبانية، والبرتغالية، والرومانية، فقد كانت في الأصل لهجات مختلفة للغة اللاتينية، "وقد أبرز علم اللّغة

---

[1] شحدة فارع ((وآخرون))، مرجع سابق، ص 292، 293، بتصرف واختصار.

الاجتماعي انجازات لها قيمتها في الدراسات اللّغوية الحديثة، من خلال دراسة للغة في سياقها الاجتماعي، وطرق تفاعل اللّغة مع المجتمع، والطرق التي تتغير بها البنية الاجتماعية استجابة لمؤثرات اجتماعية» [1]، «وإذا كانت اللّغة ظاهرة اجتماعية وحضارية كما سبق وأن ذكرنا فقد أفاد الباحث الاجتماعي في العلوم الإجتماعية من نتائج البحث اللّغوي من عدة جوانب منها،أن اللّغة أهم مظاهر السلوك الإجتماعي وأوضح سمات الانتماء الاجتماعي للفرد، وأفاد اللّغويون كذلك من الدراسات الاجتماعية، فدراسة الألفاظ ودلالاتها على نحو دقيق لا تتم إلا في إطارها الاجتماعي والحضاري والتغير اللّغوي، لا يفسر تفسيرا كاملا إلا في ضوء الظروف الحضارية الاجتماعية والى جانب هذا تؤثر المواقف الاجتماعية من مستويات اللّغة في مكانة هذه المستويات وتحديد مسار التغير فيها» [2]

2- علم اللّغة النفسي:

«ترجع العلاقة بين علمي اللّغة والنفس إلى طبيعة اللّغة باعتبارها أحد مظاهر السلوك الإنساني، فإذا كان علم النفس يعني بدراسة السلوك الإنساني عموما فإنّ دراسة السلوك اللّغوي تعد أحد جوانب الالتقاء بين علم اللّغة وعلم النفس، لقد اهتمت المدرسة السلوكية Behaviorism بالسلوك اللّغوي، وكان لها أثر كبير في البحث اللّغوي في النصف الأول من القرن العشرين، ولكن ثمة فرقا بين بحث اللّغويين وبحث علماء النفس في قضايا اللّغة، حيث يهتم علم اللّغة بالعبارات المنطوقة عند صدورها من الجهاز الصوتي للمتحدث وأثناء مرورها في الهواء وعند تلقي الجهاز السمعي للمخاطب لها ومعنى هذا

---

[1] محمد محمد داود ، مرجع سابق، ص91، 12، بتصرف واختصار.

[2] محمود فهمي حجازي ، مرجع سابق، ص50، 51.

أن العمليات العقلية السابقة على صدور العبارات المنطوقة لا تدخل في إطار علم اللّغة، والعلاقة بين الجهاز العصبي والجهاز النطقي عند المتحدث ليست من مجالات البحث اللّغوي، فاللّغويون يهتمون باللّغة عند صدورها ولا يهتمون بالعمليات العقلية السابقة على ذلك، فهي موضوع من موضوعات البحث في علم النفس وعندما تصل اللّغة الجهاز السمعي للملتقي ويقوم بنقلها إلى الجهاز العصبي تحدث عمليات عقلية أخرى يبحثها علم النفس أيضا، أما تلك الظاهرة الصوتية التي تصدر عن المتحدث وتمضي في شكل موجات صوتية فتصل المتلقي، فهي اللّغة وهي مجال البحث في علم اللّغة، وهناك فرق أساسي بين منهج اللّغويين وعلماء النفس تجاه الظواهر اللّغوية، فقد صرف علماء النفس جهدهم إلى اكتشاف قوانين عامة تفسر السلوك الإنساني، وركزوا جهدهم على الظواهر العامة مثل التعلم والإدراك والقدرات، ولكنهم لم يهتموا بمحتوى السلوك نفسه، ففي بحث التعلم لم يهتموا بالمادة المنشودة التي تعلم بل كان اهتمامهم مركزا على عملية التعلم باعتبارها عملية عقلية، وفي السنوات الأخيرة حاول بعض الباحثين النظر إلى اللّغة من الجانبين، فلم تعد الاستجابات اللغوية تدرس باعتبارها ضربا من ضروب الاستجابات فحسب بل روعيت البنية اللّغوية في ذلك أيضا، ويتضح هذا من مقارنة الدراسات السابقة حول اللّغة عند الطفل بالدراسات المعاصرة، فهي تبحث نفس الموضوع بطريقة اللّغويين، أي بتحليل لغة الطفل من جوانبها الصوتية والنحوية والدلالية، وقد أفاد علماء النفس في السنوات الأخيرة من مناهج التحليل اللّغوي في بحثهم للسلوك اللّغوي، ولكن هذا لا يمنع تحديد مجال اختصاص كل من الفريقين فمجال الدراسة النفسية للغة هو كيفية تحويل المتحدث للاستجابة إلى رموز لغويةto encode وهذه عملية عقلية تتم

عند الإنسان، وينتج عنها إصدار الجهاز الصوتي للّغة، وعندما تصل اللّغة إلى الملتقي ويقوم بفك هذه الرموز اللّغوية في العقل إلى المعنى المراد to decode تتم عملية عقلية أخرى تدخل في إطار علم النفس أيضا،أما تلك الرموز الصوتية التي تنتقل من المتحدث عبر الهواء إلى المتلقى، فهي مجال البحث في علم اللّغة، ويرى بعض اللّغويين وعلماء النفس أن دراسة السلوك اللّغوي إسهام مثمر لا لفهم اللّغة فحسب بل لتكوين النظرية العامة لعلم النفس، وقد تطورت الدراسات اللّغوية و النفسية في العشرين عاما الماضية لتجعل من جوانب اللقاء بين علم النفس وعلم اللّغة فرعا مستقلا بذاته هو علم اللّغة النفسي *Psycholinguistics*»[1]

«وفي المقابل فانّ علماء الاجتماع في اللّغة، أدّت بحوثهم ومبالغتهم في الربط بين اللّغة والمجتمع، وإنكارهم وجحودهم لغير الظواهر الاجتماعية أثر في اللّغة– كل هذا أدى إلى هجوم بعض العلماء عليهم ولا سيما علماء النفس الذين كتبوا عن العلاقة بين اللّغة والفكر، ويقول في ذلك (فون درجابلنس *Vondergablenty* G): "الإنسان لا يستخدم اللّغة للتعبير عن شيء فحسب بل للتعبير عن نفسه أيضا"

ويذهب بعض العلماء إلى أنّ الألفاظ، ليست إلا رموز تعبر عن المعاني الكامنة في النفس، وهي ضرورية للتقدم العقلي لأنها هي التي تثبت كل خطوة يخطوها الذهن البشري، وهم يشبهون ذلك بجيش يغزو بقعة من الأرض، وينتصر على أهلها، وينتشر في أرجائها، ولكنه لا يستطيع أن يملكها إلا حين ينشئ فوقها الحصون، التي يضع بها حاميته، وهم يرون أنّ الألفاظ هي حصون الفكر وأنه لا وجود للفكر بدون اللّغة، ولذلك يرى هؤلاء

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 48، 49 ، 50.

أنّ علماء النفس، لا علماء الاجتماع هم الذين يستطيعون أن يبينوا لنا كيف يظل المعنى حائرا في الذهن حتى يستقر في الكلمة المناسبة، وحينئذ يتحدد المراد منه، ويذهب هؤلاء العلماء إلى أنّ اللّغة ضرورية ولازمة للفكر حتى في رحلات التفكير الشخصية والذاتية والروحية ويقولون إن الإنسان يفكر بينه وبين نفسه في أثواب من اللّغة، ويذهبون إلى أنّ "أحدا لا يستطيع أن ينكر الأهمية العظمى للكلمات، في أي نوع من التفكير، حتى ذلك التفكير الذي يطلق عليه اسم "الكلام الداخلي" ومما لا شك فيه أننا مررنا جميعا بالتجربة العامة للأحلام، وعرفنا أنّ أحلامنا تتبخر وتتلاشى وتزول من أذهاننا بسرعة، إذا لم نبادر بتسجيلها في كلمات على الورق، وكثيرا ما يظل الإنسان عاجزا عن تحديد خطة البحث الذي ينوي القيام به، أو الطريقة والأسلوب الذي يريد أن يسلكه في مناقشته إلى أن يوضحهما ويبلورهما ويوضعهما في تعبير لفظي، وقد بيّنت وبرهنت تجارب التحليل النفسي، على أن مخاوف اللاشعور سوف تنتهي تلقائيا إلى مجرد، تخيلات، ويزول أثرها، فلا تكون عقدا، أو تسبّب كبتا، في اللّحظة التي تصاغ فيها هذه المخاوف والشكوك والظنون في عبارات، فإذا جاوزنا ذلك إلى مستوى أعلى وجدنا أنّ التفكير المجرد لا يمكن إدراكه، إذا لم يتحول المضمون الذهني الغامض المتميع، إلى شيء مادي بطريق الصياغة اللّفظية، ولكل هذا يرى هؤلاء، أنّ علماء النفس هم الذين يفسرون لنا، كيف ينقل الإنسان فكره إلى غيره، متخذا وجهة نظر الآخرين حاسما لما سيصدر من آراء، فهو يبقي المدركات العامة التي يفهمها هو ويفهمها غيره، كأساس لعملية التواصل، وقد لاحظ وتأكد علماء النفس بحق، أنّ مسائل كثيرة من علمهم تساعد مساعدة ملموسة وجدّية على فهم الظواهر اللّغوية، فالتذكر والاسترجاع

والتّخيل، وتداعي المعاني، والادراك، والانتباه والحالات الوجدانية، وغير ذلك من مسائل علم النفس التي تفسر لنا كيف يتعلم الطفل اللّغة كلاما ثم كتابة، وكيف يصوغ ويؤلف الإنسان عباراته، ويكون جمله ليعبر عن أفكاره ووجدانه وعواطفه، وكيف يفهم السامع ما يسمع، ويدرك القارئ ما يقرأ ويفهمه ويستوعبه من تلك الرموز الكتابية، ولكي تدرك أثر الخبرات السابقة، في فهم الكلام لدى السامع ضع أمامك ما تقول به الإحصائيات اللّغوية، من أنّ ما يحدث في الغالب خلال المكالمات التليفونية، هو وصول 50% فقط من المحتوى الصوتي ولكن يحدث تعويض عن طريق معرفة السامع بالمحتوى الدلالي وعن طريق استنتاجه شبه الطبيعي، المؤسس على خبراته وعاداته السابقة، وعلى أساس ذلك، فاللّغة لا يصح أن تدرس على أنها أداة عقلية فحسب لأن الإنسان كما يتكلم ليصوغ أفكاره، فإنّه يتكلم ليؤثر في غيره من النّاس، وليعبر عن إحساسه وشعوره وعواطفه وما يختلج نفسه من إحساس، فهو يعبر باللّغة عن نفسه، كما يعبر عن آرائه، بل إنّه يمكن القول بأنّ التعبير عن أية فكرة لا يخلو مطلقا من لون عاطفي إلا إذا استثنينا التفكير العلمي، أو لغة البحث العلمي أو اللّغة العلمية التي يجب أن تكون موضوعية معبرة الفكرة المحضة والحقيقة المجرّدة الخالية من الانفعالات النفسية والردّات العاطفية» [1] «ونظرا لقيمة العقل البشري فقد اهتم العلماء بدراسته وبيان دوره في العملية اللّغوية لمحاولة تفسير الظواهر اللّغوية من خلال علم النفس الإدراكي، ومن أهم موضوعات هذا العلم محاولة التعرف على قدرة الطفل على اكتساب اللّغة، متى وكيف؟ كذلك من اهتمامات علم اللّغة النفسي، دراسة العلاقة بين اللّغة والفكر ودراسة عيوب

---

[1] رمضان عبد التواب، ص 137، 138، 139، بتصرف.

الكلام وسبل التغلب عليها، ومن اهتمامات هذا العلم أيضا، بحث كيفية فهم الجمل وسرعة الفهم، وخطوات الفهم وعوامل صعوبة العمليات العقلية عند المتحدث قبل صدور اللّغة، وعند المتلقي عقب صدور اللّغة»[1]

3- علم اللّغة الأنثروبولوجي *Anthropological Linguistic*:

إن الانثروبولوجيا "علم الإنسان"، لها علاقة وطيدة باللّغة، إنها الماء الذي تتغذى منه اللّغة، وعلى الرغم من اختلاف الثقافة من مجتمع إلى آخر، إلا أنّ للّغة أو لمختلف اللّغات أنظمة معيّنة، ونقاط مشتركة في علاقاتها بثقافة المجتمعات التي تنتمي إليها، «والعلاقة بين اللّغة والثقافة من أهم الموضوعات التي نالت إهتمام علماء اللّغة الأنثروبولوجيين، ومجال الأنثروبولوجيا هو دراسة المجتمعات والثقافة للكشف عن سلوكيات الناس المتأثرة بالأشكال الثقافية المختلفة، فالثقافة في نظرهم أسلوب حياة، ومن هنا فإنّ للّغة مكانا بارزا في الدرس اللّغوي، فإلى جانب كونها وعاء للمعرفة والفكر والثقافة، فهي أيضا – مرآة لثقافة المجتمع، ترقى برقيه وتتحدر بانحداره، فللّغة اتصال وثيق وعلاقة بالمستوى الثقافي للجماعة وللمجتمع الذي تنتمي إليه، فكما أنّها تتأثر بثقافة الأفراد، فكذلك لها دور في تشكيل وبلورة الجانب الثقافي للمجتمع وهي التي تختار الطريقة التي يفكر بها أفراده»[2]، «والمقصود بالثقافة هنا هي المعرفة المكتسبة اجتماعيا،أي المعرفة التي يملكها شخص ما بفضل كونه عضوا في مجتمع بعينه، وتشمل كلمة "المعرفة" المعرفة العلمية والافتراضية التي تعني بالاحتمالات المتعلقة بما يمكن معرفته على حد سواء ولا تكتسب المعرفة بالتعليم بل

---

[1] نفسه، ص 92، باختصار.

[2] رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 93، بتصرف واختصار.

بفضل إنتماء الفرد إلى مجتمع معين، وإنتقالها من فرد إلى آخر إنتقالا ثقافيا تتوارثه من جيل إلى جيل إلى جانب الانتقال البيولوجي أو الوراثي»(1)

-4- علم اللّغة الجغرافي *Geolinguistics*:

«إن دراسة لغات العالم اليوم، وعلاقاتها الجغرافية وتوزيعها على خريطة العالم وبيان كل من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية تعد من مهمة علم اللّغة الجغرافي، ومن الموضوعات الأساسية كذلك لهذا العلم هو بيان عدد المتكلمين بكل لغة من اللّغات وتوزيعها الجغرافي، ولحد ما وصفها، ومن هنا فإنّ عالم اللّغة الجغرافي يمكن أن يسير خطوة إلى الأمام فيربط اللّغات بالعوامل الاقتصادية والدينية والسياسية والإجتماعية والثقافية، ويكّون تقديرات لمدى الأهمية لكل لغة واستعمالاتها التي يمكن أن توضع فيها ومعنى هذا أنّ الأداة الأساسية والهامة في يد عالم اللّغة الجغرافي هي الإحصاءات السكانية واللّغوية، وانّ الإحصاءات السكانية للدول جميعها غالبا ما تكون في متناول الأيدي وان كان بعضها لا يوثق به كثيرا ونحن على سبيل المثال نستطيع أن نحصي الأعداد السكانية لكل الأقطار التي تتحدث الإسبانية، كلغة رسمية وطنية، وأن نقول أنّ هذه الأعداد تمثل- بوجه التقريب- عدد المتكلمين باللّغة الإسبانية في جميع أنحاء العالم أما ما تعجز عن إيضاحه الإحصاءات السكانية فهو بيان الفروق اللّغوية الدقيقة، وإعطاء أحكام تمس بعض القضايا الثانوية، مثل عامل التعدد اللّغوي الذي كثيرا ما يلون صور الكلام الوطنية»(2)

---

[1] شحدة فارع ((وآخرون)). مرجع سابق، ص 306، 307، باختصار.

[2] ماريو باي ، مرجع سابق، ص 183، 217، 218.

إن علم اللّغة الجغرافي يدرس اللّغة كما ذكرنا من زاوية المكان دون اعتبار لعنصري الزمن، والعائلة اللّغوية، وإنما يربط هذا العلم "علم اللّغة الجغرافي" الدراسة التي تختص بالتوزيع اللّغوي في المكان (الأطالس اللّغوية) بالظروف الاجتماعية والثقافية، وعليه فعلم اللّغة الجغرافي يدرس توزيع اللّغات البشرية على المواقع المختلفة من الكرة الأرضية» (1)، «ويعتبر هذا العلم حديث الوجود إلى حد ما أو إذا ما قورن ببقية الفروع الأخرى، وهو الآن يشق طريقه إلى الأمام نتيجة لاتساع دائرته العملية، إن وظيفته أن يصف بطريقة علمية وموضوعية ونموذجية توزيع اللّغات كما ذكرنا في مناطق العالم ليوضح أهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإستراتيجية والثقافية، وأن يدرس طرق تفاعل اللّغات بعضها مع بعض وكيفية تأثير العامل اللّغوي على تطور الثقافة والفكر الوطنيين، وكمثال واحد ربما يكفي أن نشير إلى توزيع اللّغات السلافية وغير السلافية في جمهوريات الإتحاد السوفياتي وأهميتها النسبية، ودور اللّغة الروسية باعتبارها اللّغة المتسلطة أو اللّغة المشتركة»(2)

-5- علم اللّغة التاريخي *Historical linguistics*:

«يتناول علم اللّغة التاريخي تغير اللّغة عبر العصور التاريخية» (3)، «وهو علم يتميز ويتصف بفعالية مستمرة *dynamic*، فهو يدرس اللّغة من خلال تغيراتها المختلفة، وتغير اللّغة عبر الزمان والمكان خاصة فطرية في داخل اللّغة، وفي كل اللّغات، كما أنّ التغير يحدث في كل الإتجاهات

---

[1] محمد محمد داود، مرجع سابق، ص 93، 94، باختصار.

[2] ماريو باي، مرجع سابق، ص 37، بتصرف.

[3] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 44، باختصار.

(النماذج الصوتية والتراكيب الصرفية والنحوية والمفردات)، ولكن ليس على مستوى واحد، ولا تبعا لنظام معين ثابت، وبينما يمكن دراسة هذه التغيرات دراسة وصفية هي محض تعريف بأشكال التغيرات الحادثة فإنه لا يمكن عزلها عن الأحداث التاريخية التي تصاحب وجودها، فعلم اللّغة التاريخي يعالج تطور اللّغة أو اللّغات وإعادة بناء اللّغات الأم المفترضة على أساس الدراسة المقارنة للملامح الموجودة في اللّغات المتفرعة عنها» [(1)]، وكذا يدرس تطور النظام الصوتي عبر التاريخ «فعلى سبيل المثال دراسة تطور النظام الصوتي للعربية الفصحى هي دراسة صوتية تاريخية وتطور الأبنية الصرفية ووسائل تكوين المفردات في العربية على مدى القرون مما يدخل في الدراسة الصرفية التاريخية وتطور الجملة الشرطية أو جملة الإستفهام في العربية الفصحى مما يدخل في الدراسات النحوية التاريخية والمعاجم التاريخية التي يسجل كل منها تاريخ حياة كل كلمة من كلمات اللّغة من أقدم نص جاءت به متتبعا تطور دلالتها على مر التاريخ، تعد أيضا من علم اللّغة التاريخي، فالتاريخ الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي لأية لغة من اللّغات يدخل في مجالات البحث اللّغوي التاريخي، والنحو التاريخي والمعاجم التاريخية من الأركان الأساسية في علم اللّغة التاريخي، ولا يتناول تاريخ اللّغات تطورها البنيوي والمعجمي فحسب بل يبحث أيضا تطورها وحياتها في المجتمع، فقضية إنتشار لغة من اللّغات والظروف التي مهدت لذلك وأثر ذلك في بنية اللّغة تعد من موضوعات علم اللّغة التاريخي، وهناك فرق كبير بين أن تكون اللّغة لغة جماعة محدودة، أو أن تكون اللّغة رسمية في دولة عظمى، أو أن تكون لغة حضارة دولية، ودراسة مستويات

---

[1] نفسه، ص 187، 137، بتصرف واختصار.

الاستخدام اللّغوي المختلفة في حياة كل لغة وأثر ذلك في بنيتها وأهميتها الحضارية ومكانتها بين اللّغات مما يدخل في إطار علم اللّغة التاريخي»[1]، ومن الممكن جدا أن يطرأ تغيير على اللّغة وهذا التغيير يحدث بفعل عوامل وأسباب ومؤثرات داخلية وخارجية ولكن هذا التغير لا يكون مفاجئا، كما سبق وأن ذكرنا وأنه من الصعب جدا حدوث تغيير جدري للّغة الأم لأن لها سلطتها وقانونها، «إلا أنه من الممكن للّغة نفسها أن تغير قالبها خلال تاريخها وتنتقل من النظام التركيبي إلى النظام التحليلي أو العكس ويعد التغير الأول أكثر شيوعا من الثاني، على الأقل بالنسبة للغات التي تعرف عن تاريخها معلومات أكثر واللّغة الإنجليزية – على سبيل المثال– قد بدأت أولا في صورة لغة تركيبية تصريفية هي الأنجلوسكسونية، – ولكنها على مر التاريخ– أسقطت كثيرا من نهاياتها التصريفية مستخدمة بدلا منها كلمات مساعدة أو حروفا، أو مشغلة ترتيب الكلمات في الجملة...الخ»[2]

-6- علم اللّغة السياسي *Institutional Linguistics*

«نستطيع القول أن هذا العلم هو أحد فروع علم اللّغة الاجتماعي التي نالت اهتماما ملحوظا في العصر الحديث ويهتم هذا العلم بدراسته جوانب الخطاب السياسي، والتعرف على خصائصه اللّغوية، وذلك كالوقوف على أهم العناصر والخصائص اللّغوية، التي تدعم هذا الخطاب، فيهتم بدراسة أسلوب التحريض والإثارة وأهم سمات الخطاب السياسي– حيث تفيد الدراسات اللّغوية أنه: ذو عبارات قصيرة، ويتجنب التطويل ويستخدم الألفاظ المؤثرة والواضحة، ويتجنب الألفاظ الغامضة ويلجأ أيضا إلى التضاد

---

[1] محمود فهمي حجازي ، مرجع سابق، ص 40.

[2] ماريو باي ، مرجع سابق، ص 152.

والمفارقة»[1]، ذلك أنّ الخطاب موجه إلى المجتمع عامة فكما يحوي المجتمع على فئة النخبة فإنه يحوي أيضا الفئات المتوسطة الثقافة وحتى الفئات التي لم تتلق تعليما لظروف ما، لذلك تدرس جيدا هذه النقطة بالنسبة للذي يريد أن يلقي الخطاب فلا يستعمل المفردات الصعبة، أو يستعين بلغة النخبة بل عليه أن يستعمل إلى حد ما، لغة تشبه لغة الصحافة، لأنه يوجه الخطاب إلى فئات متفاوتة التعليم والثقافة والوعي والاستيعاب وغيرها.

*** المناهج الحديثة لدراسة اللّغة:**

– «المنهج في عرف اللّغة والاصطلاح:

جاء في لسان العرب: "إن المنهج والمنهاج هو الطريق الواضح، والنهج بتسكين الهاء هو الطريق المستقيم"، وقد أضاف المعجم الوسيط على ما جاء في لسان العرب بأنه، أي المنهج هو الخطة المرسومة، ويعترف بأنها دلالة محدثة ومنه "منهاج الدّراسة ومنهاج التعليم ومحوهما"، وتكاد جل المعاجم إن لم نقل كلها تجمع على أنّ المنهج هو الطريقة أو الأسلوب، كما استخدم هذا المصطلح ليشير إلى البحث عن المعرفة والاستقصاء، وقد استخدم بدلالات أخرى في مجالات الفلسفة والمنطق والطب وما إلى ذلك ويمكننا أن نخلص إلى تعريف "أحمد مطلوب" في "معجم النقد العربي القديم" حيث قال "...المعنى العام للمنهج هو الأسلوب الذي يقود إلى هدف معين في البحث والتأليف أو السلوك"، وقد وظف المنهج على أنه التيار أو المذهب أو المدرسة، ولا ضرر في ذلك ما دام الهدف من ذلك كله هو الكشف عن الطريقة أو الأسلوب لتيار معين أو مذهب معين أو مدرسة

---

[1] محمد محمد داود، مرجع سابق، ص 94، بتصرف.

معينة»[1]، والمنهج من أهم مميزات الدراسة العلمية الأكاديمية، وقد أنجز علم اللّغة الحديث تقنين مجموعة من المناهج لبحث ودراسة اللّغة بطريقة موضوعية بعيدة عن الذاتية ويستخدم علم اللّغة الحديث المناهج الأربعة التالية:

1-المنهج الوصفي *Descriptive Method*

2-المنهج التاريخي *historical Method*

3-المنهج المقارن *Comperative Method*

4-المنهج التقابلي *Contrastive Method*

وفيما يلي بعض التفصيل عن كل منهج من المناهج السابقة:

1- المنهج الوصفي:

«اهتمت الدراسات اللّغوية الحديثة منذ انبعاثها في القرن التاسع عشر بالمقارنة بين اللّغات ولم يكن هناك منهج واضح لتصور نظرية عامة للّغة الإنسانية والبحث فيها بطريقة علمية وموضوعية إلى أن ظهر الباحث اللّغوي الشهير "فردينان دي سوسير" الذي أثبت بأبحاثه اللّغوية إمكانية دراسة اللّغة الإنسانية وذلك من حيث تطورها التاريخي أو من حيث تحليلها في فترة زمنية معينة، ومنذ ذلك الحين أخذ اللّغويون في تطوير مناهج البحث اللّغوي واستعمالها كوسيلة لتحليل البيئة اللّغوية وبعد الحرب العالمية الثانية اهتم علماء اللّغة بالمنهج الوصفي وتطويره حتى أصبح سائدا عند أكثر علماء اللّغة في جميع أنحاء العالم ويهتم المنهج الوصفي بدراسة بنية

[1] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 284، 285، باختصار.

اللّغة من حيث الأصوات وانتظام هذه الأصوات في مقاطع ثم انتظام تلك المقاطع في كلمات ثم تأليف جمل وتراكيب من تلك الكلمات»[1]

«ونستطيع القول أنّ هذا المنهج يهتم بوصف أية لغة من اللّغات، كاللّغة العربية مثلا عند شعب من الشعوب، أو لهجة من اللّهجات، في وقت معين، حيث يسجل الواقع اللّغوي تسجيلا أمينا، فـ"أنطوان مييه *A). Meillet*)" يذهب إلى أبعد من هذا حين يرى أنّ المنهج الوصفي "يعني بدراسة الإستعمال اللّغوي في عمومه، عند شخص بعينه، ومكان بعينه" وغالبا ما تنصّب هذه الدراسة الوصفية، على اللّغات واللّهجات المعاصرة، "وإن كان بعض العلماء، قد قاموا بمحاولات لدراسة اللّغة دراسة وصفية في زمن معين في الماضي"، فأية دراسة صوتية أو صرفية أو تركيبية أو دلالية، لإحدى اللّهجات القديمة أو الحديثة، تعد دراسة وصفية» [2]، «فأية دراسة لهذه المستويات، أو لأي مستوى من هذه المستويات يعد دراسة وصفية، فالدراسة الوصفية كما سبق وأن ذكرنا تعرض الواقع اللّغوي دون تدخل من الباحث، فهي تكتفي بوصف الظاهرة اللّغوية دون اعطاء الأسباب والعلل، أو اقتراح النتائج، وقد قطعت الدراسة الوصفية أشواطا ومراحل متعددة وقد تمخضت عن هذا المنهج عدة مدارس» [3]، «فبعد أن تقوم الدراسات الاستكشافية بدورها في التعريف بأهم المشكلات اللّغوية والفروض الجديرة بالبحث اللّغوي تبدأ خطوة البحوث الوصفية أو خطوة المنهج الوصفي التي تستهدف تصوير وتحليل وتقويم خصائص لغة مجموعة

---

[1] محمود فهمي حجازي، **علم اللغة العربية** (الكويت: وكالة المطبوعات)، علم اللغة الوصفي، ص 40.
[2] رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 181، 182، بتصرف.
[3] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 295، بتصرف واختصار.

معينة، أو دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة لغوية يغلب عليها صفة التحديد»[1]

فإذا أخذنا على سبيل المثال دراسة اللّغة العربية على اعتبار أنها لغة الشعب الجزائري فإننا نأخذ عينة من المجتمع الجزائري ونقوم بتقويم وتصوير وتحليل خصائصها، على أساس أنها اللّغة المستعملة والمعتمدة في البلاد، «ولقد لاقى مفهوم الدراسات الوصفية عموما وفي جميع الدراسات التي تعتمد عليه وحتى عند علماء اللّغة فهما خاطئا لدى البعض الذين تصوروا أنها مجرد عملية جمع بيانات ومعلومات فقط، لا لخدمة غرض علمي مباشر، والواقع أنّ قصر مفهوم المنهج الوصفي على مجرد جمع البيانات الإحصائية وتوفيرها لخدمة سائر الباحثين يمثل نظرة جزئية إلى هذا النوع من البحوث التي لا تقف عند حد جمع البيانات والمعلومات وإنما يمتد مجالها إلى تصنيف البيانات والحقائق التي تم تجميعها وتسجيلها وتفسير هذه البيانات وتحليلها تحليلا شاملا ينطلق من الواقع ومن العينات ويعود إليها، واستخلاص نتائج ودلالات مفيدة منها تؤدي إلى إمكانية إصدار تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها، وبناء أساس للحقائق التي يمكن أن تنبني عليها فروض إيضاحية أو تفسيرية للموقف اللّغوي أو الظاهرة اللّغوية بما يسهم في تقدم البحوث في مجال علم اللّغة» [2]، «فالمنهج الوصفي يصف الحقائق ويناقشها ويحللها دون فلسفة، وعلى الباحث هنا أن يحدد المستوى اللّغوي المقصود بالدراسة

---

[1] سمير محمد حسين، **بحوث الإعلام**، الأسس و المبادئ (عالم الكتب) ص 123، بتصرف واختصار.
[2] نفسه، ص 123، 124، بتصرف.

لظاهرة لغوية محددة صوتيا أو صرفيا أو تركيبيا أو دلاليا، كما سبق وأن ذكرنا، لأنّ عدم تحديد زمن الدراسة

ومكانها والمستوى اللّغوي، كل ذلك يؤدي إلى الخلط ولا يصل بالباحث إلى النتائج السليمة، فإن أراد الباحث دراسة ظاهرة محدّدة في العربية المعاصرة: مثل ظاهرة الغموض، فعليه أن يحدد مستوى الدراسة من بين المستويات التالية:

- الغموض في المستوى الصوتي
- الغموض في المستوى الصرفي
- الغموض في المستوى التركيبي
- الغموض في المستوى الدلالي

أيضا يدخل في العملية تحديد المستوى اللّغوي للبحث (الفصحى أم العامية)، والخطوة التالية هي تحديد زمن الدراسة: (خمس سنوات، عشر سنوات...الخ)، حسب المدة التي يراها كافية لانجاز البحث، ثم عليه أن يحدد مكان الدراسة: في مصر، أم في الوطن العربي كله...الخ، ثم عليه أن يحدد مصادر المادة من اختيار الشرائح التي تمثل العربية المعاصرة تمثيلا صادقا: (جرائد، روايات...الخ)، ثم يبدأ جمع المادة حتى يتأكد من جمع مادة كافية لدراسة الظاهرة موضوع البحث والدراسة، بشرط الالتزام أثناء الجمع بالحدود الزمانية والمكانية والمستوى اللّغوي للبحث، ثم يبدأ بعد ذلك في التحليل، من واقع المادة التي بين يديه فلا يسجل أحكاما مسبقة، ولا يتأثر بالأحكام القديمة والدراسات السابقة عن اللّغة أو عن الظاهرة ويستعمل ويستخدم في ذلك نظريات البحث الحديثة فمثلا في المستوى الدلالي هناك نظريات للتحليل الدلالي أهمها:

- المجال الدلالي *semantic field*
- السياق *Context*
- التحليل التكويني *Compenential Analysis*

وبعد التحليل يصل إلى وصف دقيق يعبر عن سلوك هذه الظاهرة ويخرج بنتائج بحثه»[(1)]

2- المنهج التاريخي:

«ولا يقصد هنا البحوث التي تجري في مجال "الدراسات التاريخية"، وإنما يقصد بها جمع البيانات والمعلومات الماضية المتاحة عن الظاهرة اللّغوية موضوع الدراسة، على سبيل المثال اللّغة العربية، تنظيمها، وإعادة تصنيفها، وتفسير بعض الظاهرات المتعلقة بها، والوصول إلى خلاصات ونتائج جديدة منها تضيف إلى النظريات القائمة والدراسات الماضية أو تسهم في إلقاء الضوء على نظريات أو فروض جديدة»[(2)]، «فالمنهج التاريخي، يدرس اللّغة دراسة طويلة، بمعنى أنه يتتبع الظاهرة اللّغوية في عصور مختلفة، وأماكن متعددة ليرى ما أصابها من تطور ،محاولا الوقوف على سر هذا التطور وقوانينه المختلفة ويمكننا لذلك، القول بأن عرض نحو أية لغة، يكتفي إن أراد الاقتصار على هذه اللّغة بوصفها، غير أنّ تعليل الظواهر التي توجد في هذه اللّغة، يظل أمرا بالغ الصعوبة، إذا لم يعرف لهذه اللّغة فترات تاريخية متباعدة، يمكن المقارنة بينها، ومعرفة صور التطور الناتجة عبر الأجيال الكثيرة وعندئذ يمكن الكشف عن السر الذي يكمن وراء إحدى صور هذا التطور، ولنأخذ مثلا على هذا: اللّغة العربية

---

[1] محمد محمد داود، مرجع سابق، ص 95، 96، 97، بتصرف .

[2] سمير محمد حسين، مرجع سابق، ص 110، بتصرف.

العامية، التي نتحدث بها اليوم في البلاد العربية، فان وصف هذه اللّغة من نواحيها المختلفة، أمر سهل ميسور، إذ يقال مثلا: إن الإستفهام يعبر عنه بنبر أحد أجزاء الجملة، وإنّ النفي يكون بالأداة: "مش" مثلا، وانّ تركيب الجملة فيها: فاعل + فعل + مفعول...الخ، ولكن معرفة سر وصول هذه النواحي المختلفة، من صوتية، وصرفية، وتركيبية، ودلالية، وغيرها، إلى ما وصلت إليه، كان من الممكن أن يظل لغزا، لولا معرفتنا بالعربية الفصحى، وكان من الممكن أن يزداد وضوح التطور وأسراره في هذه اللّغة العامية، لو أننا توصلنا إلى معرفة حلقات التطور المختلفة، منذ الجاهلية حتى الآن»**(1)**

«فهذا المنهج يدرس اللّغة الواحدة على سبيل المثال كما ذكرنا سالفا اللّغة العربية من خلال تطورها عبر المراحل المختلفة منذ النشأة إلى الوقت الحاضر لمعرفة تاريخها منذ العصور الأولى وأسباب تغيراتها وأطلق "دي سوسير" على هذا الضرب من الدراسة اسم اللّسانيات التطورية (*Linguistique Diachronique*)، مستلهما هذا المصطلح من اللّغة اللاتينية إذ السابقة dia تعني "عبر"، والجذر *chronas* يعني "الزمن"، وهكذا يكون المعنى الكامل دراسة اللغة عبر الزمن، وعليه فالدراسة التطورية هنا تشبه إلى حد بعيد العلم الذي يسمى بالجيولوجيا، والذي يدرس مختلف طبقات الأرض المتكونة عبر التاريخ، وكان علماء اللّغة في هذا القرن يعتقدون أنّ المنهج الصحيح والوحيد الذي يجب إتباعه في دراسة الظواهر اللّغوية هو ذلك الذي يقدمه المؤرخ معتمدا فيه على معطيات لغوية قديمة، ومستعينا في تحرّياته بعلم النقوش (*Epigraphy*)، وعلم الوثائق (*Paleography*).

---

[1] رمضان عبد التواب ، مرجع سابق، ص ،196، 197.

كانت الدراسة التاريخية للغة فكرة غريبة وغير محبذة على الإطلاق من قبل اللّسانيين، ولم يتقبلوها إلا في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد لأن التاريخ في نظرهم لا يدرس الأشياء والظواهر اللّغوية، بل يدرس حياة الأمم السابقة، والحروب والمؤامرات وغيرها، وبهذا القبول فالدراسات اللّغوية أخذت منعرجا جديدا وعليه فالمنهج التاريخي يتطلب من صاحبه جهدا كبيرا ومعرفة واسعة بعدد من اللّغات الكلاسيكية والحديثة على حد سواء، ونادرا ما نجد متخصصا في أسرتين أو أكثر نظرا لقدرة الإنسان المحدودة.

أما **منهجية البحث** : فالباحث يقوم بجمع عيّنات لغوية من الأسرة الواحدة، ويسجل التطورات المتتالية للكلمة الواحدة عبر مختلف العصور ثم يحاول جاهدا بناء الشكل الافتراضي الأول على قواعد منهجية قام بتسطيرها أصحاب هذا العلم، وعن عمل الأخصائي في المنهج التاريخي يرى ماريوباي (*Mariopei*) أنه يشبه عمل الشرطة السّرية المتمثل في التقاط المفاتيح واستعمالها وربط الجزيئات بعضها ببعض، وفي علم اللّغة قد يظل السّر غير منكشف تماما، كما يحدث في تحقيقات الجرائم، ولكن هناك قواعد لاستخدام الشواهد، وهناك مناهج تتعلق بكيفية استعمال المفاتيح» (1)

«ويعتمد المنهج التاريخي على المنهج الوصفي الذي يأتي ممهدا للدراسة التاريخية»(2)

1 أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص 63، 64، بتصرف واختصار.

2 محمدمحمد داود مرجع سابق، ص 97، باختصار

*** بين المنهج التاريخي والمنهج الوصفي:**

«كانت اللّسانيات السائدة في القرن التاسع عشر هي اللّسانيات التاريخية، ولم يكن هناك تمييز واضح بين الدراسة الآنية والدراسة الزمانية كما ذهب إلى ذلك "دي سوسير" في محاضراته فاللّسانيات الآنية *Linguistique Synchronique* تدرس أية لغة من اللّغات على حدة، دراسة وصفية في حالة معيّنة (*Etat de Langue*)، أي في نقطة زمنية معينة وهذه الدراسة لا تقتصر في الواقع على دراسة اللّغات الحديثة، بل يمكنها أيضا دراسة اللّغات الميتة شرط توفر كل المعطيات اللّغوية التي تتبني عليها الدراسة العلمية الوصفية، أما اللّسانيات الزمانية (*Linguistique Diachronique*) فتتناول بالدراسة التغيّرات والتطورات المختلفة التي طرأت على لغة ما عبر فترة من الزمن أو خلال فترات متتابعة في الزمن الماضي، وبدون شكل، وعليه فان كلا المنهجين مهم في الدراسة اللّغوية، ولا يمكن الاستغناء عنه والمفروض فقط والمستلزم عدم الخلط بينهما عند البحث والدراسة إذ لكل منهما قواعده الخاصة وخطواته، فالمنهج الآني منهج استقرائي ساكن والمنهج الزماني منهج حركي تطوري، والمؤكد أنّ "دي سوسير" لم يرفض اللّسانيات الزمانية، ولم يعدّها شيئا ثانويا، أو غير لازم، ولكنه ألّح وطالب فقط في الفصل بينهما، كي لا تدحض النظرة التطورية الوصف الآني، وكي تثبت كل واقعه في مجالها الخاص، وحسب "دي سوسير" فاللّسانيات الآتية تعني بالعلاقات النفسية والمنطقية التي تربط مفردات متواجدة معا وتشكل نظاما في العقل الجماعي للمتكلمين، وعلى العكس تماما فاللّسانيات الزمانية تدرس العلاقات التي تربط المفردات المتعاقبة التي لا يدركها العقل الجماعي، والتي يحلّ بعضها محلّ البعض

الآخر دون تشكيل أي نظام يذكر» (1)، «إن هذه الثنائية ذات علاقة بالمناهج المعتمدة في دراسة الظاهرة اللّسانية، ولهذا فضلنا أخذها بالدراسة فالظواهر اللّسانية يمكن دراستها بالنظر إلى الزمن وفق منهجين مختلفين، **المنهج الأول** كما ذكرنا وهو المنهج التزامني "الآني" الوصفي (*Déscriptif*) ، وبتعبير "دي سوسير" المنهج "السنكروني"، ويقصد به دراسة ظاهرة لسانية في زمن معين أو في حالة محددة، **والمنهج الثاني** وهو المنهج التاريخي (*Historique*) التطوري، التعاقبي، الزماني، وبتعبير "دي سوسير" "الدياكروني"، ويقصد به كما ذكرنا دراسة ظاهرة لسانية في مراحل زمنية متتابعة، فهي دراسة للّغة عبر تطورها التاريخي، وقد أرسى "دي سوسير" دعائم المنهج الأول في وقت بلغ فيه المنهج التاريخي أوجه حتى قال أحد اللّسانيين وهو "بول هرمان: إن الطريقة العلمية الوحيدة لدراسة اللّغة هي الطريقة التاريخية"» (2) «وقد برهنت الدراسات اللّسانية أنّ المنهج الآني (الوصفي)، (السكوني)، والمنهج الزماني (التاريخي) متكاملان وكل منهما في خدمة اللّغة، فالدراسات الآنية هي "منطلق الدراسات الزمانية، والآنية لا تخلو من عناصر زمانية (تاريخية)»(3)، «وقد وضح "دي سوسير" طبيعة كل من الدراستين من خلال المثالين التاليين:

المثال الأول: إذا قطعنا النبات بصورة عرضية يظهر لنا شكل معقد للسطح الذي قطعناه، وهذا الشكل لا يميز إلا زاوية واحدة للأنسجة الطولية، ونستطيع أن نرى هذه الأنسجة إذا قمنا بقطع ثان عمودي على الأول، وفي

---

[1] أحمد مؤمن ، مرجع سابق، ص 125، 126، بتصرف واختصار.
[2] عن محاضرة ، قسم الأدب العربي، السنة الثالثة جامعي، بتصرف.
[3] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 310، 311،بتصرف واختصار.

هذه الحالة أيضا يعتمد المقطع الأول على المقطع الثاني، فالمقطع الطولي يرينا الأنسجة التي تؤلف النبات والمقطع العرضي يرينا ترتيب الأنسجة على سطح معين، ولكن المقطع الثاني يختلف عن الأول، لأنه يبين بعض العلاقات أي الأنسجة التي لا نستطيع أن نفهمها إذا نظرنا إلى المقطع الطولي.

فالدراسة الآنية شبيهة بالشريحة المقطوعة قطعا عرضيا في حين أنّ الدراسة الزمانية شبيهة بالمقطع الطولي.

المثال الثاني: يقدم "دي سوسير" تشبيها آخر، وهو تشبيه اللّسان بلعبة الشطرنج، حيث يقول: "ولعل أفضل تشبيه هو بين وظيفة اللّسان ولعبة الشطرنج ففي كلتا الحالتين يوجد نظام من القيم والتغيرات التي نلاحظها عليها فلعبة الشطرنج تشبه صورة مصطنعة لما يقوم به اللّسان بصورة طبيعية،ويشرح "دي سوسير" ذلك على النحو التالي:

أولا: أنّ أية حالة من حالات ترتيب قطع الشطرنج تشبه كثيرا حالة من حالات اللّسان *Etats de Langue* فقيم القطع تعتمد على موقعها على لوحة الشطرنج كما أنّ كل عنصر من العناصر اللّسانية يستمد قيمته من تقابله مع العناصر الأخرى.

ثانيا: إن النظام يرتبط دائما بلحظة زمنية معينة، فهو يختلف من وضع إلى آخر، كما أن القيم تعتمد بالدرجة الأولى على العرف الثابت: أي على قوانين اللعبة الموجودة قبل بدء اللّعب، ويظل فعالا حتى النهاية، ومثل هذه القوانين المتفق عليها موجودة في اللسان أيضا فهي المبادئ الثابتة لعام العلامات وأخيرا: إن الانتقال من حالة من التوازن إلى حالة أخرى، أي من حالة سنكرونية إلى حالة أخرى لا تحتاج إلا إلى تحريك قطعة واحدة فقط،

ولا تحتاج إلى عجيج من الحركة، وهذا شبيه بالظاهرة الدياكرونية بجميع مميزاتها، وبناءا على ما سبق، فهذا التشبيه حسب "دي سوسير" لا يشكو إلا من نقطة ضعف واحدة، فلاعب الشطرنج يهدف إلى إحداث تغيير، وهو بذلك يغير في النظام بقصد، أما اللغة فلا يدخل فيها القصد حيث تتغير القطع اللّسانية أو يصيبها التحوير بصورة تلقائية وعرضية، وليكون التشبيه تاما بين لعبة الشطرنج وعمل اللّسان علينا- كما يقول "دي سوسير" أن نتصور لاعبا يفتقر إلى الشعور أو إلى الذكاء، وبناءا عليه فاللّسانيات السنكرونية تدرس اللّسان من وجهة نظر المتكلمين فقط فلها طريقة واحدة، أما اللّسانيات الدياكرونية فتتوزع بين تأمل المستقبل *Prospective* وتأمل الماضي *Retrospective*

3- المنهج المقارن: Comperative Method

«إن بداية ظهور المنهج المقارن كان يظهر بظهور مقطع من خطاب ألقاه السّير "وليام جونز" على مسامع أعضاء الجمعية الملكية الآسيوية في كلكوتا بالهند وذلك في اليوم الثاني من شهر فيفري 1786م ونظرا لأهمية النص سنترجمه بحذافيره في هذا المقام: "إن اللّغة السنسكريتية مهما كان قدمها، فلها بنية رائعة، فهي أحسن من الإغريقية وأغنى من اللاتينية، وأشد تهذيبا وصقلا من كليهما، ولكن تربطها بالآخرين قرابة وثيقة للغاية سواء من حيث الأصول الفعلية أو الأشكال النحوية، ولا يمكن لهذه القرابة أبدا أن تكون من قبيل المصادفة، فالصلة متينة جدا إلى درجة أنه لا يمكن لأي فيلولوجي أن يفحص هذه اللّغات الثلاث دون الإعتقاد بأنها انبثقت من أصل واحد قد لا يكون له أي وجود، وهناك سبب مماثل، وإن كان غير قسري، للإعتقاد بأن كلا من القوطية والسلتية على الرغم من

امتزاجها بلهجة مختلفة جدا، إلا لهما أصلا واحدا تشتركان فيه مع السنسكريتية، كما يمكن للفارسية القديمة أن تضاف إلى هذه العائلة أيضا"، وعلينا أن ندرك أن "جونز" لم يقم بوضع أسس المنهج المقارن في علم اللغة، وإنما لقي اقتراحه هذا صدى عميقا في أوساط علماء اللسانيات من أمثال "بوب" و"راسك" و"غريم" »[1] «وعليه فقد بدأ التقدم الحقيقي لهذا المنهج في القرن التاسع عشر باكتشاف كما ذكرنا اللغة السنسكريتية وهي لغة تراث الهند القديم، إذ أن هذه اللغة لم تمت، وما يزال بعض العلماء الهنود يقرأون نصوصها ويؤلفون بها، حيث لاحظ اللّغويون الأوربيون الشبه الواضح للسنسكريتية باللغات الأوربية القديمة، ولا يقتصر الشبه على طائفة من المفردات المتشابهة، ولكن اكتشف الشبه في بنية اللغة السنسكريتية واللغات الأوربية القديمة من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية، ومر البحث والمنهج المقارن بعدة مراحل على يد العالم اللغوي "شليجل" و"فرانتس بوب" هذا الأخير الذي صدر كتابه "علم اللغة المقارن" ويعتبر "بوب" أول من ألف كتابا جادا في هذا العلم، وكان يرى أن الهدف من النحو المقارن إعادة تكوين اللغة الهندية– الأوربية الأولى، ولم يكن يرى رأي "شليجل" أن السنسكريتية أصل كل اللغات الهندية الأوربية، فحاول "بوب" أن يستخرج ملامح اللغة الهندية – الأوربية الأولى اعتمادا على مقارنة اللغات الأوربية المختلفة والمضي من المراحل الأقدم الى محاولة للتعرف على اللغة الاقدم التي خرجت عنها كل هذه اللغات»[2]

---

[1] أحمد مؤمن، مرجع سابق، ص 66، 67، بتصرف.

[2] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 126، 127، بتصرف واختصار.

ونستنتج مما سبق أن المنهج المقارن «هو دراسة وتصنيف الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية المتشابهة في اللغات التي تنضوي تحت أسرة لغوية واحدة، أو دراسة هذه الظواهر في لغة معينة مع إجراء مقارنة بين الفترات التاريخية التي مرت بها هذه العلاقة» [(1)] «وبعد تصنيف اللغات الهندوأوربية، اتجه علماء الساميات إلى تطبيق المنهج المقارن للغات الهندوأوربية على مجموعة اللّغات السامية، وحاولوا من خلال دراستهم المقارنة الوصول إلى الأصول الأولى وقد أطلقوا عليها اسم "اللغة السامية الأم"، وتعود صعوبة الرجوع بظاهرة ما إلى أصلها في اللغات السامية إلى أن هذه اللغات السامية ليست حلقات تضمها سلسلة لغوية واحدة، يسهل معرفة أقدمها وتسلسلها، فهذه اللغات السامية أرجعها العلماء إلى لغة واحدة اصطلحوا على تسميتها باللغة "السامية الأم"، إلا أنه لا يوجد لدينا وثائق أو نقوش مكتوبة لهذه اللغة، وقد أدرك علماؤنا القدامى العلاقة بين اللغات السامية، قال "الخليل بن أحمد" (ت 175هـ) "وكنعان بن سام ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية"، وقد وقف "ابن حزم الأندلسي "(ت 456هـ) على العلاقة بين العربية والعبرية والسريانية حيث قال: "من تدبر العربية والعبرية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من بديل تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل"، كما وفق "أبو حيان الأندلسي" (ت 754هـ) على العلاقة بين اللغة العربية واللغة الحبشية»[(2)].

4- المنهج التقابلي *Contrastive Method*

---

[1] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 66، باختصار.

[2] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 289، 290، 291، باختصار.

«يقوم تعليم اللّغات في رأي الباحثين المعاصرين على عدة أسس من أهمها المنهج التقابلي وموضوع البحث والدراسة في هذا المنهج الذي يعتبر – من أحدث مناهج علم اللغة– هو المقابلة بين لغتين اثنتين أو لهجتين اثنتين أو لغة ولهجة أي بين مستويين لغويين متعاصرين ويهدف المنهج التقابلي إلى إثبات الفروق بين المستويين ولذا فهو يعتمد على علم اللغة الوصفي، فإذا كان المستويان اللّغويان قد وصفا دقيقا، بمنهج لغوي واحد أمكن بحثهما بعد ذلك بالمنهج التقابلي، واثبات الفروق بين المستويين يوضح جوانب الصعوبة في تعليم اللّغات، فإذا كان أحد أبناء اللغة الانجليزية يود تعلم العربية فالصعوبات التي تواجهه ترجع في المقام الأول إلى اختلاف لغته الأم وهي الانجليزية عن اللغة التي يريد تعملها وهي العربية»[1]، «فقد قوبل بين اللغة العربية واللّغة الانجليزية في الفعل والاسم كما قورن بينهما في الفعل من حيث المبنى والزمن والحدث وقد أظهرت هذه الدراسات أوجه التشابه والاختلاف وفيما يلي بعض منها:

– اللّغة الإنجليزية لا توجد فيها إلا الجملة الاسمية أما اللغة العربية فلها نوعان من الجمل هما: الجملة الاسمية والجملة الفعلية.

– الاستفهام والنفي والنهي يؤدي إلى اللغة العربية بأدوات تضاف إلى الجملة الاسمية أو الفعلية أما في اللّغات الإنجليزية فتؤدي بواسطة التركيب الفعلي.

– ولعراقة اللغة العربية أصبح لها مستويان مختلفان فأفصحها وأنقاها لغة القرآن الكريم، ثم اللّغة المستعملة في القراءة والكتابة لغة التخاطب بين

---

[1] محمود فهمي حجازي، مرجع سابق، ص 40، 41، باختصار.

المثقفين ثم لغة التعامل العادية، أما اللّغة الانجليزية فلا توجد فيها كل هذه المستويات لحداثتها»[1]

[1] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 68، 69، باختصار.

الفصل التاسع
الأصـوات العربيـة

أولا : الأصوات العربية وعلم الأصوات العام.

ثانيا: علم الأصوات الوظيفي.

ثالثا: العناية باللّغة العربية.

تمهيد:

إن علم الأصوات، علم عريق في تاريخ اللغة العربية، صحيح أنه لم يكن يعرف بهذا الاسم، لكن الذي يقلب كتب اللغة العربية يعرف أن "الخليل بن أحمد الفراهيدي" قد اكتشف الأصوات أو الصوتيات قبل الغربيين وذلك لاعتماده على مخارج الأصوات في ترتيب مادة معجمه "العين"، ولا ننسى "ابن جني" عندما عرّف اللغة بأنها أصوات وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن المكتبة العربية، لها جذورها في هذا العلم وإنه علم الأصوات هو الأساس الذي يبنى بفضله كيان العلوم اللغوية العربية المتعددة، بل علوم اللّغات الأخرى أيضا.

أولا: الأصوات العربية:

«لقد عرّف "ابن جني" اللغة وقصرها على "الأصوات" التي هي مادة الصوتيات الحديثة، والأصوات تلفظ وتسمع ولا ترى إلا بعد أن يتم تمثيلها عن طريق الكتابة الأبجدية، ونادرا ما تعكس أنظمة الكتابة المعروفة كل الحقائق الفيزيائية الموجودة في الأصوات اللغوية! والكتابة على اختلاف أنواعها ليست سوى تمثيل تقريبي للكلام الصادر عن الإنسان في شكل ذبذبات صوتية ملموسة، وحتى الرسم الصوتي الذي تعتمد عليه بعض اللغات، فإنه لا يظهر كل الغنى الموجود في اللغة المنطوقة، وفي الكلام الشخصي من التنوع مالا يقدر على ترجمته أي رسم قائم على الكتابة،

ومع أن مصطلح "الصوتيات" أو "الأصوات" لم يكن معروفا لانعدام الدرس الصوتي المستقل، فإن علماء العربية القدامى عالجوا مادة الأصوات في سياق علوم شتى كتجويد القرآن، والصرف، والنحو واللغة، والمعجمية فكانوا عباقرة في دراسة الأصوات دراسة نطقية دقيقة لم يسبقهم إليها أحد ماعدا الهنود، وبفضل اعتمادهم على الملاحظة تمكنوا من وصف الحروف العربية مخرجا وصفة بدقة قلما توصلت إليها الدراسات المعاصرة بكل ماديها من وسائل تقانية وآلات لمعالجة الصوتيات النطقية» (1) «و"الخليل الفراهيدي" كان أساس منهجه الدرس الصوتي العربي، فقد اعتمد على المنهج الصوتي في ترتيب أبواب "كتاب العين"، ولذلك ابتدأ الكتاب بالعين وهي أقصى الحروف مخرجا ولم يبدأ بالهمزة لأنها لا استقرار لها وهذا غير صحيح بطبيعة الحال فهمزة القطع أبعد مخرجا من العين، وقد أدرك هذا تلميذه "سيبويه" (ت 180هـ)، وعليه فقد جمع "الخليل" في معجمه ألفاظ اللغة حسب مخارجها فبدأ بالحلقية ثم باللسانية ثم بالشفوية ثم بالجوفية وقد رتب أبنية الكتاب بنظام التقليبات أو التبادل والتوافيق وهو نظرية رياضية تدل على اهتمامه بالعلوم الرياضية والموسيقى والأصوات، وبالنسبة للدرس الصوتي عنده فقد اعتمد واستفاد من الملاحظات الصوتية التي تداولها قرّاء القرآن الكريم، ولكن دراسة الأصوات شاملة لهذه الأصوات فقد رتبها ترتيبا صوتيا حسب الحيز والمخرج، معتمدا على تذوق الحروف شفويا، وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو اب، ات، فوجد العين داخل الحروف في الحلق، كما اعتمد على الجانب السمعي الذي يتمثل في وقع الصوت على الأذن، وتعرض لعملية إنتاج الصوت اللغوي

---

[1] زبير دراقي، مرجع سابق، ص 58، 59 ، بتصرف.

حيث يخرج الهواء من الجوف وصنف الأصوات الصّحاح وحروف المد واللّين.»[1]، «وكذلك نجد الدراسة الصوتية للّغة العربية في كتب النحو والصرف حيث اعتبرها النحاة تمهيدا لدراسة ظاهرة الادغام كما فعل سيبويه حيث عالج الأصوات ودرسها قبل معالجة الادغام، ومثل ذلك فعل المبرد في كتابه "المقتضب" حيث عالج الادغام في الجزء الأول من هذا الكتاب، وقدم له بدراسة للأصوات ومخارجها، كذلك أنهى "الزجاجي" (ت 337هـ) كتابه "الجمل" بالحديث عن الإدغام ومهد لحديثه ببعض الأفكار الصوتية وأنهى "الزمخشري" (ت 538هـ) كتابه "المفصل" بالإدغام أيضا وقدم بين يديه دراسة للأصوات، وفي البحوث الصرفية معلومات صوتية، وفي كتب اللغة وفي مقدمات المعاجم العربية خاصة نجد معلومات عن أصوات اللغة العربية، وإن يكن أكثرها ترددا لكلام "الخليل" أو لكلام "سيبويه" أو لكلايهما معا كما أسهم علماء القراءات القرآنية، فسجلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية، مثل الإشباع والروم والمد والتفخيم والترقيق وغيرها، ثم كان "ابن جني" (ت 392هـ) الذي استهل كلمة "علم" للدلالة على هذا اللون من الدراسة اللغوية، حيث أفرد للدراسة الصوتية كتابا مستقلا ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته وذلك في كتابه "سر صناعة الأعراب" (أنظر الكتاب ص 5)، الذي يتناول فيه عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها وبيان الصفات العامة للأصوات وتقسيمها باعتبارات مختلفة، كذلك درس ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الادغام أو النقل أو الحذف كما درس نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد»[2]

---

[1] شرف الدين الراجحي وسامي عياد حنا، مرجع سابق، ص 74، 75، بتصرف.

[2] دافيد كرستل، مرجع سابق، عن هامش، ص 91، 92.

أ الدراسة الصوتية:

يمكن النظر إلى اللغة من خلال طريقتها الفعلية في النطق *Atticulation* عند بني الانسان وإلى المادة الطبيعية التي يتكون منها، ثم ندرس أعضاء النطق *Vocal organs* التي تنطلق من خلالها الأصوات الأساسية للكلام *Basic sounds of speech* كما ندرس الموجات الصوتية *Sound waves* التي تنتقل الأصوات عن طريقها خلال الهواء من شخص لآخر، ثم ندرس الطريقة التي يستقبل بها الإنسان هذه الأصوات هذه المظاهر الثلاثة ليست سوى فرع واحد من فروع علم اللغة له اسم خاص هو علم الأصوات *Phonetique* وبناءا على ذلك علم الأصوات، هو علم دراسة الأصوات الكلامية للإنسانية وهو يدرس الخصائص المميزة لكل الضوضاء الصوتية الانسانية»[(1)]، وعليه فإن علم الأصوات يضم الفروع التالية:

أ- علم الأصوات النطقي *Articulary phonetics*

«كانت الدراسات الصوتية القديمة تقوم على هذا الجانب النطقي نظرا لكونه الوسيلة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يتوفر لهؤلاء الدارسين القدماء تلك الأدوات والأجهزة العلمية المتوفرة الآن التي تساعد على اكتشاف جوانب أخرى جديدة لأصوات الكلام، وهذا ما قدمه العلماء العرب الذين اعتمدوا على الانطباعات السمعية في دراساتهم العملية ومصطلحاتهم وتصنيفاتهم الصوتية التي تركوها لنا، وظلت الدراسات الصوتية على هذا النحو إلى أن استعان علماء الأصوات في العصر الحديث بعلوم أخرى مثل علم التشريح وعلم البيولوجيا

---

[1] نفسه ، ص 89، باختصار.

(الأحياء) وعلم وظائف الأعضاء، وقد كان لهذا الأخير الأثر الأكبر في كشف العملية الصوتية»[1] .

وعليه فتتمثل موضوعات علم الأصوات النطقي في تحديد مخارج الأصوات وطريقة نطقها، ويصف صفاتها، ويبين كذلك أعضاء النطق، ويصف عملها.

ب- علم الأصوات الفيزيائي *Phonétique accoustique*

وتتمثل موضوعاته في الموجات الصوتية الصادرة عن جهاز النطق، وانتقالها إلى الأذن، والعوامل المؤثرة في ذلك من الجوانب الفيزيائية.

ج- علم الأصوات السمعي *Phonétique auditive*

«وهو أحدث فروع علم الأصوات وله جانبان: الجانب النفسي والجانب الفسيولوجي، ويهتم الجانب النفسي بتأثير الذبذبات الصوتية على السمع، وعملية إدراك السامع للأصوات المنطوقة، أما الجانب الفيسيولوجي فيهتم بالذبذبات الصوتية عند استقبال أذن السامع لها وبآلية الجهاز السمعي وما يضمه من أعضاء ووظيفة كل عضو عن هذه الأعضاء عند استقباله للذبذبات الصوتية»[2]، والذي يهمنا في إجراء التحليل والدراسة هو الفرع الأول، وعلينا أن نعرف أولا:

أ آلية إنتاج الصوت:

أو بعبارة أخرى كيف يحدث الصوت الإنساني، فمصدر الطاقة لمعظم أصوات الكلام يكمن في تيار الهواء المندفع من الرئتين عند الزفير، فتيار الهواء الذي يندفع من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة ثم الفم أو

---

[1] شرف الدين الراجحي وسامي عياد حنا، مرجع سابق، ص 87، بتصرف واختصار.

[2] نفس المرجع السابق، ص 92، باختصار.

الأنف ضروري لحدوث أي صوت نتفوه به، حيث يخضع هذا التيار إلى تغيرات مهمة قبل أن يكتسب الصوت صفة مميزة فيصبح في عداد أصوات الكلام، وأول هذه التغيرات تحدث في المزمار (الفتحة التي بين الأوتار الصوتية) حين تحول الأوتار الصوتية الطاقة التي يزودنا بها التيار الهوائي إلى طنين مسموع buzz، ثم تتوالى تغيرات أخرى تطرأ على هذا الطنين بفعل التغيرات في شكل تجويف الفم والبلعوم وحجمهما بالإضافة إلى عمل اللّسان والشفتين واللّهاة وسقف الحلق اللين، حيث تعمل التجاويف مع بقية أعضاء النطق المتحركة على تحويل هذا الطنين المسموع إلى صوت مميز مفهوم فيما يلي أهم مكونات الجهاز النطقي عند الإنسان»[(1)]

*** جهاز النطق (الجهاز الصوتي):**

«له وظيفتان أساسيتان: التنفس والنطق، وهو شبيه بآلة رائعة، يكمن فيها الإعجاز العلمي والقدرة الإلاهية إذ يسمح هذا الجهاز بإنتاج عدد لا يحصى من الأصوات اللّغوية، والجهاز الصوتي هو واحد عند جميع البشر، لكنه في الاستعمال متنوع إلى ما لا نهاية، لارتباطه بالفرد المتكلم أكثر من ارتباطه بالنظام الصوتي الذي لا يتعدى ثلاثين حرفا في معظم اللّغات، ويتألف هذا الجهاز من عدة أعضاء تساهم كلها في عملية النطق، وإصدار الكلمات، هذه الكلمات التي تشكل اللغة وهي كالآتي»[(2)]

أ- **الرئتان:** وينحصر عملهما في إمداد الجهاز الصوتي بالهواء اللازم لإحداث الصوت وإنتاجه وبدون الرئتين تنعدم عملية التنفس والكلام.

---

[1] شحدة فارع ((وآخرون)) ،مرجع سابق، ص49.

[2] زبير دراقي، مرجع سابق، ص 62، بتصرف.

ب- القصبة الهوائية: وهي قناة غضروفية تصل مابين الرئتين والحنجرة، فهي ممر الهواء الصاعد من الرئتين إلى الحنجرة»[1]

ج- الحنجرة: «تلي القصبة الهوائية وتحتوي على زوجين من التجاعيد الغشائية المعروفة بالأوتار أو الحبال الصوتية، وباهتزاز وترين مرنين منها تحدث الأصوات، أما الفراغ الواقع بين الحبال الصوتية وأقصى الحلق، فيسمىّ المزمار، وللمزمار لسيّن يعمل بمثابة صمّام يحمي طريق التنفس عند البلع، إلا أنها تشارك وتتدخل أحيانا في عملية إصدار الصوت.

د- البلعوم: يقع ما بين جدر اللّسان والمرئ، وهو فراغ تتقاطع فيه قنوات الهضم والتنفس، ويعدّ مخرجا للأصوات البلعومية بنوعيها: الاحتكاكي كالعين والحاء والهوائي كالياء.

هـ- تجويفا الأنف: يشكلان حجرة رنين لبعض الأصوات ويتوقف انفتاحهما أو انغلاقهما على الغلصمة هي غشاء يوجد داخل الفم وينتهي طرفه الأسفل بلحيمة رخوة ومتحركة يقال لها اللّهاة»[2]

«**و- الفم:** ويتكون هذا العضو من الشفتين والأسنان والحنك، واللّسان.

أما الشفتان : فتتحركان بحرية في كل اتجاه، وتتخذان أوضاعا مختلفة عند نطق الأصوات، ومن الممكن ملاحظة هذه الأوضاع، في يسر وسهولة، إذ يمكن أن تنطبق الشفتان فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن ثم تنفرجان، فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا، كما في نطق الباء،

---

[1] محمد الأنطاكي، مرجع سابق، ص 12، بتصرف.
[2] زبير دراقي ، مرجع سابق، ص 63.

كما تستدير الشفتان، كما يحدث عند نطق الضمة مثلا، كما يمكن أيضا أن تنفرج، كما في نطق الفتحة، إلى غير ذلك من الأوضاع والحركات.

وأما الأسنان: فمن أعضاء النطق الثابتة في الجهاز النطقي ولا سيما العليا منها، ولا تستعمل في النطق إلا بمساعدة أحد الأعضاء المتحركة، كاللسان و الشفة السفلى.

وأما سقف الحنك: فهو الذي يتصل به اللّسان في أوضاعه المختلفة في الفم، ومع كل وضع من أوضاع اللّسان، بالنسبة لجزء من أجزاء الحنك الأعلى تتكون مخارج كثير من الأصوات، وينقسم سقف الحنك إلى أربعة أقسام: الأول: هو اللّثة، أو أصول الأسنان العليا، والثاني: هو الغار، وهو الجزء الصلب من سقف الحنك، وهو محدّب ومحزّز، والثالث: هو الطبق، وهو الجزء الرخو من سقف الحنك وهو متحرك والرابع: هو اللّهاة التي سبق وأن أشرنا إليها عند ذكر تجويفا الأنف، وتعتبر اللّهاة جزء متحرك

وأما اللسان: فإنه أعظم عضو في عملية النطق، وهو يحتوي على عدد كبير من العضلات، التي تمكنه من التحرك، والامتداد والانكماش والتلوي إلى أعلى أو إلى الخلف، وهذه السهولة في التحرك، مكنت اللّسان من الاتصال بأية نقطة من الفم، فنتج عن تحركاته المختلفة، عدد كبير من الإمكانات الصوتية في الجهاز النطقي، ولا غرابة بعد كل هذا إذا كان اسمه يرادف كلمة "اللغة" وفي القرآن يقول الله تعالى: (بلسان عربي مبين)» [(1)]، «وبهذا يمكن أن يخرج من كل جزء من أجزاء هذا الجهاز، عدد لا حصر له من الأصوات، بمساعدة حركة أجزائه المتحركة، غير أن الشعوب البشرية قد اختلفت فيما بينها في استخدام إمكانات الجهاز النطقي.

---

[1] رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص 25، 26، بتصرف.

أ مخارج الأصوات:

المخرج هو المكان الذي يحدث فيه الصوت، وعلى أساسه نصنف الأصوات اللغوية في الجهاز النطقي لدى الانسان و فيما يلي:

*** مخارج الأصوات العربية عند القدماء:**

رأي "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت 175هـ) أن الترتيب المألوف لحروف الهجاء العربية وهي: أ- ب- ت- ث- ج- ح- خ- ... إلى آخره، إنما استمده النساخ من الترتيب السامي القديم الذي اشتهر عند الأمم السامية العريقة كالفينيقيين والعبريين، وهو ترتيب أبجد هوز..وأن النساخ قد وضعوا الرموز المتشابهة الصورة بعضها بجوار بعض، ومن هنا جاء الترتيب الهجائي المألوف لدينا، كما لاحظ "الخليل" أن هذا الترتيب أساسه غير علمي حيث اختار ترتيبا آخر يقوم على أساس مخارج الأصوات وبنى عليه معجمه "العين" فبدأ بأصوات الحلق وجعلها أقساما، فجاء ترتيبه للأصوات اللغوية في العربية على النحو الآتي:

ع- ح- هـ- غ/ ق- ك /ج – ش- ض/ ص- س- ز/ ط- د- ت / ظ- ذ- ث/ ر- ل- ن/ ف- ب- م/ أ- ى.

"وكان "الخليل بن أحمد" أسبق من ذاق الحروف ليتعرف مخارجها، ويقول عنه تلميذه "الليث بن المظفر": "وإنما كان ذواقه إياها، أنه كان يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف نحو أب، أت، أح، أع، أغ فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب"، وهذا كما سبق وأن ذكرنا، وقد جاء سيبويه ورتب الأصوات العربية حسب مخارجها، وقد خالف في بعض ترتيبه ترتيب "الخليل" وجاء ترتيبه على النحو التالي: ء/هـ- ع- غ- خ/ ق- ك/ ج- ش- ى- ض/ ل- ر- ن / ط- د- ت / ص- ز- س /

ظ- ذ- ث / ق- ب- م- و، لقد جعل "الخليل" المخارج ثمانية قال: "فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية، لأن مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان، لأن مبدأهما من اللّهاة، والجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم، أي مخرج الفم، والصاد والسين والزاي أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستق طرف اللسان، والطاء والتاء نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى، والظاء والذال والتاء لثوية لأن مبدأها من اللثة، والراء واللام والنون ذلقية، لأن مبدأها من دلق اللّسان، وهو تحديد طرفيه كطلق والفاء والباء والميم شفوية وقال مرة : شفهية لأن مبدأها من الشفة، والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد، لأنها هاوية في الهواء، لا يتعلق بها شيء"، أما "سيبويه" فيعد المخارج ستة عشر مخرجا، فللحلق منها ثلاثة:

- فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف (يقصد بذلك ألف المد).
- ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء.
- وأدناها مخرجا من الفم الغيني والخاء.
- ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.
- ومن أسفل من موضه القاف من اللّسان قليلا، وما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.
- ومن وسط اللّسان، بينه وبين الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.
- ومن بين أول حافة اللّسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد.

– ومن حافة اللّسان من أدناها إلى منتهى طرف اللّسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.

– ومن طرف اللّسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون.

– ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللّسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

– وما بين طرف اللّسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.

– ومما بين طرف اللّسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد.

– ومما بين طرف اللّسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والتاء.

– ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا فرج الفاء.

– ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

– ومن الخيا شيم مخرج النون الخفيفة"»[1]

«ويعلق المستشرق "شاده" على تقسيم "سيبويه" للمخارج ووصفها بقوله: "نشاهد غاية التفصيل مثلا في تقسيمه للأسنان، وقد قسمها إلى الثنايا والرباعيات والأنياب والأضراس، ويخالف هذا التدقيق معاملته للحلق، فإن "سيبويه" وإن قسمه إلى أقصى الحلق، وأوسط الحلق، وأدنى الحلق، لم يكن يعرف الحنجرة ولا أجزاءها كالمزمار والأوتار الصوتية، وسبب هذا الخلاف واضح، فإن الأسنان مكشوفة للرؤية، وأما الحنجرة وأجزاؤها وعملها، فتقتضي ملاحظاتها إلى التشريح، وما أظن سيبويه يجترئ عليه، أو إلى بعض الآلات الفنية، كمنظار الحنجرة، أو الأشعة المجهولة، ولم يكن مثل هذه الآلات بين يديه، وكفى بذلك عذرا يعتذر به سيبويه لعدم معرفته

[1] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 103، 104، 105، 106، 107، بتصرف.

بالحنجرة وعملها، وإن ثبت أن الخلل المذكور في مدارك سيبويه منعه من أن يفهم بعض المسائل الصوتية حق الفهم»[1]، إننا نتفق مع هذا المستشرق في ذهابه إلى أن "سيبويه" لم يكن يعرف الأحبال الصوتية والحنجرة لأن معرفتهما تقتضي عملية التشريح أو الاعتماد على الطب، إلا أننا نخالف هذا المستشرق في قوله أن "سيبويه" لديه خلل في المدارك منعه من أن يفهم بعض المسائل الصوتية حق الفهم وهذا الرأي غير منطقي وغير عادل في حق شخصية عربية لها وزنها قديما وما زالت تتمتع بالمكانة والاعتراف ذلك أنه أوجد علم النحو وأسس قواعده، فإذا كان سهلا عليه إرساء أعمدة النحو، فمن السهل جدا نجاحه في بحث الحروف والأصوات ومخارجها، «وإن تحديد العرب لمخارج الأصوات وتميز صفاتها كان على أساس أنهم عرفوا أعضاء النطق ووصفوها بدقة، وذكروا دورها في إنتاج الصوت أو الأصوات ابتداءا من الرئة حتى الشفتين، يقول "اخوان الصفا" بهذا الصدد "واعلم أن الحروف اللفظية إنما هي تحدث في الحلقوم والحنك وبين اللّسان والشفتين عند خروج النفس من الرئة"، وقد شبّه "ابن جني" عمل جهاز النطق بالنّاي"، وهو تشبيه ينم عن عمق تذوقه للأصوات ودقة إحساسه بعمل أعضاء النطق، و"لابن سينا دور مميز"، ونظرات خاصة في وصف أعضاء النطق وتشريح جهاز الصوت، وتشريحه للحنجرة واللّسان في رسالة أسباب حدوث الحروف يتسّم بالدقة والدّراية والعمق"، يقول "ابن سينا" في كتابه "القانون في الطب" في وصف أعضاء النطق ودورها في إنتاج الأصوات "الصوت فاعلة العضل التي عند الحنجرة... وقرعه وآلته الحنجرة والجسم الشبيه بلسان المزمار وهي الآلة الأولى الحقيقية وسائر الآلات بواعث ومعينات، وباعث مادة الحجاب وعضل الصدر، ومؤدّى مادته

الرئة، ومادته الهواء الذي يموج عند الحنجرة"، و"الفخر الرازي" يرى ضرورة معرفة– أعضاء النطق بدقة والوقوف على علم التشريح لمعرفة سبب حدوث الصوت وأحوال مخارجه ومحابسه، "فلا شك أن هذه الحروف تتولد عند تقطيع الصوت، وهي مخصوصة في الحلق واللّسان والأسنان والشفتين، فيجيب البحث عن أحوال تلك المحابس... وهذه المباحث لا تتم دلالتها إلا عند الوقوف على علم التشريح، انتهى كلام الفخر الرازي، والباحث والدارس لا يجد اختلافا كبيرا بين وصف اللغويين العرب القدامى لأعضاء النطق ومخارج الأصوات ووصف اللغويين المحدثين، سوى عدم ذكر اللّغويين العرب للأوتار الصوتية ودورها في انتاج الأصوات اللّغوية»[1].

وإليك المخارج في العصر الحديث:

*** مخارج الأصوات العربية في الحديث:**

«نعتمد في تصنيف الأصوات من حيث مخارجها على ما استقرت عنده التجارب الحديثة، فاللّسان العربي يستخدم عشرة مخارج لإنتاج الأصوات وهي:

– المخرج الشفوي *Bi-labiales*: وتصدر منه الأصوات التالية: /ب/،/م/،/و/.

– المخرج الشفوي الأسناني *Labio-dentales*: ويصدر عنه الأصوت التالي: /ف/.

– المخرج الأسناني dentales وتصدر عنه الأصوات التالية: /ث /ذ/،/ ظ/.

– المخرج الأسناني اللثوي *dental-alvéolaires*: وتصدر عنه الأصوات التالية: /ض /،/د/،/ /ط/،/ت/،/ز/،/ص/،/س/.

– المخرج اللثوي *alvéolaires*: وتصدر عنه الأصوات التالية: /ل/،/ن/،/ر/.

المخرج الغاري *palatales*: وتصدر عنه الأصوات التالية: ش/،/ ج/،/ي/.

---

[1] عبد المعطي نمر موسى، مرجع سابق، ص 17، 18، بتصرف

المخرج ال طبقي *vélaires*: وتصدر عنه الأصوات التالي:

/ك/،/غ/،/خ/.

المخرج اللهوي uvulaires: ويصدر عنه الصوت التالي : /ق/.

المخرج الحلقي pharyngale: ويصدر عنه الصوتان التاليان: /ع /، / ح/.

المخرج الحنجري*glottales*: ويصدر عنه الصوتان التاليان: /ه /،/ء/.»[1]

ٱ الأصوات اللّغوية في اللغة العربية:

«يقسم اللغويون المحدثون الأصوات اللغوية العربية إلى أصوات صامتة *consonants* وأصوات صائتة *vowels*:

أ- الأصوات الصامتة *les connsonnes*: الأصوات الصامتة في اللغة العربية في مستواها الفصيح ثمانية وعشرون صوتا وهي: الهمزة (همزة القطع)، الباء، التاء، الثاء، الجيم، الحاء، الخاء، الدال، الذال، الراء، الزاء، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، العين، الغين، الفاء، القاف، الكاف، اللام، الميم ، النون، الهاء، الواو (المتحركة) بأية حركة مثل وُعد، والساكنة المفتوح ما قبلها مثل قوْم، الياء المتحركة مثل: يقوم، يسافر، والساكنة المفتوح ما قبلها مثل بيْت»[2].

ب- الأصوات الصائتة *les voyelles*:

أو ما يعرف عند علماء اللغة العرب بالطليقات العربية «إن الطليق هو صوت لغوي يجري معه النفس من غير أن يلقى في طريقه عقبة تمنعه من المرور، أو تحول اتجاهه إلى الأنف، أو تؤدي إلى تلكئه واحتكاكه بأعضاء النطق، قد يقال: فمن أين للطليق صوته المسموع إذا لم يكن معه

---

[1] عن محاضرة ، قسم الأدب العربي، السنة الثالثة جامعي.

[2] عبد المعطي نمر موسى، مرجع سابق، ص 37، بتصرف

انسداد فاحتكاك للهواء بأعضاء النطق؟ والجواب عن ذلك أن الطليقات تكتسب تصويتها من اهتزاز الوترين الصوتيين معها فقط لا من ضرب الهواء بنقطة انسداد، إذ ليس معها انسداد أبدا، لا ناقص ولا كامل، ولهذا فليست لها محابس، أي مخارج، كما للحبيسات، ومع ذلك، فاللسان لا يتخذ أثناء إحداث الطليقات موقفا سلبيا، بل قد ينبسط انبساطا كاملا في قعر الفم أو قد يتكتل مقدمه مرتفعا قليلا أو كثيرا، نحو منطقة الغار. أو قد يتكتل مؤخره مرتفعا قليلا أو كثيرا، نحو منطقة الطبق، وكل ذلك يؤدي إلى تنويع الأصوات الطليقة تنويعا كبيرا وللشفتين أيضا وظيفتهما في هذا التنويع، فقد تنضمان حتى تبلغا درجة الاستدارة، وقد تنفرجان متراجعتين إلى الخلف في وضع يشبه وضع التبسم، وهذا وذاك يؤديان إلى تنويعات كثيرة في الأصوات الطليقة، ويشتمل النظام الصوتي للطليقات في العربية على ثلاثة طليقات رئيسية هي: الكسرة، والضمة والفتحة، ولكل واحدة طولان: قصير، وطويل (مشبع، فيكون مجموع الطليقات في العربية، على هذا الأساس، ستة»[1] وهي كالآتي:

«– [ـِ]: كسرة قصيرة.

–[ـِ(ي)]: كسرة مشبعة.

– [ـَ]: فتحة قصيرة.

– [ـَ(ا)]: فتحة مشبعة.

– [ـُ]: ضمة قصيرة.

– [ـُ(و)]: ضمة مشبعة»[2]

---

1 محمد الأنطاكي، مرجع سابق، ص 34، بتصرف.

2 عن محاضرة ، قسم الأدب العربي، السنة الثالثة جامعي.

ٱ صفات الأصوات:

«إن الكلام عملية فسيولوجية محضة يتحوّل أثناءها الهواء الآتي من الرئتين إلى أصوات تتكيف وتتغيّر بفعل الحواجز التي تعترض سيرها حتى خروجها من الفم، والنطق الحقيقي مرهون بالوعي والتحكم في إخراج الحروف من أماكنها، وهذه الأماكن والمناطق والمخارج هي التي تطبع الأصوات بخصائص نطقية تتضاف إليها صفات تأتيها من درجة اعتماد الصوت، وإليك هذه الصفات:

أ- **الصفات الزوجية:** هي الصفات التي وردت في شكل أزواج متعاكسة.

- **الجهر والهمس** : لعل جهل القدماء لدور الحبلين الصوتيين هو الذي أدّى بهم إلى تعريف الجهر بقوة الاعتماد والهمس بخفته أو ضعفه، فتمّ لهم بذلك تقسيم الحروف إلى قسمين متباينين:

- **قسم مجهور** يشمل تسعة عشر حرفا هي: الهمزة، والألف، والباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاي، والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والغين، والقاف، واللام، والميم، والنون، والواو، والياء.

- قسم مهموس يحتوي على عشرة أحرف جمعت في قولهم (سكت فحثه شخص) أو (ستشحثك خصفه) أما علماء الصوتيات المتأخرون، فقد اكتشفوا العضو الأساسي في جهر الصوت، والجهر يكون باهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالحرف، وعكس الجهر الهمس الذي يخلو فيه الصوت من كل رنين لبقاء الوترين في حالة توقف وعطل عن العمل، ولاختبار جهر الصوت يمكن القيام بإحدى العمليات التالية:

- إما أن تضع أصبعك فوق تفاحة آدم وتنطق بصوت من الأصوات فتشعر حينئذ باهتزاز الحبلين الصوتيين اهتزازا لاشك فيه.
- إما أن تضع أصبعين في أذنيك وتنطق بحرف مستقل عن غيره، فتحسّ برنين الصوت في رأسك.
- وإما أن تضع كفك على جبينك وتنطق بصوت ما، فتشعر برنينه، والرنين هو في اصطلاح الفيزيائيين صدى لذبذبة الوترين الصوتيين.
- **الشدة والرخاوة:** يقصد بالشدة تمام انحصار الصوت، عند إسكانه بحيث يخرج النفس محدثا صوتا انفجاريا، والحروف الشديدة ثمانية جمعت في (أجدت طبقك) والرخاوة معناها تمام جري الصوت عند إسكانه، وفي هذه الحالة لا يكون مجرى الهواء مسدودا، بل ضيقا أمام النفس الذي يمرّ محدثا صفيرا والصفير هو صفة الحروف الاحتكاكية، أما التوسط ، فهو منزلة بين الشدة والرخاوة، والأصوات الستة التي ليست بالشديدة ولا بالرخوة جمعت في (لم يرعونا)»[1].
- **الإطباق والانفتاح:**

«الإطباق هو رفع اللّسان نحو مؤخر الطبق دون أن يتصل به، وهو ما كان يعرف عند القدماء بالاستعلاء ويحدث عند النطق بالأصوات الآتية، الصاد، والضاء، والطاء، والظاء، وما تبقى من الأصوات، فهي منفتحة»[2]
- **الاستعلاء والاستفعال:** الاستعلاء يعني الصعود باللّسان نحو الحنك الأعلى والحروف المستعلية تشمل حروف الإطباق مضاف إليها

---

[1] زبير دراقي، مرجع سابق، ص 67، 68، بتصرف واختصار.
[2] نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 121، بتصرف.

القاف، والعين، والغين، وتسمىّ الحروف المتبقية المستفلة، لتسفل اللّسان إلى الحنك الأسفل.

التفخيم والترقيق: التفخيم وهو صفة الحروف المطبقة الأربعة وكذا القاف، والخاء، والغين، والراء، واللام والترقيق هو خلاف التفخيم، ويكون فيما عدا الحروف المفخمة.

- **الذلق والاصمات:** يتعلقان بالصوامت فقط، والحروف المذلقة ستة وهي اللام، والراء، والنون، والباء والفاء، والميم، والمصمة هي الحروف الباقية.

ب- الصفات الأحدية: هي الصفات التي ليس لها مقابل وعددها غير محدد ومن صفاتها:

- **القلقلة:** وتكون في الحروف التي تجمع بين الجهر والشدة، وعدد حروف القلقلة خمسة: القاف، والجيم، والطاء، والدال والباء، وللقلقلة نوعان، كبرى حين تكون في نهاية الكلمة عند الوقف، وصغرى حين تكون داخل الكلمة.

- **الصفير:** وهي تشتمل الحروف التالية: السين، والزاي، والصاد، وهي تخرج بين الثنايا وطرف اللّسان مصحوبة بصفير بائن وظاهر»[(1)]

- «**اللين:** اللين صفة لصوتي الواو والياء حال سكونهما، ويكون ما قبلهما مفتوحا، كما في (خوف، بيت).

- **التكرير:** صفة خاصة بالراء، و ينبغي الحذر من المبالغة في تكرار الراء بتوالي ضربات اللّسان مما ينشأ عنه راء مكررة، وليس صوت المطلوب ظهوره.

---

[1] زبير دراقي ، مرجع سابق، ص69، 70، بتصرف واختصار.

- **التفشي:** هو صفة ناتجة عن وضع اللّسان عند النطق بالشين، حيث يشغل مخرجها مساحة كبيرة ينتج عنه انتشار الهواء في الفم، فلا ينحصر مرور الهواء في مخرج الشين فقط، ولولا هذا التفشي لصارت الشين سينا.

- **الاستطالة:** وهي صفة خاصة بصوت الضاد، والمراد بها استطالة المخرج واتصاله بمخرج اللام الجانبية، ويتبع استطالة المخرج استطالة الصوت، حيث يستغرق زمنا أكبر»[1]

«إن اللّغة العربية استخدمت جهاز النطق عند الانسان خير استخدام وأعدله فقد جاءت أصوات هذه اللّغة موزعة على مدارج النطق توزيعا شاملا واسعا، لكل نقاطه ومواضعه، ونجد أن جملة كبيرة من أصوات هذه اللّغة يقع بعضها من بعض موقع التقابل أو التناظر، فهناك نلمح أن بعض الأصوات تصدر عن مخرج نطقي واحد، ولكنها – على الرغم من اشتراكها في هذه الدائرة – تختلف فيما بينها بسمة أو بأخرى تجعل كل واحد منها صوتا مستقلا، له دور في تركيب المقطع أو الكلمة، وفي دلالة هذه الكلمة ووظيفتها فالهمزة والهاء على سبيل المثال منطقتهما النطقية واحدة ولكن يختص كل واحد من الصوتين بملمح ينفرد به يؤهله للإستقلال والكيان الخاص، فالهمزة وقفة انفجارية أو صوت شديد في اصطلاحهم القديم، والهاء احتكاكي أو رخو، ومن ثم سار كل صوت في طريقه يؤدي دوره في

---

[1] محمد محمد داود ، مرجع سابق، ص 128، 129.

اللّغة، فلدينا مثلا "آب" و"هاب" افترقت الكلمتان وصار كل منهما معنى مستقل بسبب وجود الهمزة في الكلمة الأولى والهاء في الثانية»[(1)].

ثانيا: علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا) *Phonology*:

«لم يكتف الباحثون بالوصف المجرد للأصوات والمجموعات الصوتية ولكنهم اهتموا بدراسة الأنظمة الصوتية للغات المختلفة وبينوا التشابه والاختلاف بينها، ويعرف هذا النوع من البحث بعلم الأصوات الوظيفي أو الفونولوجيا، فالفونولوجيا تبحث في الآلية التي تعمل الأصوات من خلالها لتكوين النظام الصوتي للغة، ومعرفة المتكلم للنظام الصوتي في لغته الأم تسمح له أن يخرج الأصوات التي تشكل كلمات ذات معنى، كما تمكنه من تمييز الأصوات التي لا توجد في اللغة وتلك الأنماط الصوتية التي لا تتمشى والنظام الصوتي لهذه اللّغة» [(2)] وسنأخذ بالدراسة في هذه النقطة موضوعات أساسية في علم الأصوات الوظيفي على رأسها الفونيم.

الفونيم: «إن مصطلح فونيم *Phoneme* أصبح متداولا بشكل واسع بعد العقد الثاني من القرن العشرين وبعد ظهور تأثير "دي سوسير"، ثم أصبح مصطلحا لغويا عالميا، ولقد استعمل "دي سوسير" الكلمة الفرنسية *phoneme* ولكن بما تعني عموما صوت الكلام كحدث صوتي، أما نظريته البنيوية للغة في تطبيقها على الفونولوجيا فقد كونت مفهوم التميز الفونيمي» [(3)]، «والفونيم هو أصغر وحدة صوتية يتغير بها معنى الكلمة إذا استبدلت بوحدة أخرى، وهو ذو شكل صوتي ليس له معنى في

---

[1] كمال بشر، **دراسات في علم اللغة** (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998)، ص 194، 195، بتصرف واختصار.

[2] شحدة فارع ((وآخرون))، مرجع سابق، ص 77.

[3] شرف الدين الراجحي وسامي عياد حنا، مرجع سابق، ص 50، باختصار.

ذاته وإنما هو ذو سمات تميزية"، ومعنى ذلك أن الفونيم صوت، وليس كل صوت بفونيم»[(1)]، ' أما "بلومفيلد" فيرى أن الفونيمات ليست أصوات، ولكنها مجرد صفات صوتية يستطيع المتكلم بالتدريب والخبرة اللّغوية أن ينتجها وأن يتعرفها»[(2)]، «ويعرف الدكتور "كمال بشر" الفونيم بأنه "وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معاني الكلمات، وليست حدثا منطوقا بالفعل في سياق محدد، فالفونيمات أنماط للأصوات، والمنطوق بالفعل هو صورها وأمثلتها الجزئية التي تختلف من سياق إلى آخر، (فالكاف) فونيم وكذلك (الجيم)، (والقاف)، أما الصور النطقية المختلفة لكل واحد منها فهي أمثلتها (*variants*) أو (*allephones*) والفونيمات – بهذا المعنى محدودة معدودة في كل لغة، لكن صورها النطقية والفعلية فكثيرة كثيرة فائقة» [(3)] «يقول "ما ريو باي" إن الفونيم "أقرب إلى أن يكون شيئا تجريديا، أو نظريا، فهو وحدة ذهنية....، يشتمل في الكثير الأعم على مجموعة من الألوفونات المتشابهة أو التنوعات الصوتية التي يتوقف استعمال كل منها أساسا على موقعه في الكلمة وعلى الأصوات المجاورة له... وهذه التشكيلات الصوتية وقد أدرك اللّغويون العرب القدامى الفرق بين ما يعرف الآن بعلم الفوناتيك، وما يعرف بعلم الفونولوجيا.

ودعوهما المنفرد والمؤلّف، يقول "ابن جني": "وليس غرضنا من هذا الكتاب ذكر هذه الحروف (يعني حروف أصوات اللّغة العربية) مؤلفة، لأن ذلك كان يقود إلى استيعاب جميع اللّغة» [(4)]، «ولقد كان للتفريق بين

---

1 نور الهدى لوشن، مرجع سابق، ص 123، 124، باختصار.

2 كمال بشر، **علم الأصوات** (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع)، ص 489، بتصرف.

3 كمال بشر، **علم اللغة العام**، الأصوات ، ص 31، 32، باختصار، نقلا عن **الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى**.

4 عبد المعطي نمر موسى ، مرجع سابق، ص 21.

الفونوتيكا والفرنولوجيا أثره في إدراك علماء اللغة أن الصوت اللّغوي الواحد يتنوع بتنوع السياق الذي يقع فيه، وأن هذا التنوع خاصية يشترك فيها كل الناطقين بنفس اللّغة ويختلف نطفق هذا الصوت الواحد أو الصوت المعين من سياق إلى آخر » [1]، والمتعارف عليه في الوقت الحالي تخصيص علم الفوناتيك لدراسة الصوت المنطوق بالفعل وهو الألوفون (*allophone*)، وتخصيص علم الفونولوجيا لدراسة الوحدة الصوتية أو الصورة الذهنية للصوت وهو الفونيم.

*** منهج دراة الأصوات اللّغوية بين اللّغويين العرب القدامى واللّغويين المحدثين:**

«درس اللّغويون العرب القدامى الأصوات اللّغوية دراسة تحليلية، فصورة الصوت الذهنية (أي الحرف وما يعرف الآن بالفونيم)، كانت جاهزة لديهم، فقد وصلت إليهم عن طريق الرسم (أي الرمز الكتابي) وأما اللّغويون المحدثون فينتهجون النهج التركيبي في دراسة الأصوات اللّغوية، فهم يسجلون الأصوات المنطوقة بالفعل، أي الأصوات الصوتية (الألوفونات)، ويصنفون المتشابهة منها في صورة ذهنية تشكل وحدة صوتية، لها رمز كتابي مستقل، وهو ما يعدونه بالفونيم.

*** الحروف والصوت:**

حرف الشيء – لغة- حدّه وطرفه وشفيره (وحرف الصوت)- كما يفهم من كلام اللّغويين العرب القدامى- هو حدّ الصوت وانقطاعه ونهايته ويقول "ابن جني" في سر صناعة الأعراب، سميت حروف المعجم حروفا، وذلك أن الحرف حدّ منقطع الصوت وغايته وطرفه، كحرف الحبل ونحوه،

---

[1] شرف الدين الراجحي وسامي عياد حنا، مرجع سابق، ص 97، بتلخيص.

ويجوز أن تكون سميت حروفا لأنها جهات الكلم ونواح، كحروف الشيء وجهاته المحدقة به، فالحرف كما يفهم من كلام "ابن جني" السابق – هو اصطلاح لتحديد الصوت وتمييزه عن غيره من الأصوات، فالحروف تختلف أجراسها حسب اختلاف مقاطعها أي حروفها، ويميز "اخوان الصفا" (القرن الرابع الهجري) بين الحروف اللفظية والحروف الخطية، فالحروف الخطية إنما وضعت سمات ليستدل بها على الحروف اللفظية... والحروف اللّفظية إنما هي أصوات تحدث في الحلقوم والحنك، وبين اللّسان والشفتين عند خروج النفس من الرئة، ومن المتأخرين الذين وضحوا مدلول (مصطلح الحرف والصوت)، "محمد بن عبد السلام" (ت 1799م)، فهو يقول في شرح منظومة (مخارج الحروف) "لأبي القاسم الشاطبي" (ت 1196م)، "والحروف جمع حرف طرف الشيء ومنتهاه، ويراد بالشيء هنا الصوت، فالحروف إذن منتهى الصوت وغايته، وقد ميز "سيبويه" الرمز الكتابي للحرف من الصوت المنطوق المسموع فقد ذكر أن صور الحروف الأصلية تسع وعشرون، أن أصوات هذه الرموز تبلغ اثنين وأربعين صوتا.

وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها، أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة»[1]، وإن النتيجة التي توصل إليها "سيبويه" منذ عهد قديم، ذهب إليها العلماء المتأخرون في العصر الحديث: «يقول "فندريس": "لسنا في حاجة إلى القول بأننا لا نستطيع إحصاء الأصوات في لغة ما، بعدد الحروف الموجودة في أبجديتها، فكل لغة فيها من الأصوات أكثر مما في كتابتها من العلامات تلك حال الفرنسية والإيطالية والإنجليزية والألمانية، ومع ذلك فإن عدد الأصوات في أية لغة،

---

[1] عبد المعطي نمر موسى، مرجع سابق، ص 21، 22، 23، 25، 26، باختصار.

لا يكاد يتعدى الستين عادة، بل يمكن أن ينزل عن ذلك، نزولا محسوسا"، وهذه التفرقة بين "الصوت" و"الحرف" على هذا النحو نتوصل بها إلى جعل "الحرف" مساويا للإصطلاح الغربي: "فونيم"، وكان الذي دعا بالقول به أن العلماء لاحظوا كما ذكرنا أن أصوات أي لغة من اللغات لاحد لها في واقع الأمر وأن ما نسميه صوتا واحدا، قد يتردد هو نفسه في كلمة من الكلمات، أكثر من مرة، ولكنه لا ينطق بنفس الصورة في كل مرة فإننا إذا نطقنا كلمة مثل: "بَطَرَ" فإننا نجد أن صوت الفتحة الأولى في هذه الكلمة غير الفتحة الثانية، من الناحية الصوتية، وغير الفتحة الثالثة، ومع هذه الفتحات الثلاث متغايرة فيما بينها فإن هذا التغاير لا يؤدي إلى تغيير في وظيفة أي منها، فلا يكون للكلمة معنى معين إذا استخدمنا فيها فتحة من هذه الفتحات، ثم يتغير المعنى إذا غيرنا هذه الفتحة بفتحة أخرى، والوظيفة اللّغوية هي التي تجعلنا نتغاضى عن أمثال هذه التنوعات التي يقضي بها سياق صوتي معين، فنسوّى بين الفتحات الثلاث في كلمة "بَطَرَ" مثلا: ونرى فيها شيئا واحدا فإن هذه الفتحات وهي مختلفة من حيث تكوينها متطابقة من حيث الوظيفة اللّغوية التي تؤديها، فهي تنوعات أو أفراد النفس "الفونيم" فإن أي واحدة منها لو وضعت مكان واحدة أخرى في أي كلمة من الكلمات العربية، لم يتغير معناها»(1)

المقطع: «هو وحدة صوتية منفصلة أثناء النطق ويعرفه بعضهم بقوله وحدة صوتية تتكون من صائت واحد على الأقل هو نواة المقطع بالإضافة إلى احتمال وجود صامت واحد أو أكثر قبل الصائت أو بعده أو

---

[1] رمضان عبد التواب ، مرجع سابق، ص 85، 86، بتصرف.

قبله وبعده» [1] «وورد مصطلح "المقطع" وجمعه (المقاطع) في التراث العربي، وإن بمعان مختلفة نشير إلى أحدها ويتضح هذا المعنى في كلام "ابن جني" عند حديثه عن مخارج الحروف (الأصوات)، وكيفيات مرور الهواء عند النطق بها يقول: "اعلم" أن الصوت (*voice*) عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية وامتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، فالمقطع أو المقاطع – إنما تعنى قطع الهواء أو وقوفه كليا كما في الأصوات (الوقفات) أو جزئيا، كما في (الاحتكاك) حتى يتكون الحرف (الصوت) ويتحقق قطعه من مخرج معين. أو عند مقطعه، ومن ثم تختلف صفات الحروف أو مخارجها وفقا لاختلاف مقاطعها»[2]، وعليه سنعرض للمقطع في اللغة العربية:

– **المقطع الصوتي العربي** ***the arabic syllable***: «وبناءا على ما سبق، فالمقطع الصوتي في أي لغة هو "مزيج من حرف صامت وحركة يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي"، فكل ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين يمكن أن تنتج إيقاعا يعبّر عنه مقطع مؤلف في أقل الأحوال من صامت وحركة (ص + ح) [3]، فإذا حاولنا تحليل كلمة من الكلمات إلى مقاطع صوتية مثل: ضرب/ daraba / نجد أنها مكونة من ثلاثة مقاطع: ضـ da، ر ra، بَ ba أو:

ص+ ح، ص+ح ، ص+ح.

1 2 3

---

1 محمد خليفة الأسود ، مرجع سابق، ص 106.

2 كمال بشر ، **علم الأصوات** ، ص506، بتصرف

3 عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربي، ص 38، نقلا عن مبادئ علم اللسانيات الحديث.

وفي اللغة العربية مقاطع بسيطة لها مثل هذا التركيب وتقوم بوظيفة جراماتيكية مثل حرف الباء المكسور –bi ولام التعليل المكسور –li وكاف التشبيه المفتوحة ka – وغيرها، ويسمى هذا المقطع "قصير" لأنه مكون من (ص + ح) فحسب، و"مفتوح" لأنه ينتهي بحركة (ح)، وهناك أشكال أخرى للمقطع في اللغة العربية:

مِنْ / minn /= ص+ ح+ ص = طويل مقفول.

مَا / ma/ = ص + ح+ ح = طويل مفتوح.

كانَ/ ka : n / = ص + ح + ح + ص = مديد مغلق بصامت.

كَرْب/karb / = ص+ ح+ ص+ ص= مديد بصامتين.

ويتميز المقطع العربي بالخصائص الآتية:

– أنه لا يبدأ بحركة بل بصامت ثم حركة مهما يكن موقعه في الكلمة.

– أنه لا يبدأ بصامتين متواليين أي (ص+ ص) ولا بأكثر بعكس المقطع في لغات أخرى كالإنجليزية كما في school, black, monstrous, وهذا لا يحدث في اللّغة العربية، ولهذه الخاصية أهميتها في صيغة الأمر من المضارع وذلك بحذف ياء المضارعة كما في الكلمة: يكتب yaktub فتصبح ktub كتب وتظهر مشكلة بدء الكلمة بصامتين فلا بد من تحريك الكاف وهذا أيضا غير مقبول لأن المقطع في هذه الحالة سيبدأ بحركة، ولحل الإشكال زيدت همزة الوصل وصار فعل الأمر أكتب / Uktub ?/ أي أنه يتكون من مقطعين طويلين مقفلين: (ص+ ح+ ص) (ص+ ح+ ص)، ويلاحظ أن هذه الهمزة غير ثابتة في الكلمة لأنها تسقط في درج الكلام كما في بَلْ اكتب /baluktub /، وهذا هو شأن همزة الوصل دائما على أن

تعاقب صامتين في وسط الكلمة أو آخرها مقبول في اللّسان العربي "ففي مثل /yaktub / تجاورت الكاف والتاء، وترجع استساغة هذا التتابع إلى أن أول الصامتين هو نهاية المقطع الأول وثانيهما بداية المقطع الثاني"[1]»[2]

* **النبر**: "النبر في **اللّغة** معناه البروز والظهور، ومنه المنبر في المساجد ونحوها.

اصطلاحا: إذا هو في الدرس الصوتي يعني نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره ومعلوم أن الكلمة تتكون من سلسلة من الأصوات المترابطة المتتابعة التي يسلم بعضها إلى بعض، ولكن هذه الأصوات تختلف فيما بينها قوة وضعفا، ويتطلب النبر عادة بذل طاقة في النطق أكبر نسبيا، كما يتطلب من أعضاء النطق مجهودا أشد لاحظ مثل الفرق في قوة النطق وضعفه بين المقطع الأول والمقطعين الآخرين في (ضرب) مثلا (ضَ / رَ / بَ) (da/ ra/ ba) تجد أن (da) المقطع الأول ينطق بارتكاز أكبر من زميليه في الكلمة نفسها، والنبر بهذا المعنى ملمح من ملامح الكلمة أو هو عنصر من عناصرها التي تميزها من غيرها، وقد عده بعضهم (النبر) فونيما ثانويا secondry «phoneme»[3]، وبناءا على ما سبق «فالنبر: "وهو وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام"»[4]، «إذن النبر هو قوة

---

1 عبد الصبور شاهين، نفس المرجع السابق ص 42.

2 نفسه، ص 95، 96، 97، بتصرف.

3 كمال بشر، **علم الأصوات** ، ص512، 513.

4 **مناهج البحث في اللغة** ، ص 160، نقلا عن **مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**.

النطق التي يمتاز بها الصائت في المقطع» [1] وسنتعرض للنبر في اللغة العربية:

* **النبر في اللغة العربية:** «للنبر في اللّغة العربية علاقة وثيقة بتركيب الكلمة مقطعيا، وعليه فإنه يجري في العربية على القواعد الآتية:

- إذا كانت الكلمة مؤلفة من مقطع واحد فالنبر عليه إطلاقا، أيا كان شكل هذا المقطع، مثل: عُدْ، نَم، صِلْ.... إلخ.

- إذا كانت الكلمة مؤلفة من مقطعين فالنبر على ثانيها إطلاقا، (ويجري العد بصورة عكسية، أي من الشمال إلى اليمين)، لأن الأول لا ينبر في العربية مطلقا أيا كان شكله، إلا إذا كان هو المقطع الوحيد في الكلمة، ومثال ذات المقطعين: (قام = قا– مَ) أو (عودا = عو– دا) أو (بها = ب– ها) أو (لكم = لَ– كُمْ) ...إلخ[2].

- إذا كانت الكلمة مؤلفة من ثلاثة مقاطع فأكثر، وكان الثاني منها من الأشكال المقطعية المتوسطة أو الطويلة كان النبر عليه مثل: (يستهدي = يَسْ – تَهْ – دي).

- إذا كانت الكلمة مؤلفة من ثلاثة مقاطع فأكثر، وكان الثاني منها، فالنبر على الثالث أيا كان شكله، مثل (استغفرَ = إسْ – تغْ– فَ– رَ).

- لا يتعدى النبر المقطع الثالث أبدا: هذا ويجب الانتباه إلى ثلاثة أمور:

أ– لاتحسب (ال) التعريف في مقاطع الكلمة.

---

[1] محمد خليفة الأسود، مرجع سابق، ص 109.

[2] أشرنا إلى المقطع المنبور بخط أفقي تحته.

ب- كل ما يلحق الكلمة من ضمائر متصلة، أو ما يسبقها من حروف المضارعة داخل فيها أثناء عد المقاطع.

ج- يحدد موقع النبر على أساس أن الكلمة منطوقة في حالة الوصل، وبعد التحديد لا يهم أن تنطقها موصولة أو موقوفا عليها بالسكون، لأن موقع النبر لا يتغير بين وصل ووقف، ويستثنى من ذلك أن يكون النبر على المقطع الثالث من الكلمة وهو قصير، فحين الوقف على مثل هذه الكلمة يتأخر النبر إلى المقطع الرابع، وذلك نحو (المدرسة) فالمقطع المنبور في هذه الكلمة في حالة الوصل "رَ" (الْ – مدْ- رَ- سَ- ـة)، أما في حالة الوقف فينتقل البتر إلى "مدْ" (الْ – مَدْ- رَ – سَهْ)»(1)

*التنغيم:

«يطلق على ارتفاع الصوت وانخفاضه وتلونه بوجوه مختلفة أثناء النطق على مستوى الجملة، وذلك للدلالة على معان مقصودة، مثل: الإستفهام، والطلب، والأمر، والغضب، والرضا، والفرح، والدهشة، والتعجب، واللهفة، والشوق،.....إلخ، ويشير المعاصرون إلى أن القدماء لم يهتموا بظاهرة "التنغيم الصوتي"، ولعل الذي دفع اللّغويين، المعاصرين لهذا القول عدم تقعيد اللغويين القدماء لظاهرة التغنيم، لكن الذي بين أيدينا يثبت أن "التنغيم" له جذوره في اللغة العربية، وفي التراث العربي، وإن كان استغلاله غير وارد عند المؤلفين العرب، ومن الأدلة

* الحديث الوارد عن "أبي موسى الأشعري" – رضي الله عنه- عندما علم هذا الصحابي أن رسول الله صلى عليه وسلم كان يسمعه عند تلاوة القرآن فقال "لو كنت أعلم أنك تسمعني يا رسول الله لحبرته لك

---

[1] محمد الأنطاكي، مرجع سابق، ص 52، 53، بتصرف.

تحبيرا"، والتحبير لون من التجويد والتحسين والتزيين، واالتنغيم وسيلة من وسائل ذلك، وقوله صلى الله عليه وسلم: "اقرءوا القرآن بلحون العرب".

* المقامات الخاصة بالأداء الفني عند العرب في القراءة والغناء من: البياتي، النهاوند، الصَّبا، الحجاز الرَّ صد... إلخ، ولكل مقام طرق عديدة ووجوه متباينة، ألا ينتهي كل ذلك التنغيم؟ إذن فقد عرفت العرب التنغيم، لكنها لم تقعّد له، واعتمد فيه على السماع»[1].

ثالثا: العناية باللّغة العربية:

«إن إزدهار العربية يعود ويرجع إلى تلك الجهود التي بذلها الرعيل الأول من سدنة اللّغة وحفظتها في أولئك فجر النهضة إذا اكتشفوا عن أسرار الألفاظ والعبارات والأساليب فكانوا عونا على تصفية اللغة من الشوائب، ألئك العلماء كانوا أحراس اللّغة، يذوبون غيرة عليها وحفاظا لها فانبعثوا يذودون عن حياضها» [2]، «ونحن نعلم أن علماء العربية الأوائل كانوا يجمعون إلى علمهم بقواعد العربية والنحو- العلم بالفنون الأخرى كالحديث والفقه والقراءات واكتسابهم لهذه العلوم جعلهم يتأثرون بطرائق أهلها: فاحتذوا طريق المحدثين من حيث العناية بالسند ورجاله وتجريحهم وتعديلهم وطرق تحمل اللغة فكانت لهم نصوصهم اللّغوية، كما كانت لأولئك نصوصهم الحديثة ولهم طبقاة الرواة كما كان لأولئك، ثم حاكوا الفقهاء أخيرا في وضعهم أصولا للنحو تشبه أصول الفقه، وتكلموا في الإجتهاد فيه كما تكلم الفقهاء وكان لهم طرازهم في بناء القواعد على السماع والقياس والإجماع كما بنى الفقهاء أحكامهم على السماع والقياس

---

[1] محمد محمد داود، مرجع سابق، 133، بتصرف.

[2] عباس أبو السعود، **أزاهير الفصحى في دقائق اللغات**(مصر: دار المعارف) ص 13، بتصرف واختصار.

والإجماع»[1]، وإذا رجعنا إلى التاريخ الإسلامي فلن نجد فقط العلماء من اهتم باللغة العربية فقد سبقهم إلى ذلك الإهتمام والرعاية بالعربية النبي صلى الله عليه وسلم، وتجلى ذلك في الكتابة والقراءة «وعليه فالكتابة من صنع الإسلام وإلا فما معنى أن يشترط النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون الفدية من الأسر في أعقاب غزوة بدر مقابلها أو نظيرها أن يعلم الأسر من المشركين الكتابة لعشرة من المسلمين وأن يكون "زيد بن ثابت" كاتب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وزهاء أربعين صحابيا من هؤلاء الذين علمهم أسرى المشركين، والأكثر أن يكون القرآن الكريم أول نص عربي إسلامي مكتوب وصل إلينا نتيجة لتعلم الكتابة التي سعى إليها النبي الكريم، وتتسع الدولة الإسلامية في العصر الأموي مما يؤدي إلى اختلاط العرب بالأعاجم، وهو ما يؤدي بدوره إلى خشية إفساد اللّسان العربي، وهنا بدأ التفكير والعزم على تصحيح هذا اللّسان العربي حيث ألفت كتب النحو والصرف، وتنهض الدولة العباسية بعد ذلك ومعها تنهض الكلمة العربية المكتوبة، وتظهر الكتب محتفظة بالطابع الذي أتى به المؤلفون وقتئذ منضبط لهذه الكلمة وتصحيح لها، حتى تكون دقيقة هادفة معبره عن ثقافة جديدة لها جذورها وقواعدها وقوانينها وأسسها وأصولها اللغوية التي ترفض الخروج عليها» [2]، والمتتبع لتاريخ اللغة العربية والناظر المتمعن في خط سيرها، يرى أنها استطاعت أن تقاوم العقبات التي تعرضت طريقها، وهمت للقضاء عليها«استطاعت أن تقاوم بذلك أكبر معركة للقضاء عليها وهي حملة التتار على العالم الإسلامي، ثم حملة الصليبيين، واستطاعت أن تثبت

---

[1] عوض محمد القوزي، مرجع سابق، ص 17، باختصار.

[2] سامح كريم- العربي- ديسمبر 2003 م، بتصرف.

وجودها وتحقق كيانها في المعاهد الكبرى كالأزهر، والزيتونة وغيرها من المعاهد التي ظلت حامية لها خلال فترة التقهقر التي مرت بالعالم الإسلامي، وفي عهد الأتراك العثمانيين واجهت معركة شرسة في سبيل البقاء، واستطاعت أن تقاوم محاولات القضاء عليها بإحلال اللّغة التركية محلها في المدرسة والمساجد والمحاكم، وفي معركة العثمانيين مع العرب، كان الهدف هو القضاء على اللّغة العربية وتغليب الجامعة الطورانية، وقد استعملت شتى الوسائل والطرق في سبيل تنحيتها، غير أن اللغة العربية استطاعت أن تحتفظ بقوتها دون أن يقضى عليها، وإن بلغت مرحلة من الضعف والتقهقر وفي ظل هذه المعركة استطاعت أن تنحسر عن أجزاء العالم الإسلامي كالهند وفارس وتركيا واستقرت في العالم العربي وحده، وعادت اللّغة العربية إلى ازدهارها في أوائل القرن التاسع عشر بعد أن واجهت في تلك الفترة معركة أخرى تعتبر أشد خطرا وعنقا وقسوة وهي المعركة مع الاستعمار» [1]، الذي حاول محوها، وعلى سبيل المثال ما تعرضت له الجزائر حين رأت فرنسا أن الأرض الجزائرية لن تكون فرنسية إلا بعد فرض اللّغة الفرنسية في جميع المجالات في الدراسة والإدارة وغيرها من الأماكن التي يكون لها تأثير مباشر على جذور اللّغة العربية، «وعندما تصبح الفرنسية لغة السلطة والإدارة، فإنها لا تلبث أن تنتشر بين الأهالي نعم إن الحكم الفرنسي أوقف سير ونمو اللّغة العربية بالجزائر في فترة معينة، بينما الحرب العالمية الأولى بعثت في المجتمع الجزائري تيارات اقتصادية وسياسية وثقافية أثرت بموجبها على اللّغة العربية وعليه فدراسة اللّغة العربية التي لم تنقطع أصلا في الجزائر، لكن بالمقابل أصابها البعض

---

[1] أنور الجندي، مرجع سابق، ص 07، بتصرف.

من التقهقر، وكما ذكرنا فدراسة العلوم العربية والعناية بها في القرون المتأخرة ولا سيما في القرن التاسع عشر الميلادي، فلم تزل وقتئذ المساجد في المدن حافلة بالأساتذة والتلامذة ولم تزل الزوايا والكتاب بالقرى جامعة للمشايخ والطلبة وكلهم يبذلون جهودهم في الإلمام بالعلوم العربية ونشرها، ولا ننسى الدور الكبير الذي لعبه الشيخ "عبد الحميد بن باديس" باعث النهضة والعلم، الذي وضع جهده وتفكيره ووقته في سبيل ذلك، لأنه يعلم أن العلم أساس حياة اللّغة وأساس حياة الشعوب، وهكذا كان العلماء الجزائريين في السنيين الأخيرة في عهد الأتراك وأوائل الاستيلاء الفرنسي قائمين بواجبهم نحو اللّغة العربية والأمة، يخدمون العلوم في مساجد العواصم وكذلك في القرى والمداشر، فكان على سبيل المثال بعاصمة الجزائر عدد ليس بالقليل من المدارس مثل "مدرسة سيدي أيوب" بالقرب من الجامع الجديد، ومدرسة "حسن باشا" في جوار جامع كتشاوة، وكانت بجانب كل مدرسة من تلك المدرستين زاوية يسكنها الطلبة ويأخذون فيها مؤونتهم الشهرية، وأما الزوايا التي كانت في آن واحد محل سكن الطلبة ومحل تدريس، فمنها زاوية "القشقاش" وتلك هي حال وضعية العربية قبل مائة وثلاثين سنة حين هجمت جيوش الاستعمار بلدنا»[(1)]

---

[1] اسماعيل العربي ،**الدراسات العربية في الجزائر في عهد الإحتلال الفرنسي** (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب) ص 11، 59، 60، 64، 67، بتصرف واختصار.

الخاتمة

إن مكان اللّغة العربية في العالم يزداد شساعة يوما بعد يوم، فبعد أن فرضت هذه اللغة سلطانها ووجودها وكيانها منذ عهد بعيد، فهي الآن تتربع على عرش اللّغات، وذلك يعود إلى السّر الكامن بين حروفها وكلماتها وجملها، إنها لغة المرونة والتكيف، صحيح أن لها قوانين وقواعد تحكمها بفضل علومها العديدة إلا أنها في بعض الأحيان تخترق تلك القوانين وتكسرها، وتظهر في لباس جديد مختلف ويكفي أن نقول فيها هذه الأبيات:

عربية هي عزتي
جذور أصلت موقعي
عربية إنى استحي
الغوص فيك فأنتهي

أنت أكبر من قلمي
أكبر من أوراقي ومعصمي
كل البحور عرفت
إلا بحرك فعجبي
لغات الكون تجتمع
علّها تجد حل التسائل
فيجيبها التاريخ
العربية لغتي
سمتي ....
دافع الحلم
عنوان ظنوني وولدي
هي أحلى الأعين
هي لون الوجوه
وجه العذراء مريم
يكفيك فك أسطر
لتتحسس المعلم
لتلمس لبّ الكلّم
لترحل فوق القمم
لتجارى المحيط والمنبع
لتختفي أولا تختفي
فأنت بعيد
عن كل المسارح والخشب.

قائمة المصادر والمراجع :

* **القرآن الكريم** برواية ورش عن الامام نافع (الجزائر: طبع المؤسسة الوطنية للفنون .)

* أحمد عبده عوض، **في فضل اللغة العربية** (تعلما وتحدثا والتزاما، معالجة قرآنية ونبوية وتراثية القاهرة: مركز الكتاب للنشر 2000).

* أحمد مؤمن، **اللسانيات النشأة والتطور** (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2000)

* أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي** (القاهرة: عالم الكتب).

* أحمد حسن الباقوري، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، الطبعة الثالثة (القاهرة مصر: دار المعارف).

* أحمد الهاشمى، **القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج** (متن الألفية) لابن مالك وخلاصة الشراح لابن هشام وابن عقيل والأشموني (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية).

* أبي الفتح عثمان بن جني ، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار (بيروت- لبنان: دار الكتاب العربي، 1997).

* أبي الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثالثة (بيروت- لبنان: دار الهدى للطباعة والنشر) ج1.

* ابن الأنباري، **أسرار العربية**، تحقيق محي الدين عبد الحميد (القاهرة: 1979).

* الحاج صالح، **اللسانيات** (الجزائر: جامعة الجزائر، 1972)

* أبي القاسم الزجاجي، **الايضاح في علل النحو** ، تحقيق مازن المبارك (القاهرة: دار العروبة، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، 1959)

* أنور الجندي، **اللغة العربية**، بين حماتها وخصوصها (القاهرة: مطبعة الرسالة).

*أبو الحسين أحمد بن فارس، **الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها** ، حققه وقدم له مصطفى الشويمي (بيروت- لبنان: مؤسسة بدران للطباعة والنشر، 1964).

*الأزهر الزناد، **دروس في البلاغة العربية** ، الطبعة الأولى (بيروت- الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، سبتمبر 1992).

* أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائ (ايران: منشورات دار الهجرة)

* ابن منظور **اللسان**.

* الجاحظ، **الحيوان**.

* الجاحظ، **البيان والتبيين**.

* المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، **اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين** (تونس: مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1996م).

* بلعيد صالح، **مصادر اللغة** (الجزائر– بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994)

* بلعيد صالح ، **في قضايا فقه اللغة العربية** (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية).

* بنعزوز زبدة، **دراسة المشتقات العربية وآثارها البلاغية في المعلقات العشر الجاهلية**، دراسة افرادية تحليلية وتركيبية (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب)

* توفيق الحكيم، **فن الآداب** (القاهرة– مصر: مكتبة الآداب ومطبعتها)

* جمال شوالب، **الدليل في مصادر اللغة و الآداب** (قالمة، الجزائر).

*رمضان عبد الثواب، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** الطبعة الثالثة (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1417 هـ – 1997م)

* دافيد كرستل ، **التعريف بعلم اللغة** : ترجمة حلمي خليل، الطبعة الثانية (دار المعرفة الجامعية، 1993)

* زكي الميلاد، **الفكر الاسلامي بين التأصيل والتجديد** (الطبعة الأولى بيروت– لبنان: دار الصفوة 1415هـ– 1994)

* زبير دراقي، **محاضرات في فقه اللغة** ، سلسلة الدروس في اللغات وألاداب الطبعة الثانية (الجزائر : بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية ، 1994)

* سيبويه، **الكتاب**، (بيروت: مكنبة الأعلمي، 1976).

* سمير محمد حسين، **بحوث الاعلام الأسس والمبادئ** (القاهرة: عالم الكتب).

* سعيد الأفغاني، **في أصول النحو** ، الطبعة الثالثة، (دار الفكر مطبعة جامعة دمشق: 1383 هـ، 1964).

* شمس الدين احمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا، أسرار النحو، تحقيق الدكتور احمد حسن حامد، الطبعة الثانية (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1422 هـ، 2002م).

* شلتاع عبود شراد، حركة الشعر الحر في الجزائر (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985)

* شحدة فارع ((وآخرون))، **مقدمة في اللغويات** المعاصرة، الطبعة الأولى (دار وائل للنشر 2000)

* شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، الطبعة الخامسة (القاهرة:دار المعارف)

* شوقي ضيف، **تجديد الفكر**، الطبعة الثانية (القاهرة: دار المعارف)

* شرف الدين الراجحى وسامي عياد حنا مبادئ علم اللسانيات الحديثة (دار المعرفة الجامعية، 2002).

* صابر بكر أبو السعود، **القياس في النحو العربي** من الخليل إلى ابن جني (مكتبة الطليعة بأسيوط)

* عبد العزيز عتيق، **المدخل إلى علم النحو والصرف**، الطبعة الثانية (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1974)

* عبد العزيز عتيق، علم البديع (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1405هـ، 1985م).

* عبد العزيز عتيق، علم البيان (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1405 هـ، 1985)

* عبد الغفار حامد هلال، **علم الدلالة اللغوية**.

* عبد المعطى نمر موسى، **الأصوات اللغوية المتحولة وعلاقتها بالمعنى**، الطبعة الأولى (اربد– الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع)

* عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (بيروت: دار الفكر)

* عوض محمد القوزي، **المصطلح النحوى ونشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري** (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983)

* عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، **شرح شواهد المغنى**، تحقيق محمود الشنقيطى، عناية أحمد ظافر كوجان (بيروت: دار الحياة)

* عبد القادر عبد الجليل، **علم اللسانيات الحديثة**، الطبعة الأولى (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2002)

* عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون** (بيروت: دار الجيل).

* عبده الراجحى، **فقه اللغة في الكتب العربية** (مصر– الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988).

* علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة مع دليلها (الجزائر: المطبعة الجهوية بوهران).

* علي عبد الواحد وافي، **علم اللغة** (نهضة مصر للطباعة و النشر والتوزيع 2000)

* فايز الداية، علم الدلالة العربي ، **النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية** (الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية 1988)

* فرحات عياش، الإشتقاق ودوره في نمو اللغة (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995)

* كمال بشر، دراسات في علم اللغة (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع 1998)

* كمال بشر، **علم الأصوات** (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر)

* كمال بشر، **علم اللغة الاجتماعي** (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر)

* كمال بشر، **الصوت اللغوي** (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر)

* كمال الدين أبي بركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي السعيد الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين**، الطبعة الرابعة (مصر: المكتبة التجارية، 1380هـ – أبريل 1961)

* محمود فهمي حجازي، **علم اللغة العربية**، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية (دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع)

* ماريو باي، **أسس علم اللغة**، ترجمة و تعليق، احمد مختار عمر، الطبعة الثامنة (القاهرة: عالم الكتب، 1419هـ – 1998)

* محمد حسين آل ياسين، **الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث**، الطبعة الأولى (بيروت– لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة، 1980)

* محمود أحمد السيد، **الموجز في طرق تدريس اللغة العربية** ، الطبعة الأولى (بيروت: دار العودة، 1980)

* محمد خليفة الأسود،**التمهيد في علم اللغة** (منشورات جامعة السابع من أبريل).

* محمد وزناجي ورشيد رشيد مازوزي، المقتضب في علوم اللغة العربية نحو وصرف، بلاغة وعروض، الطبعة الأولى(الجزائر – باتنة: الرسض للنشر والتوزيع1414هـ – 1994)

* محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث (دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001)

* محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين الخطيب، **الإيضاح في علوم البلاغة** المعاني والبيان والبديع، مختصر تلخيص المفتاح، اعتنى به وراجعه عماد بسيوني زغلول، الطبعة الثالثة (بيروت– لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية)

* محمد الأنطاكي ، **المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها** ، الطبعة الثالثة (بيروت: دار الشرق العربي)

* محمد بوزواوي، **قاموس مصطلحات الأدب**، سلسلة المنار (دار مدني مؤسسة الاخوة مدني)

* محمد رشلد الحمزاوي، **من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا**، الطبعة الأولى (بيروت– لبنان: دار الغرب الاسلامي، 1986)

* محمد حسنين صبرة، **ثمرة الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر)

* محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، الطبعة الرابعة (بيروت: دار الفكر1970)

* مذكرة في أحكام الترتيل برواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق، السلسلة العلمية 2 .

* محمد خان، **في أصول النحو**.

* منى إلياس، **القياس في النحو** (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية)

* نادية رمضان النجار، قضايا في الدرس اللغوي (الإسكندرية: مؤسسة الجامعة1999)

* نور الهدى لوشن، **مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** (الإسكندرية- الأزاريطة: المكتبة الجامعية، 2000)

* يوسف أبو العدوس، **البلاغة والأسلوبية** ، مقدمات عامة، الطبعة العربية الأولى (عمان- الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع)

* سامح كريم – **مجلة العربي** – ديسمبر - 2003.

الفهرس

مقدمة
الفصل الأول: اللغة العربية.
أولا: تعريف اللغة العربية.. 06
ثانيا: أثر اللغة العربية... 15
ثالثا: خصائص اللغة العربية... 19
رابعا: علوم اللغة العربية.. 28
الفصل الثاني: علم النحو.
أولا: تعريف النحو.. 36
ثانيا: مصادر علم النحو... 47
ثالثا: أصول علم النحو... 55
رابعا:المدرسة البصرية والكوفية والخلاف...68
الفصل الثالث: علم الصرف.
أولا: الصرف.. 83
ثانيا: ظواهر التبدل الصوتي(الاعلال والابدال والادغام والحذف والقلب...)...............................90
ثالثا: الاشتقاق.. 99
الفصل الرابع: علم البلاغة.
أولا: مقدمات عامة في علم البلاغة العربية...115
ثانيا: علم المعاني..120
ثالثا: علم البيان...129
رابعا: علم البديع.. 141
الفصل الخامس: علم الدلالة.
أولا: الدلالة.. 151
ثانيا: مكونات الدلالية الأساسية..157
ثالثا: التطور الدلالي..159

الفصل السادس: علم المعاجم.
أولا: تعريف علم
المعاجم...
165
ثانيا: المدارس اللغوية ومعاجمها...................................176
ثالثا: المعجم العربي وصلته بالتطور الدلالي...........................194
الفصل السابع: اللغة وعلم اللغة الحديث.
أولا: نشأة اللغة..
200
ثانيا: تعريف
اللغة...207
ثالثا: اللغة بين المؤثرات والخصائص...............................215
الفصل الثامن: اللسانيات والعلوم الإنسانية
أولا: تحديد المصطلحات
215...
ثانيا: علم اللغة وموضوعاته...235
ثالثا: علم اللغة والعلوم الانسانية...................................240
الفصل التاسع: الأصوات العربية
أولا: الأصوات العربية وعلم الأصوات العام.........................266
ثانيا: علم الأصوات الوظيفي...287
ثالثا: العناية باللغة العربية...283

الخـاتمة

إعلان عن جائزة اللغة العربية 2012

يعلن المجلس الأعلى للغة العربية عن تنظيم "جائزة اللغة العربية لسنة 2012، التي تهدف إلى تشجيع الباحثين والمبدعين وتثمين منجزاتهم العلمية والمعرفية، ذات المردود النوعي الهادف إلى إثراء اللغة العربية، والإسهام في نشرها وترقيتها، سواء أكانت هذه الأعمال مؤلفة باللغة العربية، أم مترجمة إليها،

1. شروط الترشح للجائزة:

- أن يقدم العمل باللغة العربية
- أن يتوفر العمل على قواعد المنهجية العلمية
- أن يكون البحث موثقا وأصيلا، ولم يسبق نشره، وفي مجال الترجمة ترفق نسخة للنص بلغته الأصلية
- أن لا يكون قد نال به صاحبه جائزة أو شهادة علمية
- أن يندرج البحث في أحد المجالات المذكورة أدناه.
- قرارات لجنة التحكيم غير قابلة للطعن
- لا ترد الأعمال إلى أصحابها سواء فازت أم لم تفز

2. حدد مبلغ الجائزة ب. 1.000.000 دج، يوزع بمقدار 250.000 دج لكل مجال من المجالات الأربعة التالية:

- **جائزة المجلس في علوم اللغة العربية.**
- **جائزة المجلس في الترجمة إلى العربية في العلوم والآداب**
- **جائزة المجلس في العلوم الاقتصادية**
- **جائزة المجلس في التاريخ الوطني**

حدد مبلغ الجائزة للفائز الأول بـ: 160.000 دج، ومبلغ الفائز الثاني بـ 90.000 دج في كل مجال من المجالات الأربعة المذكورة أعلاه.

يمكن أن يتكفل المجلس بنشر الأعمال الفائزة، وتصبح ملكا له، إلا أنه يمكن للفائز بالجائزة استعادة حقوقه حسب دفتر الشروط ، وبعد انقضاء مدة ثلاث سنوات – على الأقل– من نشر العمل.

تعرض الأعمال المرشحة على لجنة تحكيم مكونة من ذوي الاختصاص، الذين لا يسمح لهم بالمشاركة في الجائزة،

3 . طلب الترشح:

يتكون طلب الترشح للجائزة من الوثائق الآتية :

- طلب خطي
- نسخة من وثيقة الهوية (بطاقة التعريف أو رخصة السياقة)
- السيرة العلمية للمشارك
- نسختين من البحث المقدم لنيل الجائزة :
- النسخة الأولى مسجلة على قرص والنسخة الثانية توجه عن طريق البريد المسجل، ويكون تاريخ الختم البريدي شاهدا على ذلك.

4 . يفتح باب الترشح للجائزة ابتداء من **نشر هذا الإعلان** في وسائل الإعلام إلى غاية **31 ديسمبر 2011**

5 . يوجه ملف الترشح إلى العنوان الأتي :

السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرانكلين روزفلت ، الجزائر

أو

ص.ب : 575 شارع ديدوش مراد الجزائر العاصمة

" **جائزة اللغة العربية** "

علوم اللغة العربية

يتناول هذا العمل واقع اللغة العربية في حاضرنا والتحديات التي تواجهتطورها لكي تلتحق بركب اللغات الحاملة للعلوم والتكنولوجيات.

العمل مقسم إلى تسعة فصول، تناولت فيه صاحبته قضايا اللغة العربية وعالجت فيه خصائصها بمنظور معاصر، قدمته في مجموعة من الأفكار العلمية، خرجت فيها عن المنقول.

البحث متميّز لأنه يتحدث عن مكانة اللغة العربية ومنزلتها بين اللغات في القديم والحديث، ويبّين مظاهر التطور فيها، ويزيل الكثير من الأفكار التي علقت بها عبر الأزمنة، ويقدم بعض الحلول للكثير من الأسئلة التي ظلت عالقة.

العمل من تأليف الأستاذة نادية مرابط، وهي من مواليد: 05 فبراير 1972، بولاية سكيكدة، متحصلة على شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية من جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة و حازت بهذا العمل على جائزة المجلس الأعلى للغة العربية 2010.

الإيداع القانوني: 2010-4770

ردمك: 978-9947-821-57-2

المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فراكلين روزفيلت / ص.ب: 575 ديدوش مراد الجزائر

الهاتف: 25/ 24 07 23 021 - الفاكس: 07 07 23 021

w w w . c s l a . d z